

شرح الحج النبلاغة

المشقة من كتاب الألو اللغاة الحلبية

المؤلف

المخطوط

تصنيف
المؤلف

تصنيف
المؤلف

وزارة الثقافة والارشاد
الدينية العامة للفسرة العامة

شرح صحيح البخاري

المطبوع في دار الأوقاف العامة بالبحرين في سنة ١٤٢٠



المجلد الثاني

المجلد الثاني



تصنيف

مؤلف: حاجي علي بن

إسحاق بن

علي بن أبي طالب

وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي
الدار العامة للنشر والاعلام



وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

الدائرة العامة للنشر والإعلام

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الثاني: الخطب (٢)

استخراج وتنظيم: علي انصاريان

تصحيح: مرتضى حاجلي فرد

الطبعة الاولى: جادى الثانى ١٤٠٨ هـ . ق.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس العناوین

- شرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام ٩-٤٩٠
- فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب ٤٩١-٥٤٥
- رموز الكتاب ٥٤٧
- الفهرس التفصیلی لمواذ الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد ٥٤٩-٥٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

١٢٩ - (خطبة الامير المؤمنين عليه السلام)

في ذكر المكايل والموازين

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثَوِيَاءُ ^(١٧٠٩)
مُؤْجِلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ : أَجَلٌ مُنْقُوصٌ . وَعَدَلٌ مُحْفُوظٌ . فَرُبَّ
دَائِبٍ ^(١٧١٠) مُضَيِّعٌ . وَرُبَّ كَادِحٍ ^(١٧١١) خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ
لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا . وَلَا الشَّيْطَانُ
فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ . وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ .
وَأَمَكَّتْ فَرِيستُهُ ^(١٧١٢) . أَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ . فَهَلْ
تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا ، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا . أَوْ بَخِيلًا
أَتَخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًا ، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأَذْنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ
وَفَرًا ! أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ أَخْرَارُكُمْ وَسُحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ
الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعُوا
جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَةِ . وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي
حُثَالَةٍ ^(١٧١٣) لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذِمَّتِهِمُ الشُّفْتَانِ . اسْتِصْغَارًا لِقَدَرِهِمْ .
وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ ! « فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! » « ظَهَرَ الْفَسَادُ » ، فَلَا

مُنْكَرٌ مُّغَيَّرٌ ، وَلَا زَاَجِرٌ مُّزْدَجِرٌ . أَفِيْهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَايَاهُ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لَا يُخَذَّعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ . وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِمِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ !

بيان: «الأثوباء» جمع «ثوبى» وهو الضيف. «مؤجلون» أي مؤخرون إلى وقت معلوم. و«المدين» المديون. و«المقتضون» جمع «مقتضى» على بناء المفعول. «أجل منقوص» أي أجلكم أجل منقوص يوماً فيوماً ولحظة فلحظة، وعملكم عمل محفوظ عند الله. و«الدائب» المجتهد ذوالجلد والتعب. و«الكادح» الساعي و«أمكننت» أي. أمكنته، يقال: «أمكنني الأمر» أي سهل وتيسر. و«كابده مكابدة» قاساه وتحمل المشاق فيه، وذكره في هذا المقام إمّا لأنّ الغرض بيان ماسبق من إدبار الخير وإقبال الشرّ وعموم الضلال، ومقاساة الفقراء بيان للأولين، فالخير والشرّ يعقّان الدينويّين والأخرويّين، وإمّا لأنّ شيوع الفقر، لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات. «بذل نعمة الله» أي الغناء وولايته — عليه السلام —، والتخصيص لشدة إنكارهم لقوتهم أو الأعم. و«الوفر» المال الكثير. وقوله — عليه السلام — «بحقّ الله» متعلّق بالبخل، أي يعدّ بخله بحقّ الله توفير المال والزيادة فيه. و«الوقر» ثقل الأذن.

«أين أحراركم» أي الذين اعتقوا من رقّ الشهوات. و«التورّع» مبالغة في الورع. و«التنزّه» التباعدهن القبيح. و«ظنن» — كمنع — أي ساروا رنخل: و«أنفص الله عليه العيش ونقصه» كذره. و«الحثالة» الردى من كلّ شىء. «لا تلتقى بذمتهم» أي إنهم أحقر من أن يشغل الإنسان بذمتهم لأنّه لا بدّ في الدّم من إطباق إحدى الشفتين على الأخرى. و«ذهاباً» أي ترفعاً، يقال: «فلان ذهب بنفسه عن كذا» أي رفعها عنه. و«لا زاجر مزدجر» أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه أيضاً عنها. «في دار قدسه» أي الجنة لأنّ أهلها يقدرسونه — تعالى — وهم منزّهون عن العيوب و«مجاورة

الله» ستكون تلك الدار المنسوبة إليه — سبحانه — تشریفاً، وقربه مجاورة رحمته. «هيات» أي بعد ما تريدون. «لا يخذع الله عن جنته» أي لا يمكن أخذها منه — تعالى — بالخدعة. و«المرضاة» الرضا. وآخر الكلام يدل على اشتراط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعمل بهما. وسيأتي الكلام فيه في محله إن شاء الله، ولعل غرضه — عليه السلام — التعريض بالسابقين الغاصبين.^{٥١٨}

١٣٠ — وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَتَسْتَغْلَمُ مِنَ الرَّابِيعِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا .

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربرة^(١٧١٤)

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَتَسْتَغْلَمُ مِنَ الرَّابِيعِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا . وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا ! لَا يُؤْنِسُنَا إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشُنَا إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ^(١٧١٥) مِنْهَا لِأَمْنُوكَ .

بيان: قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: قد روى هذا الكلام أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبدالرزاق، عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أخرج أبوذر إلى الربرة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أباذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به^{٥١٩} فتحاماه الناس

٥١٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٧، ط كيباني وص ٦٣٦، ط تبريز.

٥١٩- في المصدر: وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به....

إلا علي بن أبي طالب — عليه السلام — وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً — عليهما السلام —
وعمار بن ياسر، فإنهم خرجوا معه يشيعونه.

فجعل الحسن — عليه السلام — يكلم أباذر فقال له مروان: إياها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام ذلك الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.

فحمل علي — عليه السلام — على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح! لحاك الله إلى النار.

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر، فتلطى على علي — عليه السلام — . ووقف أبوذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هانيء بنت أبي طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم وكان حافظاً؛ فقال علي — عليه السلام —:

يا باذر إنك غضبت لله، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتم على دينك، فامتنحوك بالفلا، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل منها مخرجاً، يا باذر لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل.

ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم. وقال لعقيل: ودع أخاك.

فتكلم عقيل فقال: ما عسى أن نقول يا باذر أنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله، فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع واستبطائك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن — عليه السلام — فقال: يا عماء لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشييع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ماترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك — صلى الله عليه وآله — وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين — عليه السلام — فقال: يا عماء إن الله — تعالى — قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم في شأن^{٥٢٠}، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعهم دينك فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعهم، فاسأل الله الصبر والنصر، استعذبه من

الجشع والجزع، فإنَّ الصبر من الدين والكرم، وإنَّ الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم تكلم عمار — رحمه الله — مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولورضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبودر — رحمه الله — وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله — صلى الله عليه وآله —، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليها، فبسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء علي — عليه السلام — إلى عثمان، فقال له: ما حلك على رد رسولي وتصغير أمري؟

فقال علي — عليه السلام —: أما رسولك فأراد أن يرده وجهي فرددته وأما أمرك فلم أصغره.

قال: أما بلغك نهي عن كلام أبي ذر؟

قال: أو كل ما أمرت بأمر معصية أطيعناك فيه؟

قال عثمان: أقد مروان من نفسك.

قال: مم ذا؟

قال: من شتمه وجذب راحلته.

قال: أما الراحلة فراحلي بها، وأما شتمه إيتاي فوالله لا يشتمني شتمة إلا

شتمتك، لا أكذب عليك.

فغضب عثمان وقال: لم لا يشتمك كأنك خير منه؟

قال علي — عليه السلام — إي والله ومنك.
ثم قام فخرج. فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أُمّية يشكو إليهم علياً — عليه السلام —، فقال القوم: أنت الولي عليه، وإصلاحه أجل.
قال: وددت ذلك.

فأتوا علياً — عليه السلام — وقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيته.
فقال: كلاً، أما مروان فلا آتية ولا أعتذر إليه^{٥٢١}، ولكن إن أحب عثمان أتيته.

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل إليه فأتاه ومعه بنوهاشم، فتكلم علي — عليه السلام — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ما وجدت عليّ فيه من كلام أبي ذرّ ووداعه فوالله ما أردت مناواتك^{٥٢٢} ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقّه، وأما مروان فإنه اعترض، يريد ردّي عن قضاء حقّ الله — عزّ وجلّ — فرددته ردّ مثلي مثله، وأما ما كان متي إليك فإنك أغضبني فاخرج الغضب متي ما لم أردّه.
فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ما كان منك إليّ فقد وهبته لك، وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأما ما حلفت عليه فأنت البرّ الصادق، فادن يدك، فأخذ يده فضمّها إلى صدره.

فلما نهض قالت قريش وبنو أُمّية لمروان: أنت رجل جبهك^{٥٢٣} عليّ فضرب راحلتك، وقد تقانت وائل في ضرع ناقة، وربّان وعبس في لطة فرس^{٥٢٤}، والأوس والخرّج في نسعة، أفتحمّل لعلّي — عليه السلام — ما أتى إليك.
فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

٥٢١- في المصدر: ولا أعتذر منه.

٥٢٢- في المصدر: مساءتك.

٥٢٣- «جبه الرجل» ضربه على جبهته، فاجأه، رذّه عن حاجته. «جبهه بالمكروه» استقبله به.

٥٢٤- «وائل» كليب بن ربيعة. راجع حروب أتيام العرب يوم البسوس. و«ربّان» مصحف [ذبيان] وقعت بين ذبيان وعبس حروباً عظيمة وبقيت نار الحرب مستعرة مدة مديدة بسبب فرسين اسمهما داحس والغبراء، وسقي بعض أتيامهم بيوم داحس ويوم الغبراء.

واعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السير وعلماء الأخبار والنقل أنّ عثمان نفى أبأذر أولاً إلى الشام، ثمّ استقدمه إلى المدينة لما شكى منه معاوية ثمّ نفاه من المدينة إلى الربرة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. وأصل هذه الواقعة أنّ عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بَشِّرُ الْكَافِرِينَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله — تعالى — «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ آلَ الْهَبِ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^{٥٢٥} فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثمّ إنه أرسل إليه مولى من مواله أن انته عما بلغني عنك فقال أبوذر: أيها بني عثمان عن قراءة كتاب الله — تعالى — وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبوذر: يابن اليهوديتين أتعلّمنّا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثّر أذاك لي وتولّعت بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه إليها.

فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبوذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلاحاجة لي فيها وردّها عليه. ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبوذر: يا معاوية! إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف. وكان أبوذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهي في كتاب الله ولا سنة نبيّه، إنّي لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحى، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إِنَّ أَبَاذَرَ لَمُفْسِدٍ عَلَيْكُمْ الشَّامَ، فَتَدَارِكُ أَهْلَهُ إِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ حَاجَةٌ.
 وروى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت عاملاً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فبُعثت إليه يوماً أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أَتَتَكُمُ الْقَطَارُ بِحِمْلِ النَّارِ، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكَيْنِ لَهُ، اللَّهُمَّ الْعَنِ النَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْمُرْتَكِبَيْنِ لَهُ.
 ١ فاز بأرم معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟
 فقلت: اللَّهُمَّ لَا.

قال: من عذيري من جندب بن جنادة، يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت.
 ثم قال: أدخلوه، فجيء بأبي ذرّ بن قوم يقودونه حتّى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله تأتينا في كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكنتي أستاذن فيك.
 قال جلام: وكنت أحبّ أن أرى أباذَرَ لآلته رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر، ضرب من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره حناء فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله — صَلَّى الله عليه وآله — ودعا عليك مرّات أن لا تشيع، سمعت رسول الله — صَلَّى الله عليه وآله — يقول: «إذا ولّى الأُمّة الأعين الواسع البلعوم الَّذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأُمّة حذرهما منه».
 فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل.

قال أبوذرّ: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله — صَلَّى الله عليه وآله — وسمعت يقول وقد مررت به: «اللَّهُمَّ الْعَنِهِ وَلَا تَشْبِعْهُ إِلَّا بِالْتُّرَابِ» وسمعت يقول: «أُشِيتَ^{٥٢٦} معاوية في النار».

فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره. فوجه به من ساربه ٥٢٧ الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذه من الجهد فلما قدم بعث إليه عثمان: أن الحق بأيّ أرض شئت.

قال بمكة.

قال: لا.

قال: بيت المقدس.

قال: لا.

قال: بأحد المصبرين.

قال: لا.

قال: ولكنتي مسيرك إلى الربرة فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي أن أباذر لما دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله ببقين عينا نعم ولا لقاء يوماً زيناً

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبوذر: ما عرفت اسمي قينا.

وفي رواية أخرى: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب. فقال أبوذر: أنا جندب

وسماني رسول الله — صلى الله عليه وآله — عبد الله، فاخترت اسم رسول الله — صلى الله عليه وآله — الذي سماني به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أننا نقول: يدا الله مغلوله، وأن الله فقير ونحن

أغنياء؟

فقال أبوذر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكنتي أشهد ٥٢٨

لسمعت رسول الله — صلى الله عليه وآله — يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين

٥٢٧- في المصدر: مع من ساربه.

٥٢٨- في المصدر: أشهد أنني سمعت.

رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً^{٥٢٩}».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله — صلى الله عليه وآله — ؟
قالوا: لا.

قال عثمان: ويلك يا أباذر أتكذب على رسول الله — صلى الله عليه وآله — ؟

فقال أبوذر لمن حضر: ماتدرون^{٥٣٠} آتي صدقت؟

قالوا: لا والله ماندرى.

فقال عثمان: ادعوا لي علياً.

فلما جاء، قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص.

فأعاده فقال عثمان لعلي — عليه السلام —: أسمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وآله — ؟

قال: لا، وصدق أبوذر.

فقال: كيف عرفت صدقه؟

قال: لأنني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وآله — يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

فقال من حضر: أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله — صلى الله عليه وآله — .

فقال أبوذر: أحدثكم آتي سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وآله — فتتهموني؟ ما كنت أظن آتي أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد — صلى الله عليه وآله —

وفي خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أباذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت.

٥٢٩- في المصدر بعده: ودينه دخلاً.

٥٣٠- في المصدر: أما تدرون.

فقال أبوذر: نصحتك فاستغشيتي، ونصحت صاحبك فاستغشيتي.

قال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد انفلت الشام علينا.

فقال له أبوذر: أتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك؟ لا أم لك.

قال أبوذر: ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو

أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم علي — عليه السلام — وكان حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن

آل فرعون: «وَإِنْ يَكَادُ زَكَاةُكَ يُكْذِبُكَ، وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْعُدُكُمْ،

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» ٥٣١.

فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي — عليه السلام — بمثله، ولم يذكر

الجوابين تذكماً منها.

قال الواقدي: ثم إن عثمان حَظَرَ على الناس أن يقاعدوا أباذراً أو يكلموه

فكث كذلك أتياما ثم أتى به فوقف بين يديه، فقال أبوذر: ويحك يا عثمان أما رأيت

رسول الله — صلى الله عليه وآله — ورأيت أبابكر وعمر، هل هديك كهديهم؟ أما إنك

لتبطش بي بطش جبار.

فقال عثمان: اخرج عتاً من بلادنا.

فقال أبوذر: ما أبغض إلي جوارك، فإلى أين أخرج؟

قال: حيث شئت.

قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد.

قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟

قال: فأخرج إلى العراق؟

قال: لا. إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شبه وطعن على الأئمة

والولة.

قال: أفأخرج إلى مصر؟

قال: لا.

قال: فألى أين أخرج؟

قال: إلى البادية.

قال أبوذر: أصير بعد الهجرة أعرابياً؟

قال: نعم.

قال أبوذر: فأخرج إلى بادية نجد.

قال عثمان: بل إلى الشرف الأبعد فأقصى^{٥٣٢}، امض على وجهك هذا، فلا

تعدون^{٥٣٣}. فخرج إليها.

وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجا^{٥٣٤} عن موسى بن ميسرة أنَّ أبا

الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة،

فجئته فقلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أخرجت^{٥٣٥}؟

فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة.

فقلت: دار هجري، فأخرجت من المدينة إلى ماترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله — صلى الله عليه

وآله — إذ مرّ بي — صلى الله عليه وآله — فضر بني برجله، وقال: لا أراك نائماً في

المسجد.

فقلت: بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه.

قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

قلت: آخذ سيفي فأضربهم به.

٥٣٢- في المصدر: أقصى فأقصى.

٥٣٣- في المصدر: فلا تعدون ربذة.

٥٣٤- في المصدر: مالك بن أبي الرجال.

٥٣٥- في المصدر: أم أخرجت كرها.

فقال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، الله ليلقيَن الله عثمان وهو آثم في جنبي.^{٥٣٦} انتهى كلامه.

وإنما أوردته بطوله لتعلم أنّ قبائح أعمال عثمان وطفغيانه على أبي ذر وغيره متواتر بين الفريقين.

بيان: يقال: «الحاه الله» أي قبحه ولعنه، و«ازبأَرَ الكلب» تنفّس، و«[ازبأَرَ] الرجل للشّر» تيّأ. و«الضرب بالفتح» الرجل الخفيف اللحم. و«البلعوم» بالضم، مجرى الطعام في الحلق. و«أُسيت» كأنه تصغير الإست. و«الشارف» من النوق» المستة الهرمة. و«أنغله» أفسده. وفي القاموس: «الشرف» المكان العالي، وجبل قرب جبل شريف، والربذة والشرف الأعلى: جبل قرب زبيد.

أقول: قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى أبو عمر و^{٥٣٧} ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب لَمَّا حضر أبا ذرّ الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته أمّ ذرّ، قالت:

فقال لي: ما يبكيك؟

فقلت^{٥٣٨}: مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، ولا بدّ لي من القيام بجهازك.

فقال: أبشري ولا تبكي، فإنّي سمعت رسول الله — صلّى الله عليه وآله — يقول: «لا يموت بين امرأتين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً». وقدمات لنا ثلاثة من الولد، وسمعت أيضاً رسول الله — صلّى الله عليه وآله — يقول لنفر، أنا فيهم: «ليمتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»؛ وليس من أولئك النفر أحد إلّا وقدمات في قرية وجاعة، فأنا لا أشك أنّي ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق.

٥٣٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٥٢-٢٦١، ط بيروت.

٥٣٧- الصحيح هو أبو عمر.

٥٣٨- فقالت. خ ل.

قالت أم ذر: فقلت: أتى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟
فقال: اذهبي فتبصري.

قالت: فكنت أشتد إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثم أرجع إليه فأمّرضه، فبينما أنا وهو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركايبهم كأنهم الرخم تحب^{٥٣٩} بهم رواحلهم، فأسرعوا إليّ حتى وقفوا عليّ، وقالوا: يا أمة الله مالك؟
فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفّنونه؟

قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذر.
قالوا: صاحب رسول الله — صلى الله عليه وآله —؟
قلت: نعم.

فقدوه بآبائهم، وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه.
فقال لهم: أبشروا فإني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وآله — يقول لنفر أنافهم: «ليمتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك نفر أحد إلّا وقد هلك في قرية وجماعة، والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لا مرائي لم أكفنّ إلّا في ثوب لي أولها، وإني أنشدكم الله أن يكفّنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً.

قالت: وليس في أولئك نفر أحد إلّا وقد قارف بعض ما قال إلّا فتى من الأنصار.

قال له: أنا أكفّنك ياعمّ في ردائي هذا، وثوبين معي في عييتي من غزل أُمّي.
فقال أبوذر: أنت تكفّنني.

فأت فكّفنه الأنصاريّ، وغسله في نفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر كلّهم يمان.

قال أبو عمرو^{٥٤٠} بن عبد البرّ قبل أن يروي هذا الحديث: كان نفر الذين

٥٣٩- «خبّ الفرس في عدوه» راجع بين يديه ورجليه، أي قام على إحداها مرّة وعلى الأخرى مرّة.

٥٤٠- الصحيح هو أبو عمر.

حضرُوا موت أبي ذر الرُبْذَة مصادفة جماعة منهم حجر بن عدي الذي قتله معاوية وهو من أعلام الشيعة وعظماؤها، وأما الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة، وقريء كتاب الاستيعاب على شيخنا عبدالوهاب بن سكيّنة المحدث وأنا حاضر، فلما انتهى القاريء إلى هذا الخبر قال أستاذي عمرو بن عبدالله الدباس وكنت أحضر معه سماع الحديث: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فإنا قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدّمه، فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت. انتهى كلامه بلفظه.

فانظر فيه ببصيرة تزدد يقيناً.

أقول: وقال ابن عبدالبرّ بعد نقل الرواية الطويلة: روى عنه جماعة من الصحابة وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحقّ سئل عليّ — عليه السلام — عن أبي ذر، فقال: ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه، وروي عن النبي — صلى الله عليه وآله — أنّه قال: أبودرّني أمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده، وبعضهم يرويه: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فليُنظر إلى أبي ذر. ٥٤١

١٣١ —

وفيه بين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق

أَيَّتَهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمْ ،
وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولَهُمْ ، أَظَارَكُمْ^(١٧١٦) عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ
نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَةِ الْأَسَدِ ! هِنَهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ^(١٧١٧)

أَعْدِلْ ، أَوْ أَقِيمَ أَغْوَاجَ الْحَقِّ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي
كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا أَلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الْحُطَامِ ،
وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ
الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ
أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدِ الْمَاءِ
وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ
نَهْمَتُهُ^(١٧١٨) ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَانِي فَيَقْطَعَهُمْ
بِجَفَائِهِ ، وَلَا الْخَائِفُ^(١٧١٩) لِلدُّوَلِ^(١٧٢٠) فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا
الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ^(١٧٢١) ،
وَلَا الْمُعْطَلُ لِلْسِّنَةِ فَيَهْلِكَ الْأُمَّةُ .

بيان: «الغائبة عنهم» غيبة العقول عن أربابها أبلغ في الدلالة من غيبتها عن
اعتبر الشهود بالنسبة إليه. «أظأركم» أي أعطفكم، يقال: «ظأرت الثقة إذا عطف
على ولد غيرها. وقال الجوهرى: «المعز» من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس وكذلك
«المعزى» . و«الوعوعة» الصوت. قوله — عليه السلام — «هيات» قال ابن أبي
الحديد: يفسره الناس بمعنى: هيات أن أطلعكم مضيئين ومنورين سرار العدل،
و«السرار» آخر ليلة من الشهر وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسر بوجه آخر وهو أن يكون
السرار بمعنى السرر وهو خطوط مضيئة في الجبهة، وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيه

السرار. قالوا: ويجمع سرار على أسرة ويقولون: برقت أسرة وجهه؛ فالمعنى: هيات أن تلمع بكم لوامع العدل ويرق وجهه. ويمكن أن ينصب سرار على الظرفية ويكون التقدير: هيات أن أطلع بكم الحقّ زمان استساراه واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير. وقال الكيدري: «سرار الشهر وسرره» آخر ليلة منه، و«السرار» المسارة من السرّ، وجمع سرر الكفّ والجبهة، و«سرار العدل» أي في سرار فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل، وقيل: أي هيات أن أظهر بمعونتكم ماخفي واستسرّ من أقمار العدل وأنواره. انتهى.

ولعلّ المراد بـ «الذي كان» الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع، ولم يكن ناقصة وكان تامة. و«المنافشة» الغالبة في الشيء النفيس. و«الحطام» ما تكسر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا، والمراد بفضوله زخارفها وزينتها وما لا يحتاج إليه منها. و«معالم الدين» الآثار التي يهتدى بها. و«الإنابة» الرجوع. قوله — عليه السلام — «نهمته» أي حرصه وجشعه على أموال رعيته، ومن رواه «نهمة» بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البرّ والصلة، و«رجل جافي الخلفة والخلق» أي منقبض غليظ. «فيقطعهم» أي عن الوصول إليه، أو عن حاجاتهم، أو بعضهم عن بعض لتفرقتهم، والأول أظهر وإن لم يذكره أحد.

قوله — عليه السلام — «ولا الخائف» بالخاء المهملة، من «الحيف» وهو الظلم والجور. و«الدول» بضمّ الدال المهملة، جمع «الدولة» بالضمّ وهي اسم المال المتداول، قال الله — تعالى —: «كَيْلًا يَكُونُ ذُوْلَةُ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ»^{٥٤٢}؛ إذا لم يقسم الإمام بالسوية ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض فيتخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين. وروي: «الخائف» بالمعجمة، و«الدول» بكسر الدال، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة، أي من يخاف دول الأيّام وتقلب الدهور فيتخذ قوماً يتوقع نفعهم في دنياه ويقوّمهم ويضعف آخرين.

قوله — عليه السلام — «دون المقاطع» أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه

بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالباطل، أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ ويرضى بالصلح فيذهب بعض حقّه، ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير» أي يقف في غير مقطعة. قال ابن أبي الحديد: «فإن قلت: أفترأى عني بهذا قوماً بأعيانهم، قلت: الامامية تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر، ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل الستة إلى عثمان ومعاوية. ٥٤٣ انتهى. والأظهر أنّ المراد بالبخیل عثمان لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين ولما مرّ منه — عليه السلام — في الشقشيّة، وبالجاهل جميعهم، وبالجافي عمر كما مرّ في الشقشيّة، وبالحائف للدول عمر وعثمان كما هو المعلوم من سيرتهما، وبالمعطل للستة أيضاً جميعهم. ٥٤٤

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الهمة» بالفتح، الحاجة وبلوغ الهمة والحاجة والشهوة في الشيء، وبالتحريك كما في بعض النسخ، إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البرّ والصلة، والغلظة في الخلق، «فيقطعهم بجفائه» أي عن حاجتهم لغلظته عليهم، أو بعضهم عن بعض لأنّه يصير سبباً لتفرقتهم. و«الحائف» بالمهملة، الظالم. و«الدول» بالضمّ، جمع «دولة» وهي المال الذي يتداول به، فالمنعنى: الذي يجور ولا يقسم بالسوية وكما فرض الله، فيتخذ قوماً مصرفاً أوحببياً فيعطيهما ما شاء ويمنع آخرين حقوقهم؛ وفي بعض النسخ بالجاء المعجمة، و«الدول» بالكسر، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة في الحرب وغيره وانقلاب الزمان، فالمراد الذي يخاف تقلّبات الدهر وغلبة أعدائه فيتخذ قوماً يتوقّع نصرهم ونفعهم في دنياه ويقوّمهم بتفضيل العطاء وغيره، ويضعف آخرين؛ وفي بعضها بالمعجمة وضمّ الدال، أي الذي يخاف ذهاب الأموال وعدمها عند الحاجة، فيذهب بالحقوق أي يبطلها. و«يقف بهادون المقاطع» أي يجعلها موقوفة عند مواضع قطعها فلا يحكم بهابل يحكم بالباطل، أو يسوّف في الحكم حتّى يضطرّ المحقّ ويرضى بالصلح؛ ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى غير، أي يقف بها في غير مقاطعها وهو

٥٤٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٦٦، ط بيروت.

٥٤٤- بخار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كمپاني وص ٦٤٠، ط تبريز.

الباطل. ٥٤٥

١٣٢ - (كتاب الصلاة)

يعظ فيها ويزهّد في الدنيا

حمد الله

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَأَبْتَلَى^(١٧٢٢) . الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ^(١٧٢٣) ، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانُ .

عظة للناس

ومنها : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ^(١٧٢٤) ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ^(١٧٢٥) . فَلَا يَغُرُّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذَرَ الْإِفْقَالَ ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ - طُولَ أَمَلٍ وَأَسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَازْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَابِيَا يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا ، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا !

كَيْفَ أَصْبَحَتْ بَيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا ؛ وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ
لِللَّوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ؛ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا
مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلُهُ ^(١٧٢٦) ، وَفَازَ
عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا ^(١٧٢٧) هَبْلَهَا ، وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا : فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ
تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ
إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَا ^(١٧٢٨) . وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ ^(١٧٢٩)
لِلزِّيَالِ ^(١٧٣٠) .

١٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةِ الْعَمَلِ فِي السَّلاَمَةِ

يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبى ويعظ الناس

عظمة الله تعالى

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتَيْهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ
مَقَالِيدَهَا ^(١٧٣١) . وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ ،
وَقَدَحَتْ ^(١٧٣٢) لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيْرَانَ الْمُضِيئَةَ ، وَآتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ
الْثَّمَارُ الْيَانِعَةُ .

القرآن

منها : وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَغِيَا لِسَانُهُ ، وَبَيِّنٌ لَا

تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَفَقِيَ بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

بيان: «العاذلون به» الجاعلون له عذيلًا ومثلاً. ٥٤٦

الدنيا

منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا ، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بِبَصَرِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ . وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

عظة للناس

منها : وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَأُهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً . وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ

الصَّمَاءِ . وَرِيٌّ لِلظَّمَانِ . وَفِيهَا أَلْغَىٰ كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ . كِتَابُ اللَّهِ
تُبْصِرُونَ بِهِ . وَتَنْطِقُونَ بِهِ . وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ،
وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ . وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ
عَنِ اللَّهِ . قَدْ أَصْطَلَحْتُمْ عَلَىٰ الْغِلِّ^(١٧٣٣) فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَنَبَتَ الْمَرْعَىٰ
عَلَىٰ ذِمَّتِكُمْ^(١٧٣٤) . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مَالٍ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ
الْأَمْوَالِ . لَقَدْ اسْتَهَامَ^(١٧٣٥) بِكُمْ الْخَبِيثُ ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

١٣٤ — وَمِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ^(١٧٣٦) ، وَسَرِّ الْعَوْرَةِ .
وَالَّذِي نَصَرَهُمْ ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا
يَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَىٰ هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنَكِّبَ ، لَا تَكُنْ
لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً^(١٧٣٧) دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بِعَدْلِكَ مَرْجِعُ يَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِخْرَبًا ، وَآخِزْ^(١٧٣٨) مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ^(١٧٣٩)

وفرعها من دناءته وحقارته، وقيل: لأن في نسب ثقيف طعناً، وقتل المغيرة مع عثمان في الدار. قوله — عليه السلام — «ما أعز الله» يحتمل الدعاء والخبر. قوله — عليه السلام — «أبعد الله نواك» النوى الوجه الذي تذهب فيه والدار، أي أبعد الله مقصدك أو دارك. ويروى: «أبعد الله نواك» باهضة أي خورك من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها. «ثم ابلغ جهدك» أي غايتك وطاقتك في الأذى. وفي النهاية: «أبقيت عليه» رحته وأشفقت عليه. ٥١٨

١٣٦ —

في أمر البيعة

لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً^(١٧٤٩) ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا .
إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ . أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَأَيْتُمُ اللَّهُ لَأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ . وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ^(١٧٥٠) . حَتَّى أُرِدَّهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا .

إيضاح: «الفلة» الأمر يقع من غير تدبر ولا روية، وفيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العاقبة عن عمر أنه قال: كانت بيعة أبي بكر فلة وقى الله المسلمين شرها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

قوله — عليه السلام — «إني أريدكم» الخطاب لغير الخواص من أصحابه — عليه السلام — والمعنى: أريد إطاعتكم إتيائي الله وتريدون أن تطيعوني للمنافع

الدنيوية. وقال الجوهري: خزمت البعير بالخرامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وتره أنفه ليشد فيها الزمام. ٥٤٩

١٣٧ —

في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له

طلحة والزبير

وَاللّٰهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُذْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا^(١٧٤٦)
وَأَنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوْهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوْهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ
فِيهِ ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيْبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ^(١٧٤٧)
إِلَّا قَبْلَهُمْ . وَإِنَّ أَوَّلَ عَذْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ . إِنَّ مَعِيَ لَبَصِيْرَتِي
مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ . وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَّةُ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَةُ^(١٧٤٨) ،
وَالشُّبُهَةُ الْمُغْدِفَةُ^(١٧٤٩) ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ؛ وَقَدْ زَاَحَ^(١٧٥٠) الْبَاطِلُ عَنْ
نِصَابِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ^(١٧٥١) . وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَقْرَظَنَّ^(١٧٥٢) لَهُمْ
حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ^(١٧٥٣) ، لَا يَصُدُّرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ ، وَلَا يَعْبُونَ^(١٧٥٤) بَعْدَهُ
فِي حَسَنِي^(١٧٥٥) !

أمر البيعة

ومنه : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ^(١٧٥٦) عَلَيَّ أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ :

الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُهَا ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُهَا .
 اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَالْبَا^(١٧٥٧) النَّاسَ عَلَيَّ ؛
 فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا
 وَعَمِلَا . وَلَقَدْ اسْتَنْبَتُهُمَا^(١٧٥٨) قَبْلَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ
 الْوُقَاعِ^(١٧٥٩) ، فَعَمَطَا النُّعْمَةَ^(١٧٦٠) ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ .

تبين: «النصف» بالكسر والتحريك، الإنصاف والعدل، أي إنصافاً أو حكماً ذا إنصاف ويقال: «وأي أمراً» أي قام به. و«الطلبية» بكسر اللام، ما طلبته من شيء. وقال في النهاية: «لبست الأمر» بالفتح، إذا خلطت بعضه ببعض، وربما شدد للتكثير. وقال ابن أبي الحديد: «الحما» الطين الأسود. و«حمة العقرب» سمها، أي في هذه الفتنة الضلال والفساد. ويروى: «الحما» بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأن كل من كان نسيب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما، مثل قفا وأقفاء، وما كان نسيب المرأة فهم الأحاماء^{٥٥٠}، فأما الإصهار فيجمع الجهتين. وكان الزبير ابن عمّة رسول الله — صلى الله عليه وآله — وقد كان النبي — صلى الله عليه وآله — أعلم علياً — عليه السلام — بأنّ فئة تبغى عليه في أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه، فكتى — عليه السلام — عن الزوجة بالحمة وهي سم العقرب، و«الحما» يضرب مثلاً لغير الطيب الغير الصافي. وقال ابن ميثم: «المغدفة» الحفّة، وأصله المرأة تغدو وجهها، أي تسترها.^{٥٥١} وروي: «المغدفة» بكسر الدال من «أغدو» أي أظلم، وهي إشارة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان.

و«قد زاح الباطل» أي بعد وذهب. «عن نصابه» أي مركزه ومقره. و«الشغب» بالتسكين، تهيج الشر، وقد يحرك. و«العّب» الشرب بلامصّ،

٥٥٠- في المصدر: الأخائن.

٥٥١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٦٦، ط بيروت.

و«الحسى» ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج ويكون بارداً غديباً، وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وتهديد بها وما يتعقبها من القتل والهلاك .

وقال الجوهري: «العود» حديثات النتائج من الطبأ والخيل والإبل، واحدها «عائد» مثل حائل وحول، وذلك إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً، ثم هي مطفل. وفي القاموس: «المطفل» — كمحسن — ذات الطفل من الإنس والوحش، والجمع «مطافيل». وقيل: إنَّ في الجمع بين الوصفين تجوّزاً، وعلى ما في القاموس لا يحتاج إلى ذلك. و«آلبا» بتشديد اللام، من «التأليب» وهو التحريص. قوله — عليه السلام — و«استتبها» استفعال من «ثاب يثوب» إذا رجع أي طلبت منها أن يرجع. وروي بالتاء المثناة من التوبة. و«استأنيت» أي انتظرت، من الإناءة. «فغمطا» بالكسر ٥٥٢ أي حقرا. ٥٥٣

١٣٨ — ﴿عَطَفُوا عَلَى الْهَوَىٰ﴾

يوميء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَى الْهَدَىٰ ، إِذَا عَطَفُوا الْهَدَىٰ عَلَى الْهَوَىٰ ، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .

ومنها : حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ، بَادِئاً نَوَاجِذُهَا ^(١٧٦١) ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا ^(١٧٦٢) ، حُلُوءاً رَضَاعُهَا ، عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا . أَلَا وَفِي غَدَوَسِيَّاتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ — يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا ، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ ^(١٧٦٣) كِبِيدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا ،

٥٥٢ — في أقرب الموارد ضبطه بالفتح.

٥٥٣ — بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠٨، ط كمياني وص ٣٨٢، ط تبريز.

فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَذَلُ السَّيْرَةِ ، وَيُخْبِي مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

منها : كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَى بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ^(١٧٦٤) بِرِايَاتِهِ فِي ضَوَاجِي
كُوفَانِ^(١٧٦٥) ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ^(١٧٦٦) ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ
بِالرُّووسِ . قَدْ فَعَرَتْ فَاعِرَتُهُ^(١٧٦٧) ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَائُهُ ، بَعِيدُ
الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ . وَاللَّهُ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ^(١٧٦٨) فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى
لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، كَأَلْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ ،
حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَخْلَامِهَا^(١٧٦٩) ! فَالْزُمُوا السَّنَنَ الْقَائِمَةَ ،
وَالْأَنَارَ الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ
الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي^(١٧٧٠) لَكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ .

إيضاح: لعلَّ أَوَّلَ الكلام إشارة إلى ظهور القائم — عليه السلام — وكذا قوله
«وسياتي غد» وما قبله إلى الفتن التي تظهر قبل القائم — عليه السلام — . وقيام الحرب
على ساق كناية عن شدتها، وقيل: «الساق» الشدة، و«بدو ونواجزها» عن الضحك تهكماً
أو عن بلوغ الحرب غايتها كما أنَّ غاية الضحك أن تبدو النواجز. و«الأخلاف» للناقة
حلمات الضرع. وإِنَّا قال — عليه السلام —: «حلوا رضاعها» لأنَّ أهل النجدة في
أَوَّلِ الحرب يقبلون عليها، ومرارة عاقبتها لأنَّها القتل، ولأنَّ مصير أكثرهم إلى النار.
والمنصوبات الأربعة أحوال والمرفوع بعد كلِّ منها فاعل، وإِنَّمَا ارتفع عاقبتها بعد
«علقماً» مع أَنَّهُ اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل، كَأَنَّهُ قال مريرة عاقبتها.

قوله — عليه السلام — «ألا وفي غد» قال ابن أبي الحديد: تمامه قوله
— عليه السلام — «ياخذ الوالي»، وبين الكلام جملة اعتراضية . قد كان تقدّم ذكر
طائفة من الناس كانت ذات ملك وافرة فذكر — عليه السلام — أَنَّ الوالي يعنى القائم

— عليه السلام — يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم، و«على» ههنا متعلقة بـ «يأخذ» وهي بمعنى يؤاخذ.

و«الأفلاذ» جمع «أفلاذ» وهي جمع «فلذة» وهي القطعة من الكبد، كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم — عليه السلام — . وقد فسر قوله — تعالى — : «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْمَالَهَا»^{٥٥٤} بذلك في بعض التفاسير.^{٥٥٥} وقوله — عليه السلام — «سليماً» مصدر سَدَّ مسدّ الحال أو تميز. قوله — عليه السلام — «كأنّي به» الظاهر أنّه إشارة إلى السفينائي. وقال ابن أبي الحديد: إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق وماقتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن أشعث وقتله أيام مصعب بن الزبير. وقال: مفعول «فحص» محذوف أي فحص الناس براياته أي نحاهم وقلّبهم ميمناً وشمالاً. و«ضواحي كوفان» ما قرب منها من القرى، وقد سار القتال مصعب بعد أن قتل المصعب المختار فالتقوا بأرض مسكن من نواحي الكوفة. «قد فغرت فاغرته» أي انفتح فوه، ويقال: فغراه، يتعدّى ولا يتعدّى. و«ثقل وطأته» كناية عن شدة ظلمه وجوره. «بعيد الجولة» أي جولان خيوله وجيوشه في البلاد، فيكون كناية عن اتساع ملكه، أو جولان رجاله في الحرب بحيث لا يتعبه السكون. و«شرد البعير» نفر وذهب في الأرض. «عواذب أحلامها» أي ما ذهب وغاب من عقولها.

وقال ابن ميثم: فإن قلت: قوله — عليه السلام — «حتى تؤوب» يدلّ على انقطاع تلك الدولة بظهور العرب، وعبد الملك مات وقام بعده بنوه بالدولة؟ قلت: الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية لكونهم لا يزالون مشردين في البلاد مقهورين، وذلك الانقهار وإن كان أصله من عبد الملك إلا أنّه استمرّ في زمان أولاده إلى حين انقضاء دولتهم. قال بعض الشارحين^{٥٥٦}: إنّ ملك أولاده ملكه، وهذا جواب من لم يتدبّر في كلامه — عليه السلام — . والعرب ههناهم بنو العباس ومن معهم من العرب أيام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن، وكبني رزني منهم طاهر بن

٥٥٤- الزلزال: ٢.

٥٥٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٢ — ٤٦، ط بيروت.

٥٥٦- المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد في شرحه، ج ٩، ص ٤٧، ط بيروت.

الحسين وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم من العرب. وقيل: إن أبا مسلم عربي.
 قوله — عليه السلام — و«العهد القريب» قال ابن أبي الحديد: أي عهده وأيامه
 — عليه السلام — ٥٥٧. وكأنه دفع لما عساه يتوهمونه من أنه إذا آتت إلى العرب عواذب
 أحلامها فيجب عليهم اتباع الدولة الجديدة في كل ما تفعله فوضاهم بأنه إذا تبدلت
 الدولة فالزموا الكتاب والسنة والعهد الذي فارقتكم عليه. قوله — عليه السلام — «إنما
 يستني» أي يسهل. ٥٥٨.

[بيان: «الساق» الشدة أو بالمعنى المشهور كناية عن استوائها. و«بدو النواجد»
 كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أن غاية الضحك أن تبدو النواجد ويمكن أن يكون
 كناية عن الضحك على التهم.]

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: «ألا وفي غد» تمامه قوله — عليه السلام —
 «يأخذ الولي» وبين الكلام جملة اعتراضية وهي قوله — عليه السلام — «وسيا في غد
 بما لا تعرفون» والمراد تعظيم شأن الغد الموعود ومثله كثير في القرآن ثم قال: قد كان تقدم
 ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمرة فذكر — عليه السلام — أن الولي يعني القائم
 — عليه السلام — يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم. و«على» ههنا متعلقة
 بـ «يأخذ» وهي بمعنى يؤاخذ. وقال: «الأفاليذ» جمع «أفلاذ» والأفلاذ جمع «فلذة»
 وهي القطعة من الكبد كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم — عليه السلام — وقد فسر قوله
 — تعالى: «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» بذلك في بعض التفاسير.

أقول: وقال ابن أبي الحديد في شرح بعض خطبه — صلوات الله عليه —: قال
 شيخنا أبو عثمان وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد — عليها السلام —
 عن آبائه — عليهم السلام —:

ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً. ألا

٥٥٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٨، ط بيروت.

٥٥٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٤، ط كمپاني ووص ٣٦١، ط تبريز.

وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان
تتبعوا آثارنا تهدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق من
تبعها الحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربة
الذلّ عن أعناقكم، وبنا فتح لابكم، وبنا يختم لابكم.

ثم قال ابن أبي الحديد: «وبنا يختم لابكم» إشارة إلى المهديّ الذي يظهر في
آخر الزمان وأكثر المحدثين على أنّه من ولد فاطمة — عليها السلام — وأصحابنا المعتزلة
لا ينكرونه وقد صرحوا بذكره في كتبهم واعترف به شیوخهم إلّا أنّه عندنا لم يخلق بعد
وسيقبل إلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضاً.

روى قاضى القضاة عن كافى الكفاة إسماعيل بن عباد — رحمه الله — باسناد
متّصل بعليّ — عليه السلام — أنّه ذكر المهديّ وقال إنّ من ولد الحسين
— عليه السلام — وذكر حليته فقال: رجل أجلى الجبين أفنى الأنف ضخم البطن أزيل
الفخذين أبلغ الثنايا بفخذه اليمنى شامة وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في
كتاب غريب الحديث. ٥٥٩ انتهى.

أقول: في ديوان أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — المنسوب إليه:

ولاية مهديّ يقوم فيعدل	بنيّ إذا ماجاشت الترك فانتظر
وبويع منهم من يلدُ، وهزل	وذلّ ملوك الأرض من آل هاشم
ولا عنده جد ولا هو يعقل	صبيّ من الصبيان لا رأي عنده
وبالحق يأتىكم وبالحق يعمل	فشمّ يقوم القائم الحقّ منكم
فلا تخذلوه يا بنيّ وعجلوا ^{٥٥٠}	سميّ نبيّ الله نفسى فداؤه

٥٥٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٦ — ٢٨٢.

٥٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥١، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر — عليه السلام —، ص ١٣٠ — ١٣٢.

١٣٩ -

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةَ رَجِمٍ ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ .
فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُودُوا مَنْطِقِي ؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا
الْيَوْمِ تُنْتَضَى^(١٧٧١) فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ
بَعْضُكُمْ أُنْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

بيان: قوله — عليه السلام — «إلى دعوة حق» أي لن يدعو أحد قبلي إلى حق
فما لم ادع إليه لم يكن حقاً، أوم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حق فما لم أجب إليه لا يكون
حقاً. و«نضى السيف من غمده وانتضاه» أخرجه. قال ابن ميثم — رحمه الله —: إشارة
إلى ما علمه — عليه السلام — من حال البغاة والخوارج والناكثين لعهد بيعته. وما وقع
بعد هذا اليوم من قتل الحسين — عليه السلام — وظهور بني أمية وغيرهم. وأشار بأئمة
أهل الضلالة إلى طلحة والزبير، وبأهل الضلالة إلى أتباعهم، وبأهل الجهالة إلى
معاوية ورؤساء الخوارج وأمراء بني أمية، وبشيعتهم إلى أتباعهم.^{٥٦١}

١٤٠ -

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِزَّةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ^(١٧٧٢) أَنْ
يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ،

وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَبْرَهُ بِلَوْلَاهُ !
 أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي
 عَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ
 ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَإِنَّمَا
 اللَّهُ لَشِنَ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَأَتُهُ عَلَى
 عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ !

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا
 تَأْمُنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ مَنْ
 عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا
 لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا أَبْتَلَى بِهِ غَيْرُهُ .

١٤١ —

في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَحِبِّهِ وَبَيْقَةٍ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا
 سَمْعَنَ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَتُخْطِئُ السَّهَامُ ،
 وَيُحِيلُ الْكَلَامُ^(١٧٧٣) ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

فستل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه

وعينه ثم قال :

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

١٤٢ — وَمِنْ كَلَامِ الْعَلَمَاءِ

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنْ الْحِظِّ
فِيمَا أَتَى إِلَّا مُحَمَّدٌ اللَّثَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ ، مَا دَامَ
مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ : مَا أَجُودَ يَدُهُ ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ !

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ،
وَلْيَفُكْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ^(١٧٧٤) ، وَلْيَضْبِرْ
نَفْسَهُ^(١٧٧٥) عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ
الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١٤٣ — وَمِنْ كَلَامِ الْعَلَمَاءِ

في الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلِكُمْ ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ^(١٧٧٦) ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ . وَلَا زُلْفَةٌ^(١٧٧٧) إِلَيْكُمْ ، وَلَا لِيَخِيرَ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَنَافِعِكُمْ فَاطَاعَتَا ، وَأَقِيمْنَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا .

إِنَّ اللَّهَ يَنْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ . وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ . لِيَتُوبَ تَائِبٌ . وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ . وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ . فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » . فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا أَسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ . وَأَسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ . وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّيِّئِ^(١٧٧٨) ، « وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، حِينَ الْجَأَتْنَا الْمَظَالِقُ الْوَعْرَةَ^(١٧٧٩) ، وَأَجَاءَتْنَا^(١٧٨٠)

الْمَقَاحِطُ^(١٧٨١)، الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَيْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ، وَتَلَاَحَمَتْ^(١٧٨٢) عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُتَضَعِبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ^(١٧٨٣). وَلَا تُخَاطِبُنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَّتَكَ، وَرَزَقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛ وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرَوِّيةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخَيِّبُ بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا^(١٧٨٤)، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقَيْعَانَ^(١٧٨٥)، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ^(١٧٨٦)، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ^(١٧٨٧)، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ».

توضيح: «تحملكم» في بعض النسخ: «تقلكم» على صيغة الإفعال، يقال: «أَقْلَ الشَّيْءُ وَاسْتَقْلَهُ» إذا حمله ورفع، وكذلك قله. و«تظلكم» أيضاً على بناء الإفعال، أي ألقى عليكم ظله، والمراد بالسَّاء السحاب أو معناه الحقيقي، لأنَّ أصل الأمطار أو بعضها من السَّاء كما مرَّ في الأخبار. و«البركة» النماء والزيادة.

وجود السَّاء ببركتها بنزول المطر منها وإعداد الأرضيات بالشمس والقمر وغيرها لحصول المنافع منها، وجود الأرض بخروج الحبوب والثمار وغير ذلك منها. و«توجعت له» أي رثيت له وتألَّمت لما أصابه. و«الزلفة» بالضم، القربة.

و«إقامتها على حدود المصالح» تسخيرها للجري على وجه ينفع العباد تشبيهاً بحفظه الثغور ونحوها. و«أقلعت عن الأمر إقلاعاً» تركته. و«زجرته فازدجر» أي نهته فانتهى. و«درور الرزق» كثرته وعدم انقطاعه ويقال: دَرَّ السَّاء بالمطر درأً ودروراً فهي مدرار. و«رحمة الخلق» عطف على الدرور؛ وفي بعض النسخ: و«رحمة للخلق» عطفاً على سبباً.

و«استقبال التوبة» التوجُّه إليها عن رغبة وشوق. و«استقالة الخطيئة» طلب

العفو عن المعصية التي باع العاصي نفسه وآخوته بها، واشترى العذاب الأليم، تشبيهاً باقالة البيع. و«المبادرة» المسابقة والاسراع إلى العمل قبل أن تأخذه النية ولا يدرك العمل. ويحتمل أن يكون المراد مسابقة الناس إلى النية والاسراع إليها شوقاً لها بأن صاروا مستعزاً لنزولها بالأعمال الصالحة، كما قال سيد الساجدين — عليه السلام —: «وهب لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطي معه المصير إليك ونحرص له على وشك اللحاق بك». والأول أظهر.

و«السير» بالكسر، ما يستربه. و«الكين» بالكسر، الستر وقاء كل شيء وذكر الخروج من تحت الأستار في مقام الاستعطاف، لأن الأستار من شأنها أن لا تفارق إلا لضرورة شديدة، ففيه دلالة على الاضطراب، أو لأن الرحمة تنزل من السماء كما قال الله — تعالى —: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ»^{٥٦٢}. ففي البروز لها استعداد للرحمة، أو لأن الاجتماع لا يتحقق غالباً إلا بالخروج، وهو مظنة الرحمة، وعلى التقادير يدل على استحباب الاستسقاء تحت السماء والخروج له إلى البراري.

و«العجيج» الصياح، ورفع البهائم والأطفال أصواتها بالأنين والبكاء مظنة العطف والرحمة، وفيه إيماء إلى ما ذكره الأصحاب من استحباب إخراج البهائم والأطفال في الاستسقاء، وقد ورد في الحديث القدسي: «ولولا شيوخ رُكع، وبهائم رُتَع وصبية رُضَع، لصببت عليكم البلاء صباً ترضون به رضاً».

و«المقاحط» أماكن القحط أو سنوه. و«الجدب» انقطاع المطر. و«أعيتنا» أي أعجزتنا وأتعبتنا. و«التحم القتال» أي اشتبك واختلط. و«حبل متلاحم» أي مشدود الفتل، والفتنة تكون بمعنى العذاب والمحنة. و«الصعب» العسر ونقيض الذلول، و«استصعب عليه الأمر» أي صعب. و«وجم — كوعد — وجأً ووجوماً» سكت على غيظ، و«وجم الشيء» كرهه. «ولا تخاطبنا بذنوبنا» أي لا تجعل جوانبنا الاحتجاج علينا بذنوبنا، أولاً تنادنا ولا تدعنا يا مذبذبين! أولاً تخاطبنا خطاباً يناسب ذنوبنا.

«ولا تقايسنا بأعمالنا»، «قياس الشيء بالشيء ومقايسته به» تقديره به،

والمعنى: لا تجعل فعلك بنا مناسباً ومشابهاً لأعمالنا، ولا تجازنا على قدرها، بل تفضل علينا بالصفح عن الذنوب ومضاعفة الحسنات. و«أعشبت المطر الأرض» أي أنبتته. و«الناقة المروية» المسكنة للعطش، و«الحيا» بالفتح والقصر، الخصب والمطر. و«جنى الثمرة واجتناها» أي اقتطفها، و«المجتنى» الثمرة، والمصدر. و«القيعان» جمع «قاع» وهو المستوى من الأرض. و«البطنان» بالضم، جمع «باطن» وهو مسيل الماء والغامض من الأرض. و«الرخص» ضد الغلا، يقال: «رخص السعر» — ككرم — صار رخيصاً، وأرخصه الله. ٥٤٣

١٤٤ — ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمُ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

مبعث الرسل

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاَهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ (١٧٨٨) كَشْفَةً ؛ لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوُهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ ؛ « وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْعِقَابُ بَوَاءً (١٧٨٩) .

بيان: قال في النهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص؛ ومنه حديث عليّ — عليه السلام —: «والعقاب بواء». وأصل البوء اللزوم. ٥٤٤

٥٦٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٩١، كتاب الصلاة، ص ٣١٢.

٥٦٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، ص ٣١٦.

اهل اهل البيت

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَا يُسْتَعْفَى الْهَدَى ، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى . إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ؛ لَا تَضْلُحْ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَضْلُحْ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

اهل الضلال

منها : آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكَوْا صَافِيًا ، وَشَرِبُوا آجِنًا ^(١٧٩٠) كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالِفُهُ ، وَبَسِيَءٌ بِهِ ^(١٧٩١) وَوَافِقُهُ ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ^(١٧٩٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِّيَارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَخْفِلُ ^(١٧٩٣) مَا حَرَّقَ !

أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِیْحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهَدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى ! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ! أَزْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ ^(١٧٩٤) ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ ؛ وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !

إيضاح: الكشف أريد به هنا الابتلاء الذي هو سببه. وقال في النهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص، منه حديث عليّ — عليه السلام —: «والعقاب بواء» وأصل البوء اللزوم.

«أين الذين زعموا» أي الخلفاء الجائرون المتقدمون. قوله — عليه السلام — «أن رفعنا الله» تعليل لدعوتهم الكاذبة، أي كانت العلّة الحاملة لهم على هذا الكذب أنّ الله رفع قدرنا في الدنيا والآخرة وأعطانا أي الملك والنبوة وأدخلنا أي في دار قربه وعناياته الخاصّة. و«أن» هيئنا للتعليل أي لأنّ، فحذف اللام؛ ويحتمل أن يكون المعنى: أين الذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا الله وأورثنا الخلافة ووضعهم بأخذهم بأعمالهم السيئة. و«البطن» مادون القبيلة وفوق الفخذ. قوله — عليه السلام — «لا تصلح على سواهم» أي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم، ولا يكون الولاية من غيرهم صالحين. و«الآجن» الماء المتغير. قوله — عليه السلام — «كأنّي أنظر» قال ابن أبي الحديد: هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف.^{٥٦٥} قيل: والأظهر أن المراد بهم من تقدّم ذكرهم من الخلفاء وغيرهم من ملاعين الصحابة، كما قال — عليه السلام — في الفصل السابق: «أين الذين زعموا» فيكون قوله — عليه السلام — «كأنّي أنظر» إشارة إلى ظهور اتّصافهم بالصفات حتّى كأنه يراه عياناً.

و قال في النهاية: «بسأت» بفتح السين وكسرها، أي اعتادت واستأنست. «شابت عليه مفارقة» أي ابيضّ شعره وفنى عمره في صحبته المنكر. «وصبغت به خلّاقه» أي صار المنكر عادته حتّى تلوّنت خلّاقه به. «والتيار» موج البحر ولجّته، وكلمة «ثم» للترتيب الحقيقي أو الذكرّي، ولعلّ المراد بالفاسق عمر. وقوله — عليه السلام — «لا يحفل» أي لا يبالي. و«اللامحة» الناضرة.^{٥٦٦}

٥٦٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٨٩، ط بيروت.

٥٦٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمباني و ص ١٧٢، ط تبريز.

١٤٥ - ﴿وَلَا تَجِدُ أُمَّةَ مُعْتَدِلَةً﴾

هنا، الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ^(١٧٩٥) فِيهِ الْمَنَابِيا ، مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ شَرَقُ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ! لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَذَمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنِفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ؛ وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ^(١٧٩٦) لَهُ جَدِيدٌ ؛ وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَخْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ !

دم البدعة

منها : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تَرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدَعَ ، وَالزَّمُوا الْمَهِيحَ^(١٧٩٧) . إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ^(١٧٩٨) أَفْضَلُهَا ، وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا .

١٤٦ - ﴿وَلَا تَجِدُ أُمَّةَ مُعْتَدِلَةً﴾

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الهرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَضْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ . وَهُوَ

دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ،
وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ ،
وَنَاصِرُ جُنْدِهِ. وَمَكَانُ الْقَيْمِ ^(١٧٩٩) بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ ^(١٨٠٠) مِنَ الْخَرْزِ
يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ : فَإِنْ أُنْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ
يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ ^(١٨٠١) أَبَدًا. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ
كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ ! فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَا
بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ ^(١٨٠٢) مِنْ
هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ
مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعُورَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا : هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ ،
فَإِذَا أَقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحُتُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ
فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ .
وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ،
وَأِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قد اختلف في الحال الذي قاله أمير المؤمنين
— عليه السلام —، فقيل: قاله في غزاة القادسية، وقيل: في غزاة نهاوند. ذهب إلى

الأخير محمد بن جرير، وإلى الأول المدائني. ٥٦٧

و«نظام العقد» الخطيب الجامع له. «بجذافه» أي بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه. قوله — عليه السلام — «وأصلهم» أي اجعلهم صالين لها، يقال: «صليت اللحم» إذا شويته، أو ألقهم في نار الحرب دونك، أو من «صلى فلان بالأمر» إذا قاسى حرّها وشدّتها. و«العورات» الخلل في الثغر وغيره وكلّ ممكن للستر. «لكلهم» أي لحرصهم وشدّتهم. قوله — عليه السلام — «فأما ما ذكرت» جواب لما قال عمر: إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين وأنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم. ثمّ اعلم أنّ هذا الكلام وما تقدّم يدلّ [على] أنّهم كانوا محتاجين إليه — عليه السلام — في التدبير وإصلاح الأمور التي يتوقّف عليها الرياسة والخلافة؛ فهو — عليه السلام — كان أحقّ بها وأهلها، وكانوا هم الغاصبين حقّه. وأمّا إراءتهم مصالحهم فلا يدلّ على كونهم على الحقّ لأنّ ذلك كان لمصلحة الإسلام والمسلمين للمصلحة الغاصبين؛ وجميع تلك الأمور كان حقّه — عليه السلام — قولاً وفعلًا وتدبيرًا، فكان يلزمه القيام بما يمكنه من تلك الأمور ولا يسقط الميسور بالمعسور. ٥٦٨

١٤٧ — ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدِيعُوا اللَّهَ عِبَادَةً﴾

الغاية من البعثة

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُبْقِرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ

٥٦٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٩٦ - ٩٧، ط بيروت.

٥٦٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣١٧، ط كمپاني وص ٣٠٠، ط تبريز.

جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ^(١٨٠٣) فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثَلَاتِ^(١٨٠٤) . وَاحْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنِّقَمَاتِ !

بيان: «أحكمه» أي أتقنه ومنعه من الفساد لفظاً ومعنى. «وليقرأوا به» أي باللسان. «وليثبتوه» أي بالقلب. «فتجلى — سبحانه — لهم» أي ظهوره وانكشف بما نبههم عليه فيه من آيات القدرة والقصص. وقيل: المراد بالكتاب عالم الابداء لاشتماله على آثار الصنع. و«محق الشيء» أبطله ومحاه. و«الاحتصاد» قطع الزرع وهنا كناية عن استئصالهم. ٥٤٩

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنْ الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ^(١٨٠٥) إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ؛ وَلَا فِي أَلْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ : فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ ، وَصَاحِبَانِ مُضْطَجِبَانِ فِي طَرِيقِ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ

الْهُدَى ، وَإِنْ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ ،
كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا
أَسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ^(١٨٠٦) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا^(١٨٠٧)
بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَّةٍ ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً^(١٨٠٨) ، وَجَعَلُوا
فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى
نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ^(١٨٠٩) الَّذِي تَرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ،
وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ^(١٨١٠) وَالنَّقْمَةُ .

عظة الناس

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفُقَ ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا
هُدًى « لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » ؛ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ ، وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ ؛ وَإِنَّهُ لَا
يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا
عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضِعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا
لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ ، وَالْبَارِي^(١٨١١)
مِنْ ذِي السَّقَمِ^(١٨١٢) . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي
تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ . وَلَنْ
تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ . فَاتَّعِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ،

فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمَتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

بيان: «أحكمه» أي أثقته، وقيل في قوله — تعالى —: «يَكْتُبُ أَخْيَكَ» آيَاته»^{٥٧٠} أي أحفظت من فساد المعنى وركاكته؛ ويمكن أن يكون المراد بالإقرار الإقرار باللسان، وبالإثبات التصديق بالقلب. و«تجلى لهم» أي ظهر وانكشف، وربما يفتر الكتاب هنا بعالم الإيجاد. و«الحق» النقص والمحو والإبطال. و«المثلاث» العقوبات. قوله — عليه السلام — «واحتصد» في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد وهو قطع الزرع والنبات، فهو كناية عن استئصالهم، وفي بعضها بالمعجمتين من «اختصد البعير» أي خطمه ليدلّ، والأوّل أظهر.

و«البوار» الهلاك وكساد السوق. وتلاوة الكتاب إمّا بمعنى قراءته أو متابعتها فإنّ من اتّبع غيره يقال: تلاه، والتحريف بالثاني أنسب. ويقال: «تناساه» إذا أرى من نفسه أنّه نسيه. و«نفي الشيء» أي نخاه أو جحده. و«الطرد» الإبعاد. وأهل الكتاب أئمة الدين وأتباعهم العاملون بالكتاب العاملون به.

قوله — عليه السلام — «لأنّ الضلالة» أي ضلالتهم مضادة لهدى الكتاب فلم يجتمعا حقيقة وإن اجتمعا ظاهراً. و«الزبر» بالفتح، الكتابة، وبالكسر الكتاب. قوله — عليه السلام — «ومن قبل» أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده — عليه السلام — «مامثلوا» بالتخفيف والتشديد، أي نكلوا. والظرف أعني قوله «على الله» متعلّق بالفرية، ويحتمل تعلّقه بالصدق. والمراد بتغيّب آجالهم نسيانهم إياها وترك استعدادهم لها ولما بعدها. و«المعوذ» الموت فإنّه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله توبة. و«القارعة» المصيبة التي تقرع أي تلقى بشدّة وقوّة.

قوله — عليه السلام — «من استنصح الله» قال في النهاية: أي اتّخذ ناصحاً.

انتهى. والاعتقاد بكونه — تعالى — ناصحاً وأنه لا يريد للعبد إلا ما هو خير له يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكل ما أمر، والانتفاء عما نهى عنه.

قوله — عليه السلام — «لتي هي أقوم» أي للحالة والطريقة التي اتباعها وسلوكها أقوم. «فإن جار الله» أي من أجاره الله أو من كان قريباً منه. وفي بعض النسخ: «عظمته وقدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيها زائدة. قوله — عليه السلام — «حتى تعرفوا الذي تركه» الغرض منه ومما بعده التنفير من أئمة الضلال والتنبيه على وجوب البراءة منهم.

«فإنهم عيش العلم» أي أسباب حياته. قوله — عليه السلام — «وصمتهم عن منطقهم» فإن لصمتهم وقتاً وهيئة وحالة تكون قرائن دالة على حسن منطقهم لولم يطقوا.

قوله — عليه السلام — «ولا يختلفون فيه» أي لا يخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للآخر. «فهو بينهم» الضمير راجع إلى الدين. «شاهد صادق» أي يأخذون بما حكم به ودل عليه. و«صامت» لأنه لا ينطق في الظاهر. «ناطق» بلسان أهله والعالم به. ٥٧١

١٤٨ — وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمْتَنَانِ^(١٨١٣) إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ^(١٨١٤) . كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ^(١٨١٥) لِصَاحِبِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ ! وَاللَّهُ لَشَيْنٌ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لِيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ، وَلِيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى

هَذَا . قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ^(١٨١٦) ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّذَمِ^(١٨١٧) ، يَسْمَعُ النَّاعِي ، وَيَخْضُرُ الْبَاكِي ، ثُمَّ لَا يَغْتَبِرُ !

إيضاح: «كل واحد منهما» أي طلحة والزبير. «لايتمان» قال في النهاية: «المت» التوصل والتوصل بجرمة أو قرابة أو غير ذلك؛ وقال: «السبب» في الأصل الحبل الذي يتوصل به إلى ماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء كقوله — تعالى —: «وَتَقَفَّطُ بِهِمُ الْأَشْبَابُ»^{٥٧٢} أي الوصل والمودات؛ وقال: «الضب» الغضب والحقد. والظاهر أن الضمير للمجرور في «فناعه» راجع إلى كل واحد منها، والباء في «به» للسببية، والضمير للضب. «يكشف قناعه» الذي استتر به ويظهر حاله بسبب حقه وبغضه.

«فأين المحتسبون» أي العاملون لله والطالبون للأجر، ويقال أيضاً: «احتسب عليه» أي أنكرو، وتقديم الخبر هو إخبار النبي — صلى الله عليه وآله — بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وضمير «لهم» في الموضعين للمحتسبين أو للفئة الباغية. وعلة ضلّتهم هي البغي والحسد. وشبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل، أو المعنى: أن لكل ضلالة غالباً علة ولكل ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنهم يعدلون عن الحق مع وضوحه بغير عذر وشبهة.

و«مستمع اللذم» الضبع وهو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام ولا تتحرك حتى يجعل الحبل في عرقوها فيخرجها: والمعنى: لا أغترّوا لا أغفل عن كيد الأعداء فاستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين ويخضر الباكي على قتلاهم فلا أحارهم حتى يحيطوا بي. وقيل: لا أكون كمن يسم

الضرب والبكاء ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال. قال الجوهري: «اللدن»
ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة. ٥٧٣

١٤٩ -

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ أَمْرِي لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . الْأَجَلُ مَسَاقُ
النَّفْسِ^(١٨١٨) . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَفَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ^(١٨١٩) الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا
عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ ! عَلِمَ مَخْزُونُ !
أَمَّا وَصِيَّتِي : فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هَذِينَ الْعُمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هَذِينَ الْمِضْبَاحَيْنِ ،
وَحَلَاكُكُمْ ذِمَّةُ^(١٨٢٠) مَا لَمْ تَشْرُدُوا^(١٨٢١) . حُمِّلَ كُلُّ أَمْرِي مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ ،
وَحُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ . رَبُّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ . أَنَا
بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ ! غَفَرَ
اللَّهُ لِي وَلَكُمْ !

إِنْ تَشَبَّهَ الْوُطَاءَةُ^(١٨٢٢) فِي هَذِهِ الْمَرْلَةِ^(١٨٢٣) ، فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدَخَّصِ^(١٨٢٤)
الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ^(١٨٢٥) أَغْصَانٍ ، وَمَهَابٍ رِيَّاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ

غَمَامٍ ، أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا ^(١٨٢٦) ، وَعَفَا ^(١٨٢٧) فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا ^(١٨٢٨) .
 وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا ، وَسُتَعْقَبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً ^(١٨٢٩) :
 سَاكِنةً بَعْدَ حَرَائِكِ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقِي . لِيُعِظْكُمْ هُدُوءِي . وَخُفُوتُ ^(١٨٣٠)
 إِطْرَاقِي . وَسُكُونُ أَطْرَاقِي ^(١٨٣١) ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُتَعَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ
 الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ . وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاخُ أَمْرِي مُرْصِدٌ ^(١٨٣٢)
 لِلتَّلَاقِي ! غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي . وَتَعْرِفُونَنِي
 بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي وَفِيَّامٍ غَيْرِي مَقَامِي .

١٥٠ - وَمِنْ خُطْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا ظَنَنَّا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرَكَّا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ .
 فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصِدٌ . وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ .
 فَكُمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ
 مِنْ تَبَاشِيرٍ ^(١٨٣٣) غَدٍ ! يَا قَوْمَ ، هَذَا إِبَّانُ ^(١٨٣٤) وَرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ ،
 وَدُنُو ^(١٨٣٥) مِنْ طُلُوعِ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا
 بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَخْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا

رَبَقًا^(١٨٣٦) ، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقًا ، وَيَصْدَعُ شَعْبًا^(١٨٣٧) ، وَيَشْعَبَ صَدْعًا^(١٨٣٨) ،
 فِي سُرَّةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ^(١٨٣٩) أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ . ثُمَّ
 لِيَشْحَذَنَّ^(١٨٤٠) فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْفَيْنِ النَّصْلَ^(١٨٤١) . تُجَلَّى بِالتَّنْزِيلِ
 أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبِقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ
 الصُّبُوحِ^(١٨٤٢) !

بيان: «مرصد» أي مترقب ما يجيء به الغد من الفتن والوقائع. «من تبشير
 غد» أي أوائله أو من البشرى به. و«الإبتان» الوقت والزمان. «يسري» من «السرى»
 السير بالليل. و«الربق» الحيط. و«القائف» الذي يتتبع الآثار. «ولوتابع نظره» أي
 ولو استقصى في الطلب وتابع النظر والتأمل. و«شحذت السكين» حددته، أي
 ليحترص في هذه الملاحم قوم على الحرب ويشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما
 يشحذ الحداد النصل كالسيف وغيره. قوله — عليه السلام — «يجلي بالتنزيل» أي
 يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسرارهِ.
 و«الغبوق» الشرب بالعشي مقابل الصبح. ٥٧٤

في الضلال

مِنْهَا : وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ^(١٨٤٣) ؛
 حَتَّى إِذَا أَخْلَقَ الْأَجَلَ^(١٨٤٤) ، وَأَسْتَرَا حَقَّ قَوْمٍ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا^(١٨٤٥)
 عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ ، لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَغْظِمُوا بَذَلَ
 أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدَ الْقَضَاءِ أَنْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ ،

حَمَلُوا بِصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ^(١٨٤٦) ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَعَظِهِمْ ؛
 حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ،
 وَغَالَتَهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ^(١٨٤٧) ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ،
 وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصٍّ أَسَاسِهِ ،
 فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي
 غَمْرَةٍ^(١٨٤٨) . قَدْ مَارُوا^(١٨٤٩) فِي الْحَيْرَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ
 آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

بيان: نصب «ظعنًا» و«تركًا» على المصدر، والعامل فيها من غير لفظهما، أو
 مصدران قاما مقام الفاعل. قوله — عليه السلام — «مرصد» على المفعول، أي مترقب
 معد لا بد من كونه. و«تباشير كل شيء» أوائله. و«إبان الشيء» بالكسر والتشديد،
 وقته وزمانه، ولعله إشارة إلى ظهور القائم — عليه السلام —. قوله — عليه السلام — «إنَّ
 من أدركها متًا» أي قائم آل محمد — صلى الله عليه وآله —. و«سرى — كضرب —
 وأسرى» أي سار بالليل. و«الريق» بالفتح^{٥٧٥}، شد الشاة بالريق وهو الخيط.^{٥٧٦}
 و«الصدع» التفريق والشق. و«الشعب» الجمع.

قوله — عليه السلام — «في ستر» أشار — عليه السلام — به إلى غيبة القائم
 — عليه السلام —. و«القائف» الذي يتتبع الآثار ويعرفها. و«شحذت السكَّين»
 حדותه، أي ليحرّضن في تلك الملاحم قوم على الحرب ويشحذ عزائمهم في قتل أهل
 الضلال كما يشحذ القين — وهو الحداد — النصل كالسيف وغيره. و«تجلى بالتنزيل»
 أي يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسرار

٥٧٥- في النهج: «ريقًا» بالكسر، أي حبلًا معقوداً.

٥٧٦- كذا، والصواب: الحبل.

وكشف الغطاء عن مسامع قلوبهم. و«الغبوق» الشرب بالعشي، تقول: «غبقت الرجل أغبقه — بالضم — فاعتبق هو» أي تفاض عليهم المعارف صباحاً ومساءً، والقوم أصحاب القائم — عليه السلام —.

قوله — عليه السلام — «وطال الأمد بهم» هذا متصل بكلام قبله لم يذكره السيد — رضي الله عنه —. و«الأمد» الغاية. و«الغير» اسم من قولك «غَيرت الشيء فتغير» أي تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. و«اخلولق الأجل» أي قرب انقضاء أمرهم، من «اخلولق السحاب» أي استوى وصار خليفاً بأن يطر، و«اخلولق الرسم» استوى بالأرض. و«استراح قوم» أي مال قوم من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالة وتبعوها تقية أو لشبهة دخلت عليهم. و«أشالوا»^{٥٧٧} أي رفعوا أيديهم وسيوفهم. واستعار «اللقاح» بفتح اللام لإثارة الحرب لشبهها بالناقة.

وقوله — عليه السلام — «إذا قبض الله» لعله منقطع عما قبله إلا أن يحمل من طال الأمد بهم في الكلام المتقدم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام، ولا يخفى بعده. وبالجملة، الكلام صريح في شكايته — عليه السلام — عن الذين غصبوا الخلافة منه. و«غالتهم السبل» أي أهلكتهم. و«وصلوا غير الرحم» أي رحم الرسول — صلى الله عليه وآله —. والسبب الذي أمروا بمودته أهل البيت — عليهم السلام — كما قال النبي — صلى الله عليه وآله —: «خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيته، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». «كلّ ضارب في غمرة» أي سائر في غمرة الضلالة والجهالة. «قد ماروا في الحيرة» أي تردّدوا و اضطربوا فيها. والمنقطع إلى الدنيا هو المنهمك في لذاتها. والمفارق للدين هو الزاهد الذي يترك الدنيا للدنيا، أو يعمل على الضلالة والردى، وسيأتي فيما سنورده من كتبه — عليه السلام — وغيرها ما هو صريح في الشكاية.

منها ما كتب — عليه السلام — في كتاب له إلى معاوية:

وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عَنَّا، وهو قوله - سبحانه - : «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^{٥٧٨} وقوله - تعالى - : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الْكَلْبُ الَّذِي أَتَبَعَهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»^{٥٧٩}، فنحن مرَّةً أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة. ولَمَّا احتجَّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله - صلى الله عليه وآله - فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وقلت: إنِّي كنت أُمَّاد كما يقاد الجمل المحشوش حتَّى أباع، ولعمرك لقد أردت أن تَذمَّ فذحت وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه؛ ولا مرتاباً بيقينه!^{٥٨٠}

ومنها ما كتب - عليه السلام - في جواب عقيل^{٥٨١}:

فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجاحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم [على] حرب رسول الله - صلى الله عليه وآله - قبلي، فجزت قريشاً بعتي الجوازي، فقد قطعوا رحي، وسلبوني سلطان ابن أُمي.^{٥٨٢}

١٥١ - وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَخَذُوا السُّفَهَاءَ

يَحْذَرُ مِنَ الْفِتَنِ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَأَحْمَدُ اللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاحِرِ^(١٨٥٠) الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ

^{٥٧٨} - الأنفال : ٧٥.

^{٥٧٩} - آل عمران : ٦٨.

^{٥٨٠} - نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٢٨.

^{٥٨١} - نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٣٦.

^{٥٨٢} - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمباني وص ١٧٢، ط تبريز.

مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ^(١٨٥١). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيْبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُؤَاوِيْ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ . أَصْأَتْ بِهِ أَلْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ ؛ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ ؛ يَخَيُّونَ عَلَى فِتْرَةٍ^(١٨٥٢) ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ !

بيان: «لا يوازي» أي لا يساوي فضله ولا يبلغه أحد. و«الجبر» إصلاح العظم من كسر. و«الغالب» في بعض النسخ بالياء المثناة أي المجاوزة عن الحد. و«الجفوة» غلظ الطبع وقساوة القلب والوصف للمبالغة كشعر شاعر. والمراد بالفترة هنا انقطاع الوحي أو ترك الاجتهاد في الطاعات. ٥٨٣

التحذير من اللعن

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ . فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ ، وَأَحْذَرُوا بَوَائِقِ^(١٨٥٣) النُّقْمَةِ ، وَتَثَبُّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ^(١٨٥٤) ، وَأَعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَبِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاها . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ، وَتَوُولُ إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ . شِبَابُهَا^(١٨٥٥) كَشِبَابِ الْغَلَامِ ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ^(١٨٥٦) ، يَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ^(١٨٥٧) . وَعَنْ

قَلِيلٌ يَتَبَرَّأُ النَّاسِ مِنَ الْمَتَّبُوعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ ، فَيَتَزَايِلُونَ ^(١٨٥٨)
بِالْبَعْضَاءِ ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ
الرَّجُوفِ ^(١٨٥٩) ، وَالْقَاصِمَةِ ^(١٨٦٠) الزَّخُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبُ بَعْدَ اسْتِقَامَةِ ،
وَتَضِلُّ رِجَالُ بَعْدَ سَلَامَةٍ ؛ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ
الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا ^(١٨٦١) . مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتُهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتُهُ ؛
يَتَكَادِمُونَ ^(١٨٦٢) فِيهَا نَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ ^(١٨٦٣) ! قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ
الْحَبْلِ . وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ . تَغِيضُ ^(١٨٦٤) فِيهَا الْحِكْمَةُ . وَتَنْطِقُ فِيهَا
الظُّلْمَةُ ، وَتَدُقُّ ^(١٨٦٥) أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ^(١٨٦٦) . وَتَرْضَهُمْ ^(١٨٦٧)
بِكُلِّكَلِهَا ^(١٨٦٨) ! يَضِيغُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ ^(١٨٦٩) . وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا
الرُّكْبَانُ ؛ تَرْدُ بِمَرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدَّمَاءِ ^(١٨٧٠) . وَتَثْلِمُ
مَنَارَ الدِّينِ ^(١٨٧١) ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ . يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ^(١٨٧٢) .
وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ ^(١٨٧٣) . مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ! تَقْطَعُ فِيهَا
الْأَرْحَامُ ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ! بَرِيئُهَا سَقِيمٌ . وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ !

منها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ ^(١٨٧٤) ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يَخْتَلُونَ ^(١٨٧٥)
بِعَقْدِ الْإِيمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ^(١٨٧٦) الْفِتَنِ .
وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ ؛ وَالزُّمُومَا مَا عَقَدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ . وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ
أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ؛ وَأَقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ؛

وَأَتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ الْعُدُونِ ؛ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَى^(١٨٧٧) الْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بَعِينَ^(١٨٧٨) مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةِ ، وَسَهْلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

توضيح: «مداحر الشيطان» الأمور التي يدحرو ويترد بها. و«مزاجره» الأمور التي يزجرها. و«حباله» مكائده التي يضل بها البشر. و«مخاتله» الأمور التي يختل بها، بالكسر، أي يخدع بها. و«لايوازي» أي لايساوى، والأصل فيه الهمزة كما قيل. و«الجهالة الغالبة» البلاء الموحدة وفي بعض النسخ بالمتثاة، من «الغلاء» وهو الارتفاع، أو من «الغلوة» وهو مجاوزة الحد. و«الجفوة» غلظ الطبع، والوصف للمبالغة. و«الناس» الواو للحال. و«الحريم» حرمت الله التي يجب احترامها ومحرماته.

وقال في النهاية: «الفترة» ما بين الرسولين، و«أصابني على فترة» أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. و«الكفرة» المرة من الكفر. و«المعشر» الجماعة. و«الغرض» الهدف. و«سكرات النعمة» ما يحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. و«البوائق» الدواهي. و«التثبت» التوقف وترك اقتحام الأمر. و«القتام» بالفتح، الغبار. و«العشوة» ركوب الأمر على غيبيات ووضوح؛ ويروى: «وتبينوا» كما قرئ في الآية. ٥٨٤ وكنتى — عليه السلام — عن ظهور المستور المخفي منها بقوله «عند جنبها وظهور كمينها»، و«الجنين» الولد مادام في البطن، و«الكمين» الجماعة المختفية في الحرب. والمدار مصدر، والمكان بعيد، و«انتصاب قطبها ومدار رحاها» كناية عن انتظام أمرها. و«المدرجة» المذهب والمسلك، أي إنها تكون ابتداءً يسيرة ثم تصير كثيرة. و«الشباب» بالكسر، نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً، وفي بعض النسخ بالفتح. و«السلام» الحجارة، أي إن أربابها يرحون في أول الأمر كما يرح الغلام، ثم يؤول إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد: إنها في الدنيا كنشاط الغلام وما

أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

«يتوارثها الظلمة بالمهود» الظرف متعلق بالفعل، أي توارثتهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت — عليهم السلام — وغضب حقهم، أو بالظلمة أي الذين ظلموا عهد الله وتركوه. «يتكالبون» أي يتواثبون. و«المريحة» المنتنة، من «أراحت» إذا ظهر ريحها، أو من «أراح البعير» إذا مات. قوله — عليه السلام — «وعن قليل» أي بعد قليل من الزمان. «يتبرأ التابع» قال ابن أبي الحديد: ذلك التبرء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز، أما تبرء التابع من المتبوع قال — تعالى —: «وَقَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا»^{٥٨٥}. وأما تبرء القائد من المقود أي المتبوع من التابع فقال — تعالى —: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»^{٥٨٦}. وأما الأعم — كما دل عليه قوله — عليه السلام — «فيتزايلون — الخ»، فقال — تعالى —: «تَزُومُ الْقِيَمَةَ يَكْفُرُ بِنَفْسِهِمْ يَتَغَضُّ وَيَلْقَىٰ تَغَضُّكُمُ بَغْضًا»^{٥٨٧}. وقوله — عليه السلام — «يتزايلون» أي يفترقون. و«طالع الفتنة» مقدماتها، وسماتها وجوفاً لشدة الاضطراب فيها. قال: ولما ذكر — عليه السلام — رغبتهم في الدنيا وتكالبهم عليها أراد أن يذكر ما يؤكد التعجب من فعلهم فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: «عن قليل يتبرء التابع — الخ». ثم عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار — عليه السلام — إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتنة، ثم أخبر عن انقضائها عن قليل، وكتنى عن ذلك بتبرء التابع من المتبوع. قيل: ذلك التبرء عند ظهور الدولة العباسية فإن العادة جارية بتبرء الناس من الولاة المعزولين خصوصاً ممن تولى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء. قال: وقوله — عليه السلام — «ثم يأتي» إشارة إلى التتار إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

٥٨٥- الغافر: ٧٤. وأوضح منه في هذا المطلب الآية ١٦٧ من سورة البقرة.

٥٨٦- البقرة: ١٦٦.

٥٨٧- العنكبوت: ٢٥: وفي البحار: «بعضهم»، وهو تصحيف.

قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدجال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس أو أمر الإسلام فيها وبقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه، أي يمشي إليهم قدماً.

و«نجم الشيء ينجم — بالضم — نجوماً» ظهر وطلع. قوله — عليه السلام — «من أشرف لها» أي صادمها وقابلها. و«من سعى فيها» أي في تسكينها وإطفائها. و«الحطيم» الكسر. و«التكادم» التعاض بأدنى الفم. و«العانة» القطيع من حمر الوحش؛ ولعل المراد مغالبة مثیری تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. و«معقود الحبل» قواعد الدين التي كلفوا بها. وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوز. و«الفيض» القلّة والنقص. و«المسحل» — كمنبر — السوهان أو المنحت، أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب. و«الرض» الدق. و«الكلكل» الصدر. و«الوحدان» جمع واحد، أي من كان يسير وحده فإنه يهلك فيها بالكلية، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون، ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها، أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها. وأما الركبان وهم الكثير من الناس فإنهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها. ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحّد، أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها لغموض البشة واستيلاء الباطل، ويكون الركبان كناية عن الجماعة أهل القوة، فهلاك أهل العلم بالضلال، وهلاك أهل القوة بالقتل.^{٥٨٨}

و«مرّ القضاء» الهلاك والاستيصال والبلايا الصعبة. و«عبيط الدماء» الطريّ الخاص منها. و«تثلّم» أي تكسر. «منار الدين» أي أعلامه. «مرعاد مبراق» أي ذات رعد وبرق تشبيهاً بالسحاب، أو ذات وعيد وتهديد، من «رعد الرجل وبرق» إذا أوعد وتهديد. ويحتمل أن يكون الرعد صوت السلاح والبرق ضوءه.

وقال في النهاية: «الساق» في اللغة، الأمر الشديد، وكشف الساق مثل في

شدة الأمر، وأصله من كشف الإنسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد. - قوله - عليه السلام - «بريها» أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضاً مبتلى بها، أو المعنى. إن من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله - عليه السلام - «وظاعنها مقيم» أي لا يمكنه الخروج عنها أو من اعتقد أنّه متخلف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة. قوله - عليه السلام - «مطلول» أي مهتد لا يطلب به. «يختلون» أي يخدعون. «بعقد الإيمان بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع. و«يختلون» في بعض النسخ على بناء المجهول فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الذين يختلهم غيرهم بالأيمان المعقودة بينهم، أو بالعهد الذي يشدونها بمسح أيمانهم؛ وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً عن أهل ذلك الزمان جميعاً أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغرور الإيمان» أي بالإيمان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهر هؤلاء الموصوفون فيغرون الناس به، على النسختين. قوله - عليه السلام - «أنصاب الفتن» جمع «نصب» وهو بالفتح أو التحريك، العلم أو بمعنى الغاية والحدّ، ومنه أنصاب الحرم؛ وفي بعض النسخ بالراء، ماعقد عليه جبل الجماعة أي القوانين التي ينتظم بها اجتماع الناس على الحق، وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

«واقدموا على الله مظلومين» أي كونوا راضين بالمظلومية، أولاً تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميّكم. و«مدارج الشيطان» مذهب ومساكنه. و«مهابط العدوان» المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها. و«اللعق» جمع «لعة» بالضمّ، وهي اسم لما تأخذه الملعقة، و«اللعة» بالفتح، المرّة منه؛ فنبّه - عليه السلام - باللعق على قلّتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير. قوله - عليه السلام - «بعين من حرّم» أي بعلمه، كقوله - تعالى - : نَجْرِي بِأَعْيُنِنَا

(القم: ١٤). ٥٨٩

١٥٢ — ﴿قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْدِيرٍ﴾

في صفات الله جل جلاله ، وصفات أئمة الدين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ ؛
وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِمُهُ^(١٨٧٩) الْمَشَاعِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ
السَّوَاتِرُ ، لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَخْدُودِ ، وَالرَّبِّ
وَالْمَرْبُوبِ ؛ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ^(١٨٨٠) ،
وَالسَّمِيعِ لَا بِإِدَاةٍ^(١٨٨١) ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ^(١٨٨٢) ، وَالشَّاهِدِ لَا
بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنِ^(١٨٨٣) لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ
لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ
مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ^(١٨٨٤) ، وَمَنْ
حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ »
فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّرَهُ . عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ،
وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

النهج: قال — عليه السلام — :

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزلتيته. ٥٩٠

٥٩٠ — الأُولَى والآخِرَةُ وصفان إضافتان، فإذا قويس شيء إلى آخر وجد بعده وصف بالأُولَى، وإذا قويس إلى شيء وجد قبله وصف بالآخِرَةِ. وللتقدّم والتأخّر أقسام مذكورة في محلّها؛ وقد اختلف القول في تقدّم الواجب على الممكنات، فقيل: إنّ تقدّمه زمني، وقيل: عليّ، وقيل: سرمدّي إلى غير ذلك. لكنّ التقدّم الزمانيّ بمعناه المصطلح وهو وقوع المتقدّم مقارناً لجزء من

ومنه ٥٩١ قال - عليه السلام - :

الحمد لله خالق العباد، وساطع المهاد، ومسيل الوهاد، ومغضب النجاد، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل... (إلى قوله - عليه السلام -) : قبل كل غاية ومدة، وكل إحصاء وعدة... (إلى قوله - عليه السلام -) : لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ماصور فأحسن صورته.

الزمان متقدم على الجزء الذي وقع التأخر مقارناً له مما يستحيل في حق الحق - سبحانه وتقدس - لتعالیه عن مقارنة الزمان ومقايسته بالحدثان. على أنه يستلزم قدم الزمان وهو كز على ماقرمه.

وأما تفسير التقدم الزماني بأن الواجب كان في زمان لم يكن شيء، وتنميته بأن الزمان أمر موهوم منتزع من ذاته، مما لا يجدي شيئاً ولا يسم ولا يغني من جوع لأن الزمان إن كان أمراً موهوماً فلا يمكن تأثيره في الواقعيات وإناطة البحث الحقيقي به؛ غاية الأمر تسميته - تعالى - بالقديم الزماني تسمية ليس وراء حقيقة ولا تتجاوز حد الاسم والوهم. وإن كان أمراً واقعياً فلا يمكن انتزاعه من ذات الباري - سبحانه - وإلا لتطرق التغير والحدوث إليها.

وأما آخرية الواجب، فقيل بالآخرية الزمانية بمعنى أنه يفنى كل شيء إلا الواجب - تعالى - فيكون زمان ليس فيه غيره - سبحانه - ولما كان ظاهر هذا القول مخالفاً لظاهر الكتاب والسنة من أبدية نشأة الآخرة وخلود أهلها، فترفعنا الموجودات قبل قيام الساعة!

ولقائل أن يقول: هل يكون عند فناء جميع الموجودات زمان أولاً؟ فإن كان فلا يكون الواجب آخراً بالنسبة إلى نفس الزمان وإلا فلا يكون آخراً زمانياً، على أنه - تعالى - يكون على هذا آخراً بالنسبة إلى الموجودات قبل قيام الساعة لابعده، وله توالٍ فاسدة أخرى.

وحق القول أن الواجب - تعالى - محط لجميع العوالم، مهيم على كافة الموجودات ويكون وجوده أوسع وأرفع من كل الموجودات، بل هي بأسرها ظل وجوده وشعاع نوره - تبارك وتعالى - وليس لها استقلال أصلاً فليس بين الموجودات الإمكانية وبين وجوده السرمديّ الواجب أمحيط الغير المتناهي بل فوق ما لا يتناهي بما لا يتناهي نسبة، فأين المتناهي من غير المتناهي؟! وما للتراب وربّ الأرباب؟!

فكلاً قويس وجود إمكانتي إلى وجوده المتعالي كان من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته، ومن كل جهة من جهاته، وكل شأن من شؤونه محدوداً محاطاً بوجوده - تبارك وتعالى - فإذا لوحظ الجهة السابقة على الموجودات، كان - سبحانه - هو الأول، وإذا لوحظ الجهة اللاحقة، كان هو الآخر، وإذا لوحظ ظاهرها كان هو الباطن وإذا لوحظ باطنها كان هو الظاهر:

«هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» - الحديد: ٣.

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّجِيطٌ» - فصلت: ٥٤.

٥٩١ - في بعض النسخ: وفي خطبة.

بيان: «الساطع» الباسط. و«المسيل» المجري. و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة. و«أخصب الله الأرض» أي جعلها كثيرة العشب والكلاء، و«النجاد» بالكسر، جمع «نجد» بالفتح، وهو المرتفع من الأرض. «ولالأزليّة انقضاء» أي في جانب الأبد، أي أزليّة مقرونة بالأبدية، ويمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الأزليّة تستلزم الأبدية إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، أو في جانب الأزل إذا رجع الوهم إليه. ولا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزليّة به وحدوث ماسواه، إذ ذكر الصفات المشتركة بينه وبين خلقه لا يناسب مقام المدح. ثم صرح — عليه السلام — بذلك بقوله «لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة» ردّاً على ما زعمته الحكماء من الهيول القديمة ونحو ذلك. و«الأبد» بالتحريك الدهر، و«الدائم» و«القديم» الأزلي^{٥٩٢}، كما ذكره في القاموس؛ وقيل: الزمان الطويل الذي ليس بمحدود، والظاهر أنّه تأكيد وتفسير للفقرة الأولى، ويحتمل أن يكون المراد الأمثلة التي يخلق الله — تعالى — الأشياء على حذوها. وفي بعض النسخ: «بدية» والبدية — كرضي — الأول «من أوائل» سابقة على إيجادها.^{٥٩٣}

٥٩٢- الأزليّة والقدم مترادفان ومعناها كون الموجود بحيث لا يسبقه عدم، فإن أضيف إلى العدم الذاتيّ سميّ قدماً ذاتيّاً، وإن أضيف إلى العدم الزمانيّ سميّ قدماً زمنيّاً؛ وحيث إنّ الزمان مقدار الحركة والحركة تختصّ بالأجسام، فإذا لم يكن جسم لم يكن زمان، وكلّ شيء غير جسمانيّ فإنه خارج عن حيلة الزمان البتّة فلو وجد شيء مجرد عن المادّة كان لا محالة غير محدود بالزمان. وحيث إنّ الجسم لا يتفكّ عن الحركة — بناء على القول بالحركة الجوهرية — فكلّما فرض جسم كان حادثاً زمنيّاً. والواجب — تعالى — قدّم أزليّاً ذاتاً بمعنى كون الوجود عين ذاته واستحالة العدم عليه بوجه وزماناً بمعنى كونه خارجاً عن ظروف لزمان ومنزهاً عن مقارنته لاجتماع كونه مقارناً لزمان غير متناه من جهة البدء. وأمّا ماسواه فعلى القول بوجود المجردات المحضة الموجودات النورية العالية فإنّها أيضاً غير مقيدة بالزمان لكنّها لا تشارك الواجب — تعالى — في الأزليّة الذاتية. وأمّا المادّة أعني الهيول الأولى فليست من الموجودات المتحصلة وتحصلها إنّما يكون بالصور، ولا شيء من الصور الجسمانية بقديم لما ذكرنا. نعم، على القول بقديم الصور الفلكية كما يراه بعض الفلاسفة تكون مادّتها أيضاً قديمة، لكنّها على كلّ حال ليست موجودة قبل الأشياء ولا أصلاً أزليّاً للكيانات.

٥٩٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السها والعالم، ص ٢٧.

أئمة الدين

منها : قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ^(١٨٨٥) لَاحِحٌ ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ ؛ وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا ؛ وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ^(١٨٨٦) أَنْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ . وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ؛ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ ، وَجَمَاعُ^(١٨٨٧) كَرَامَةٍ . أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرٍ عِلْمٍ ، وَبَاطِنٍ حِكْمٍ . لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ^(١٨٨٨) ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ^(١٨٨٩) . وَأَرْعَى مَرْعَادُ . فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي ، وَكِفَايَةُ الْمَكْتَفِي .

توضيح: قيل: هذه خطبة خطب بها — عليه السلام — بعد قتل عثمان وانتقال الخلافة إليه ٥٩٤ هـ ، و يمكن أن يكون المراد بطلوع الطالع ظهور إمرته وخلافته — عليه السلام — ، وأن يشير بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هي حق له . وسطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه ، وبلوج اللانح إلى الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه . وقيل: المراد بالجميع واحد ، فيحتمل أن يكون المراد: طلع ما كان طالعا فإن الخلافة كانت له — عليه السلام — حقيقة أي طلع ظاهراً ما كان طالعا حقيقة كقوله

— عليه السلام — «واعتدل مائل» أي الخلافة كانت مائلة عن مركزها، أو أركان الدين القويم. ولعلّ انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه، أو الرضی بما قضی الله من ذلك، و المراد بالغير ماجرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر إليه — عليه السلام —، أو ماسيأتي من الحروب والوقائع، والأوّل أنسب.

قوله — عليه السلام — «قوام الله» أي يقومون بمصالحهم، وقیم المنزل هو المدبّر له. و«العرفاء» جمع «عريف» وهو القيمّ بأمر القبيلة والجماعة يلي أمورهم ويتعرّف الأمير منه أحوالهم، فعيل بمعنى فاعل. «إلا من عرفهم» أي بالإمامة. و«عرفوه» أي بالتشيع والولاية. ومنكرهم من لم يعرفهم ولم يقرّ بما أتوا به من ضروريّات الدين فهو منكركهم.

قوله — عليه السلام — «لأنّه اسم سلامة» أي الإسلام مشتقّ من السلامة. وقال الجوهريّ: «جماع الشيء» بالكسر، جمعه، يقال: الخمر جماع الإثم. و«المرابيع» الأمطار التي يبيح في أوّل الربيع فيكون سبباً لظهور الكلاء. و يقال: «أحميت المكان» أي جعلته حمى. قال ابن أبي الحديد: «أحماء» أي جعله عرضة لأن يحمى، أي عرض الله — سبحانه — حماه و محارمه لأن يجتنب. و«أرعى مرعاه» لأن يرعى، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه لأنّه خاطبنا بلسان عربيّ مبين^{٥٩٥}. ويمكن أن يقال: المعنى: جعل له حرّما ونهى عن انتهاكها و ارتكاب نواهيّه وتعدّى حدوده، ورخصاً أباح للناس التمتع بها. والمراد بقوله — عليه السلام — «أحمى حماه» منع المغتربين من تغيير قواعده، وبقوله «أرعى مرعاه» مكّن المطيعين من طاعته التي هي الأغذية الروحانيّة للصالحين كما أنّ النبات غذاء للبهائم.^{٥٩٦}

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة:]

بيان: ظاهره أنّ الاسلام مشتقّ من السلامة، أي من آفات الدنيا و مهالك الآخرة إذا أدّى حقّه، فليس بمعنى الانقياد والدخول في السلم. و«جماع الشيء»

٥٩٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٥٦، ط بيروت.

٥٩٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٨، ط كمپاني و ص ٣٧٣، ط تبريز.

— ككتاب — جمعه، وفي الحديث: «الخمر جماع الاثم» أي مظنته ومجمعه. و«المنهج والمنهاج» الطريق الواضح، وحججه الأدلة على صحته وكلمة «من» للتفسير وتفصيل الحجج. وظاهر العلم الأحكام الواضحة المبينة للناس من محكمات القرآن وما انضح من الستة. و«باطن الحكم» الأحكام المخزونة عند أهلها، كتأويل التشابهات وأسرار الشريعة، وقيل: يعني بظاهر علم، وباطن حكم القرآن؛ ألا تراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لا يكون إلا للقرآن، ولا ريب في اتحاد حجج الاسلام والقرآن، ولا يبعد أن يكون القرآن في جملة كلام حذف السيد — رضي الله عنه — على عادته في الالتقاط والاختصار، وفي بعض النسخ: «عزائمه» مكان «غرائب» أي آياته المحكمة وبراهينه العازمة أي القاطعة، وعدم فناء العزائم أو الغرائب إقامتها واستقرارها على طول المدة وتغير الأعصار، أو كثرتها عند البحث والتفتيش عنها. وعدم انقضاء العجائب هو أنه كلما تأمل فيه الانسان استخرج لطائف معجبة. و«المرايع» أقطار أول الربيع تحيي بها الأرض وتنبت الكلاء، وفي بعض النسخ: «بمفاتيحه وبمصابيحه» مع الباء وفي بعضها بدونها.

و«أحميت المكان من الناس» — كرميت — أي منعتهم منهم، والحماية اسم منه، و«كلاء حمى» — كرضى — أي محمي، و«أحميت المكان» جعلته حمى لا يقرب منه ولا يجترأ عليه. و«الرعي» بالكسر، الكلاء وبالفتح، المصدر والمرعى الرعي والمصدر والموضع.

قيل: «أحمى حماه» أي جعله الله عرضة لأن يحمي، كما تقول: «أقتلت الرجل» أي جعلته عرضة لأن يقتل، أي قد عرض الله حمى القرآن ومعارمه لأن يجتنب، وعرض مرعاه لأن يرعى، أي مكن من الانتفاع بمواعظه وزواجه لأنه خاطبنا بلسان عربي مبين ولم يقنع ببيان ما لم يعلم إلا بالشرع حتى نبه في أكثره على أدلة العقل.^{٥٩٧} وقيل: استعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه، ووجه الاستعارة أن بذلك يكون حفظ الشخص وحراسته، أما في الدنيا، فن أيدي كثير من الظالمين

لاحترامهم حلة القرآن ومفسريه ومن يتعلّق به، وأمّا في الآخرة، فلحمايته حفظته ومتدبريه والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحصى من يلود به، وقيل: أراد بحماه محارمه، أي منع بنواحيه وزواجره أن يستباح محارمه.

«وأرعى مرعاه» أي هيّأه لأن يرعى، واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة أنّ هذه مراعي النفوس وغداؤها الذي به يكون نشوها العقليّ، وتعامها الفعليّ كما أن النبات والعشب غذاء للأبدان الحيوانيّة الذي يقوم بها وجودها. ٥٩٨

وأقول: يحتمل أن يكون المراد به أنّه جعل له حدوداً وحرماً، ونهى عن انتهاكها وارتكاب نواحيه وتعدي حدوده، ورخصاً أباح للناس الانتفاع بها والتمتع منها، ويمكن أن يقال: «أحمى حماه» أي منع المغتربين من تغيير قواعده «وأرعى مرعاه» أي مكّن المطيعين من طاعته، وهي الغذاء الروحانيّ الذي به حياتهم الباقية في النشأة الآخرة. و«المشتني» طالب الشفاء كالمستشفى كما في بعض النسخ أي فيه شفاء من الأمراض المعنويّة كالجهل والضلال كما قال — تعالى —: «شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ» ٥٩٩، أو منها ومن الأمراض البدنيّة أيضاً بالتعوّذ ونحوه كما قال — سبحانه —: «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ» ٦٠٠. و«الكفاية» بالكسر، ما به يحصل الاستغناء عن غيره، وهذه الكفاية لأهله، ومن أخذ غوامضهم ورجع في تأويل المتشابهات ونحوه إليهم. ٦٠١

١٥٣ — ﴿طَبَّارُ الْمَلَكِ﴾

صفحة الضال

٥٩٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٣٨، ط بيروت.

٥٩٩- يونس: ٥٧.

٦٠٠- الإسراء: ٨٢.

٦٠١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٧٤.

وَهُوَ فِي مُهَلَةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ . وَيَعْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ . وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

صفات الغافلين

منها : حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ . وَأَسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ أَسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا . وَأَسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ . وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ .

إِنِّي أَحَذِّرُكُمْ . وَنَفْسِي . هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . فَلْيَنْتَفِعْ أَمْرُو بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ . وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَانْتَفَعَ بِالْعَبْرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ، وَالضَّلَالِ فِي الْمَغَاوِي^(١٨٩) . وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ . أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ .

عظة الناس

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ . وَأَسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ . وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ . وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ؛ وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ . وَدَعَهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَضَعَ فُخْرَكَ ، وَأَخْطَطَ

كِبْرَكَ ، وَأَذْكُرَ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ . وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا
تَزْرَعُ تَخْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا . فَأَمْهَدُ^(١٨٩١) لِقَدَمِكَ .
وَقَدَّمَ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ !
« وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ . الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ .
وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ . أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ . وَأَخْلَصَ
فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا . لَا قِيَاءَ رَبَّةٍ بِخُصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ
يَتَبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ . أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ
بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَغُرَّ^(١٨٩٢) بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ^(١٨٩٣) حَاجَةً
إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ . أَوْ يَمْشِيَ
فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ .

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا ، وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْمُدَوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ؛
وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ؛ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ
مُسْتَكِينُونَ^(١٨٩٤) . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

١٥٤ - خطبة في فضائل أهل البيت

بذكر فيها فضائل أهل البيت

وَنَاطِرُ قَلْبٍ^(١٨٩٥) اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ . وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ^(١٨٩٦)
وَنَجْدَهُ^(١٨٩٧) . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي . زَاتَّبِعُوا
الرَّاعِي .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَّ^(١٨٩٨)
الْمُؤْمِنُونَ . وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمَكْذُبُونَ . نَحْنُ الشُّعَارُ^(١٨٩٩) ، وَالْأَصْحَابُ ،
وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ؛ وَلَا تُؤَنَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ
غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا .

قال عبد الحميد بن أبي الحديد^{٦٠٢} : أي خزانة العلم وأبوابه، قال رسول الله
— صَلَّى الله عليه وآله — : أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد الحكمة فليأت الباب.
وقال — صَلَّى الله عليه وآله — فيه — عليه السلام — : خازن علمي . وتارة أخرى : عيبة
علمي .^{٦٠٣}

منها : فِيهِمْ كَرَائِمُ^(١٩٠٠) الْقُرْآنِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ . إِنْ
نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا . فَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ ، وَلْيَخْضِرْ
عَقْلُهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ .
فَالنَّاطِرُ بِالْقَلْبِ ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ . يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ : أَعْمَلُهُ

٦٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٦٥، ط بيروت.

٦٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٢٠٤.

عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَىٰ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ
الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ . وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ : أَسَائِرُ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ !

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَىٰ مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ،
وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ - : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ
وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَىٰ بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ
مُخْتَلِفَةٌ ؛ فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ . وَمَا خَبِثَ
سَقِيُّهُ ، خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ .

بيان: لعل المراد بالظاهر والباطن ما يظهر من الانسان من أفعاله، وما هو
باطن من نياته و عقائده، فقولہ — عليه السلام — : «وقد قال» كالاستثناء من
المقدمتين والحاصل أَنَّ الغالب مطابقة الظاهر للباطن، وقد يتخلف ذلك كما يدل عليه
الخبر ويحتمل أن يكون المعنى أَنَّ ما يظهر من أفعال المرء وأفعاله في آخر عمره يدل على ما
كان كامناً في النفس من النيات الحسنة والعقائد الحقّة والطينات الطيبة أو النيات
الفاصلة والعقائد الرديّة والطينات الخبيثة، فيكون الخبر دليلاً على ذلك، فَإِنَّ مَنْ يَكُونُ
في بدو حاله فاجراً ويحتم له بالحسنى، إِنَّمَا يَحِبُّهُ اللَّهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ حَسَنِ سِرِّيرَتِهِ الَّذِي يَدُلُّ
عَلَيْهِ خَاتَمَةُ عَمَلِهِ، وَمَنْ كَانَ بِعَكْسِ ذَلِكَ يَبْغِضُهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ سُوءِ سِرِّيرَتِهِ، وَهَذَا
الوجهان ممّا خطر بالبال وربّما يؤيد الثاني ما ذكره بعده كما لا يخفى بعد التأمل .

وقال ابن أبي الحديد: هو مشتق من قوله — تعالى —: «وَالْبَلَدُ الْقَلْبُ بِخُزْجٍ تَبَأُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ»^{٦٠٤}. والمعنى أَنَّ لكلِّي حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطنياً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل، وميله إلى الهوى، فالمتبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبث ظاهره وخبث باطنه.^{٦٠٥}

ومنه من حمل الظاهر على حسن الصورة والهيئة وقبحها، وقال: هما يدلان على قبح الباطن وحسنه، وحمل حب العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع قبح الصورة ولا يخفى بعد الوجهين على الخير.^{٦٠٦}

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

توضيح: قال الجوهرى: الناظر من المقلة السواد الأصغر الذي فيه إنسان العين، أي إِنَّ قلب اللبيب له عين يبصرها غايته التي تجرى إليها، ويعرف من أحواله المستقبل ما كان مرتفعاً شريفاً، أو منخفضاً ساقطاً. و«التجدد» المرتفع من الأرض. ولعل المراد بالسداعي الرسول — صلى الله عليه وآله —، وبالراعي نفسه — عليه السلام —. قوله — عليه السلام — «قد خاضوا» كلام منقطع عما قبله ومتصل بكلام أسقطه السيد — رضي الله عنه — تقيّة للتصريح بذي الخلفاء الثلاثة فيه. و«أرز» بالفتح والكسر، انقبض. و«المؤمنون» هو — عليه السلام — وشيعته. والصالون خلفاء الجور وأتباعهم.

وقال ابن أبي الحديد في قوله — عليه السلام — و«الخزنة والأبواب» أي خزنة العلم وأبوابه، أو خزنة الجنة وأبوابها، قال رسول الله — صلى الله عليه وآله —: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد الحكمة فليأت الباب»؛ وقال فيه: خازن علمي ، وتارة أخرى: عيبة علمي. وقال — صلى الله عليه وآله — في الخبر المستفيض: إنه قسم الجنة والنار، يقول للتار هذا لي فديعه، وهذا لك فخذيه. ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً من

٦٠٤- الأعراف: ٥٨.

٦٠٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٧٨ — ١٧٩، ط بيروت.

٦٠٦- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧١، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٦٧.

فضائله — صلوات الله عليه — من طرق المخالفين.

قوله — عليه السلام — «فيهم كرائم القرآن» ضمير الجمع إلى آل محمد — عليهم السلام — الذين عناهم — عليه السلام — بقوله «نحن الشعار» والمراد بكرائم القرآن مدائحهم التي ذكرها الله فيه، أو علومه المخزونة عندهم. و«هم كنوز الرحمن» أي خزائن علومه وحكمه وقربه. قوله — عليه السلام — «لم يسبقوا» أي ليس صمتهم عن عي وعجز حتى يسبقهم أحد، بل لمحض الحكمة. قوله — عليه السلام — «فليصدق رائد أهله» يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه فإنه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماء ومرعى، أي لينصح نفسه ولا يغشها بالتسويق والتعليل، أو المعنى: ليصدق كل منكم أهله وعشيرته ومن يعينه أمره، وليبلغهم ما عرف من فضلنا وعلو درجتنا. قوله — عليه السلام — «فإنه منها قدم» لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت، أو لخروج أبيهم من الجنة، وقيل: الآخرة الحضرة الإلهية التي منها مبدأ الخلق وإليها معادهم. «فالناظر بالقلب» أي من لا يقتصر في نظره على ظواهر الأمور. «العامل بالبصر» أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة، أي إذا علم الحق لا يتعداه، ويروى: «العالم بالبصر» أي من كان يبصّره سبباً لعلمه.

قوله — عليه السلام — «واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً» أقول: قد يتوهم التنافي

بين هاتين الكلمتين وبين الخبر المرويّ ظاهراً، ويخطر بالبال دفعه بوجوه:

الأول: أن يكون الخبر في قوة الاستثناء لبيان أنّ المقدمتين ليستا كليّتين بل هما

لبيان الغالب وقد يتخلف كما ورد في الخبر.

الثاني: أن يكون الخبر استهاداً للمقدمات، وبيانه أنّ للعمل ظاهراً وباطناً، وللشخص ظاهراً وباطناً، فظاهر الشخص مطابق لباطنه، ولذا يجب الله ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه وعاقبته، ويغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته.

الثالث: أن يكون المراد أنّه لا يمكن أن لا يظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديّة والاعتقادات الباطلة والطينات الفاسدة وإن كان في آخر العمر، ولا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقّة والطينات الطيّبة، فالذي يجبّه الله ويغض عمله

ينقلب حاله في آخر العمر و يظهر منه حسن العقائد والأعمال وكذا العكس، فظهر أن حسن الباطن والظاهر مطابقتان، وكذا سوءهما. ولعل ما يذكر بعده يؤيد هذا الوجه في الجملة.

الرابع: ما ذكره ابن أبي الحديد حيث قال: هو مشتق من قوله — تعالى — «وَابْلَسَدُ الْقَلْبِ يَخْرُجُ تَبَاطُؤُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ»، والمعنى أن لكلي حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل وميله إلى الهوى، فالمتبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبث ظاهره وخبث باطنه.

الخامس: ما قيل: المراد بطيب الظاهر حسن الصورة والهيئة، وبخبثه قبحها. وقال: هما بدلان على حسن الباطن وقبحه. وحمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة، والآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة، ولا يخفى بعده. والأول أظهر الوجوه.

و«أمرت» أي صارت مرأى. ٢٠٧

١٥٥ — وَبَارِكْ فِيهِمُ الْغُلَامَ الْكَافِيَ

يذكر فيها بديع خلقه الخفافش

حمد الله وتنزيهه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَ^(١٠١) الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ أَلْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ !

هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ أَلْعُقُولُ

بِتَحْدِيدِ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرِ فَيَكُونُ مُمَثَّلًا .
خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ ،
فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَأَنْقَادَ
وَلَمْ يُنَازِعْ .

خَلْقَةُ الْخَفَاشِ

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ
الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ،
وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ^(١١٠٢) أَعْيُنُهَا عَنْ
أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ
بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ
فِي سُبُحَاتِ^(١١٠٣) إِشْرَاقِهَا . وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلْجِ
أَتْتِلَاقِهَا^(١١٠٤) ، فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حَدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ
سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي أَلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ^(١١٠٥)
ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ^(١١٠٦) . فَإِذَا أَلْقَتْ
الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ^(١١٠٧) نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا
عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا^(١١٠٨) ، أَطْبَقَتْ الْأَجْفَانُ عَلَى مَا قِيَهَا^(١١٠٩) ،
وَتَبَلَّغَتْ^(١١١٠) بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ

جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً ، وَالنَّهَارَ سَكناً وَقَرَّاراً ! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً
 مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ ، كَانَتْهَا شَطَايَا الْأَذَانِ^(١١١) ،
 غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ^(١١٢) ، إِلَّا أَنْكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً
 أَغْلَاماً^(١١٣) . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَنْثَقُلَا . تَطِيرُ
 وَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لِأَجَىءِ إِلَيْهَا ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا أَرْتَفَعَتْ ،
 لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفُ
 مَذَاهِبَ عَيْنَيْهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى
 غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ^(١١٤) !

تبيان: «الحقّاش» — كرمّان — معروف، و«حسر حسوراً» — كقعد — كلّ
 لطول مدى ونحوه، و«حسرتة أنا» يتعدّى ولا يتعدّى، و«انحسرت» أي كلّت وأعيّت.
 و«كنه الشيء» حقيقة ونهايته. و«ردعت» — كمنعت — لفظاً ومعناً. و«المساغ»
 المسلك. و«الملكوت» العزّ والسلطان. و«الحقّ» المتحقّق وجوده، أو الموجود حقيقة.
 و«أبين» أي أوضح، وكونه — سبحانه — أحقّ وأبين ممّا ترى العيون، لأنّ العلم
 بوجوده — سبحانه — عقليّ يقيني لا يتطرّق إليه ما يتطرّق إلى المحسوسات من الغلط.
 و«الحذّ» في اللغة، المنع والحاجز بين الشيئين ونهاية الشيء وطرفه، وفي عرف المنطقيّين،
 التعريف بالذاتيّ، والمراد بالتحديد هنا إمّا إثبات النهاية والطرف المستلزم للمشابهة
 بالأجسام، أو التحديد المنطقيّ والأوّل أنسب بعرفهم. و«التقدير» إثبات المقدار
 وكأنّ المراد بالتمثيل إيجاد الخلق على حذو ما قد خلقه غيره، أو أنّه لم يجعل خلقه مثلاً
 قبل الإيجاد كما يفعله البتاء تصويراً لما يريد بناءه. و«المشورة» مفعلة من «أشار إليه
 بكذا» أي أمره به، و«المشورة» بضّمّ الشّين — كما في بعض النسخ — والشورى بمعناه.
 و«المعونة» الاسم من «أعانه وعوته». «فتمّ خلقه» أي بلغ كلّ مخلوق إلى كماله الّذي

أراد الله — سبحانه — منه، أو خرج جميع ما أَرَادَهُ من العدم إلى الوجود بمجرد أمره، و«أذعن» أي خضع وأقر وأسرع في الطاعة وانقاد، والجملتان كالترسيم للاذعان، ولعل المراد بالاذعان دخوله تحت القدرة الإلهية وعدم الاستطاعة للامتناع.

وقوله — عليه السلام — «لم يدافع» بيان للاجابة، كما أَنَّ «لم ينازع» بيان للانقياد، وإلا لكان العكس أنسب، ويحتمل أن يكون إشارة إلى تسبيحهم بلسان الحال كقوله — تعالى —: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»^{٦٨}، كما مر. و«اللطائف» جمع «لطيفة»، وهي ما صغر ودق. و«العجائب» جمع «عجبية وعجيب» قيل: يجمع على «عجائب» كأفيل وأفايل، وقيل: لا يجمع عجيب ولا عجب. و«الغامض» خلاف الواضح وكل شيء خفي مأخذه. وقال بعضهم: حاصل الكلام، التعجب من مخالفتها لجميع الحيوانات في الانقباض عن الضوء والإشارة إلى خفاء العلة في ذلك، والمراد بالانقباض انقباض أعينها في الضوء، ويكون ذلك عن إفراط التحلل في الروح النوري لحر النهار، ثم يستدرك ذلك برد الليل فيعود الابصار.

وقيل: الأظهر أنه ليس لمجرد الحر والآن لم أن لا يعرضه الانقباض في الشتاء إلا إذا ظهرت الحرارة في الهواء، وفي الصيف أيضاً في أوائل النهار، بل ذلك لضعف في قوتها الباصرة، ونوع من التضاد والتنافر بينها وبين النور كالعجز العارض لسائر القوى المبصرة عن النظر إلى جرم الشمس؛ وأما أَنَّ علة التنافر ماذا؟ ففيه خفاء، وهو منشأ التعجب الذي يشير إليه الكلام، ويمكن أن يعود الضمير إليها من غير تقدير مضاف، ويكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهاراً وإن كان ذلك ناشئاً من جهة الابصار. و«العشى» بالفتح مقصوداً، سوء البصر بالنهار أو بالليل والنهار أو العشى، والمعنى كيف عجزت وعميت عن أن تستمد؟ أي تستعين وتتقوى، تقول: «أمددته بمدد» إذا أعنته وقوته. و«مذاهبها» طرق معاشها ومسالكها في سيرها وانتفاعها، و«تصل» بالنصب عطفاً على «تستمد» وفي بعض النسخ بالرفع عطفاً على «تهتدي»؛ وفي بعضها: «وتتصل» و«الاتصال إلى الشيء» الوصول إليه.

و«البرهان» الدليل، و«معارفها» ما تعرفه من طرق انتفاعها. و«ردعها» أي كَفَّها وردَّها، و«تألاً البرق» أي لمع، و«السبحات» بضمتين جمع «سبحة» بالضم وهي التور، وقيل: «سبحات الوجه» محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، وقيل: «سبحان الله» تنزيه له، أي سبحان وجهه. و«الكن» بالكسر، السترو «أكنه» ستره، و«استكن» استتر، و«كمن» — كنصر ومنع — أي استخفي، و«المكن» الموضع، و«البلج» بالتحريك، مصدر «بلج» — كتعب — أي ظهر ووضح، و«صبح أبلج بين البلج» أي مشرق ومضيء، ذكره الجوهري، وقيل: «البلج» جمع «بلجة» بالضم، وهو أول ضوء الصبح، وجاء «بلجة» أيضاً بالفتح ولم أجده في كلامهم؛ و«الائتلاق» للتمعن، يقال: «ائتلق وتألّق» إذا التمع. و«سدل ثوبه يسدله وأسده» أي أرسله وأرخاه، و«الجفن» بالفتح، غطاء العين من أعلاها وأسفلها، والجمع «أجفان وجفون وأجفن». و«الحدقة» محرّكة، سواد العين، وتجمع على «جداق» كما في بعض النسخ، وعلى «أحداق» كما في بعضها، وإسدال جفونها لانقباضها وتأثر حاستها عن الضياء، وقيل: لأنّ تحلّل الروح الحامل للقوة الباصرة سبب للنوم أيضاً فيكون ذلك الاسدال ضرباً من النوم. و«الاتماس» الطلب. و«أسدف الليل» أي أظلم، وفي بعض النسخ: «أسداف» بفتح الهمزة جمع «سدف» بالتحريك كجمل وأجمال وهو الظلمة، والاضافة للمبالغة، والصمير في «فيه» راجع إلى الليل. و«الغسق» بالتحريك، ظلمة أول الليل، و«الدجّة» بضم الذال المهملة والجيم وتشديد النون كحزقة والدُّجَن كعتلّ، الظلمة؛ وحاصل الكلام التعجّب من كون حالها في الابصار والتماس الرزق على عكس سائر الحيوانات. و«قناع الشمس» كناية عن الظلمة أو ما يحجبها من الآفاق، و«إلقاء القناع» طلوعها. و«الوضح» بالتحريك، البياض من كلّ شيء وبياض الصبح والقمر؛ وفي بعض النسخ: «دخل من إشراق نورها» أي دخل الشيء من إشراق نورها.

و«الضباب» بالكسر، جمع «الضَبّ» الدابة المعروفة، و«وجارها» بالكسر، جحرها الذي تأوي إليه، ومن عاداتها الخروج من وجارها عند طلوع الشمس لمواجهة

النور على عكس الخفافيش، و«مأقيا» بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر القاف وسكون الياء — كما في أكثر النسخ —، لغة في «الموق» بضَم الميم وسكون الهمزة، أي طرف عينها ممّا يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين، وقيل: مؤخرها، وقال الأزهري: أجمع أهل اللغة أنّ «الموق والمأق» بالضَم والفتح، طرف العين الذي يلي الأنف، وأنّ الذي يلي الصدغ يقال له: اللحاظ، و«المأقي» لغة فيه؛ وقال ابن القطّاع: «مأقي العين» فعل، وقد غلط فيه جماعة من العلماء فقالوا: هو مفعّل، وليس كذلك بل الياء في آخره للحاق، قال الجوهري: وليس هو مفعّل لأنّ الميم أصلية وإنّها زيدت في آخره الياء للحاق، ولما كان فعلى بكسر اللام نادراً لا أخت لها إلحق بمفعّل، ولهذا جمع على «مأقي» على التوهم؛ وفي بعض النسخ: «مأقيا» على صيغة الجمع. و«تبلغ بكذا» أي اكتمى. و«المعاش» ما يعاش به وما يعاش فيه، ومصدر بمعنى الحياة والمناسب ههنا الأول، وفيما سيجيء الثاني؛ وفي بعض النسخ: «ليلها» موضع «ليالها».

و«السكن» بالتحريك، ما تسكن إليه النفس وتطمئن. و«قر الشيء» — كقر — أي استقرّ بالمكان والاسم «القرار» بالفتح، وقيل: هو اسم مصدر^{٦٠٩}. و«الشظية» الفلقة من الشيء، فعيلة من قولك «تشظّت العصا» إذا صارت فلقا، والجمع «شظايا». و«القصب» الذي في أسفل الريش للطيور.

و«الأعلام» جمع «علم» بالتحريك، وهو طراز الثوب ورسم الشيء ورقه و«أعلاماً» في المعنى كالتأكيد لبينة، وكلمة «ها» غير موجودة في بعض النسخ، فيكون قوله «جناحان» خبر مبتدأ محذوف، أي جناحاه لم يجعل رقيقين بالغين في الرقة ولا في الغلظ حذراً من الانشقاق والثقل المانع من الطيران. و«لجأ إلى الشيء» أي لاذو اعتصم به، ووقع الطير ضدّ ارتفاعه. و«أركان كل شيء» جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها. و«النهوض» التحرك بالقيام، و«نهض الطائر» إذا بسط جناحه ليظهر و«العيش» الحياة، و«مصالح الشيء» ما فيه صلاحه ضدّ الفساد. و«البارئ» الخالق، و«مثال الشيء» شبهه، و«خلا» أي مضى وسبق، أي لم يخلق الأشياء على

حذو خالق سبقه، بل ابتدئها على مقتضى الحكمة والمصلحة.

قال الدميري: «الحفّاش» بضّم الحاء وتشديد الفاء، واحد «الحفّافيش» التي تطير في الليل وهو غريب الشكل والوصف، و«الحفّش» صغر العين وضيق البصر، و«الأخفش» صغر العين ضعيف البصر، وقيل: هو عكس الأعشى، وقيل: هو من يبصر في الغيم دون الصحو، وقال الجوهري: هو نوعان: فـ «الأعشى» من يبصر نهراً لائلاً و«العمش» ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات، والعمور معروف. قال البطليوسي: الحفّاش له أربعة أسماء: حفّاش و خشّاف و خطّاف ووطواط. وتسميته حفّاشاً يحتمل أن يكون مأخوذاً من الحفش، والأخفش في اللغة نوعان: ضعيف البصر خلقه، والثاني لعلّه حدثت، وهو الذي يبصر بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون الصحو.

وما ذكره من أنّ الحفّاش هو الخطّاف فيه نظر، والحقّ أنّه صنفان.^{٦١٠}

وقال قوم: الحفّاش الصغير، والوطواط الكبير، وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار، ولما كان لا يبصر نهراً اتمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنّه وقت هيجان البعوض، فإنّ البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والحفّاش يطلب الطعام^{٦١١} فيقع طالب رزق على طالب رزق، والحفّاش ليس هو من الطير في شيء لأنّه ذو أذنين وأسنان وخصيتين^{٦١٢} وبحيض ويظهر ويضحك كما يضحك الانسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له.

قال بعض المفسرين: لما كان الحفّاش هو الذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام — باذن الله — تعالى، — كان مابيناً لصنعة الله — تعالى — ولهذا جمع الطير تقهره وتبغضه، فما كان منها يأكل اللحم أكله وما لا يأكل اللحم قتله، فلذلك لا يطير إلا ليلاً.

٦١٠- في المصدر: صنفان وهو الوطواط.

٦١١- في المصدر: والحفّاش يخرج طالباً للطعم.

٦١٢- في المصدر: وخصيتين ومنقار.

وقيل: لم يخلق عيسى — عليه السلام — غيره لأنه أكمل الطير خلقاً وهو أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسناناً وأذناً^{٦١٣}؛ وقيل: إنها طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير^{٦١٤} إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات بالبعوض والذباب وبعض الفواكه، وهو مع ذلك موصف بطول العمر، فيقال: إنه أطول عمراً من النسرومن حمار الوحش، وتلدأ^{٦١٥} نثاه ما بين ثلاثة أفراس وسبعة، وكثيراً ما يسفدو هو طائر في الهواء، وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرود والإنسان ويحملة تحت جناحه، وربما قبض عليه بفيه وهو من حنوه عليه وإشفاقه عليه، وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائرة، وفي طبعه أنه متى أصابه ورق الدلب حذرو لم يطر؛ ويوصف بالحمق، ومن ذلك إذا قيل له: «اطرق كرا» التصق بالأرض.^{٦١٥}

١٥٦ — ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ ۚ يَخْتَارُ﴾

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ أَسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَغْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ،
فَلْيَفْعَلْ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ ،
وَلِإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ .

وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلٍ^(١١١٥)
الْقَيْنِ^(١١١٦) ، وَلَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا

٦١٣- في المصدر مع زيادة هي: وتحيض كما تحيض المرأة.

٦١٤- في المصدر: من أعجب الطير خلقه.

٦١٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب الساء والعالم، ص ٣٢٤ — ٣٢٩.

بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وصف للايمان

منه : سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ . فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزَلَفُ الْجَنَّةُ ، « وَتُبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ » . وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرٌ^(١٩١٧) لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ^(١٩١٨) فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى .

تبيين: «بلج الصبح» أي أضاء وأشرق، و«المنهاج» الطريق، والظاهر أن الكلام في وصف الدين، و«مناهجه» قوانينه، و«سراج الأنور» الرسول الهادي إليه وأوصيائه—صلوات الله عليهم—.

قال بعض شراح النهج: يريد بالايان أولاً مستماه اللغوي وهو التصديق، قال الله تعالى:—«وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ»^{٦١٦} أي بمصدق، وثانياً بمعناه الشرعي، أي التصديق والافرار والعمل، أي من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة، استدلل بهما على وجوب الأعمال الصالحة عليه، أو نذبه إليها، وبأعماله الصالحة يعلم إيمانه، وهذا فر من الدور.^{٦١٧}

وقال بعضهم: الصالحات معلولات للايمان وثمرات له، فيستدل بوجوده في

٦١٦- يوسف: ١٧.

٦١٧- بل الصحيح أن الاستدلال ليس بمعناه المصطلح عليه عند الفلاسفة والمتكلمين، بل هو بمعناه اللغوي وهو الاستدعاء والمراد أن الايمان يهدي إلى عمل الصالحات فيمن آمن ولم يكن يعمل الصالحات، كما أن الصالحات تهدي إلى الايمان بالله فيمن يعمل الصالحات ولم يكن يؤمن بالله، كما سيجيء احتماله فيما بعد.

قلب العبد على ملازمته للصالحات استدلالاً بالعلّة على المعلول وبصدورها عن العبد على وجوده في القلب استدلالاً بالمعلول على العلّة.

وعلى هذا الوجه يكون الايمان في الموضعين بالمعنى اللغوي، وحينئذ يمكن أن يكون المعنى: يستدلّ بالايمان على الصالحات، أو يكون الايمان دليلاً للانسان نفسه، وقائداً يؤذيه إلى فعل الصالحات، وبأعماله الصالحة يعلم غيره أنّه من المؤمنين، فالاستدلال في الموضعين ليس بمعنى واحد.

ويمكن أن يراد بالثاني أنّ مشاهدة الأعمال الصالحة يؤدّي من يشاهدها إلى الايمان.

ويحتمل أن يكون المراد أنّ الايمان يهدي إلى صالح الأعمال، والأعمال الصالحة تورث كمال الايمان، أو الايمان يقود الانسان إلى الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة الناشئة من حسن السريرة وخلوص النية تورث توفيق الكافر للايمان.

أو يستدلّ بايمان الرجل إذا علم على حسن عمله، وبقدر أعماله على قدر إيمانه وكماله، أو يستدلّ بكلّ منهما إذا علم على الآخر، وهذا قريب من الثاني والغرض بيان شدة الارتباط والتلازم بينهما.

«وبالايمان يعمر العلم» فإنّ العلم الخالي من الايمان كالخراب لا ينتفع به؛ وقيل: لأنّ حسن العمل من أجزاء الايمان، والعلم بلا عمل كالخراب لا فائدة فيه.

«وبالعلم يرهّب الموت» أي يخشى عقاب الله بعد الموت كما قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» ٦١٨.

«وبالموت تختم الدنيا» والموت لا مهرب منه، فلا بدّ من القطع بانقطاع الدنيا، ولا ينبغي للعاقل أن تكون همته مقصورة عليها.

«وبالدنيا تحرز الآخرة» أي تحازو تجمع سعاداتها، فإنّ الدنيا مضمار الآخرة وعمل الاستعداد واكتساب الزاد ليوم المعاد، أو المراد بالدنيا الأموال ونحوها، أي يمكن للانسان أن يصرف ما أعطاه الله من المال ونحوه على وجه يكتسب به الآخرة. و«الرّزقة

وَالزُّلْفَى» بالضمّ فيها، القرية. و«أبرزه الشيء إبرازاً وبرزه تبريزاً» أي أظهره وكشفه. و«الغاوي» العامل بما يوجب الخيبة أي بالقيامة أو فيها يقرب الجنة للمتقين ليدخلوها أو ليستبشروا بها، ويكشف الغطاء عن الجحيم للضالّين كما قال — سبحانه — : «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»^{٦١٩}. قيل: وفي اختلاف الفعلين دلالة على غلبة الوعد. و«القصر» بالفتح، الغاية، كالقصارى بالضمّ، و«قصرت الشيء» حبسته و«قصرت فلاناً على كذا» رددته على شيء دون ما أراد. كذا في العين: أي لاجبس للخلق أو لا غاية لهم دون القيامة أو لا مرّة لهم عنها. و«أرقل» أي أسرع، و«المضمار» موضع تضمير الفرس ومدته، وهو أن تعلفه حتى يسمن، ثم ترده إلى القوت، وفسر المضمار بالميدان وهو أنسب بالمقام.^{٦٢٠}

حال أهل القبور في القيامة

منه : قَدْ شَخَّصُوا^(١٩١٩) مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ^(١٩٢٠) ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ^(١٩٢١) . لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا .

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ . « فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْأَمْتَيْنِ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ » ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَالرِّيُّ النَّافِعُ^(١٩٢٢) ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَفْجُجُ

٦١٩- الشعراء: ٩٠ - ٩١.

٦٢٠- بخار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٦٧ - ٦٩.

فَيَقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ^(١٩٢٣) ، «وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ»^(١٩٢٤) ، وَوُلُوجُ
السَّمْعِ^(١٩٢٥) . «مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ» .

عدد: اعتقادنا في البعث بعد الموت أنه حق.

وقال النبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — يا بني عبدالمطلب إنَّ الرائد^{٦٢١} لا يكذب
أهله، والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، وتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت
دار الآجلة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله — عز وجل — كخلق نفس واحدة
وبعثها؛ قال الله — تعالى — «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بُعْثُكُمْ إِلَّا كُنْهٍ وَاحِدَةٍ»^{٦٢٢} .

تذنيب: اعلم أنَّ القول بالمعاد الجسماني ممَّا اتَّفَقَ عليه جميع الملتين وهو من
ضروريات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة
لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها؛ وقد نفاها أكثر ملاحدة
الفلاسفة متمسكاً بامتناع إعادة المدوم ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسكوا تارة بادعاء
البدهاء وأخرى بشبهات واهية لا يحقّ ضعفها على من نظرفها بعين البصيرة واليقين وترك
تقليد الملحد من المتفلسفين.

قال الرازي في كتاب نهاية العقول: قد عرفت أنَّ من الناس من أثبت النفس
الناطقة فلا جرم اختلف أقوال أهل العالم في أمر المعاد على وجوه أربعة: أحدها قول
من قال: إنَّ المعاد ليس إلَّا للنفس، وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة؛ وثانيها: قول
من قال: المعاد ليس إلَّا لهذا البدن، وهذا قول نفاة النفس الناطقة وهم أكثر أهل
الإسلام؛ وثالثها: قول من أثبت المعاد للأميرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع أكثر
النصارى؛ ورابعها: قول من نفى المعاد عن الأمرين، ولا أعرف عاقلاً ذهب إليه. بلى،
كان جالينوس من المتوقفين في أمر المعاد.

وغرضنا إثبات المعاد البدني، وللناس فيه قولان: أحدهما أنَّ الله — تعالى —

٦٢١- «الرائد» هو الذي يرسله القوم لطلب الماء والكلاء لهم.

٦٢٢- لقمان: ٢٨.

يعدم أجزاء الخلق ثم يعيدها، وثانيها أنه — تعالى — يميّتهم ويفرق أجزاءهم، ثم إنه — تعالى — يجمعها ويردّ الحياة إليها؛ ثم قال: والدليل على جواز الإعادة في الجملة أنا قد دللنا فيما مضى أنّ الله — تعالى — قادر على كلّ الممكنات، عالم بكلّ المعلومات من الجزئيات والكلّيات، والعلم بهذه الأصول لا يتوقّف على العلم بصحة المعاد البدنيّ، وإذا كان كذلك أمكن الاستدلال بالسمع على صحة المعاد، لكننا نعلم باضطراب إجماع الأنبياء — صلوات الله عليهم — من أولهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدنيّ فوجب القطع بوجود هذا المعاد.

وقال العلامة — رحمه الله — في شرح الياقوت: اتّفق المسلمون على إعادة الأجساد خلافاً للفلاسفة. واعلم أنّ الإعادة تقال بمعنيين: أحدهما جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرّقها وانفصالها، والثاني إيجادها بعد إعدامها، وأمّا الثاني فقد اختلف الناس فيه واختار المصنّف جوازه أيضاً.

وقال العلامة الدواني في شرحه على العقائد العنصرية: والمعاد — أي الجسمانيّ — فإنّه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع، إذ هو الذي يجب الاعتقاد به، ويكفر من أنكره — حقّ بإجماع أهل الملل الثلاثة وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعدّدة، بحيث لا يقبل التأويل كقوله — تعالى — «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ...» إلى قوله: «يَكْفُرْ خَلْقَ عَلِيمٍ»^{٦٢٣}. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بن خلف خاصم رسول الله — صلى الله عليه وآله — وأتاه بعظم قدرم وبلي ففتنه بيده وقال: يا محمّد! أنرى الله يحبي هذه بعد مارم؟ فقال — صلى الله عليه وآله — نعم وبيعثك ويدخلك النار.

وهذا ممّا يقلع عرق التأويل بالكلّيّة، ولذلك قال الإمام: الإنصاف أنّه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبيّ — صلى الله عليه وآله — وبين إنكار الحشر الجسمانيّ. قلت: ولا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسمانيّ لأنّ النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعاً أبداً غير متناهية، وأمّكنة غير متناهية وقد ثبت تناهي الأبعاد بالبرهان وباعترافهم؛

يحشر الأجساد ويعاد فيها الأرواح بإعادة البدن المعدم بعينه عند المتكلمين بل أكثرهم، وبأن تجمع أجزاؤه المتفرقة كما كانت أولاً عند بعضهم، وهم الذين ينكرون جواز إعادة المعدم موافقة للفلاسفة، وإذا استحال إعادة المعدم تعين الوجه الثاني وهو أن يكون بجميع الأجزاء المتفرقة وتأليفها كما كانت أولاً.

لا يقال: لو ثبت استحالة إعادة المعدم لزم بطلان الوجه الثاني أيضاً لأن أجزاء بدن الشخص كبدن زيد مثلاً وإن لم يكن له جزء صوري لا يكون بدن زيد إلا بشرط اجتماع خاص وشكل معين، فإذا تفرقت أجزاؤه وانتفى الاجتماع والشكل المعينان لم يبق بدن زيد، ثم إذا أعيد فإما أن يعاد ذلك الاجتماع والشكل بعينهما أولاً، وعلى الأول يلزم إعادة المعدم، وعلى الثاني لا يكون المعاد بعينه هو البدن الأول بل مثله، وحينئذ يكون تناسخاً، ومن ثم قيل: ما من مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ.

لأننا نقول: إنما يلزم التناسخ إذا لم يكن البدن المحشور مؤلفاً من الأجزاء الأصلية للبدن الأول، أما إذا كان كذلك فلا يستحيل إعادة الروح إليه؛ وليس ذلك من التناسخ، وإن سمي ذلك تناسخاً كان مجرد اصطلاح، فإن الذي دلّ على استحالته تعلق نفس زيد ببدن آخر لا يكون مخلوقاً من أجزاء بدنه، وأما تعلقه بالبدن المؤلف من أجزائه الأصلية بعينها مع تشكلها بشكل مثل الشكل السابق، فهو الذي نعنيه بالحشر الجسماني؛ وكون الشكل والاجتماع غير السابق لا يقدح في المقصود وهو حشر الأشخاص الإنسانية بأعيانها، فإن زيدا مثلاً شخص واحد محفوظ وحدته الشخصية من أول عمره إلى آخره بحسب العرف والشرع ولذلك يؤخذ شرعاً وعرفاً بعد التبدل بما لزمه قبل؛ وكما لا يتوهم أن في ذلك تناسخاً لا ينبغي أن يتوهم في هذه الصورة أيضاً، وإن كان الشكل مخالفاً للشكل الأول كما ورد في الحديث أنه قال: يحشر المتكبرون كأمثال الذر، وإن ضرس الكافر مثل أحد، وإن أهل الجنة جرد مرد مكحولون. والحاصل أن المعاد الجسماني عبارة عن عود النفس إلى بدن هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف، ومثل هذه التبدلات والمغايرات آتية لا تقدح في الوحدة بحسب الشرع والعرف لا تقدح

في كون المحشور هو المبدأ، فافهم.

واعلم أنَّ المعاد الجسمانيّ مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره، أمّا المعاد الروحانيّ أعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتآلمها باللذات والآلام العقلية فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره ولا منع شرعاً ولا عقلاً من إثباته.

قال الإمام في بعض تصانيفه: أمّا القائلون بالمعاد الروحانيّ والجسمانيّ معاً، فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشرعية فقالوا: دلّ العقل على أنَّ سعادة الأرواح بمعرفة الله — تعالى — ومحبته، وأنَّ سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأنَّ الإنسان مع استغراقه في تجلّي أنوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت إلى شيء من اللذات الجسمانية، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية؛ وإنّما تعدّر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت واستمدّت من عالم القدس والطهارة قويت قدرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أنَّ هذه الحالة هي الحالة القصوى من مراتب السعادات. قلت: سياق هذا الكلام مشعر بأنَّ إثبات الروحانيّ إنّما هو من حيث الجمع بين الشرعية والفلسفة، وإثباتها ليس من المسائل الكلامية، وهذا كما أنَّ الرئيس أبا عليّ مع إنكاره للمعاد الجسمانيّ على ما هو بسطه في كتاب المعاد وبالغ فيه وأقام الدليل بزعمه على نفيه، قال في كتاب النجاة والشفاء: إنه يجب أن يعلم أنَّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلّا من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث، وخيراته وشروعه معلوم لا يحتاج إلى أن يعلم. وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا به سيّدنا ومولانا محمّد — صلى الله عليه وآله — حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانيّ وقد صدّقه النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس إلى نفس الأمر، وإن كان الأوهام ممّا تقصر عن تصوّرهما الآن. وسياق هذا الكلام مشعر بأنَّ إثباته للمعاد الروحانيّ ليس من حيث الحكمة، بل هو من حيث الشريعة، فإنّ التمسك بالدلائل النقلية ليس من وظائف الفلسفة، فلا يتوهم أنَّ إثباته من المسائل الحكيمية وهو أراد أن

يجمع بين الفلسفة والشرعية.

فذلكة: اعلم أنَّ خلاصة القول في ذلك هو أنَّ للناس في تفرق الجسم واتصاله مذاهب: فالقائلون بالهيولى يقولون بانعدام الصورة الجسميّة والنوعيّة وبقاء الهيولى عند تفرق الجسم. والنافون للهيولى والجزء الذي لا يتجزى كالمحقق الطوسي — رحمه الله — يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم عند التفرق، بل ليس الجسم إلّا الصورة وهي باقية في حال الاتصال والانفصال؛ وكذا القائلون بالجزء يقولون ببقاء الأجزاء عند التفرق والاتصال.

فأما على القول الأول، فلا بدّ في القول بإثبات المعاد بمعنى عود الشخص بجميع أجزائه من القول بإعادة المدوم، وأما القائلون بالأخيرين، فقد ظنوا أنهم قد تفصّوا عن ذلك ويمكّنهم القول بالحشر الجسمانيّ بهذا المعنى مع عدم القول بجواز إعادة المدوم. وفيه نظر إذ ظاهره أنّه إذا أُحرق جسد زيد وذرت الرياح ترابه لا يبقى تشخّص زيد وإن بقيت الصورة والأجزاء، بل لا بدّ في عود الشخص بعينه من عود تشخّصه بعد انعدامه كما مرّت الإشارة إليه، نعم ذكر بعض المتكلمين أنَّ تشخّص الشخص إنّما يقوم بأجزائه الأصليّة المخلوقة من المنيّ، وتلك الأجزاء باقية في مدّة حياة الشخص وبعد موته وتفرق أجزائه، فلا يعدم التشخّص، وقد مضى ما يوميّ إليه من الأخبار، وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخّصة وأعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقياً بعينه.

فإذا تمهّد هذا فاعلم أنَّ القول بالحشر الجسمانيّ على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المدوم حيث لم يتمّ الدليل عليه يبيّن لا إشكال فيه، وأما على القول به، فيمكن أن يقال: يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادّة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها لاسيّما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لو رأيته لقلت: إنّه فلان إذ مدار اللذات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات، وهو باق بعينه ولا تدلّ النصوص إلّا على إعادة ذلك الشخص بمعنى أنّه يحكم عليه عرفاً أنّه ذلك الشخص كما أنّه يحكم على الماء الواحد إذا أُفرغ في إنائين أنّه هو الماء الذي كان في إناء واحد عرفاً وشرعاً وإن قيل بالهيولي، ولا يبتني الاطلاقات الشرعيّة والعرفيّة واللغويّة على أمثال تلك الدقائق

الحِكْمِيَّة والفلسفِيَّة، وقد أومأنا في تفسير بعض الآيات وشرح بعض الأخبار إلى ما يؤيد ذلك، كقوله — تعالى —: «عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»^{٦٢٤} وقوله — تعالى —: «بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا»^{٦٢٥}.

قال شارح المقاصد: اتَّفَقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْمَلْتِيْنَ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَعَادِ، وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهِ فَذَهَبَ جَهْوَرُ الْفَلَّاسِفَةِ إِلَى أَنَّهُ رُوحَانِيٌّ فَقَطْ لِأَنَّ الْبَدْنَ يَنْعَدَمُ بِصُورِهِ وَأَعْرَاضِهِ فَلَا يَمُوتُ، وَالنَّفْسُ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ بَاقٍ لِسَبِيلِ إِلِهِ لِلْفَنَاءِ فَيَعُودُ إِلَى عَالَمِ الْمَجَرَّدَاتِ بِقَطْعِ التَّعَلُّقَاتِ. وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ كَالْغَزَالِيِّ وَالْكَعْبِيِّ وَالْحَلِيمِيِّ وَالرَّائِغِ وَالْقَاضِي أَبُو زَيْدٍ الدُّبُوسِيِّ إِلَى الْقَوْلِ بِالْمَعَادِ الرُّوحَانِيِّ وَالْجِسْمَانِيِّ جَمِيعاً ذَهَاباً إِلَى أَنَّ النَّفْسَ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ يَعُودُ إِلَى الْبَدَنِ، وَهَذَا رَأْيٌ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ وَبِهِ يَقُولُ جَهْوَرُ النَّصَارَى وَالتَّنَاسُخِيَّةِ.

قال الإمام الرازي: إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ بِحُدُوثِ الْأَرْوَاحِ وَرَدِّهَا إِلَى الْأَبْدَانِ لَا فِي هَذَا الْعَالَمِ بَلْ فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّنَاسُخِيَّةُ بِقَدَمِهَا وَرَدِّهَا إِلَيْهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ وَيُنْكِرُونَ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ؛ وَإِنَّمَا نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا الْفَرْقِ لِأَنَّهُ جَبَلَتْ عَلَى الطَّبَاعِ الْعَامِيَّةِ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً وَضَلَالاً لَكُونِهِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ التَّنَاسُخِيَّةُ وَالنَّصَارَى وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّنَاسُخِيَّةَ إِنَّمَا يَكْفُرُونَ لِإِنْكَارِهِمُ الْقِيَامَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالنَّصَارَى لِقَوْلِهِمُ بِالتَّثْلِيثِ. وَأَمَّا الْقَوْلُ بِالنَّفُوسِ الْمَجَرَّدَةِ، فَلَا يَرْفَعُ أَصْلَافاً مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، بَلْ رُبَّمَا يُؤَيِّدُهُ وَيَبَيِّنُ الطَّرِيقَ إِلَى إِثْبَاتِ الْمَعَادِ بِحَيْثُ لَا يَقْدَحُ فِيهِ شِبْهُ الْمُنْكَرِينَ. كَذَا فِي نَهَايَةِ الْعُقُولِ.

وقد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح حتى سبق إلى كثير من الأوهام ووقع في ألسنة بعض العوام أنه ينكر حشر الأجساد افتراءً عليه. كيف وقد صرح به في مواضع من كتاب الإحياء وغيره وذهب إلى أن إنكاره كفر؟ وإنما لم يشرحه في كتبه كثير شرح لما قال: إنه ظاهر

٦٢٤- الامراء: ٩٩ ويس: ٨١.

٦٢٥- النساء: ٥٦.

لا يحتاج إلى زيادة بيان. نعم، ربما يميل كلامه وكلام كثير من القائلين بالمعادين إلى أن معنى ذلك أن يخلق الله - تعالى - من الأجزاء المتفرقة لذلك البدن بدنًا فيعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن. ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب الشخص ولا امتناع إعادة المعدوم بعينه، وما شهد به النصوص من كون أهل الجنة جرداً مردأً وكون ضرر الكافر مثل جبل أحد، يعضد ذلك، وكذا قوله - تعالى - : «كُلَّمَا نَفِخَتْ فِي صُفْرَةٍ مِنْهُنَّ بُدِّلَتْ لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا». ولا يبعد أن يكون قوله - تعالى - : «أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»^{٦٢٦} إشارة إلى هذا.

فإن قيل: فعل هذا يكون المثاب والمعاقب بالذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية، قلنا: العبرة في ذلك بالإدراك، وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه، وكذا الأجزاء الأصلية من البدن، ولذا يقال للشخص من الصباء إلى الشيخوخة: إنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات، بل كثير من الأعضاء والآلات، ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب: إنها عقوبة لغير الجاني. انتهى.

أقول: الأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ماورد فيها من خصوصياته وعدم الخوض في أمثال ذلك، إذ لم نكلف بذلك. وربما أفضى التفكير فيها إلى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم تكن معذورين في ذلك. والله الموفق للحق والسداد في المبدء والمعاد.^{٦٢٧}

وقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله - عنها ؟ فقال عليه السلام :

إِنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، قَوْلُهُ : «الْمَ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ
 اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهَرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ .
 مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي
 سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتُ لِي
 يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مِنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَحِيزَتْ^(١١٢٦) عَنِّي
 الشَّهَادَةُ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ . فَقُلْتُ لِي : « أَبَشِّرْ . فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ »
 فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟ » فَقُلْتُ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ . لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ . وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى
 وَالشُّكْرِ . وَقَالَ : « يَا عَلِيُّ . إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ . وَيَمُنُّونَ
 بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ . وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ . وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ
 حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ . وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ،
 وَالسُّخْتِ بِالْهَدْيَةِ . وَالرَّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَبَائِي
 الْمَنَازِلِ أَنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أَمْزِلُهُ رِدَّةً ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ :
 « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: قوله — عليه السلام — «أن يعتقل» أي يجبس نفسه على طاعة الله.
 و«فلانة» كناية عن عائشة، ولعله من السيد — رضي الله عنه — تقيّة. قوله

— عليه السلام — «وضغن» أي حقد، ومن أسباب حقدها لأمر المؤمنين — عليه السلام — سد النبي — صلى الله عليه وآله — باب أبيها من المسجد وفتح بابه — عليه السلام —، وبعثه — عليه السلام — بسورة براءة بعد أخذها من أبي بكر، وإكرام رسول الله — صلى الله عليه وآله — لفاطمة — عليها السلام — وحسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومه. و«المرجل» — كمنبر — القدر. و«القين» الحداد؛ أي كغليان قدر من حديد.

قوله — عليه السلام — «من غیری» يعني به عمر كما قيل، أو الأعم وهو أظهر، أي لو كان عمر أو أحد من أضرابه ولّى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه ونسب إليه أنه كان يحرض الناس على قتله، ودعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل. وهذا بيان لحقدها له — عليه السلام —. و«البلوج» الإضاعة.

قوله — عليه السلام —: لا «مقصر» أي لا مجلس^{٦٢٨} ولا غاية لهم دونه. «مرفلين» أي مسرعين. «قد شخصوا» أي خرجوا. و«الأجداث» القبور. و«الخلق» بالضم وبضمّتين، السجية والطبع والمرقة والدين. والرجل إذا روي من الماء فتغير لونه، يقال: نفع. قوله — عليه السلام — «لا يزيف فيستعتب» أي لا يميل فيطلب منه الرجوع، و«العتبي» الرجوع. والمراد بكثرة الردّ التردد في الألسنة. قوله — عليه السلام — «لا تنزل بنا» قال ابن أبي الحديد لقوله — تعالى —: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^{٦٢٩}. و«حيزت عتي» أي منعت. و«الأهواء الساهية» أي الغافلة. قوله — عليه السلام — «بمنزلة فتنة» أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر وإن كانوا باطناً من أخبت الكفار.

أقول: قال ابن ميثم^{٦٣٠} وابن أبي الحديد^{٦٣١}: هذا الخبر رواه كثير من المحدثين

٦٢٨- يمكن أن يقرأ: لا عيبس.

٦٢٩- الأنفال: ٣٣.

٦٣٠- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٦٥، ط بيروت.

٦٣١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٠٦، ط بيروت.

عن علي - عليه السلام - قال :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قَالَ لِي : إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكَ جِهَادَ الْمُفْتُونِينَ كَمَا كَتَبَ عَلَيَّ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ .

قال : فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ماهذه الفتنة التي كَتَبَ فِيهَا الْجِهَادُ ؟

قال : قَوْمٌ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَهُمْ مَخَالِفُونَ لِلسَّيِّئَةِ .

فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَامُ أَقَاتِلُهُمْ وَهُمْ يَشْهَدُونَ كَمَا أَشْهَدُ ؟

قال : عَلَى الْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ وَمُخَالَفَةِ الْأَمْرِ .

فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْتَ كُنْتَ وَعَدْتَنِي الشَّهَادَةَ فَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا لِي بَيْنَ يَدَيْكَ .

قال : فَمَنْ يِقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ؟ أَمَّا إِنِّي قَدْ وَعَدْتُكَ

الشَّهَادَةَ وَتَشْهَدُ ، تُضْرَبُ عَلَى هَذِهِ فَتُخْضَبُ هَذِهِ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟

فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَيْسَ هَذَا بِمَوْطِنٍ صَبْرٍ ، هَذَا مَوْطِنُ شُكْرٍ .

قال : أَجَلُ أَصَبْتَ ، فَأَعِدْ لِلْخُصُومَةِ ، فَإِنَّكَ مُخَاصِمٌ .

فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ بَيَّنْتَ لِي قَلِيلاً .

فقال : إِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَنُ مِنْ بَعْدِي فَتَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ، وَتَعْمَلُ بِالرَّأْيِ ، وَتَسْتَحِلُّ

الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَالسَّحْتَ بِالْهَدْيَةِ ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ ، وَتُخَوِّفُ الْكِتَابَ عَنْ

مَوَاضِعِهِ ، وَتَغْلِبُ كَلِمَةَ الضَّلَالِ ؛ فَكُنْ جُلُوساً^{٣٣} بَيْتَكَ حَتَّى تَقْلُدَهَا ،

فَإِذَا قَلَّدَتْهَا جَاشَتْ عَلَيْكَ الصُّدُورُ ، وَقَلْبُكَ لَكَ الْأُمُورُ ، فَقَاتِلْ حِينَئِذٍ عَلَى

تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى تَنْزِيلِهِ ، فَلَيْسَتْ حَالُهُمُ الثَّانِيَةَ بِدُونِ حَالِهِمُ

الْأُولَى .

فقلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتُونِينَ ؟ أَبَنْزِلَةُ فَتْنَةٍ أَمْ

بَمَنْزِلَةِ رَدَّةٍ ؟

فقال : بَمَنْزِلَةِ فَتْنَةٍ ، يَعْمَهُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ يَدْرِكَهُمُ الْعَدْلُ .

فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل متى أم من غيرنا؟ قال: بل متى، فبنا فتح وبنائختم، وبنا ألف بين القلوب بعد الفتنة.
فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان: «كن جلس بيتك» بالكسر، أي ملازماً له غير مفارق بالخروج للقتال ودفع أهل الضلال. والضمير في «تقلدها وقلدها» على المجهول فيها، راجع إلى الخلافة والإمارة، والتقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة، وتقليدهم إطاعتهم وتركهم العناد. و«جأش القدر — بالهمز — وغيره» غلا. و«قلبت لك الأمور» أي دبروا أنواع المكائد والحيل لدفعك. ٤٣٣

١٥٧ — ﴿قَدْ خَلَّيْنَا لَكَ فِي هَذِهِ مَسَاجِدَ﴾

بحث الناس على التقوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ بِالْمَاضِينَ ؛ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ . مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ (١٩٢٧) ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ (١٩٢٨) . فَكَانَتْكُمْ بِالسَّاعَةِ (١٩٢٩) تَحْدُوكُمْ حَدَوَ الزَّاجِرِ (١٩٣٠) بِشَوْلِهِ (١٩٣١) : فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحِيرَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي أَلْهَكَاتٍ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ،

وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّءَ أَعْمَالِهِ . فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ .

اعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ ، لَا يَمْنَعُ أَهْلُهُ ، وَلَا يُحَرِّزُ^(١٩٣٢) مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ . أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ^(١٩٣٣) الْخَطَايَا ، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى .

عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرْقِهِ . فَشِقْوَةُ لَازِمَتِهِ ، أَوْ سَعَادَةُ دَائِمَتِهِ ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ^(١٩٣٤) لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . قَدْ دُلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(١٩٣٥) ، وَحُثِّيتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ وَقُوفٍ ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ^(١٩٣٦) وَحِسَابُهُ !

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ اللَّهِ ، أَحْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ .

اعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا^(١٩٣٧) مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَعَيْونًا مِنْ

جَوَارِحُكُمْ ، وَحُفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِثَاجٍ^(١١٣٨) ، وَلَإِنَّ عَدَا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ .

بيان: «الرصد» بالتحريك، القوم يرصدون. و «الرتاج» بالكسر، الخلق. ٣٣٤

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ ، فَكَانَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَخْدَتِهِ^(١١٣٩) ، وَمَخَطَ حُفْرَتِهِ . فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَخْدَةٍ ، وَمَنْزِلٍ وَخْشَةٍ ، وَمُفْرَدٍ غُرْبَةٍ ! وَكَانَ الصَّبْحَةُ^(١١٤٠) قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةُ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ، قَدْ زَاَحَتْ^(١١٤١) عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ ، وَأَسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعَظُوا بِالْغَيْرِ ، وَاعْتَبَرُوا بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ .

١٥٨ - خطبة الجمعة ١٤١٢هـ

بنه فيها على فضل الرسول الأعظم، وفضل القرآن، ثم حال دولة بني أمية النبي والقرآن

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ^(١١٤٢) ،

وَأَنْتَقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ^(١١٩٣)؛ فَجَاءَهُمْ بِتَصْديقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُفْتَدَى بِهِ . ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

بيان: «المبرم من الحبل» المفتول، وانتقاضه كناية عن تعطيل قواعد الشرع وتزلزل أساس الدين.^{٦٣٥}

دولة بني أمية

ومنها : فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ^(١١٩٤) إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْحَةً^(١١٩٥) ، وَأَوَّلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَضْفَيْتُمْ^(١١٩٦) بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمٍ ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ^(١١٩٧) وَالْمَقْرِ^(١١٩٨) ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ^(١١٩٩) . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيبَاتِ وَزَوَامِلُ الْأَثَامِ^(١٢٠٠) . فَأَقْسِمُ ، ثُمَّ أَقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ^(١٢٠١) ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّرَ الْجَدِيدَانِ^(١٢٠٢) !

توضيح: قوله — عليه السلام — «فعد ذلك» إخبار عن ملك بنى أمية بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادها في الأرض. «أصفيتم» أي خصصتم بالأمر، أي الخلافة. «وأوردتموه غير وروده»^{٤٣٦} أي أنزلتموه عند غير مستحقه. و«المقر» — ككتف — المزاو الصبر، أو شبيهه به، أو السّم. و«الزاملة» التي تحمل عليها من الإبل وغيرها.

قوله — عليه السلام — «ثَمَّ لَا تَذُوقُهَا» قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: إنهم قد ملكوا بعد الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز وماعداهما من الأقاليم النائية لا اعتداده به.^{٤٣٧}

أقول: لعل المراد به انقطاع تلك الدولة المخصوصة وعدم العود إلى أصحابها، ومع ذلك لا بدّ من التخصيص بغير السفينائي الموعود.^{٤٣٨}

١٥٩ — خطبته عليه السلام

بين فيها حسن معاملته لرعيته

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي^(١٩٥٣) الذَّلَّ ، وَحَلَقَ^(١٩٥٤) الضَّيْمَ ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ، وَشَهْدَةً أَلْبَدَنَ ، مِنْ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

بيان: الإحاطة من وراء دفع من يريدهم بشرّ، لأنّ العدوّ الغالب يكون من وراء المحارب. و«الحلق» بالتحريك وكعنب، جمع «حلقة». و«الضم» الظلم. و«أطرق» أي سكت وأرخص عينيه إلى الأرض. وإطراقه — عليه السلام — عن المنكر

٦٣٦- في النهج: غير مورده.

٦٣٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٢٠، ط بيروت.

٦٣٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كمباني وص ٣٦١، ط تبريز.

الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أولاً نجبراره إلى ما هو أعظم منه. ٦٣٩

١٦٠ - عظمة الله عز وجل

عظمة الله

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَغْفِرُ بِحِلْمٍ .

حمد الله

اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتُبْتَلِي ؛ حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ .

حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ « حَيٌّ قَيُّومٌ . لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ ^{١١٥٥} » وَلَا نَوْمٌ . لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارَ . وَأَخْصِيَتْ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذَتْ « بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ » . وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعَجِبُ لَهُ

مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصْفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ،
وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبُهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرُهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ
عَرْشَكَ . وَكَيْفَ ذَرَأْتَ^(١٩٥٦) خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ
سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ^(١٩٥٧) الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ
حَسِيرًا^(١٩٥٨) ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا^(١٩٥٩) ، وَسَمْعُهُ وَالِهَا^(١٩٦٠) ، وَفِكْرُهُ
حَائِرًا .

كَيْفَ يَكُونُ الرَّجَاءُ .

مِنْهَا : يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لَا
يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ
رَجَاءٍ - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّهُ مَذْخُولٌ^(١٩٦١) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ^(١٩٦٢) ،
إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَغْلُولٌ^(١٩٦٣) . يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو
الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ ! فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يُضْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ
كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا
مِنْ عِبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ
نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَارًا^(١٩٦٤) وَوَعْدًا . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتْ

الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ . وَكَبَّرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ . آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

رسول الله

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَافٍ لَكَ فِي
الْأُسُوءَةِ^(١٩٦٥) . وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْنِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا
وَمَسَاوِيهَا . إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّتْ لِبَغْيِهِ أَكْنَافُهَا^(١٩٦٦) ،
وَقُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا . وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا .

بيان: «الحازي» المقابح. قوله — عليه السلام — «وطئت» بالتشديد، أي
هَيَّأت وبالتخفيف، من قومه «وطأت لك المحس» أي جعلته سهلاً لتأ. قوله
— عليه السلام — «زوي» أي قبض.^{٢٠٠}

موسى

وَإِنْ شِئْتَ ثَبَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ
يَقُولُ : «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» . وَاللَّهُ ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا
خُبْرًا يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةً
الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ^(١٩٦٧) صِفَاقِ^(١٩٦٨) بَطْنِهِ . لِهَذَا وَتَشَدُّبِ
لَحْمِهِ^(١٩٦٩) .

بيان: «الصفاق» الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، وشفيفه رَقته. و«تَشَذَّب اللحم» تفرقه. ٤٤١

داود

وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُودَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ،
وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ (١١٧٠) ،
وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْنَهُمَا ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ
ثَمَنِهَا .

عيسى

وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ
الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ الْجَشِيبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ،
وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا (١١٧١) ،
وَفَاكِهَتُهُ وَرَبِّحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِسِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ
تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ
رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ !

بيان: «كان إدامه الجوع» لعل المعنى أن الإنسان إنما يحتاج إلى الإدام لأنه
يعسر على النفس أكل الخبز خالياً عنه، فأما مع الجوع الشديد فيلتذّ بالخبز ولا يطلب.

غيره، فهو بمنزلة الإدام، أو أنه كان يأكل الخبز دون الشيع فكان الجوع غلوياً به كالإدام. و«لفته يلفته» لواه وصرفه عن رأيه. ٤٢٢

الرسول الأعظم

فَتَأْسَ^(١٩٧٢) بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ
أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي
بِنَبِيِّهِ ، وَالْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا^(١٩٧٣) ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا
أَهْضَمًا^(١٩٧٤) أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا^(١٩٧٥) ، وَأَخْمَصُهُمْ^(١٩٧٦) مِنْ الدُّنْيَا بَطْنًا ،
عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا
فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا
إِلَّا حُبْنًا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى
بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ ، وَمُحَادَّةً^(١٩٧٧) عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . وَلَقَدْ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ^(١٩٧٨)
بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِي^(١٩٧٩) ،
وَيُرْدِفُ^(١٩٨٠) خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ
فَيَقُولُ : « يَا فُلَانَةُ - لِأَخْدَى أَرْوَاجِهِ - غَيْبِي عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا » . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا

مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبُّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً^(١٩٨١) ، وَلَا يَتَعَقَّدَهَا قَرَاراً ، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا^(١٩٨٢) عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ^(١٩٨٣) ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ^(١٩٨٤) زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ^(١٩٨٥) . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ : أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ - وَاللَّهُ الْعَظِيمِ - بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأْسَى مُتَأْسٍ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصِرَ أَثَرُهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجُهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ^(١٩٨٦) ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصًا^(١٩٨٧) ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ^(١٩٨٨) ! وَاللَّهِ لَقَدْ رَفَعْتُ مِذْرَعَتِي^(١٩٨٩) هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ ؟

فَقُلْتُ : أَغْرُبُ عَنِّي ^(١٩٩٠) ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى ^(١٩٩١) !

بيان: قوله — عليه السلام — «قضم الدنيا» في أكثر النسخ بالصاد المعجمة، وهو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، أي تناول منها قدر الكفاف وما تدعو إليه الضرورة، والتنوين في «قضمًا» للتقليل، وفي بعضها بالصاد المهملة بمعنى الكسر. قوله — عليه السلام — «ولم يعرفها طرفًا» من الإغارة، أي لم يلتفت إليها نظر إغارة، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره؟ ويقال: «رجل أهضم» إذا كان خيصًا لقلة الأكل. و«الكشح» الخاصرة.

قوله «جلسة العبد» قال ابن أبي الحديد: هي أن يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليها باطن فخذه، يقال لها بالفارسية: دوزانو. و«الرياش» إمّا جمع «الريش» أو مرادفه، وهو اللباس الفاخر، ويطلق على المال والخصب والمعاش. قوله — عليه السلام — «خيصًا» أي جائعًا. ^{٦٤٣}

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

إيضاح: «السرى» كاهدى، السير عاقمة الليل، وهذا مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة للراحة الآجلة.

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام ^{٦٤٤}: جاء في أخبار علي — عليه السلام — أنني ذكرها أبو عبدالله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله وهو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوي، عن أبي عبدالله أحمد بن علي بن المعمر، عن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيوري، عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أبي عبدالله أحمد قال: قيل لعلي — عليه السلام —: يا أمير المؤمنين! لم ترقع قيصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمنون. ^{٦٤٥}

٦٤٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبينا — صلى الله عليه وآله —، ص ٢٨٤.

٦٤٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٣٥ — ٢٣٦، ط بيروت.

٦٤٥- في المصدر: ليخشع القلب ويقتدي بي المؤمنون.

وروى أحمد أن علياً — عليه السلام — كان يطوف الأسواق مؤثراً بإزار مرتدياً برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس، فقال لواحد: يا شيخ! بعني قيصاً بثلاثة دراهم.^{٦٤٦}

فلما جاء أبو الغلام أخبروه، فأخذ درهماً ثم جاء إلى علي — عليه السلام — ليدفعه إليه. فقال^{٦٤٧}: ما هذا — أو قال: ماشأته هذا^{٦٤٨} — ؟

فقال: يا مولاي إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهمين. فلم يأخذ الدرهم وقال: باعني برضاي وأخذ برضاه.

وروى أحمد عن أبي البوار بائع الختام بالكوفة قال: جاء علي بن أبي طالب — عليه السلام — إلى السوق ومعه غلام له، وهو خليفة، فاشترى متي قيصين وقال لغلامه: اختر أيهما شئت. فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر، [قال]: ثم لبسه ومديده فوجد كتمه فاضلة، فقال: اقطع الفضل، ففقطعه ثم كفه وذهب.

وروى أحمد عن الصمال بن عمير قال: رأيت قيص علي — عليه السلام — الذي أصيب فيه، وهو كرابيس سنبلاني، ورأيت دمه قد سال عليه كالدردي.

وروى أحمد، قال: لما أرسل عثمان إلى علي وجدوه مدثرين بعباءة محتجزاً، وهو يزود بعيراً له.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.^{٦٤٩}

٦٤٦- في المصدر: بعني قيصاً تكون قيمته ثلاثة دراهم، فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئاً، ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قيصاً بثلاثة دراهم.

٦٤٧- في المصدر: فقال له.

٦٤٨- في المصدر: أو قال ماشابه هذا.

٦٤٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ١٦٠.

١٦١ - ﴿وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَاطِلِ﴾

في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى

الرسول وأهله وأتباع دينه

أَبْتَعْتَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ، وَالْبَرْهَانَ الْجَلِيَّ ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي^(١٩٩٢) ،
وَالْكِتَابَ الْهَادِي . أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ؛ أَغْصَانُهَا
مُعْتَدِلَةٌ . وَثِمَارُهَا مُتَهَدَلَةٌ^(١٩٩٣) . مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ^(١٩٩٤) .
عَلَّا بِهَا ذِكْرُهُ وَآمَنَدَ مِنْهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ
شَافِيَةٍ . وَدَعَاةٍ مُتَلَفِّفَةٍ^(١٩٩٥) . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ
الْبِدَعَ الْمَذْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْضُولَةَ^(١٩٩٦) . فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمَ عُزُّوَتُهُ ، وَتَعْظُمَ كِبَوَتُهُ^(١٩٩٧) ،
وَيَكُنْ مَأْبَهُ^(١٩٩٨) إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ .

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةَ^(١٩٩٩) إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدَّدَةَ
إِلَى جَنَّتِهِ . أَلْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

بيان: لعل المراد بالنور المضيء نور النبوة، وبالبرهان الجلي المعجزات الباهرة
وبالمنهاج البادي شريعته الواضحة. و«أسرته» أهل بيته — صلى الله عليه وآله — .
و«شجرتة» أصله وقبيلته. واعتدال أغصانه كناية عن تقارب أهل بيته في الفضل
والكمال، أو عدم الاختلاف بينهم. قوله — عليه السلام — «متهدلة» أي متدلّة، كناية

عن سهولة اجتناء العلم منها وظهورها وكثرتها. وقوله — عليه السلام — «ودعوة متلافية» لتلافها ما فسد من قلوبهم، ونظام أمورهم في الجاهلية. قوله — عليه السلام — «المفصلة» أي ببيانه — صلى الله عليه وآله — أو فصلها الله — سبحانه — وأوضحها له — صلى الله عليه وآله — . ٤٥٠

النصح بالتقوى

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا. رَهَبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَبَ فَأَسْبَغَ^(٢٠٠٠)؛ وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَغَضُّوا عَنْكُمْ — عِبَادَ اللَّهِ — غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَتَقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَاحْذَرُوا حَدَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ^(٢٠٠١)، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ^(٢٠٠٢). وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ^(٢٠٠٣)، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبَدَلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَخَّرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ^(٢٠٠٤). فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، حَدَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، أَلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِعٌ،

وَالْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقُ جَدُّ^(٢٠٠٥) وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ^(٢٠٠٦)

١٦٢ - ﴿٢٠٠٦﴾

لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم
عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ، إِنَّكَ لَلْقَلِقُ الْوَضِيعِ^(٢٠٠٧) ، تُرْسِلُ^(٢٠٠٨) فِي غَيْرِ
سَدَدٍ^(٢٠٠٩) ، وَلَكَ بَعْدَ ذِمَامَةٍ^(٢٠١٠) الصُّهْرُ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ
فَاعْلَمْ : أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَغْلَوْنَ نَسَبًا ،
وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَوَاطٍ^(٢٠١١) ، فَإِنَّهَا
كَانَتْ أَثَرَةً^(٢٠١٢) شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ
آخَرِينَ ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

وَدَغَ عَنْكَ نَهْبًا^(٢٠١٣) صَبِيحَ^(٢٠١٤) فِي حَجَرَاتِهِ^(٢٠١٥)

وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرُّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ^(٢٠١٦) الْخُطْبَ^(٢٠١٧) فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ
بَعْدَ إِنْكَائِهِ ، وَلَا غَرَوْا وَاللَّهُ ، فَيَا لَهُ خُطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ
الْأَوْدَ^(٢٠١٨) ! حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَارِهِ^(٢٠١٩)
مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا^(٢٠٢٠) بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبَيْثًا^(٢٠٢١) ، فَإِنْ تَرْتَفِعَ

عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحَنُ الْبَلَوَى ، أَخْلَهُمْ مِنْ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ^(٢٠٢٢) ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ، « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » .

ولنوضح رواية الصدوق والسيد — رضي الله عنهما — .

قال الفيروزآبادي: دوران ابن اسد أبو قبيله فلاينيافي مافي النهج أنه كان من بني أسد. وقال الجوهري: « ناط الشيء ينوطه نوطاً » علقه. قوله — عليه السلام — « ذمام الصهر » ، « الذمام » بالكسر، الحرمة، وأما كونه صهراً فقيل: لأن زينب بنت جحش زوجة النبي — صَلَّى الله عليه وآله — كانت أسدية. ونقل الراوندي — رحمه الله — أنه كان متزوجاً في بني أسد، وأنكره ابن أبي الحديد.

وقال في النهاية: في حديث عليّ — عليه السلام — «إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوُضَيْنِ»، «الوضين» بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرّج، أراد به أنه سريع الحركة يصفه بالحقّة وقلة الثبات، كالحزام إذا كان رخواً. قوله — عليه السلام — «ترسل في غير سدد»، «الإرسال» الإطلاق والإهمال والتوجيه. و«السدد والسداد» الاستقامة والصواب، أي تطلق عنان دابّتك أو تهملها وتوجيهها في غير مواضعها، أي تتكلّم في غير موضع الكلام، وتساءل مثل هذا الأمر الذي لا يمكن التصريح بمخ الحق فيه في مجمع الناس. وفي رواية الصدوق: «عن ذي مسد» و«المسد» الحبل المسود، أي المفتول من نبات أو لحاء شجرة. وقيل: «المسد» المروءة البكرة الذي تدور عليه. ذكرهما في النهاية. فيمكن أن يقرأ على بناء العلوم، أي ترسل الكلام كما يرسل البكرة على المروءة عند الاستقاء، أو المعنى: تطلق حيواناً له مسد ربط به، كناية عن التكلّم بما له مانع عن التكلّم به، أو على المجهول، أي تنطق بالكلام من غير تأمل تصير معلقاً بالحبل بين السماء والأرض لا تدري الحيلة فيه، أو بتشديد الدال، أي ترسل الماء عن مجرى له عل سد أو وسد. والأظهر أنه تصحيف؛ وفيما سيأتي من رواية المفيد من: «غير ذي مسدد» وهو أظهر.

و«الاستبداد بالشيء» التفرد به. والضمير في قوله — عليه السلام — «فإنها» راجعة إلى الخلافة، أو الدنيا لظهورها بقرينة المقام، وقيل: إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد، وهو بعيد. وفي الأمالي: «امراة» وكأنه تصحيف «إمرة» بالكسر، أي إمارة. قوله — عليه السلام — «شحت» أي بخلت. و«النفوس الشاحّة» نفوس أهل السقيفة. قوله — عليه السلام — و«المعود إليه» اسم مكان. ويروى: «يوم القيامة» بالنصب على أن يكون ظرفاً، والعامل فيه «المعود» على أن يكون مصدرأً.

قوله — عليه السلام — «دع عنك نهياً صيح في حجراته» البيت لامرئي القيس، وتمامه: ولكن حديثاً ما حديث الرواحل.

وكان قصّة هذا الشعر أن امرأ القيس لما انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طىّ يقال له: طريف، فأحسن جواره، فدجّه، وأقام عنده، ثم إنّه خاف أن لا يكون له منعة فتحول ونزل على خالد بن سدوس النبهاني، فأعادت بنوجديلة على امرئي القيس وهو في جوار خالد، فذهبوا بإبله، فلما أتاها الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: اعطني رواحلك ألحق عليها القوم فأردّ إبلك. ففعل، فركب خالد في أثر القوم حتّى أدركهم، فقال: يا بني جديلة أغرّمت على إبل جاري، فقالوا: ما هولك بجار. قال: بلى والله وهذا رواحله. قالوا: كذلك قال: نعم. فرجعوا إليه وأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل. وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرئي القيس: دع عنك ... إلى آخر القصيدة.

والمعنى: «دع عنك نهياً» أي أتركه. و«النهب» الغنيمة. و«الحجرات» النواحي، جمع «حجرة» كجمره وجرات. و«الصياح» صياح الغارة. و«الرواحل» جمع «راحلة» وهي الناقة التي تصلح لأن يشدّ الرحل على ظهرها. وانتصب «حديثاً» بإضمار فعل، أي حديثي، أوهاة، أو اسمع. ويروى بالرفع، أي غرضي حديث، فحذف المبتدأ. و«ما» ههنا تحتل أن تكون إيهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادته إيهاماً، أو صلة مؤكّدة كما في قوله — تعالى —: «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ»^{٦٥١}. وأمّا

«حديث» الثاني فقد ينصب على البدل من الأول، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة، أي الذي هو حديث الرواحل، ثم حذف صدرها كما حذف في تماما على الذي أحسن، أو على أن تكون استفهامية بمعنى أي.

وقوله — عليه السلام — «وهلمّ الخطب» يؤيد أنه — عليه السلام — لم يستشهد إلا بصدر البيت، فإنه قائم مقام قول امرئ القيس «ولكن حديثاً ما». و«هلمّ» يستعمل لازماً ومتعدياً فاللازم بمعنى «تعال» ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلموا. والمتعدي بمعنى «هات»، قال — تعالى —: «هَلَمْ شُهَدَاءُ كُمْ»^{٦٥٢}. وهنا يحتمل الوجهين وإن كان الثاني أظهر، أي لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية فإنهم نهبوا الخلافة وصاحوا في حجراته، ومضوا، ولكن هات مانحن فيه الآن من خطاب ابن أبي سفيان لتتكلم فيه ونشتغل بدفعه، فإنه أعجب وأغرب، والتعرض له أهم. و«الخطب» الحادث الجليل، والأمر العظيم. وقوله — عليه السلام — «بعد إيكائه» قيل: «الإبكاء» إشارة إلى ما كان عليه من الكآبة لتقدم الخلفاء. والضحك للتعجب من أن الدهر لم يقنع بذلك حتى جعل معاوية منازعاً له في الخلافة. والأظهر أن كليهما في أمر معاوية أو في أمره وأمر من تقدمه فإنها محلّ للحزن والتعجب معاً.

و«الغرو» بالغين المعجمة المفتوحة والراء المهملة الساكنة، العجب، أي لا عجب. ثم فسر بما بعده فقال: «يستفرغ العجب» أي لم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب، وهذا من المبالغة في المبالغة، أي هذا أمر يحلّ عن التعجب، كقول ابن هاني: قدسرت في الميدان يوم طراهم فعجبت حتى كدت لا أتعجب و«الأود» العوج؛ ويحتمل أن يكون «لاغرو» معناه أن ما ورد عليّ ليس بعجب من تقلبات الدنيا وأحوالها وقوة الباطل وغلبة أهله فيها، فيكون قوله — عليه السلام — «فياله» استينافاً لاستعظام الأمر، أو المعنى: لاغرو في أن أضحكني وأبكاني لأمر واحد.

وأما رواية الصدوق، فلعلّ المعنى: لا عجب إلّا من جارتني وسؤالها عني لم تنتصر ممن ظلمك؟ هل كان لي أهل يعينني، فاسأل عن ذلك؟ أي مع علمك بتفردني وتحذّل الناس عني ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علّة الأمر. و«فؤارالنبوع» بالفتح وتشديد الواو، وثقب البئر، و«الفؤار» بالضمّ والتخفيف، مايفور من حرّ القدر، وقرني بها والأول أظهر. و«جدحوا» أي خلطوا ومزجوا وأفسدوا. و«الويء» ذوالوباء والمرص. و«الشرب» بالكسر، الحظّ من الماء. و«الشرب الويء» هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له — عليه السلام — كالشرب المخلوط بالسمّ. قوله — عليه السلام — «فإن يرتفع»^{٦٥٣} أي بأن يتبعوا أمري.^{٦٥٤}

١٦٣ — وَحَبْلُ الْمَلِكِ الْفَالِقِ

المالِق جلّ وعلا

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ^(٢٠٢٣) ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ^(٢٠٢٤) ، وَمُخَصِّبِ النَّجَادِ^(٢٠٢٥) . لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ أَنْقِضَاءٌ . هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ . خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ ، وَوَحَدَنَهُ الشَّفَاهُ . حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ^(٢٠٢٦) مِنْ شَبْهِهَا . لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ . لَا يُقَالُ لَهُ : «مَتَى ؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى» . الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ : «مِمَّ ؟» وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ : «فِيمَ ؟» لَا شَبَحٌ فَيَنْقَصِي ، وَلَا مَخْجُوبٌ فَيُخَوِي .

٦٥٣- في النهج: فإن ترتفع.

٦٥٤- بخار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٥٧، ط كمباني وص ١٥٢، ط تبريز.

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لَخُطَّةٍ^(٢٠٢٧) ، وَلَا كُرُورٌ لَفُظَةٍ ، وَلَا أَرْدِلَافُ رَبْوَةٍ^(٢٠٢٨) ، وَلَا أَنْبَسَاطُ خُطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ^(٢٠٢٩) ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ^(٢٠٣٠) ، يَتَفَيَّأُ^(٢٠٣١) عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْكُرُورِ^(٢٠٣٢) ، وَتَقْلُبُ الْأَزْمِنَةَ وَالْدُّهُورَ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُذْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ^(٢٠٣٣) الْمُحَدِّثُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ^(٢٠٣٤) ، وَنِهَائِيَاتِ الْأَقْطَارِ^(٢٠٣٥) ، وَتَأْتِلِ^(٢٠٣٦) الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكِّنُ الْأَمَّاكِينَ . فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

ابتداع المخلوقين

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَرْزَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ^(٢٠٣٧) ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ أَمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ أَنْتِفَاعٌ . عَلِمَهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعَلِمَهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى .

إيضاح: «ساطح المهاد» اي باسط الأرض التي هي بمنزلة الفراش للخلق. و«الوهد» المكان المنخفض. و«النجاد» ما ارتفع من الأرض أي مجري السيول في

الوهاد، ومنبت العشب والنبات والأشجار في النجاد. قوله «انقضاء» أي في طرف الأبد، ويحتمل أن يكون المراد بالأولية العلية أي ليست له علة، وليس لوجوده في الأزل انقضاء، والأول أوفق بالفقتين الآتيتين لفاً ونشراً. و«شخص اللحظة» مذهب البصر بلا حركة جفن. و«كروور اللفظة» رجوعها. وقيل: «ازدلاف الربوة» صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع؛ وقيل: «ازدلاف الربوة» تقدّمها في النظر، فإنّ الربوة أول ما يقع في العين من الأرض عند مذهب البصر، من «الزلف» بمعنى القرب.

قوله — عليه السلام — «داج» أي مظلم. و«الفسق» محرّكة، ظلمة أول الليل، وقوله «ساج» أي ساكن، كما قال — تعالى —: «وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» ٦٥٥ أي سكن أهله، أو ركذ ظلامه من «سجى البحر سجواً» إذا سكنت أمواجه. قوله — عليه السلام — «بتفتاً» هذا من صفات الغسق ومن تنمّة نعته، ومعنى «بتفتاً عليه» يتقلّب ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدّر، وأخذه في النقص إلى المحاق، والضمير في «عليه» للغسق.

وقوله «وتعقّبه» أي تتعقّبه فخذف إحدى التائين، والضمير فيه للقمر. وقوله «من إقبال ليل» متعلّق بتقليب، والمعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أفوله، ويطلع عند أفوها. قوله — عليه السلام — «قبل كلّ غاية» أي هو — سبحانه — قبل كلّ غاية. قوله «عما ينحله» أي ينسبه إليه.

قوله — عليه السلام — «وتأثّل المساكن» يقال: «مجد مؤثّل» أي أصيل، و«بيت مؤثّل» أي معمور. و«أثّل» ملكه، عظّمه، و«تأثّل» عظم. و«تمكّن الأماكن» ثبوتها واستقرارها.

أقول: يحتمل أن يكون المعنى التأثّل في المساكن والتمكّن في الأماكن. قوله — عليه السلام — «ولا من أوائل أبدية» أقول: على هذه النسخة الأصول الأزلية هي الأوائل الأبدية، إذ ماثبت قدمه امتنع عدمه. قوله — عليه السلام — «فأقام حدّه» أي

أتقن حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهية من المقادير والأشكال والنهايات
والآجال. ٤٥٤

منها: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ^(٢٠٣٨)، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ^(٢٠٣٩)، فِي ظُلُمَاتِ
الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ «مِنْ سُلَالَةٍ»^(٢٠٤٠) مِنْ طِينٍ^(٢٠٤١)،
وَوُضِعْتَ «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^(٢٠٤٢)، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ^(٢٠٤٣)، وَأَجَلَ مَقْسُومٍ.
تَمُورُ^(٢٠٤٤) فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ^(٢٠٤٥) دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً؛
ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا.
فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَنَدِي أُمِّكَ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ
طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ! هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ دِي الْهَيْئَةِ
وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ
أَبْعَدُ!

توضيح: «السوي» العدل والوسط، و«رجل سوي» أي مستوي الحلقة غير
ناقص. و«أنشأ الخلق» ابتداء خلقهم، و«الرعاية» الحفظ، و«المرعي» من شمله حفظ
الراعي. و«مضاعفات الأستار» أي الأستار المضاعفة، والحجب بعضها فوق بعض.
«بدئت من سلالة...» إشارة إلى قوله — تعالى —: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ
طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^(٢٥٧). وقد مرّ وجوه التفسير فيه، وهي جارية ههنا.
و«المكين» المتمكن، وهو في الأصل صفة للمستقر، وصف به المحلّ البالغة، أو المراد

تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي: والمعنى: في مستقرّ حصين هي الرحم. «إلى قدر معلوم» أي مقدار معين من الزمان قدره الله للولادة. و«قسمه» — كضربه — و«قسمه» بالتشديد، أي جزّاه وفرقه، و«قسم أمره» أي قدره، و«الأجل المقسوم» المدة المقدّرة لحياة كلّ أحد، فالظرف متعلّق بمحذوف، أي منتهياً إلى أجل مقسوم؛ أو يقال: الوضع في الرحم غاية ابتداء الأجل أي مدة حياة الدنيا، ويحتمل أن يكون تأكيداً للمقدر المعلوم. و«مارالشيء» — كقال — تحرك، أو بسرعة واضطراب. و«الجنين» الولد في البطن لاستتاره من «جنّ» أي استتر، فإذا ولد فهو منفوس. و«المخاورة» الجواب ومراجعة النطق، ويقال: «كلمته فما أحرار إليّ جواباً» أي لم يجيني. و«دعوته دعاءً» ناديته وطلبت إقباله. «لم تشهدا» أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بها. و«الاجترار» الجذب. «مواضع طلبك» قيل: أي حلمة الثدي، واجمع باعتبار أن الطفل يمتصّ من غير ثدي أمّه أيضاً، أو عزّك عند الحاجة إلى كلّ شيء في الدار الدنيا مواضع طلبك. وفي بعض النسخ: «وحركك عند الحاجة» فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلات التي يحصل بها اجترار الغذاء. «هيات» أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالفه الذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة والمجانسة وليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه وغيره من ذوي الهيئة والأدوات، المجانس له في الذات والصفات، المتصف بمحدود المخلوقين. ٤٥٨

١٦٤ — ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَاكَ بَشِيرًا لَّمْ تَكُن لِّبَشِيرِنا غَافِلًا﴾

لما اجتمع الناس إليه وشكروا ما نعموه على عثمان
وسألوه مخاطبته لهم واستعابه لهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي^(٢٠١١) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَوَالَّهِ مَا

أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَغْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ . وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا . وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا صَحَبْنَا . وَمَا أَتَى أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنَ الْخَطَّابِ بِأَوَّلِي بِعَمَلٍ أَحَقُّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى أَبِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَيْبَةَ ^(٢٠١٥) رَحِمَ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ - وَاللَّهُ - مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ . وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ . وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدًى وَهْدًى ، فَاقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنِيرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ، ثُمَّ يَرْتَبِطُ ^(٢٠١٦) فِي قَعْرِهَا » . وَإِنِّي أَنَشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا . وَيَبْثُ الْفِتْنَ فِيهَا . فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنْ
الْبَاطِلِ ؛ يَمْوُجُونَ فِيهَا مَوْجًا . وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا^(٢٠٤٧) . فَلَا تَكُونَنَّ
لِمَرْوَانَ سَيْقَةً^(٢٠٤٨) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ وَتَقْضِي الْعُمُرِ .
فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤْجَلُونِي ، حَتَّى
أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا
أَجَلَ فِيهِ . وَمَا غَابَ فَاجْلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

توضيح: «الاستعتاب» طلب العتبي . وهو الرجوع و الرضا . قوله
— عليه السلام — «ما أعرف شيئاً تجهله» الغرض بيان وضوح قبائح أعماله بحيث يعرفه
الصبيان ، لا بيان وفور علمه . قوله — عليه السلام — «وأنت أقرب» الواو للحال ،
ويحتمل العطف . و«الوشيجة» تمييزه ، وهي عرق الشجرة . و«الواشجة» الرحم
المشبكة ، وقد وشجت بك قرابة فلان ، والاسم «الوشيج» ذكره الجوهري . قوله
— عليه السلام — «فإنه كان يقال» أي كان النبي يقول . وأبهم — عليه السلام —
لمصلحة . والمراد بالإمام إمام يدعو إلى النار . وقال الجوهري : «مرجت» فسدت
و«مرج» اختلط واضطرب ، ومنه المرح والمرج . و«السَيْقَةُ» بتشديد الياء المكسورة ، ما
استاقه العدو من الدواب . وفي القاموس : «جَلَّ يَجْلُ جَلَالَةً وَجَلَالًا» أسن . ٤٩٩

١٦٥ — حَلَقَةُ الطَّيُورِ

يذكر فيها عجيب خلقه الطائوس
خلق الطيور

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ . وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛

وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ . مَا
 أَنْفَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَنَعَقَتْ ^(٢٠٠٩) فِي أَسْمَاعِنَا
 دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ . وَمَا ذَرَأَ ^(٢٠٠٠) مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ الَّتِي
 أَسْكَنَهَا أَحَادِيدَ ^(٢٠٠١) الْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ^(٢٠٠٢) وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ^(٢٠٠٣) ،
 مِنْ ذَاتِ أَجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرِّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ،
 وَمُرْفَرَفَةٍ ^(٢٠٠٤) بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ ^(٢٠٠٥) الْمُنْفَسِحِ . وَالْفَضَاءِ
 الْمُنْفَرِجِ . كَوْنُهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ . وَرَكَّبَهَا
 فِي حِقَاقِ ^(٢٠٠٦) مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ^(٢٠٠٧) ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ ^(٢٠٠٨) خَلَقَهُ
 أَنْ يَسْمُو ^(٢٠٠٩) فِي الْهَوَاءِ خُفُوفًا ^(٢٠١٠) . وَجَعَلَهُ يَدِفُ دَفِيفًا ^(٢٠١١)
 وَنَسَقَهَا ^(٢٠١٢) عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِعِ ^(٢٠١٣) بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ . وَدَقِيقِ
 صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبٍ ^(٢٠١٤) لَوْ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ
 فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ ^(٢٠١٥) بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ .

الطاووس

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِفُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ . وَنَضَّدَ
 أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ^(٢٠١٦) . بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ^(٢٠١٧) . وَذَنَبٍ
 أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ ^(٢٠١٨) إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيٍّ . وَسَمَاهُ ^(٢٠١٩)
 مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ ^(٢٠٢٠) كَأَنَّهُ قَلْعٌ ^(٢٠٢١) دَارِي ^(٢٠٢٢) عَنَجُهُ نُوتِيَهُ ^(٢٠٢٣)

يَخْتَالُ^(٢٠٧١) بِاللَّوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ^(٢٠٧٥) . يُفْضِي^(٢٠٧٦) كَافِضَاءِ
الدَّبِيكَةِ ، وَيَتَوَرُّ بِمَلَاقِحِهِ^(٢٠٧٧) أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ^(٢٠٧٨) لِلضَّرَابِ^(٢٠٧٩) .
أَحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةِ^(٢٠٨٠) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ .
وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ^(٢٠٨١) ،
فَفَقِيفٌ فِي ضَفَّتَيْ^(٢٠٨٢) جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أَثْنَاهُ تَطْعَمُ^(٢٠٨٣) ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيِضُ
لَا مِنْ لِقَاحِ^(٢٠٨٤) فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ^(٢٠٨٥) ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ
بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ^(٢٠٨٦) ! تَخَالُ قَصْبَهُ^(٢٠٨٧) مَدَارِي^(٢٠٨٨) مِنْ
فِضَّةٍ ، وَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ^(٢٠٨٩) وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعُقْبَانِ^(٢٠٩٠)
وَفَلَذِ الزَّبَرْجَدِ^(٢٠٩١) . فَإِنْ شَبَّهْتُهُ بِمَا أَثْنَيْتَ الْأَرْضُ قُلْتَ : جَنَى^(٢٠٩٢)
جُنِي مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيٍّ
الْحَلَلِ^(٢٠٩٣) أَوْ كَمُونِقٍ عَصَبِ أَلَمَنِ^(٢٠٩٤) . وَإِنْ شَاكَلْتُهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ
كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، قَدْ نَطَقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ^(٢٠٩٥) . يَمْشِي مَشْيَ
الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ^(٢٠٩٦) ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيهِ ، فَيَقْهَقُهُ ضَاحِكًا
لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ^(٢٠٩٧) ، وَأَصَابِيعِ وَشَاحِهِ^(٢٠٩٨) ؛ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى
قَوَائِمِهِ زَقَا^(٢٠٩٩) مُغَوَّلًا^(٢١٠٠) بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ أَسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ
بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ^(٢١٠١) كَقَوَائِمِ الدَّبِيكَةِ الْخَلَاسِيَّةِ^(٢١٠٢) .
وَقَدْ نَجَمَتْ^(٢١٠٣) مِنْ ظُنُوبِ^(٢١٠٤) سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ^(٢١٠٥) خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي

مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةً^(٢١٠٦) خَضْرَاءُ مُوْشَاةٌ^(٢١٠٧). وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ ،
وَمَغْرَزُهَا^(٢١٠٨) إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسْمَةِ^(٢١٠٩) الْيَمَانِيَّةِ ، أَوْ
كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِنْ آةِ ذَاتِ صِقَالٍ^(٢١١٠) ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِعِجْجِ أَسْحَمٍ^(٢١١١) ؛
إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكثَرَةِ مَائِهِ ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ ، أَنَّ الْخَضِرَةَ النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةً
بِهِ . وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطُّ كُمُسْتَدَقٍ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحُوَانِ^(٢١١٢) ،
أَبْيَضُ يَفْقُ^(٢١١٣) ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادٍ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ^(٢١١٤) . وَقَلٌّ
صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ^(٢١١٥) ، وَعَلَاهُ^(٢١١٦) بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ،
وَبَصِيبِصٍ^(٢١١٧) دِبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ^(٢١١٨) ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمُبْشُوثَةِ^(٢١١٩) ، لَمْ
تُرْبَهَا^(٢١٢٠) أَمْطَارُ رَّبِيعٍ ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ^(٢١٢١) . وَقَدْ يَنْحَسِرُ^(٢١٢٢)
مِنْ رِيَشِهِ ، وَيَغْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى^(٢١٢٣) ، وَيَنْبُتُ تَبَاعًا ،
فَيَنْحَتُ^(٢١٢٤) مِنْ قَصْبِهِ أَنْحِنَاتَ أَوْراقِ الْأَغْصَانِ ، ثُمَّ يَتَلَاْحَقُ نَامِيًا
حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ
لَوْْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكَ حُمْرَةً
وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَخْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٢١٢٥)
فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ^(٢١٢٦) الْفُطْنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ فَرَائِحُ
الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَضْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ !

وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ !

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ^(٢١٢٧) الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ^(٢١٢٨) لِلْعُيُونِ ،
فَأَذَرَكْنَهُ مَخْذُوداً مُكَوَّنًا ، وَمُؤَلَّفًا مَلُونًا ؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ
صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ !

سفار المخلوقات

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ^(٢١٢٩) الذَّرَّةِ^(٢١٣٠) وَالْهَمَجَةَ^(٢١٣١) إِلَى مَا
فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيْثَانِ وَالْفَيْلَةِ ! وَوَأَى^(٢١٣٢) عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ
شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ^(٢١٣٣) مَوْعِدَهُ ، وَالْفَنَاءَ
غَايَتَهُ .

توضيح: «الطاووس» على فاعول وتصغيره طويس، و«طوست المرأة» أي
تزينت. و«الحيوان» بالتحريك. جنس الحي ويكون بمعنى الحياة. و«الموات»
— كسحاب — ما لا روح فيه. وأرض لم تحي بعد. والتي لا مالك لها ولا ساكن
كالأرض والجبال وذي حركات كالماء والدار. أي المتحرك بطبعه، أو الأعم، ولا يضرب
التداخل. و«اللطيف» الدقيق. و«ما» مفعول «أقاد» والضمير عائد إلى ما في «به» و
«له» راجع إلى الله. ويحتمل أن يعود إلى «ما». و«نعتت» أي صاحت والغرض
الاشعار بوضوح الدلائل. والضمير في دلالة راجع إلى الله أو إلى «ما». و«ماذراً» أي
خلق، وقيل: «الذرة» مختص بخلق الذرية. و«الأخاديد» جمع «أخدود» بالضم، وهو
الشق في الأرض؛ والظير الذي يسكن الأخدود كالقطا. و«الفجاج» بالكسر، جمع
«فَج» بالفتح، وهو الطريق الواسع بين جبلين. والقبح يسكن الفجاج. و«الأعلام»
الجبال. و«رواسيها» ثوانها، والعقبان والصقور ونحوهما تسكن الجبال الراسية.
و«التصريف» التقلب والتحويل من حال إلى حال. و«مصرقة» منصوبة على الحالية
وفي بعض النسخ مجرور على أنه صفة لذوات أجنحة. وكذلك «مرفقة». و«زقه»

شدّه، و«الزمام» — ككتاب — مايزم به، و«زمام البعير» خطامه، و«زمام التسخير» القدرة الكاملة.

و«رُفِرَ الطائر بجناحيه» إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و«مخارق الجو» أمكنتها التي تخرق الهواء فتدخلها. و«المنفسخ» الواسع، و«الفضاء» بالفتح، المكان الواسع. و«الحقاق» بالكسر، جمع «حُق» بالضمّ، وهو مجمع المفصلين من الأعضاء. و«احتجاب المفاصل» استتارها باللحم والجلد ونحوهما. و«عبل الشيء — بالضمّ — عبالة» بالفتح فيها مثل ضخم ضخامة وزناً ومعنى. «أن يسمو» أي يعلو في السماء أي في جهة العلو؛ وفي بعض النسخ: في الهواء. و«الخفوق» بالضمّ، سرعة الحركة. و«دفّ الطائر» — كمَدّ — حرّك جناحيه لطيرانه ومعناه ضرب بها دقّه وهما جناحاه، قيل: وذلك إذا أسرع مشياً ورجلاه على وجه الأرض ثم يستقلّ طيراناً، و«دُفِفَ الطائر» طيرانه فوق الأرض، يقال: «عقاب دفوف»، و«دَقَّت الحمامة» — كفرت — إذا سارت سيراً لئناً، كذا في المصباح. ويظهر من كلام بعضهم أنّ الفعل كمَدّ فيها، و«يدفّ» فيما عندنا من النسخ بكسر العين. و«نسقتها» أي رتبها، يقال: «نسقت الدرّ» — كنصرت — أي نظمتها، و«نسقت الكلام» أي عطفت بعضه على بعض. و«الاصباغ» جمع «أصباغ» بالفتح جمع «صبغ» بالكسر، وهو اللون، أي جعل كلاً منها على لون خاصّ على وفق الحكمة البالغة. و«غمسه في الماء» — كضربه — دخله، و«الاغتماس» الارتماس. شبه الطير بالثوب الذي دقّه الصبّاغ إذا أراد صبغه. و«القالب» بالفتح كما في النسخ، قالب الخفّ وغيره كالحاتم والطابع وبالكسر، البسر الأحمر؛ وفي القاموس: «القالب» البسر الأحمر، وكالمثال يفرغ فيه الجواهر، وفتح لأمه أكثر، و«شاة قالب لون» على غير لون أمّها؛ وفي حديث شعيب وموسى — عليهما السلام —: «لك من غنمي ماجاءت به قالب لون». تفسيره في الحديث أنّها جاءت على غير ألوان أمّاتها كأنّ لونها قد انقلب؛ ومنه حديث عليّ — عليه السلام — في صفة الطيور: «فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ماغمس فيه». ٦٦٠ انتهى.

والأظهر أنّ الغمس في قالب اللون عبارة عن إحاطة اللون الواحد بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصوغة بالصبّ فيه من نحاس ونحوه. وعلى الكسر، يمكن أن يكون المراد بقالب اللون الذي يقلّب اللون إلى لون آخر. و«لون صبغ» في بعض النسخ بجرّ «لون» مضافاً إلى «صبغ» على الإضافة البيانية، وفي بعضها بالجرّ منوئاً و«صبغ» على صيغة الماضي المجهول، أي صبغ ذلك المغموس. و«الطوق» حلّي للعنق وكلّ ما استدار بشيء، وهذا النوع كالفواخت ونحوها. و«التعديل» التسوية، ومنه تعديل القسمة، والمراد إعطاء كلّ شيء منه في الخلق ما يستحقّه وخلقه خالياً من نقص و«نضد متاعه» — كنصر — و«نضده» بالتشديد، أي جعل بعضه فوق بعض، أي رتب ألوانه. «بجناح أشرج قصبه» أي ركّب بعضها في بعض كما يشرح العيبة أي يداخل بين أشراجها وهي عراها.

و«سجبه» — كمنعه — جرّه على وجه الأرض، و«سحبت المرأة ذيلها» إذا درج أي مشى. و«طوى الصحيفة» — كرمى — ضدّ نشرها. و«سما» — كدعا — أي ارتفع، و«سمابه» أي أعلاه ورفعته. و«أطلّ عليه» أي أشرف. و«القلع» بالكسر، الشراع، و«الداري» منسوب إلى دارين وهو موضع في البحر كان يؤتى منه الطبيب من الهند وهو الآن خراب لاعمارة به ولا سكنى وفيه آثار قديمة، والنسبة إليه لأنّه كان مرسى^{٦٦١} السفن في زمانه — عليه السلام — و«عنجه» — كنصره — أي عطفه، وقيل: هو أن يجذب الراكب خطام البعير فيرده على رجله.

وفي النهاية: «النوتي» الملاح: الذي يدبّر السفينة في البحر، و«قدنات ينوت نوتا» إذا تمايل من النعاس، كأنّ النوتي يميل السفينة من جانب إلى جانب.^{٦٦٢} انتهى. ولطف التشبيه واضح.

و«اختال» أي تكبر وأعجب بنفسه. و«يميس» أي يتبختر. و«زاف يزيف زيفاناً» أي تبختر في مشيه. و«يفضي» أي يسفد، ويقال: «أفضى المرأة» أي جامعها

٦٦١- «المرسى» محلّ وقوف السفن.

٦٦٢- النهاية، ج ٤، ص ١٩١. وفيه: في حديث عليّ — عليه السلام —: «كأنّه قطع داريّ عنجه نوتيّه»، ثم ذكر التفسير.

أو خلاها، و«الديكة» — كقردة — جمع «ديك» بالكسر؛ وفي بعض النسخ وفي نهاية ابن الأثير: «كإفشاء الديكة». و«يأَر — كيَمَد — أَرَأَ» بالفتح، أي يجامع، و«ألقح الفحل الناقة» أي أحبلها، و«الملاقحة» مفاعلة منه؛ وفي بعض النسخ: «بملاقحة» على صيغة الجمع مضافا إلى الضمير، أي بآلات تناسله وأعضائه. و«الفحل» الذكر من كل حيوان، و«غلم» — كعلم — أي اشتد شبقه، و«اغتمل البعير» إذا هاج من شدة شهوة الضراب.

وقوله — عليه السلام — «أَرَّ الفحول المغتلمة» ليس في بعض النسخ. و«الاحالة» من الحوالة. «على ضعيف إسناده» أي إسناده الضعيف؛ وفي بعض النسخ: «على ضعف» بصيغة المصدر مبالغة. ويقال: «سفحت الدم» — كمنعت — أي أرفقته، و«[سفحت] الدمع» أي أرسلته؛ وفي بعض النسخ: «تنشجها» — كضرب —، يقال: «نشج القدر والزرق» أي غلى مافيه حتى سمع له صوت، ولعل الأول أوضح، فإنَّ الفعل ليس متعدياً بنفسه على ما في كتب اللغة. و«ضفقتا جفونه» جانباهما، وكذلك ضفقتا النهر والوادي. و«تطعم» على صيغة التفعّل بخذف إحدى التائين. و«بجس الماء تبجيساً» فجره فتبجس وانجس ويوجد الكلمة في النسخ بها أي الدمع المنفجر.

قال بعض شارحين: زعم قوم أنَّ اللقاح في الطاووس بالدمعة وأمير المؤمنين — عليه السلام — لم يحل ذلك، ولكنه قال: ليس بأعجب من مطاعمة الغراب. والعرب تزعم أنَّ الغراب لايسفد، ومن أمثالهم: «أخفى من سفاد الغراب» فيزعمون أنَّ اللقاح من المطاعمة وانتقال جزء من الماء الذي في قانصة الذكر إلى الأنثى من منقاره. وأما الحكماء فقلَّ أن يصدقوا بذلك على أنهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا، قال ابن سينا: والقبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته: قال: والتوءم المستمى مالاقياً^{٦٦٣} تتلاصق بأفواهها ثم تتشابهك فذلك سفادها، ولا يخفى أنَّ المثل المذكور لايدلُّ على أنَّ الغراب لايسفد، بل الظاهر منه خلافه إلا أن يكون مراد القائل

أيضاً ذلك. وأما كلامه — عليه السلام — فالظاهر منه أنَّ الطاووس لقاحه بالسفاد لقوله — عليه السلام — «يؤرّ بملاقحة» ولتعبيره عن القول الآخر بالزعم، وأنَّ الغراب لقاحه بالمطاعمة.

وفي القاموس: الحمام إذا أدخل فيه في فم أثناه فقد تطاعما وطاعما. و«خال الشيء» — كخاف — أي ظنه، و«خاله يخيله» لغة فيه، وتقول في المضارع للمتكلم: «إخال» بكسر الهمزة على غير قياس وهو أكثر استعمالاً وبنو أسد يفتحون على القياس. و«المدارى» بالذال المهملة على ما في أكثر النسخ، جمع «مدرى» بكسر الميم. قال ابن الأثير: «المدرى والمدرة» شيء من حديد^{٦٦٤} أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد ويستعمله من لامشط له.^{٦٦٥}

وكان في نسخة ابن ميثم بالذال المعجمة، قال: وهي خشبة ذات أطراف كأصابع الكف ينقى به الطعام. و«الدارة» هالة القمر وما أحاط بالشيء كالدائرة. و«العُقيان» بالضمّ، الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت منه نباتا. و«الفلذ» — كعنب — جمع «فلذة» بالكسر، وهي القطعة من الذهب والفضّة وغيرهما، و«فلذت له من الشيء» — كضربت — أي قطعت، و«الزبرجد» جوهر معروف، قيل: ويسمّيه الناس البلخش، وقيل: هو الزمرد. و«جنيت الثمرة والزهرة واجتنيتهما» بمعنى و«الجنّي» فعيل منه وفي بعض النسخ: «جنى» — كحصى — وهو ما يجنى من الشجر مادام غصّاً بمعنى فعيل، ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النسخ. و«زهر البنات» بالفتح، نوره، والواحدة «زهرة» كتمر وتمرّة، قالوا: ولا يسمّى زهراً حتّى تفتح. والمضاهاة والمشاكلة والمشابهة بمعنى، واستعمال فاعل بمعنى فاعل بالتشديد كثير لاسيما في كلامه — عليه السلام —. و«اللباس واللبس» بالكسر فيها و«الملبس» واحد.

و«الوشى» نقش الثوب من كلّ لون، و«الموشى» — كمرميّ — المنقش. و«الحلل» — كصرد — جمع «حلّة» بالضمّ، وهي إزار ورداء من برد أو غيره فلا تكون

٦٦٤- في المصدر: شيء يعمل.

٦٦٥- النهاية، ج ٢، ص ٢٣.

حَلَّةٌ إِلَّا مِنْ ثَوْبَيْنِ أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بَطَانَةٌ. و«شيء أنيق» أي حسن معجب، و«المونق» مفعول منه قلبت الهمزة واوًا. و«العصب» بالفتح، ضرب من البرود. و«الحلي» بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء، جمع «حلي» بالفتح والتخفيف، وهو ما يزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة. و«الفصوص» جمع «فص» كفلس وفلوس؛ قال ابن السكيت: كسر الفاء ردي. وقال الفيروزآبادي الفص للخاتم، مثلثة والكسر غير لحن. و«نظقت باللجين» أي جعلت الفضة كالنطاق لها وهو ككتاب شبه إزار فيه تكة تلبسه المرأة، وقيل: شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها بحبل وترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجز على الأرض^{٦٦٦}، و«كلل فلانا» ألبسه الأكليل وهو بالكسر، التاج، وشبه عصاة زين بالجواهر، وقال بعض الشارحين: شبه — عليه السلام — بالفصوص المختلفة الألوان المنطقه في الفضة أي المرصعة في صفائح الفضة، و«المكلل» الذي جعل كالأكليل. وحاصل الكلام أنه — عليه السلام — شبه قصب ريشه بصفائح من فضة رصعت بالفصوص المختلفة الألوان، فهي كالأكليل بذلك الترصيع والأظهر أن المكلل وصف للجين. و«مرح» — كفرح — وزناً ومعنى فهو «مرح» ككتف؛ وقيل: «المرح» أشد من الفرح^{٦٦٧}، وقيل: هو النشاط. و«تصفحت الكتاب» أي قلبت صفحاته. و«قة» — كفر — أي ضحك، وقال في ضحكه: قه بالسكون فاذا كرر قيل: «فهقه فهقه» مثل دحرج دحرجة. و«الجمال» الحسن في الخلق والخلق. و«السربال» بالكسر، القميص أو كل ما لبس. و«الوشاح» — ككتاب — شيء ينسج من أديم ويرصع شبه قلادة تلبسه النساء. و«زقا يزقو» أي صاح. و«أعول» أي رفع صوته بالبكاء والصياح. و«استغاث» طلب العون والنصر. و«توجع» أي تفجع أو تشكو لأن قوائمه حمش أي دقاق، يقال: رجل أحمش الساقين. و«الخلاسية» بالكسر، هي التي بين الدجاجة الهندية والفارسية، والولدين أبوين أبيض وسوداء وأسود وبضياء، ذكره في العين. و«نجم النبات وغيره — كقعد — نجوما» أي ظهر وطلع.

٦٦٦- في المخطوطة: يجر على الأرض.

٦٦٧- في المخطوطة: أشد الفرح.

و«الظنبوب» بالضم، حرف العظم اليابس من قدم الساق، ذكره الجوهري. وفي القاموس: حرف الساق من قدم أو عظمه أو حرف عظمه. و«الصيصية» في الأصل، شوكة الحائك التي بها يسوي السداة واللحمة، قال الجوهري: ومنه صيصية الديك التي في رجله. و«العرف» بالضم، شعر عنق الفرس وغيره. و«القتزعة» بضم القاف والزاي، ما ارتفع من الشعر، وقيل: الخصلة من الشعر يترك على رأس الصبي. و«موشاة» أي منقشة.

و«المخرج» اسم مكان، أي محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الابريق، ويشعر بأنّ عنقه كعنق الابريق، أو مصدر، أي خروج عنقه كخروج عنق الابريق، فلاشعار أقوى. و«الابريق» فارسيّ معرّب. ٦٦٨ و«غرزته» — كضربت — أي أثبتته في الأرض، و«مغرزاها» مبتداء خبره «كصبغ الوسمة» و«بطنه» مبتداء خبر محذوف، أي مغرزاها إلى حيث بطنه موجوداً وممتداً ومنتهى إليه كصبغ... إلى آخره؛ و«حيث» تضاف إلى الجملة غالباً وهو في المعنى مضافة إلى المصدر الذي تضمنته الجملة، قالوا: «حيث» وإن كانت مضافة إلى الجملة في الظاهر، لكن لما كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كلا إضافة، ولذا بنيت على الضم كالفائات على الأعرف. فقال الرضي — رضي الله عنه — حذف خبر المبتداء الذي بعد «حيث» غير قليل.

و«الوسمة» بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون وأنكر الأزهرّي السكون وبالسكون كما في بعض النسخ وجوّزه بعضهم، نبت يختضب بورقة، وقيل: هو ورق النيل. و«الصقال» — ككتاب — اسم من «صقله» — كنصر — أي جلّاه، فهو مصقول وصقيل. و«اللفاع» — ككتاب — الملحفة أو الكساء أو كلّ ما تتلفّع به المرأة، و«تلفّع الرجل بالثوب» إذا اشتمل به وتغطّى؛ وفي بعض النسخ: «متقنق» و«المقنع والمقنعة» بالكسر فهما، ماتقنق به المرأة، و«القناع» — ككتاب — أوسع منها. و«المعجر» — كمنبر — ثوب أصغر من الرداء تلبسه المرأة؛ وقال المطرزي: ثوب كالعصابة تلفّه المرأة على استدارة رأسها. و«السحم» بالتحريك

و«السحمة» بالضم، السواد، و«الأسحم» الأسود. و«خيل له كذا» بالبناء للمفعول من الخيال بمعنى الوهم والظن أي لبس عليه؛ وفي بعض النسخ «يخيل» على صيغة المعلوم فالفاعل ضمير الطاووس. و«البريق» اللمعان.

«واستدق» أي صار دقيقاً وهو ضد الغليظ، و«المستدق» على صيغة اسم الفاعل وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، قال ابن الأثير: «استدق الدنيا» أي احتقرها واستصغرها، وهو استفعل من الشيء الدقيق الصغير، والمشبّه على الأول القلم، وعلى الثاني المرقوم؛ ويمكن أن تكون الإضافة على الأول لأدنى ملابسة فإن الرقم الدقيق له نسبة إلى القلم. و«الأفحوان» بالضم، البابونج. و«أبيض يقق» بالتحريك، أي شديد البياض. و«ائتلق وتألّق» أي التمع. و«علافان فلاناً» أي غلبه وارتفع عليه. و«بصّ» - كفر - أي برق ولمع. و«الديباج» ثوب سداه ولحمته أبريسم وقيل: هو معرب ثم كثر حتى اشتقت العرب منه فقالوا: «دبج الغيث الأرض دبجا» إذا سقاها فأثبت أزهاراً مختلفة لأنه اسم للمنقش. و«رونق الشيء» ماؤه وحسنه، أي أخذ من كلّ لون نصيباً وزاد على اللون بالبريق واللمعان. و«الزهرة» بالفتح وبالتحريك، النبات ونوره والجمع «أزهار» وجمع الجمع «أزاهر»^{٦٦٩}.

و«البثّ» النشر والتفريق. و«ربّ فلان الأمر» أي أصلحه وقام بتدبيره، و«ربّ الدهن» أي طيبه. و«القيظ» فصل الصيف وشدة الحر، ولعلّ الجمع في الأمطار باعتبار الدفعات وفي الشمس بتعدد الاشراف في الأيام أو باعتبار أنّ الشمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة لاختلاف التأثير في نضج الثمار وتربية النبات باختلاف الحر والبرد وغير ذلك. و«تحسّر البعير» على صيغة التفعّل، أي سقط من الإعياء؛ وفي بعض النسخ: «تنحسر» على صيغة الانفعال، تقول: «حسره - كضربه ونصره - فانحسر» أي كشفه فأنكشف. و«العري» بالضم، خلاف اللبس والفعل كرضي. و«تتري» فيه لغتان تتون ولا تتون مثل علقى فن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف التأنيث وهو أوجد، وأصلها «وتري» من الوتر وهو الفرد، قال الله - تعالى - : «ثمّ

أَزْسَلْنَا زُسْلَنَا تَتْرَى»^{٦٧٠} أي واحداً بعد واحد، ومن نَوْنَهَا جعل ألفها ملحقة، ذكره الجوهري. وقال بعض شارحي النهج: «تتري» أي شيئاً بعد شيء وبينها فترة، وهذا مما يغلط فيه قوم فيعتقدون أَنَّ «تتري» للمواصلة والالتصاق. و«ينبت تباعاً» أي لافترات بينهما، وكذلك حال الريش الساقط. و«التباع» بالكسر، الولاء. و«انحنت ورق الشجر» أي سقطت.

وقوله — عليه السلام — «سالف ألوانه» في بعض النسخ: «سائر ألوانه» قال الجوهري: «سائر الناس» أي جميعهم، وفي المصباح: قال الأزهرى: اتفق أهل اللغة أَنَّ سائر الشيء باقية قليلاً كان أو كثيراً، ولعل المراد عدم مخالفة لون الريش النابت للباقي من السوالف، أو المراد عدم التخالف بين الأرياش النابتة، وما في الأصل أوضح. و«الورد — بالفتح — من كل شجرة» نورها، وغلب على الورد الأحمر. و«التارة» الحين والزمان. و«العسجد» — كجعفر — الذهب. و«العمق» بالضم وبالفتح، قعر البئر ونحوها. و«الفطن» — كعنب — جمع «فطنة» بالكسر، وهى الخدق والعلم بوجوه الأمور، و«عمائق الفطن» الأذهان الثاقبة. و«القرمحة» أول ما يستنبط من البئر ومنه قولهم: «لفلان قرمحة جيدة» يراد استنباط العلم بجودة الطبع، و«اقرحت الشيء» أي ابتدعته من غير سبق مثال. والواو في قوله — عليه السلام — «وأقل» للحال، ولأريب أَنَّ الشعرة أقلّ الأجزاء التي بها قوام الحيوان والمراد بعجز الأوهام العجز عن وصف علل هذه الألوان واختلافها واختصاص كل بموضعه وسائر ما أشار — عليه السلام — إليه، أو العجز عن إدراك جزئيات الأوصاف المذكورة وتشريح الهيئات الظاهرة والخصوصيات الخفية في خلق ذلك الحيوان كما هو المناسب لما بعده. و«بهرة» — كمنعه — أي غلبه. و«جلاه» بالتشديد والتخفيف على اختلاف النسخ، أي كشفه. و«التكوين» الاحداث والايجاد. و«قعدبها» أي أقعدها وأعجزها، والغرض الدلالة على عجز العقول عن إدراك ذاتها — سبحانه — فإنها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الصفات المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه — سبحانه —

ووصفه أخرى، وكذلك الألسن في تلخيص صفته وتأدية نعته.

و«دمج الشيء — كنصر — دموجاً» دخل في الشيء واستحكم فيه وأدجمه غيره. و«الذرة» واحدة الذر وهي صغار النمل. و«الهمجة» واحدة الهمج كذلك وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحرر وأعينها. و«الحيتان» جمع «حوت». و«الأفيلة» جمع «فيل» والمعروف بين أهل اللغة «فيلة» — كعنية — كما في بعض النسخ، وأفيال وفيول. وقال ابن السكيت: ولا تقل: «أفيلة» و«أى» أي وعد. و«اضطرب» أي تحرك. و«الشيخ» الشخص. و«أولج» أي أدخل. و«الحمام» — ككتاب — قضاء الموت وقدره. ٤٧١

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفْتَ نَفْسَكَ (٢١٣١)
عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا ، وَزَخَارِفِ
مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ (٢١٣٥) غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا
فِي كُثْبَانٍ (٢١٣٦) الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَغْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ
الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا (٢١٣٧) ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي
غُلْفِ أَكْمَامِهَا (٢١٣٨) ، تُجْنَى (٢١٣٩) مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْبَةِ
مُجْتَنِبِهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ (٢١٤٠) ،
وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتِمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ
الْقَرَارِ ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ

إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُونِقَةِ^(٢١١)، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَلْتِ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا. جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف رضي الله عنه : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَوْرُ بِمَلَاقِحِهِ »، الْأَرُ : كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ ، يُقَالُ : أَرَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَوْرَهَا ، إِذَا نَكَحَهَا . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَأَنَّهُ قَلَعُ دَارِي عِنَجَهُ نُؤْيَهُ » الْقَلْعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ ، وَدَارِي : مَنْسُوبٌ إِلَى دَارَيْنَ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطَّيِّبُ . وَعِنَجَهُ : أَيُّ عَطْفِهِ . يُقَالُ : عِنَجْتُ النَّاقَةَ - كَنَصَرْتُ - أَعْنَجُهَا عَدَجًا إِذَا عَطَفْتُهَا . وَالنُّوْيُ : الْمَلَا حُ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ضَفَتِي جُفُونِهِ أَرَادَ جَانِبِي جُفُونِهِ . وَالضَّفَتَانِ : الْجَانِبَانِ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَفَلَدَ الرَّبْرَجِدَ » الْفَلْدُ : جَمْعُ فَلْدَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كِبَائِسُ اللَّوْلُو الرُّطْبِ » الْكِبَايَسَةُ : الْعِذْقُ^(٢١٢) وَالْعَسَالِيحُ : الْغُصُونُ ، وَاحِدُهَا عَسْلُوجٌ .

بيان: «لعزت» أي زهدت. و «الزخرف» الذهب و كل ممّوه.
و«الاصطفاق» الاضطراب؛ ويروى: «اصطفاف أشجار» أي انتظامها صفًا.
و«الكبائس» جمع «كباسة» وهي العذق التام بشمارخه ورطبه. و«العساليح» الأغصان، وكذا الأفنان. قوله — عليه السلام — «فتأتي علي منية مجتنيها» أي لا يترك له منية أصلاً. وقال الفيروزآبادي: «التصفيق» تحويل الشراب من إناء إلى إناء مزوجاً ليصفوه؛ وقال: «الرواق» الصافي من الماء وغيره والمعجب. ويقال: «زهقت نفسه» أي مات.
٦٧٢

١٦٦ - مِنْ خُطْبَةِ أَبِي عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الحديث على التاليف

لَيْتَ أَصْغَرُكُمْ^(٢١٤٣) صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ ، وَلَيْتَ أَكْبَرُكُمْ بِصَغِيرُكُمْ ؛
وَلَا تَكُونُوا كَحُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ
يَعْقِلُونَ ؛ كَقَبِضِ^(٢١٤٤) بَيْضٍ فِي أَدَاخٍ^(٢١٤٥) يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا ،
وَيُخْرِجُ حِصَانَهَا شَرًّا .

بنو أمية

ومنها : أَفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ
بِغَضَنِ أَيْنَمَا مَالَ مَالٌ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي
أُمَيَّةَ ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ^(٢١٤٦) ! يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ
يَجْمَعُهُمْ رُكَّامًا كَرَّكَامٍ^(٢١٤٧) السَّحَابِ ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا . يَسِيلُونَ
مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسَلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ
عَلَيْهِ أَكْمَةٌ^(٢١٤٨) ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌّ طَوْدٌ ، وَلَا حِدَابٌ أَرْضٍ .
يُذْعَدُّهُمْ^(٢١٤٩) اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَّتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ بِنَايِيعٍ فِي الْأَرْضِ ،
يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَإِنَّمَا
اللَّهُ ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمَكِينِ ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ

عَلَى النَّارِ .

الناس آخر الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ . لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَضْرِ الْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ
الْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مِنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوِ مِنْ قَوِيَّ عَلَيْكُمْ .
لَكِنَّكُمْ تَهِنْتُمْ مَتَاهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي ، لَيُضَعَفَنَّ لَكُمْ التَّيْبَةُ مِنْ
بَعْدِي أَضْعَافًا^(٢١٠٠) بِمَا خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمْ الْأَذْنَ ،
وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ أَتَبَعْتُمْ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَكَ بِكُمْ
مِنْهَا جَ الرَّسُولِ ، وَكُفَيْتُمْ مَوْوَنَةَ الْإِعْسَافِ ، وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ^(٢١٠١)
عَنِ الْأَعْنَاقِ .

إيضاح: تأسى الصغير بالكبير لأنه أكثر تجربة وأحزم. وقال الكيدري: أي
ليتأس من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيها، وليرحم كل من له جاه ومنزلة
في الدنيا بالمال والقوة كل من دونه. و«القبض» بالفتح، قشرة البيض العليا اليابسة،
وقيل: التي خرج مافيها من فرخ أو ماء؛ وفي بعض النسخ: «كبيض هيص» أي كسر.
و«الأداحي» جمع «الأدحي» بالضم وقد يكسر، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة
وتفرخ، وهو أفعول من «دحوت»، لأنها تدحو برجلها، أي تبسطه، ثم تبيض فيه.
وليس للنعامة عش. وقال ابن أبي الحديد: وجه الشبه أنه إن كسرها كاسرائم لأنه يظنه
بيض القطا، وإن لم يكسر يخرج حضنها شراً إذ يخرج أفعي قاتلاً. واستعار لفظ
الأداحي للأعشاش مجازاً لأن الأداحي لا تكون إلا للنعامة.

قال ابن ميثم: نهاهم — عليه السلام — أن يشبهوا جفأة الجاهلية في عدم تفقههم
في الدين فيشبهون إذن بيض الأفاعي في أعشاشها، ووجه الشبه أنه إن كسرها كاسرائم

لتأذي الحيوان به: فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية لا يخلل أذاهم حرمة الإسلام، وإن أُمِّموا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين. و«الحضان» بالكسر، مصدر «حضن الطائر بيضه» إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعلية.

قوله — عليه السلام — «افترقوا» يذكر حال أصحابه وشيعته. وقال ابن أبي الحديد: «الآخذ بالفصن» من تمسك بعده — عليه السلام — بذرية الرسول — صلى الله عليه وآله — وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون كذلك. ثم ذكر — عليه السلام — أن الفريقين، يجتمعان لشر يوم. و«القرع» جمع «قرعة» وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، و«الركام» ما كثف من السحاب. و«مستثارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم. و«الجتان» هما اللتان ذكرهما الله في القرآن في قصة أهل سبأ. و«القارة» الجبل الصغير. و«الأكمة» الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. و«سننه» طريقه. و«طود مرصوص» أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. و«الحداب» جمع «حدبة» وهي الروابي والنجاد. و«الذعذعة» التفريق، ولعله كناية عن إخفائهم بين الناس في البلاد ثم إظهارهم بالإعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول — صلى الله عليه وآله — وهو إشارة إلى ظهور بني عباس وانقراض بني أمية.

وقوله — عليه السلام — «وإيم الله ليدوبن ما في أيديهم» يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أمية أو بني العباس. و«تاه في الأرض» ذهب متحيراً، و«المتاه» مصبر. والمراد بالأدنى نفسه — عليه السلام —، وبالأبعد من تقدم عليه. والداعي هو — عليه السلام — أو القائم — عليه السلام —. و«الاعتساف» سلوك غير الطريق. و«فدحه الدين» أثقله. والمراد بالثقل الفادح الإثم والعذاب في الآخرة، أو الأعم.^{٤٧٣}

١٦٧ - (مِنْ هَٰذَا مَا عَلَّمَ اللَّهُ الْقَوْمَ)

في أوائل خلافته

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَخُذُوا
نَهَجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِقُوا^(٢١٥٢) عَنْ سَمَتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا .

أَلْفَرَائِضَ أَلْفَرَائِضَ ! أَدُوهَا إِلَى اللَّهِ تُودَّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَذْخُولٍ^(٢١٥٣) . وَفَضَّلَ حُرْمَةَ
الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَعَاقِدِهَا^(٢١٥٤) ، « فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » إِلَّا
بِالْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ^(٢١٥٥) ، فَإِنَّ النَّاسَ
أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا
يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ . فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنْ الْبِقَاعِ
وَالْبَهَائِمِ . أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ،
وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

بيان: «النهج» بالفتح، الطريق الواضح. و«صدف عنه» — كمنع — أي أعرض. و«السمت» الطريق. و«القصد» استقامة الطريق، يقال: «قصد فلان» — كضرب — إذا رشد. و«الفرائض» مكرراً نصب على الإغراء. و«الحرم» جمع «حرمة»، وهو اسم من الاحترام. «وشد الحقوق بالاخلاص والتوحيد» ربطه بها. هو الله — تعالى — أوجب على المخلصين الموحدين المحافظة عليها، وجعلها مكتملاً فيها. و«معاقدها» مواضعها. و«مايجب» أي مايلزم ويثبت وهو كالتأكيد لقوله «إلا بالحق» والمراد بالمبادرة إلى الموت الرضابه والتهبولة والاستعداد لما بعده؛ والموت وإن كان يعم كل حيوان إلا أن له مع كل أحد خصوصية وكيفية مخالفة لحاله مع غيره. والتقوى في العباد، اتباع أمر الله في المعاملات والأمر الدائرة بين الناس وفي البلاد، القيام بحق المقام والعمل في كل مكان بما أمر به. والسؤال عن البقاع: لم أخربتم هذه؟ ولم عمرتم هذه؟ ولم لم تعبدوا الله فيها؟ وعن البهائم لم أجعتموها؟ أو أوجعتموها، ولم لم تقوموا بشأنها ورعاية حقها؟^{٦٧٤}

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «واصدفوا» أي أعرضوا عن طريقه. و«القصد» العدل. ونصب الفرائض على الإغراء. قوله — عليه السلام — «وشد بالإخلاص» أي ربط الحقوق بها فأوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين. قوله — عليه السلام — «وخاصة أحدكم» قال ابن أبي الحديد: الموت وإن كان عاماً لكل حيوان إلا أن له مع كل حيوان خصوصية وكيفية مخالفة مع غيره. «فإن الناس أمامكم» أي سبقوكم إلى الموت. وفي بعض النسخ: «البأس» بالباء الموحدة مع الهمزة، أي الفتنة. «تحدوكم» أي تسوقوكم، و«الحداء» سوق الإبل والغناء لها. «تحققوا» أي بالقناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها. وارتكاب المآثم، فإن المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه وبالنجاة. «إنما ينتظر» أي للبعث والنشور.^{٦٧٥}

٦٧٤- بخار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٢٩٠.

٦٧٥- بخار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٩، ط كمپاني و ص ٣٧٣، ط تبريز.

١٦٨ — وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعدهما بوبع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت
قوماً ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ
وَأَلْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ^(٢١٥٦) عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ^(٢١٥٧) . يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ !
وَمَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ . وَالتَّقَتِ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ ،
وَهُمْ خِلَالَكُمْ^(٢١٥٨) يَسُومُونَكُمْ^(٢١٥٩) مَا شَاءُوا ؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقَدْرَةٍ
عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ ! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
مَادَّةً^(٢١٦٠) . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ
تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ ،
فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا . وَتُؤْخَذَ الْحَقُوقُ
مُسْمَحَةً^(٢١٦١) ؛ فَاهْدُوا عَنِّي . وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي . وَلَا تَفْعَلُوا
فَعْلَةً تُضْعِفُ^(٢١٦٢) قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مِنْهُ^(٢١٦٣) . وَتُورِثُ وَهْنًا^(٢١٦٤) . وَذِلَّةً .
وَسَأْمُكُمْ^(٢١٦٥) الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكِي .

إيضاح : «لوعاقبت» جزاء الشرط محذوف، أي لكان حسناً ونحوه. و«أجلبوا
عليه» تجتمعوا وثاروا. قوله — عليه السلام — : «على حدِّ شوكتهم» أي لم ينكسر
سورتهم، و«الحدة» منتهى الشيء، ومن كلِّ شيء حدته، ومنك بأسك. و«الشوكة»
شدة البأس، والحدة في السلاح. وروي أنه — عليه السلام — جمع الناس ووعظهم، ثم
قال: لتقم قتل عثمان. فقام الناس بأسرهم إلا قليلاً. وكان ذلك الفعل منه

— عليه السلام — استشهداً على قوله. و«العبدان» جمع عبد. و«التفت» أي انضمت واختلطت. «وهم خِلالكم» أي بينكم. «يسومونكم» أي يكلفونكم. قوله — عليه السلام — «إن هذا الأمر» أي أمر المجلبين عليه كما قال ابن ميثم: إن قتلهم لعثمان كان عن تعصب وحمية لاطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له. ويمكن أن يكون المراد: إن ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهلية نشأ عن تعصبكم وحميتكم وأغراضكم الباطلة، وفيه إثارة للفتنة وتهيج للشّر، والأول أنسب بسياق الكلام إذ ظاهر أن إيراد تلك الوجوه للمصلحة وإسكات الخصم وعدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان.

قوله — عليه السلام — «مسمحة» أي منقادة بسهولة. ويقال: «ضعضه» أي هدمه حتى الأرض. و«المثة» بالضم، القوة. قوله — عليه السلام — «فآخر الداء الكي» كذا في أكثر النسخ المصححة، ولعلّ المعنى: بعد الداء الكي إذا اشتدّ الداء، ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكي، وينتهي أمره إليه.

وقال ابن أبي الحديد: «آخر الداء الكي» مثل مشهور، ويقال: آخر الطب، ويغلط فيه العامة فتقول: «آخر الداء الكي»^{٦٧٦}. ثم قال: ليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن فإذا لم أجد بداً عاقبتهم، ولكنه كلام قاله — عليه السلام — أول مسير طلحة والزبير إلى البصرة، فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر — عليه السلام — بما ذكر ثم قال: سأمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين واقع براسلتهم وتخويفهم فإذا لم أجد بداً فآخر الداء الحرب.^{٦٧٧}

أقول: ويحتمل أن يكون ذلك تورية منه — عليه السلام — ليفهم المخاطبين المعنى الأول ومراده المعنى الثاني.^{٦٧٨}

٦٧٦- شرح النهج لابن أبي الحديد. ج ٩، ص ٢٩٢، ط بيروت.

٦٧٧- شرح النهج لابن أبي الحديد. ج ٩، ص ٢٩٤، ط بيروت.

٦٧٨- بخار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٧، ط كمپاني وص ٣٥٥، ط تبريز.

١٦٩ - ﴿قَدْ هَدانا﴾

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

الأمور الجامعة للمسلمين

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَانِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ^(٢١٦٦) . وَإِنَّ الْمُتَبَدَّعَاتِ^(٢١٦٧) الْمُشْبَهَاتِ^(٢١٦٨) هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ^(٢١٦٩) وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرُزَ^(٢١٧٠) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ .

التنكير من خصومه

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَوْا^(٢١٧١) عَلَى سَخَطَةٍ^(٢١٧٢) إِمَارَتِي ، وَسَاصَبِرُ مَا لَمْ أَخْفَ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ : فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّوْا عَلَى فَيَالَةٍ^(٢١٧٣) هَذَا الرَّأْيِ أَنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا^(٢١٧٤) اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَذْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشُ^(٢١٧٥) لِسُنَّتِهِ .

بيان: «وأمر قائم» أي باق حكمه غير منسوخ، وقيل: أي مستقيم ليس بذي

عوج. «لا يهلك عنه» أي معرضاً وعادلاً عنه «إلا هالك» أي من بلغ الغاية في الهلاك. و«المشبهات» بالفتح، أي التي أشبهت السنن وليست منها، أو بالكسر، أي تشبه الأمر على الناس. وقوله — عليه السلام — «إلا ما حفظ الله» استثناء من بعض متعلقات المهلكات، أي إنها مهلكة في جميع الأحوال إلا حال حفظ الله بالعصمة عن ارتكابها، أو كلٍّ أحدٍ إلا من حفظه الله، ف «ما» بمعنى «من». قوله — عليه السلام — «لأنَّ في سلطان الله» أو دين الله، أو حجة الله، أو الإمام أي في طاعته.

قوله — عليه السلام — «غير ملومة» أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق والرياء، وفي بعض النسخ على التفعيل للمبالغة، ويروى: «غير ملوية» أي غير معوجة، من «لويت العود» إذا عطفته. قوله — عليه السلام — «حتَّى يَأْرَزَ» أي ينقبض وينضَمَّ ويجتمع. «إِنَّ هَؤُلَاءِ» أي طلحة والزبير وعائشة. «قد تماَلَوْا» أي تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا. و«الفيالة» الضعف، أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين. و«الفيء» الرجوع. قوله — عليه السلام — «فأرادوا ردَّ الأمور» أي أرادوا انتزاع الأمر منه — عليه السلام — كما انتزع أولاً. و«النعش» الرفع. والضميران في «حقه وستته» راجعان إلى الرسول. ٦٧٩

١٧٠ — وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة

كَلَّمَ بِهِ بَعْضُ الْعَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِمَا قَرَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةُ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لَتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نَفُوسِهِمْ ، فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرَةٍ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَايِعْ ، فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ ، وَلَا أُحْدِثُ حَدَثًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ ،

فَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ
وَالْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتُ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ
وَالْمَاءِ . فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : فَاْمُدُّ إِذَا يَدُكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنَعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

وَالرَّجُلُ يُعْرِفُ بِكُلْتَيْبِ الْجَرَمِيِّ .

بيان: «المجادب» محال الجذب. ٦٨٠

١٧١ - وَمِنْ عِلَلِ الْإِسْلَامِ

لما عزم على لقاء القوم بصفين
الدعاء.

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ^(٢١٧٦) ، وَالْجَوْ الْمَكْفُوفِ^(٢١٧٧) ، الَّذِي
جَعَلْتَهُ مَغِيضاً^(٢١٧٨) لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُخْتَلِفاً
لِلنَّجُومِ السَّيَّارَةِ ؛ وَجَعَلْتَ سَكَّانَهُ سَبِيطاً^(٢١٧٩) مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأُمُونَ
مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْإِنَامِ ، وَمَذَرَجاً
لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يَرَى وَمَا لَا يَرَى ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ
الرَّوَاسِيِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً^(٢١٨٠) ، إِنَّ

أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَنَّبَنَا أَلْبَغْيَ وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا
فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذَّمَارِ^(٢١٨١) ، وَالْغَائِرُ^(٢١٨٢) عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ^(٢١٨٣) مِنْ
أَهْلِ الْحِفَاطِ^(٢١٨٤) ! أَلْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

بيان: «السقف المرفوع» السماء. و«الجوّ» الهواء وما بين السماء والأرض،
و«كفه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وفسر بعضهم الجوّ المكفوف بالساء أيضاً
والظاهر أنّ المراد به هنا الهواء بين الساء والأرض فإنّه مكفوف بالساء، وقد ورد في
الدعاء: «وسدّ الهواء بالساء». و«غاض الماء يغيض غيضاً» نصب وقلّ، وكون السماء
مغيضاً لليل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنّها فيها تغيب، وأمّا الجوّ المكفوف فإنّ فسر
بالساء فظاهر أيضاً، وإنّ فسر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه ويرى بحسب الحسّ
كذلك، وقيل: المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنّه مكفوف بها، ويمكن حمله
على البعد الموجود أو الموهوم الذي هو مكان الفلك، وكفّها تحديدها وضبطها
بالسماوات، ويمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجوّ لا تصالهما بعدّها شيئاً
واحداً، فإنّ المجموع محلّ لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السيّارة. وقال
ابن ميثم: المراد بالجوّ الساء، وكونه مغيضاً لليل والنهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة
لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل وعن وجهها لغيبوبة النهار،
فكان كالمغيض لهما، وقيل: «جعلته مغيضاً» أي غيضة لهما، وهي في الأصل الأجمة كما
يجتمع فيها الماء فتستوى غيضة وينبت فيها الشجر، كأنّه جعل الفلك كالغيضة والليل
والنهار كالشجر النابت فيها. وقال الكيدريّ في شرحه: «المغيض» الموضع الذي يغيض
فيه الماء أي ينضب ويقلّ، وجعل الساء والفلك مغيضاً لليل والنهار مجازاً أي ينقص
الله الليل مرّة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر، وذلك بحسب جريان الشمس. وقال

«الجوّ المكفوف» كأنّه أراد الهواء المحدود الذي ينتهي حدّه إلى السماء، والجوّ ما بين السماء والأرض كأنّه كفّ أي منع من تجاوز حدّيه. وقال أبو عمرو: الجوّ ما اتّسع من الأودية، وكلّ مستدير فهو «كفّة» بالكسر، كأنّه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير، لأنّه داخل الفلك الكرويّ الشكل، أو أراد بالجوّ الفلك العريض الواسع بالمكفوف ما كان عليه كفّه من المجرة والنّيرات فيكون من كفّة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبزيّ عن الخلل والفتور من قولهم «عيبه مكفوف» أي مشرّجة مشدودة.^{٦٨١} انتهى.

و«الاختلاف» التردّد، وحمله على اختلاف الفصول بعيد. و«السيط» بالكسر، الأمة والقبيلة. «لايسأمون» أي لا يملّون. «قراراً» أي محلّ استقرار. و«درج» — كقعد — أي مشى. و«الهوام» الحشرات. وقال ابن ميثم: قال بعض العلماء: «من أراد أن يعرف حقيقة قوله — عليه السلام — «مما يرى ومما لا يرى» فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره. وأقول: يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك والجنّ. و«الاعتماد» الاتكاء والانتكال، إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم.^{٦٨٢}

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الجوّ» ما بين السماء والأرض والهواء. و«غاض الماء غيضاً» نضب وقلّ، والمراد هنا بالسقف المرفوع السماء، وبالجوّ المكفوف السماء أيضاً، من «كفّه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، أو الهواء لكونه مضموماً بالسماء محفوظاً عن الانتشار كما ورد في الدعاء: «وسدّ الهواء بالسماء» لكن يأبى عنه وصفه بكونه مجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيّارة، وكونه مغيضاً لليل والنهار، لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيوبة الليل، وعن وجهها لغيوبة النهار، فكان

٦٨١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٢٨، ط بيروت.

٦٨٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٨، كتاب السماء والعالم، ص ٩٤ - ٩٥.

كالغبيض لهما؛ وقيل: «الغبيض» الغيضة وهي في الأصل الأجمة ويجتمع إليها الماء فيسمى غيضة ومغيضاً وينبت فيها الشجر، وكذلك الليل والنهار يتولدان من جريان الفلك فكان كالغبيضة لهما. و«الاختلاف» التردد.

قوله — عليه السلام — «سبطاً» أي قبيلة. قوله — عليه السلام — «قارواً» أي موضع استقرارهم. و«مدرجاً» أي موضع سيرها وحركاتها. و«الهوام» الحشرات. قوله — عليه السلام — «وللخلق اعتماداً» لأنهم يجعلونها مساكن لهم ويستغنون عن بناء جدار مثلاً، ولأنها من أمهات العيون ومنابع المياه، وفيها المعادن والأشجار والثمار والأعشاب، فهي معتمد للخلق في مرافقهم ومنافعهم. و«ذمار الرجل» كل شيء يلزمه الدفع عنه، وإن ضيعه لزمه الذم أي اللوم. و«الحقائق» الأمور الشديدة. «العاروراء كم» أي يسوقكم إلى الحرب ويمنعكم من الحرب؛ وفي بعض النسخ: «النار» بهذا الوجه، أولاًنً الهارب مصيره إليها. ٤٨٣

١٧٢ — ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ﴾

حمد الله

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي^(٢١٨٥) عَنْهُ سَمَاءُ سَمَاءٍ ، وَلَا أَرْضُ أَرْضاً .

يوم الغرور

منها : وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي^(٢١٨٦)

دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَعْتُهُ^(٢١٨٧) بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ^(٢١٨٨) كَأَنَّهُ
بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

الاستنصار علو قريش

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ،
وَصَغَرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي . ثُمَّ قَالُوا :
أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى،
والذي قال له: «إناك على هذا الأمر لحريص» هو سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه:
«أنت متي بمنزلة هارون من موسى». وهذا عجيب؛ وقد رواه الناس كافة. وقالت
الإمامية: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجراح».^{٦٨٤}

و«قرعته بالحجة» صدمته بها. قوله — عليه السلام — «بهت» في بعض النسخ:
«هب» أي استيقظ. وقال الجوهري: «العدوى» طلبك إلى وال ليعديك على من
ظلمك، أي ينتقم منه، يقال: «استعديت على فلان الأمير فأعداني» استعنت به
فأعانني عليه. «فإنهم قطعوا رحمي» لأنهم لم يراعوا قربه — عليه السلام — من رسول الله
— صلى الله عليه وآله — أو منهم أو الأعم.

«ألا إن في الحق أن نأخذه» بالنون، «وفي الحق أن تتركه» بالتاء، أي إنهم لم
يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن دعوى كونه حقاً لهم، ولكنهم أخذوه مع دعوهم
أن الحق لهم، وإنه يجب عليّ أن أترك المنازعة، فليتهم أخذوا معترفين بأنه حق لي
فكانت المصيبة أهون؛ وروي بالنون فيها، فالمنعنى: إننا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ
الترك دونك؛ وفي بعض النسخ فيها بالتاء، أي يعترفون أن الحق لي، ثم يدعون أن

الغاصب أيضاً على الحق، أو يقولون: لك الاختيار في الأخذ والترك. وكذا في الرواية الأخرى قرئ بالنون وبالتاء. وقال القطب الراوندي: إنها في خط الرضي أيضاً بالتاء أي إن وليت كانت ولايتك حقاً، وإن ولي غيرك كانت حقاً على مذهب أهل الاجتهاد. ٦٨٥

منها في ذكر اصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا تَجَرُّ
الْأَمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبُصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي
بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ^(٢١٨٩) رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -
لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا ، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ الطَّاعَةَ ،
وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخَزَانِ^(٢١٩٠)
بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا^(٢١٩١) ،
وَطَائِفَةً غَدْرًا . فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا
مُعْتَمِدِينَ^(٢١٩٢) لِقَتْلِهِ ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ
كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ . دَغَ مَا
أَنْهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ !

بيان: «الحرمة» ما يحرم انتهاكه، والمراد بها هنا الزوجة كالحبيس والضمير في «حبسا» راجع إلى طلحة والزبير. قوله — عليه السلام — «صبراً» أي بعد الأسر. «غدرًا» أي بعد الأمان. قوله — عليه السلام — «جره» أي جذبه، أو من الجريرة؛

قال في القاموس: «الجرّ» الجذب، و«الجريرة» الذنب جرّ على نفسه وغيره جريرة يجرّها — بالضّمّ والفتح — جرّاً. قال ابن ميثم: فإن قلت: المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله — عليه السلام — لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر، فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟ قلت: أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال: يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً كمن يعتقد إباحة الزنا وشرب الخمر. وأجاب الراوندي — رحمه الله — بأنّ جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله — تعالى —: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا — الآية». ^{٦٨٦} وهؤلاء قد حاربوا رسول الله — صلى الله عليه وآله — لقوله: «يا عليّ حربك حربي»، وسعوا في الأرض بالفساد. ^{٦٨٧}

واعترض المجيب الأوّل عليه فقال: الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر، والتعليل بعموم الآية لا ينفعه.

وأقول: الجواب الثاني أسدّ، والأوّل ضعيف، لأنّ القتل وإن وجب على من اعتقد إباحة ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع مافعولوه من القتل والخروج بالتأويل وإن كان معلوم الفساد، فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء إباحة مافعولوه.

وأما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضاً لأنّ له أن يقول: إنّ قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم، والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض، وكان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة لله ولرسوله — صلى الله عليه وآله — وسعيّاً في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية. انتهى ملخص كلامه.

ويمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأنّ هؤلاء كانوا مدّعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غير مكرهين كما ذكره

— عليه السلام —، مع أنَّ الاحتمال كافٍ له، فتأمل.

ويمكن الجواب عن أصل السؤال بأنَّ التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقاً بل بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاصَّ أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام — عليه السلام — بالخروج عليه، وربما يشعر بذلك قوله — عليه السلام — «الحلَّ لي قتل ذلك الجيش»، ويمكن حل كلام الراوندي على ذلك. وأمّا ما ذكره أخيراً من جواز قتل الراضي بالقتل فإنَّ أراد الحكم كلياً فلا يخفى إشكاله، وإنَّ أراد في هذه المادَّة الخاصَّة فصحيح. ويرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراوندي — رحمه الله — بأنَّ الإشكال إنَّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لافي استحلال القتل، ولو قدر في كلامه — عليه السلام —، كأن يقول: المراد إذ حضروه مستحلين فلم ينكروا، لأمكن للراوندي أن يقول: إذ حضروه محاربين. ولو أجاب بأنَّ الحضور مع عدم الإنكار هو الاستحلال فبطلانه ظاهر، مع أنَّ للراوندي — رحمه الله — أن يقول: الحضور في جيش قد قتل بعضهم أجباً من أتباع الإمام — عليه السلام — من حيث إنَّه من شيعته مع عدم الإنكار والدفع محاربة لله ولرسوله — صلى الله عليه وآله —، ولأريب أنَّه كذلك. ٤٨٨

١٧٣ — خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة
وفي هو ان الدنيا

ورسول الله

أَمِينٌ وَخِيَّةٍ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ .

الجدير بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغِبَ (٢١٩٣) شَاغِبٌ أَسْتَعْتَبَ (٢١٩٤) ، فَإِنْ أَبِي قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي ، لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا أَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ (٢١٩٥) ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ ، فَاْمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غَيْرًا (٢١٩٦) .

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنُّونَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرْتَكُمْ شَرُّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ،

وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا ؛ وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دَعَيْتُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا ؛ وَلَا يَخِئْنَ أَحَدُكُمْ خَيَيْنَ^(٢١٧) الْأُمَّةِ عَلَى مَا
زُي^(٢١٨) عَنْهُ مِنْهَا ، وَاسْتَمْتُمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ
شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ
تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا
وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ !

إيضاح: قوله — عليه السلام — «بهذا الأمر» أي الخلافة. «أقواهم عليه» أي
أحسنهم سياسة وأشجعهم. ويدل على عدم جواز إمامة المفضول لاسيما مع قوله
— عليه السلام — «فإن شغب — الخ » . و«الشغب» بالتسكين، تهيج الشر، والمراد
بالاستعتاب طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قوله — عليه السلام — «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح
بصحة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة، ويبطل قول الإمامية من
دعوى النص، وأنه لا طريق إلى الإمامة سوى النص. انتهى. ٦٨٩

وفيه نظر، أما أولاً، فلأنه إنما احتج عليهم بالإجماع إلزاماً لهم لاتفاقهم على
العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه — عليه السلام — بالنص لعلمه
— عليه السلام — بعدم التفاتهم إليه، كيف وقد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب
العهد بالرسول — صلى الله عليه وآله — وسماعهم منه.

وأما ثانياً، فلأنه — عليه السلام — لم يتعرض للنص نفيًا وإثباتاً، فكيف يكون
مبطلاً لما ادّعاه الإمامية من النص؟ والعجب أنه جعل هذا تصريحاً بكون الاختيار

طريقاً إلى الإمامة؛ ونفي الدلالة في قوله — عليه السلام — «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ» على نفي إمامة المفضول مع قوله — عليه السلام — «فَإِنْ أَبِي قَتْلَ» مع أنه لم يصرح بأن الإمامة تنعقد بالاختيار بل قال: إنها لا تتوقف على حضور عامة الناس، ولا ريب في ذلك. نعم، يدلّ بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه — عليه السلام —، ولا يخفى على من تتبّع سيره — عليه السلام — إنه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم والقده فيها صريحاً في الجامع، فلذا عبّر بكلام موهّم لذلك. وقوله — عليه السلام — «وَأَهْلُهَا يَحْكُمُونَ» وإن كان موهماً له أيضاً لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقّاء بالإمامة. ولا يخفى على المتأمل أنّ مامهده — عليه السلام — أولاً بقوله «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَقْوَاهُمْ» يشعر بأنّ عدم صحة رجوع الشاهد واختيار الغائب إنّما هو في صورة الاتفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمل.

قوله — عليه السلام — «رَجُلًا أَدْعَى» كمن ادّعى الخلافة، و «آخِرَ مَنْعٍ» كمن لا يطيع الإمام، أو يمنع حقوق الله و«خَيْرَ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ» عاقبة كلّ شيء آخره، والتقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا، أو عاقبتها خير العواقب.

قوله — عليه السلام — «هَذَا الْعِلْمُ» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأول المعنى: أنّه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه؛ وعلى الثاني إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به، ويحتمل على بُعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق.

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشافعي: لو لا عليّ — عليه السلام — لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله — عليه السلام — «فَإِنْ لَنَا» قال ابن ميثم: أي إنّ لنا مع كلّ أمر تنكرونه تغييراً، أي قوّة على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعله حتّى تسألوا عن فائدته فإنّه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم

بوجهه. وقال ابن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه بل
أغترّ كلما ينكره المسلمون، ويقتضى الحال والشرع تغييره. انتهى.

ويمكن أن يكون المعنى: إن لنا مع كل أمر تنكرونه تغييراً، أي ما يغير إنكاركم
ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة والأعتم منها، ومن السيوف القاطعة إن لم ينفعكم
البراهين. وفي ذكر أغصاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعى حقهم كما
قال — عليه السلام —: «رغبتك في زاهد فيك ذل نفس». وغرور الدنيا بتزيين
الزخارف لأهلها وإغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبة ونحو
ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنة. قوله — عليه السلام — «ولا يَحْتَنُّ أحدكم»،
«الحنين» بالخاء المعجمة، ضرب من البكاء دون الانتخاب، وأصله خروج الصوت من
الأنف كالحنين من الفم. ويروى بالمهملة أيضاً. وضافته إلى الأمة لأن الإمام كثيراً
ما يبكين ويسمع الحنين منه، والحرّة تأنف من البكاء والحنين. و«زواه عنه» صرفه
وقبضه؛ وفي بعض النسخ: «ما زوى عنه» أي عن أحدكم، ولعله أظهر. و«الصبر على
الطاعة» حبس النفس عليها. كقوله — تعالى —: «وَاضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ»^{٦٩٠}، أو عدم الجزع من شدتها، أو من البلايا إطاعة لله، وعلى أي حال هو الشكر
الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. و«من» في قوله «من كتابه» بيان لـ «ما». و«القائمة» واحدة «قوائم» الدواب، و«قائمة السيف» مبقضه. ولعل المراد بقائمة الدين
أصوله وما يقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية فإن الدين بمنزلة القائمة لأموال
الدنيا والآخرة.^{٦٩١}

٦٩٠- الكهف: ٢٨.

٦٩١- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧٢١، ط كهباني وص ٦٦٨، ط تبريز.

١٧٤ - ﴿وَمَا أَهْدَدُ﴾

في معنى طلحة بن عبيد الله

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ؛ وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللَّهِ مَا اسْتَعَجَلَ مُتَجَرِّدًا^(٢١٩٩) لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ . لَأَنَّهُ مَظْنَتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ . فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبَسَ الْأَمْرُ^(٢٢٠٠) وَيَقَعَ الشَّكُّ . وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَيْنُ كَانَ أَبْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا - كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَارَرَ^(٢٢٠١) قَاتِلِيهِ ، وَأَنْ يُنَابَذَ^(٢٢٠٢) نَاصِرِيهِ . وَلَيْنُ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِّهِينَ^(٢٢٠٣) عَنْهُ ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ^(٢٢٠٤) . وَلَيْنُ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصَلَتَيْنِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَرِلَهُ وَيَرْكُدَ^(٢٢٠٥) جَانِبًا ، وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ . وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

بيان: قوله «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» ههنا تامة والواو للحال، أي خلقت ووجدت بهذه الصفة ويجوز أن يكون الواو زائدة و«كان» ناقصة وخبرها «ما أهدد». و«تخرد في الأرض» أي جد فيه، ذكره الجوهري. وقال في النهاية في

حديث عليّ — عليه السلام — : أراد أن يغالط بما أجلب فيه، يقال: «أجلبوا عليه» إذا تجمّعوا وتآلبوا، و«أجلبه» أي أعانه و«أجلب عليه» إذا صاحبه واستحثّه. وقال الجوهري: «لبست عليه الأمر ألبس» خلطت. وقال: «أعذر» أي صار ذاعذر. وفي النهاية: «فما نهى شيئا دون العرش» أي مامنها وكفّها عن الوصول إليه. و«الركود» السكوت والثبات. ٦٩٢

١٧٥ — وَمِنْ حَقَائِدِ الْإِسْلَامِ

في الموعدة وبيان قرباه من رسول الله

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُذَ مِنْهُمْ . مَا لِي أَرَأَيْتُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ^(٢٢٠٦) أَرَاخَ بِهَا^(٢٢٠٧) سَائِمٌ^(٢٢٠٨) إِلَى مَرْعَى وَبِي^(٢٢٠٩) ، وَمَشْرَبٍ دَوِي^(٢٢١٠) ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى^(٢٢١١) لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ! إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا^(٢٢١٢) ، وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا . وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ^(٢٢١٣) وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي بَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ^(٢٢١٤) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا ، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَالَ هَذَا

الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي ، وَاللَّهِ ، مَا أَحْتُكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ،
وَلَا أَنْهَأُكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتْنَاهِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

بيان: «أيُّها الغافلون» الظاهر أن الخطاب لعامة المكلفين، أي الذين غفلوا عما يرادهم ومنهم. «(غير المغفول عنهم)» فإن أعمالهم محفوظة مكتوبة. و«التاركون» أي لما أمروا به. «(المأخوذ منهم)» بانتقاص أعمارهم وقواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم. و«الذهاب عن الله» التوجه إلى غيره والإعراض عن جنبه. و«النعيم» بالتحريك، جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. «(أراح بهاسام)» شبههم بالنعم التي تتبع نعمة أخرى سائمة أي راعية. وإنا قال ذلك لأنها إذا اتبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسميها راعيتها. وما يظهر من كلام ابن ميثم من أن السائم بمعنى الراعي ففيه مالا يخفى.

و«المرعى الوبي» ذوالوباء والمرض، وأصله الهمز. و«الدوي» ذوالداء، والأصل في الدوي «دوى» بالتخفيف ولكنه شدد للازدواج. قال الجوهري: «رجل دو» بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء. و«المدى» بالضم، جمع «مدية» وهي السكين. قوله — عليه السلام — «تحسب يومها» أي تظن أن ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنه دهرها. و«شبعها أمرها» أي تظن انحصار شأنها وأمرها في الشيع. قوله — عليه السلام — «والله لو شئت أن أخبر» قال ابن أبي الحديد: هذا كقول المسيح — عليه السلام —: «وَأَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُخُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»^{٦٩٣}. قال — عليه السلام —: «إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْغُلُوفَ فِي أَمْرِي وَأَنْ تَفْضُلُونِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — بَلْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوا فِي الْإِلَهِيَّةِ كَمَا ادَّعَتِ النَّصَارَى ذَلِكَ فِي الْمَسِيحِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِالْأُمُورِ الْغَائِبَةِ. وَمَعَ كُتْمَانِهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَقَدْ كَفَرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَادَّعَوْا

فيه النبوة وأنه شريك الرسول في الرسالة وأنه هو الرسول، ولكنّ الملك غلط وأنه هو الذي بعث محمداً — صلى الله عليه وآله —، وإذ عوافيه الحلول والاتحاد. ٦٩٤ ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه — عليه السلام — في إظهار شأنه وجلالته. و«المهلك» بفتح اللام وكسرهما، يحتمل المصدر واسم الزمان والمكان؛ والمراد بالهلاك إما الموت والقتل، أو الضلال والشقاء، وكذلك النجاة. والمراد بالأمر الخلافة أو الدين وملك الإسلام وماله انتهاؤه بظهور القائم — عليه السلام — وما يكون في آخر الزمان. و«أفرغه» صبه، كفرغه. ٦٩٥

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

قال ابن أبي الحديد ٦٩٦ في قوله «إني أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله — صلى الله عليه وآله —» أي أخاف عليكم الغلو في أمري وأن تفضلوني على رسول الله — صلى الله عليه وآله —. ثم قال: وقد ذكرنا فيما تقدّم من إخباره — عليه السلام — عن الغيوب طرفاً صالحاً؛ ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم وهو يشير إلى القرامطة «ينتحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقل، آية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا»؛ وصح ما أخبره — عليه السلام — لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب — عليه السلام — خلقاً كثيرة، وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني، ومزّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري وبالحائر فلم يعرج على واحد منها ولا دخل ولا وقف، وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة «كأني بالحجر الأسود منصوباً ههنا، ويحهم إنّ فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه وأُسّته، يمكث ههنا برهة ثم ههنا برهة — وأشار إلى البحرين — ثم يعود إلى مأواه وأمّ مئواه»؛ ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به — عليه السلام —.

٦٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٢-١٣، ط بيروت.

٦٩٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٤، ط كمپاني و ص ٦٦١، ط تبريز.

٦٩٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٣-١٥، ط بيروت.

وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب إليه وما لا يجوز أن ينسب إليه، ووجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، وهذه المواضع التي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة، بل من كلام له وجدته متفرقاً في كتب مختلفة.

ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخضب على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعتها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه»، فقال له: فكف في رأسي طاقة شعر؟

فقال له: أما والله إنني لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرت بك به؟ وتقد أخبرت بقيامك ومقاتلك وقيل لي: إن على كل شعرة من شعرك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستنصرك^{٦٩٧} وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله — صلى الله عليه وآله — أو يحض على قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به — عليه السلام —: كان ابنه حصين — بالصاد المهملة — يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثمة عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرج عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين — عليه السلام —، ويتوعده على لسانه إن أرجى ذلك، فقتل [حسين — عليه السلام —] صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته.

ومن ذلك قوله — عليه السلام — للبراء بن عازب يوماً: يا براء! أيقول الحسين — عليه السلام — وأنت حي فلا تنصره؟

فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين، فلما قتل الحسين — عليه السلام — كان البراء يذكر ذلك ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه.

وسنذكر من هذا النمط فيما بعد إذا مررنا بما يقتضي ذكره ما يحضرنا إن شاء

الله. ٦٩٨

٦٩٧- في المصدر: يستفزك.

٦٩٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ١٩١.

١٧١ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ﴾

وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة
عظة للناس

أَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ، وَأَتَعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ^(٢٢١٥) ، وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ
لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ ، وَمَكَارِهِهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا
هَذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ : «إِنَّ
الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ» .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي سُكْرِهِ ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ
اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَزَعَ^(٢٢١٦) عَنْ شَهْوَتِهِ ،
وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعًا^(٢٢١٧) ، وَإِنَّهَا لَا
تَزَالُ تَنْزَعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى .

وَأَعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ
ظَنُونٌ^(٢٢١٨) عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا^(٢٢١٩) عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا . فَكُونُوا
كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوُّوْا^(٢٢٢٠) مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ
الرَّاحِلِ ، وَطَوَّوْهَا طَى الْمَنَازِلِ .

فضل القرآن

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشَى ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ^(٢٢٢١) ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ؛ فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ آدَوَائِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأَوَائِكُمْ ^(٢٢٢٢) ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ : وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ ، وَالْغِيُّ وَالضَّلَالُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعٌ ^(٢٢٢٣) فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلٌّ ^(٢٢٢٤) بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ » . فَكُونُوا مِنْ حَرْثِيهِ وَأَتْبَاعِهِ ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصَحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَانْتَهُمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَاسْتَغْشُوا ^(٢٢٢٥) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

الحث على العمل

الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النَّهَايَةَ النَّهَايَةَ ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ ! « إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ » ،

وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا^(٢٢٢٦) فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَآخِرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ^(٢٢٢٧) ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ^(٢٢٢٨) . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ ، وَحَجِيجٌ^(٢٢٢٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ .

نصائح للناس

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءُ الْمَاضِي قَدْ تَوَرَّدَ^(٢٢٣٠) ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ^(٢٢٣١) اللَّهُ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا لَا تَخَافُوا ، وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ، وَقَدْ قُلْتُمْ : « رَبُّنَا اللَّهُ » ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَا جِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمُرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعُ^(٢٢٣٢) الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفُهَا^(٢٢٣٣) ، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا ، وَلِيُخْزَنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ^(٢٢٣٤) ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جُمُوحٌ بِصَاحِبِهِ^(٢٢٣٥) . وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزَنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ إِذَا مِنْ وَرَاءَ قَلْبِهِ^(٢٢٣٦) ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءَ لِسَانِهِ : لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ . وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا

لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - :
 «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى
 يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» . فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ
 مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ ، فَلْيَفْعَلْ

تحريم البدع

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَ عَامًا أَوَّلَ ،
 وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ ؛ وَأَنَّ مَا أَخَذَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ
 شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ .
 فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا ^(٢٢٣٧) ، وَوَعِظْتُمْ بِحَمْلِ قَبْلِكُمْ ، وَضَرَبْتِ
 الْأَمْثَالَ لَكُمْ ، وَدُعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ ؛ فَلَا يَصْمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا
 أَصَمٌ ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى . وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ
 لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ ^(٢٢٣٨) ، حَتَّى يَعْرِفَ
 مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ . وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ ،
 وَمُتَّبِعُ بِدْعَةٍ ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيَاءُ
 حُجَّةٍ .

القرآن

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ «حَبْلُ اللَّهِ

الْمَتِينُ ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ : « يَا بَنَ آدَمَ ، أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ »^(٢٢٣٩)

انواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ^(٢٢٤٠) . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ أَلْبَادٍ بَعْضِهِمْ بَعْضًا . الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى^(٢٢٤١) وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ^(٢٢٤٢) ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ ، خَيْرٌ مِنْ فِرْقَةٍ^(٢٢٤٣) فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ . وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفِرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى ، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

بيان: «الهتات» جمع «هنة» وهو الشيء اليسير، ويمكن أن يكون المراد بها الصغائر فإنها مكفرة مع اجتناب الكبائر أو الأعم، فيكون قوله -عليه السلام-

«مغفور لا يطلب» أي أحياناً لادائماً، وعلى الأول لا يكون المقصود الحصر. و«المدى» بالضم، جمع «مدية» وهي السكين. ٤٩٩

لزوم للطاعة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

بيان: «لمن لزم بيته» أي لم يخرج منه لتبجج شر، وليس المراد ترك الخروج لطلب الرزق أو للعبادة كالجهاد، وعبادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وقضاء حوائج المؤمنين ونحوها، أو هو مختص ببعض أزمنة الفتن. «وأكل قوته» أي اكتفى بما قدر الله له من قوته ولم يطلب أكثر من ذلك ولم يشترك في قوت غيره. ٧٠٠

١٧٧ — وَمِنْ أَمْرِ الْمَرْءِ أَنْ يَتَّقِيَ النَّاسَ

في معنى الحكمين

فَنَاجِمَ رَأْيِي مَلِكُكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِعَا^(٢٢٤٤) عِنْدَ الْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَالْإِغْوَا جُ رَأْيَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ

٦٩٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٧١.

٧٠٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٣٥٠.

بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوَرَ حُكْمِهِمَا . وَالثَّقَّةُ فِي أَيْدِينَا
لِأَنْفُسِنَا ، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ
الْحُكْمِ .

إيضاح: قال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام — : «فأخذنا عليها أن
يجمعنا عند القرآن» أي يقيا عنده. يقال: «جمع القوم» إذا أناخوا بالجمعاء وهي
الأرض، و«الجمعاء» أيضاً الموضع الضيق الخشن. وقال في القاموس: «التبع»
محرّكة، التابع، يكون واحداً وجمعاً، ويجمع على «أتباع». قوله — عليه السلام — «والثقة
في أيدينا» أي إنا على برهان وثقة في أمورنا. قوله — عليه السلام — «بملا يعرف» أي
لا يصدق به»^{٧٠١}

١٧٨ — خطبة الإمام علي عليه السلام

في الشهادة والتقوى. وقيل: إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته

الله ورسوله

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ
لِسَانٌ ، وَلَا يَغْرُبُ^(٢٢٤٥) عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا
سَوَافِي الرِّيحِ^(٢٢٤٦) فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا^(٢٢٤٧) ، وَلَا
مَقِيلُ الذَّرِّ^(٢٢٤٨) فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ ، وَخَفِيِّ طَرْفِ
الْأَحْدَاقِ^(٢٢٤٩) .

بيان: «مقيل الذر» أي نومها، أو محل نومها. ٧٠٢

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ^(٢٢٥٠) ، وَلَا
مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ^(٢٢٥١) ، شَهَادَةٌ مِنْ
صَدَقَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ^(٢٢٥٢) وَخَلَصَ بِقِيْنِهِ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى^(٢٢٥٣) مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَمَدُ^(٢٢٥٤)
لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ ، وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ^(٢٢٥٥) كَرَامَاتِهِ^(٢٢٥٦) ، وَالْمُصْطَفَى
لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ ، وَالْمَوْضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهَدَى^(٢٢٥٧) ، وَالْمَجْلُوبُ بِهِ
غَرِيبُ^(٢٢٥٨) الْعَمَى .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِذَ إِلَيْهَا^(٢٢٥٩) ، وَلَا تَنْفَسُ^(٢٢٦٠)
بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَآيَمُ اللَّهِ ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ
فِي غَضٍّ^(٢٢٦١) نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ أَجْتَرَحُوهَا^(٢٢٦٢) ،
لَأنَّ اللَّهَ لَيْسَ «بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ ،
وَتَنْزُولُ عَنْهُمْ النِّعَمُ ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،
لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ
أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ^(٢٢٦٣) . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلَّتُمْ فِيهَا مِثْلَةً ،
كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ

لَسَعْدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ !

توضيح: «في غض نعمة» أي في نعمة غضة طرية ناضرة. و«الوله»
بالتحريك، الحزن والخوف. و«الشارد» النافر. ٧٠٣

بيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد. قوله — عليه السلام —
«غير معدول به» أي لا يعادل ويساوى به أحد، كما قال — تعالى —: «بِرَبِّهِمْ
يَغْدِلُونَ»^{٧٠٤}. و«الدخلة» بالضّم والكسر، باطن الأمر. و«المعتام» أي المختار؛ والتاء
تاء الاعتعال، ذكره في النهاية. و«العقائل» جمع «عقيلة» وهي كريمة كلّ شيء.
و«الأشرط» العلامات، جمع «شرط» بالتحريك. و«الغريب» بالكسر، الأسود
الشديد السواد، أي المكشوف به ظلم الضلال. ٧٠٥ و«أخلد إليه» مال. قوله
— عليه السلام — «ولا تنفس» أي لا ترغب إلى من يرغب إليها، بل ترميه بالنوائب.
قوله — عليه السلام — «من غلب عليها» أي من غلب عليها وأخذها قهراً فسوف تغلب
الدنيا عليه، أو المراد بمن غلب عليها من أراد الغلبة عليها. قوله — عليه السلام — «في
غض نعمة» أي في نعمة غضة طرية.

قوله — عليه السلام — «ليس بظلام» أي لو فعله الله بقوم لفعله بالجميع لأنّ
حكمه في الجميع واحد، فيكون ظلاماً، أو المعنى أنّ ذلك ظلم شديد. ويقال: «فرغت
إليه فأفرغني» أي استغثت إليه فأعاثني. و«الوله» الحزن والحيرة والخوف وذهاب
العقل حزناً. و«الشارد» النافر. قوله — عليه السلام — «في فترة»، «الفترة» الانكسار
والضعف، وما بين الرسولين؛ وكنتى — عليه السلام — بها هنا عن أمر الجاهلية، أي إنّي
لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصبات الباطلة والأهواء المختلفة كأحوال أهل
الجاهلية. قوله — عليه السلام — «ملتم فيها ميلة» إشارة إلى ميلهم عنه — عليه السلام —

٧٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٥٧.

٧٠٤- الأنعام: ١.

٧٠٥- في بعض النسخ: ظلم الظلام.

إلى الخلفاء الثلاثة، وقول ابن أبي الحديد «إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى يطله قوله — عليه السلام — «أمر» وغير ذلك.

قوله — عليه السلام — «ولئن ردّ عليكم» أي أحوالكم التي كانت أيام رسول الله — صلى الله عليه وآله — . قوله — عليه السلام — «ولو أشاء» أي لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحقّ ونبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت، لكنّي طويت عن ذكره وأعرضت عنه لعدم المصلحة فيه ولم أصرّح بكفركم وما يكون إليه مصير أمركم وما أكنتم وأخفيتم في ضمائركم لذلك . وقوله — عليه السلام — «عفا الله عما سلف» أي عفا عمن تاب وأناب ورجع، ويحتمل أن يكون من الدعاء الشائع في أواخر الخطب، كقوله — عليه السلام — «غفر الله لنا ولكم» وأمثاله؛ وهذه الأدعية مشروطة بشرائط؛ وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: لو أشاء أن أقول قولاً يتضمّن العفو عنكم لقلت، لكنّي لا أقول ذلك إذ لا مجال للعفو هنا؛ ولا يخفى بعده. ٧٠٤

١٧٩ — وَمِنْ أَمْرِهِ أَنْ لَا تُدْرِكُهُ أَلْعْيُونُ بِمُشَاهَدَةِ أَلْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ أَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ

وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تُدْرِكُهُ أَلْعْيُونُ بِمُشَاهَدَةِ أَلْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ أَلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ
الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ
لَا بِرَوِيَّةٍ (٢٢٦٤) ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ (٢٢٦٥) ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ (٢٢٦٦) . لَطِيفٌ
لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ (٢٢٦٧) ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ
بِالْحَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ . تَعْنُو (٢٢٦٨) أَلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ،

وَتَجِبُ الْقُلُوبُ^(٢٢٦٩) مِنْ مَخَافَتِهِ .

١٨٠ - ﴿قَدْ خَلَّيْنَا لَكَ فِي هَذِهِ مَسَاجِدَ﴾

في ذم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ
أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ
أَمَهَلْتُمْ^(٢٢٧٠) خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ^(٢٢٧١) . وَإِنْ أَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى
إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِيتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ^(٢٢٧٢) نَكَضْتُمْ^(٢٢٧٣) . لَا أَبَا
لِغَيْرِكُمْ^(٢٢٧٤) ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ الْمَوْتُ أَوْ
الذَّلُّ لَكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ^(٢٢٧٥) ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ^(٢٢٧٦) . اللَّهُ أَنْتُمْ ! أَمَا

دِينُ يَجْمَعُكُمْ ! وَلَا حِمِيَّةَ تَشْحَذُكُمْ^(٢٢٧٧) ! أَوْلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ
يَدْعُو الْجُفَاءَ^(٢٢٧٨) الطَّغَامَ^(٢٢٧٩) فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مُعُونَةٍ^(٢٢٨٠) وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ^(٢٢٨١) ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمُعُونَةِ
أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ
إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فَرَضُونَهُ ، وَلَا سُخْطُ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ
أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ ! قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ^(٢٢٨٢) ، وَفَانَحْتُكُمْ

الْحَبَّاجَ^(٢٢٨٣) ، وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُمْ^(٢٢٨٤) مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ
كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَنْقِظُ ! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ^(٢٢٨٥) مِنْ
الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ! وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ^(٢٢٨٦) !

توضيح: «على ما قضى من أمر» قيل: الأمر أعم من أن يكون فعلاً. ولما
كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه قال: «قدّر من فعل». و«الابتلاء» الامتحان. و«أمهله» أي رفق به وأخره؛ وفي بعض النسخ: «أهملتم» أي
تركتم. «خضتم» أي في الضلالة والأهواء الباطلة. «خرتم» بالخاء، من «الخور» بمعنى
الضعف، أو من «خوار الثور» بمعنى الصباح؛ ويروى بالجيم، أي عدلتم عن الحق أو
عن الحرب فراراً. قوله — عليه السلام — «أُجِئتم» قال ابن أبي الحديد^{٧٠٧} بالهمزة
الساكنة بعد الجيم المكسورة، أي أُجِئتم، قال — تعالى —: «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ»^{٧٠٨}. وفي
بعض النسخ: «أُجِئتم» على بناء المعلوم بالباء. و«المشاقة» المقاطعة والمصارمة.
و«النكوص» الرجوع إلى ما وراء.

قوله — عليه السلام — «لا أبالغركم» قال ابن ميثم: أصله «لأب» والألف
مزيدة إما لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام
للتأكيد.^{٧٠٩} وفي الدعاء بالذلّ لغيرهم نوع تلطف لهم.

قوله — عليه السلام — «الموت أو الذلّ» في أكثر النسخ برفعهما، وفي بعضها
بالنصب. قال ابن أبي الحديد: دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنه شرع داعياً
عليهم بالفناء الكلّي وهو الموت، ثم استدرك فقال: «أو الذلّ» لأنّه نظير الموت. ولقد
أُجِيبَ دعاؤه — عليه السلام — بالدعوة الثانية، فإنّ شيعة ذلّوا بعده في الأيام
الأموية.^{٧١٠}

٧٠٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٨، ط بيروت.

٧٠٨- مرم: ٢٣.

٧٠٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٧٦.

٧١٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٩، ط بيروت.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأما على النصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير «أرجو» أو «أطلب». ويحتمل الاستفهام، أي أنتظرون الموت؟ وقيل في قوله — عليه السلام — «وليأتيني» حشوة لطيفة بين الكلام، لأن لفظ «إن» أكثر ما يستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتي بعدها بما يرد ما تقتضيه من الشك في إتيان الموت وأشعر بأن الموضع موضع إذا. و«القالى» المبغض.

قوله — عليه السلام — «غير كثير» أي لستم سبب كثرة أعواني. و«لله أنتم» من قبيل لله أبوك، ولعلّه هنا للتعجب على سبيل الذم، ويحتمل المدح تلفظاً. وارتفاع قوله «دين» بفعل مقدّر يفسره الفعل المذكور بعده. و«شحذت النصل» حددته. و«الطغام» أراذل الناس، الواحد والجمع سواء. و«معونة الجند» شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم سوى العطاء المفروض في كل شهر، كما قيل. ومنشأ تعجبه — عليه السلام — أمور:

أحدها: أنّ الداعي لهم معاوية، وهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوى عاقل بينهما؟

وثانيها: أنّ المدعو هناك الجفأة الطغام مع خلّوهم غالباً عن الحميّة والمروّة، وههنا أصحابه الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أن أصحاب معاوية يتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه — عليه السلام — لا يجيئون إلى المعونة والعطاء، فإنّ معاوية إنّما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئاً وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحميّة أو العطايا من هؤلاء لهم.

و«التريكة» بيضة النعامة تركها في مجثمها، أي أنتم خلف الإسلام وبقية كالبيضة التي تركها النعامة. وقوله — عليه السلام — «إلى المعونة» متعلق بـ «أدعوكم». قوله — عليه السلام — «لا يخرج إليكم» أي إنكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم. و«إلى» متعلق بقوله «أحب». و«درس الكتاب» — كنصر وضرب — أي قرأ، فقوله «دارستكم الكتاب» أي قرأته

عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلم. قوله — عليه السلام — «وفاتحتكم» أي حاكمتكم بالحاجة والمجادلة. و«ساغ الشراب في الخلق» أي دخل بسهولة و«محبته من في» أي رميت به، أي بينت لكم الأمور الدينية ما كنتم تنكرونه بآرائكم، وأعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها. وكلمة «لو» في قوله — عليه السلام — «لو كان» للتمني، أو الجزاء محذوف. وقوله — عليه السلام — «وأقرب بقوم» صيغة التعجب، أي ما أقربهم إلى الجهل! وقوله — عليه السلام — «قائدهم معاوية» صفة لـ «قوم» فصل بين الصفة والموصوف بالجاء والمجرور، وهو مجرور، وورد مثله في الكلام المجيد.^{٧١١}

١٨١ — ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ لَمَخْلُوعُ مَلَكٍ﴾

وقد أرسل رجلاً من أصحابه ، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا بالحق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له : «أَمِنُوا فَقَطَّنُوا»^(٢٢٨٧) ، أم جبنوا فَظَعَنُوا^(٢٢٨٨) ؟ فقال الرجل : بل ظَعَنُوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

«بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتْ^(٢٢٨٩) الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ»^(٢٢٩٠) ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهَمُ^(٢٢٩١) ، وَهُوَ غَدَا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلِّ عَنْهُمْ . فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ^(٢٢٩٢) مِنْ الْهَدَى ، وَآرَتِكَاسِهِمْ^(٢٢٩٣) فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ، وَصَدَّهُمْ^(٢٢٩٤) عَنِ الْحَقِّ ، وَجَمَّاحِهِمْ^(٢٢٩٥) فِي التَّيْبِ^(٢٢٩٦)

بيان: «تظن بالمكان» أقام. وقوله—عليه السلام—«بعداً» منصوب على المصدر، وهو ضدّ القرب والهلاك. وقوله—عليه السلام—«قد استفلهم» في بعض النسخ بالقاف، أي حلهم، أو اتخذهم قليلاً، وسهل عليه أمرهم؛ وفي أكثر النسخ بالفاء، أي وجدهم فلاناً لاخير فيهم، أو مفلولين منهزمين؛ وفي بعضها «استفزه» أي استخفهم؛ وفي بعضها «استقبلهم» أي قبلهم. والمراد بالغد اليوم الذي تصبّ السيوف على هاماتهم، أو يوم القيامة. وقال الجوهري: «الرّكس» ردّ الشيء مقلوباً، وارتكس فلان في أمر كان قد نجح منه. و «جمع الفرس» — كمنع — اعترّ فارسه و غلبه. و «التيه» المفازة والضلال.^{٧١٢}

١٨٢ — ﴿طَبَقُ الْمَلِكِ﴾

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جمعة بن هيرة المخزومي، وعليه مِدْرَعَةٌ من صُوفٍ (٢٢٩٧) وحمايلُ سِفْهِ لَيْفٍ، وفي رجله نعلان من لَيْفٍ، وكان جبينه ثَفْنَةً (٢٢٩٨) بعير. فقال عليه السلام :

حمد الله واستعانته

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَثَبِيرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي (٢٢٩٩) فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا ، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ

يُدْفِعُهُ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّولِ^(٢٣٠٠) ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ^(٢٣٠١) لَهُ مُذْعِنًا ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوحِّدًا ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا .

الله الواحد

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْإِزْ مُشَارَكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ^(٢٣٠٢) ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوْطَّاتٍ^(٢٣٠٣) بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّثَاتٍ^(٢٣٠٤) وَلَا مُبْطِثَاتٍ ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَضْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَغْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيَّرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءُ نُورِهَا أَذِلَّهُمَا^(٢٣٠٥) سُجُوفِ^(٢٣٠٦) اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ^(٢٣٠٧) سَوَادِ الْحَنَادِسِ^(٢٣٠٨) أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ^(٢٣٠٩) فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ^(٢٣١٠) ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ^(٢٣١١) ،

فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاثَاتِ^(٢٣١٢) ، وَلَا فِي بَفَاعِ السُّفْعِ^(٢٣١٣)
 الْمُتَجَاوِرَاتِ ؛ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّغْدُ^(٢٣١٤) فِي أَفْئِ السَّمَاءِ ، وَمَا
 تَلَاشَتْ^(٢٣١٥) عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ
 مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ^(٢٣١٦) وَأَنْهِيَالُ السَّمَاءِ^(٢٣١٧) ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ
 الْقَطَرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِيهِ الْبُعُوضَةُ مِنْ
 قُوَّتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا .

بيان: «البكالي» بفتح الباء وتخفيف الكاف، منسوب إلى «بكال»
 قبيلة؛ كذا ذكره الجوهري. وقال الراوندي—رحمه الله—: منسوب إلى «بكاله» وهو
 اسم حي من همدان. وقال ابن أبي الحديد: إنها هو «بكال» بكسر الباء، اسم حي
 من حير^{٧١٣}. و«الثفنة» بكسر الفاء من البعير، الركبة. «المصائر» جمع «المصير» وهو
 مصدر «صار إلى كذا» ومعناه المرجع، قال—تعالى—: «وَأِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^{٧١٤}.
 قوله—عليه السلام—«مذعن له» من «أذعن له» أي خضع وذل. و
 «الخنوع» أيضاً الخضوع والذل. قوله—عليه السلام—«ولا زمان» تأكيد للوقت، و
 قيل: الوقت جزء الزمان، ويمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم. و
 «التعاور» التناوب؛ ويقال: «أبرم الأمر» أي أحكمه.
 قوله—عليه السلام—«موظلات» أي مثبتات.^{٧١٥}

قوله—عليه السلام—«ولولا إقرارهن» قيل: إقرارهن له بالربوبية راجع
 إلى شهادة هالحن بالإمكان والحاجة إلى الرب والانقياد لحكم قدرته. وظاهراً أنه لولا
 إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن أهلاً لسكنى

٧١٣- وفي القاموس: «بني بكال» - ككتاب - بطن من حير منهم نوف بن فضالة التابعي.

٧١٤- آل عمران: ٢٨، التور: ٤٢، الفاطر: ١٨.

٧١٥- في مدارجاتها على ثقل أجرامها.

الملائكة، وصعود الكلم الطيب والأعمال الصالحة، ولفظ الدعاء والإقرار والإذعان مستعارة. و ربّما يقال: إنها محمولة على الحقيقة نظراً إلى أنّ لها أرواحاً. و «الادلهام» شدة ظلمة الليل. و «السجف» السرّ. و «الحنس من الليل» الشديد الظلمة. و «المتطاطي» المنخفض. و «اليفاع» ما ارتفع من الأرض. و «السفع» الجبال، و سمّاها سفعاً لأنّ السفعة سواد مشرب حمرة، و كذلك لونها في الأكثر. و «التجلجل» صوت الرعد.

قوله—عليه السلام—«و ما تلاشت عنه» قال ابن أبي الحديد: قال ابن الأعرابي: «لشأ الرجل» إذا اتّضع و خسّ بعد دفعه، و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس «تلاشي» بمعنى اضمحلّ. و قال القطب الراوندي: «تلاشي» مركّب من لا شيء، و لم يقف على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحلّ عنه البرق. فإن قلت: هو—سبحانه—عالم بما يضيئه البرق و بما لا يضيئه فلم خصّ—عليه السلام—ما يتلاشي عنه البرق؟ قلت: لأنّ علمه بما ليس يضيء أعجب و أغرب لأنّ ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولوا الأبصار الصحيحة.^{٧١٦}

قوله—عليه السلام—«عواصف الأنواء»، «الأنواء» جمع «نوء» و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر، و طلوع رقبه من المشرق مقابلاً له من ساعته، و مدّة النوء ثلاثة عشر يوماً إلّا الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً، و إنّما سمي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق أي نهض و طلع؛ و قيل: أراد بالنوء الغروب و هومن الأضداد. قال أبو عبيدة: و لم يسمع في النوء أنّه السقوط إلّا في هذا الموضع. و إنّما أضاف العواصف إليها لأنّ العرب تضيف الرياح والأمطار والحرّ والبرد إلى الساقط منها، أولأنّ أكثر ما يكون عصفاً فيها. و «الانهاطال» الانصباب. و «سحبه»—كمنعه—جرّه على وجه الأرض، و أكل و شرب أكلاً و شرباً شديداً.^{٧١٧}

٧١٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٨٧، ط بيروت.

٧١٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٥ - ٣١٦.

توضيح: المراد بشواهد الخلق آيات الابداع وعلامات التدبير المحكم، أو ما يشهد من الخلق بوجوده—سبحانه—و تدبيره و علمه، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير. و «وطدت—كوعدت—أطدّها طدة و وطفدتا توطيداً» إذا أثبتّها بالوطء أو غيره حتى تتصلّب، و «توطيد السماوات» إحكام خلقها وإقامتها في مقامها على وفق الحكمة. و «العمد» بالتحريك، جمع «عماد» بالكسر، و هو ما يسند به، أوجع «عمود». و «السند» بالتحريك، ما استندت إليه و اتكأت من حائط و غيره. و «الطاوع» المنقاد السلس. و «أذعن» أي انقاد و لم يستعص. و «تلكأ» أي توقّف واعتلّ. و «الطواعية»—كثمانية—الطاعة و لعلّ المراد بالملائكة المقرّبون أو الأكثر، لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء، و صعود الكلم الطيّب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات، و فيه إشارة إلى قوله—سبحانه—: «إِنِّي بِصَعْدِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ تَرْفَعُهُ»^{٧١٨}؛ و إجابتهنّ إشارة إلى قوله—تعالى—: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^{٧١٩}، و قد مرّ الكلام في تأويل الآية. و قيل: هنا إقرارهنّ بالربوبية له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الربّ والانقياد لحكم قدرته، و ظاهر أنّه لولا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من الخلق. (انتهى). و أمّا تخصيصه—عليه السلام—السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعلّه لكونها أكثر طاعة لكون مادتها أقبل أولشرفها. و «العلم» بالتحريك، ما يهتدى به. و «المختلف» الاختلاف أي التردّد، أو موضعه، أو هو من المخالفة. و «الفجّ» الطريق الواسع بين جبلين. و «القطر» الجانب و الناحية، فالعنى: يستدلّ بها الحيارى في التردّد في فجاج الأفطار، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأفطار، و ذهاب كلّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر

كاختلاف القوم في الآراء. و «السجف» بالكسر وبالفتح، الستر. و «الجلباب» بالكسر، ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالملحفة، وقيل: هو الخمار، وقيل: القميص. و «الحندس» — كزبرج — الشديد الظلمة. و «شاع الشيء يشيع» أي ظهر وذاع وفشا. و «تلاأ القمر والبرق» أي لمع. ٧٢٠

عود إلى الحمد

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ،
أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ. لَا يُدْرِكُ بَوَهِمٍ^(٢٣١٨)، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغُلُهُ
سَائِلٌ^(٢٣١٩)، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ^(٢٣٢٠)، وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلَا يُحَدِّثُ
بِأَيْنٍ^(٢٣٢١)، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ^(٢٣٢٢)، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ^(٢٣٢٣)، وَلَا
يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ. الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ
مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ^(٢٣٢٤).
بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ^(٢٣٢٥) لِيُوصَفِ رَبُّكَ، فَصِفْ جَبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ^(٢٣٢٦)
مُرْجَحِنِينَ^(٢٣٢٧)، مُتَوَلِّهِةً^(٢٣٢٨) عَقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُثُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ
بِالْصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ.
فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

بيان: قوله — عليه السلام — «ولا يشغله سائل» أي عن سائل آخر. و

«النائل» العطاء أي لا ينقص خزائنه عطاء. قوله —عليه السلام— «لا يوصف بالأزواج» أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج، أوليس فيه تركب و ازدواج أمرين كما مرّ تحقيقه، أو بأنّ له صاحبة.

قوله —عليه السلام— «تكليماً» مصدر للتأكيد لإزالة توهم السامع التجوّر في كلامه —تعالى—، والمراد بالآيات إما الآيات التسع أو الآيات التي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الستّ وغيره؛ و يؤيد الثاني قوله —عليه السلام— «بلا جوارح...» إلى قوله «ولا لهوات» إذ الظاهر تعلّقه بالتكليم، و يحتمل تعلّقه بالجميع على اللف والنشر غير المرتّب.

قوله —عليه السلام— «مرجحتين» أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً لجلال الباري —عزّ سلطانه— و يحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم و رزانة قدرهم أو عن نزولهم وقتاً بعد وقت بأمره —تعالى—، قال الجزري: «ارجحنّ الشيء» إذا مال من ثقله و تحرّك. قوله —عليه السلام— «أمد حدّه» الإضافة ببيانته، و حمل الحدّ على النهايات والأطراف بعيد جداً.

قوله —عليه السلام— «أضاء بنوره كلّ ظلام» الظلام إمّا محسوس فإضاءته بأنوار الكواكب والنيرين، أو معقول و هو ظلام الجهل فإضاءته بأنوار العلم والشرائع. قوله «و أظلم بظلمته كلّ نور» إذا جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلّة في نور علمه، و ظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده.

وقال ابن أبي الحديد: تحت قوله —عليه السلام— معنى دقيق و سرّ خفيّ و هو أنّ كلّ رذيلة في الخلق البشريّ غير مخرجة عن حدّ الإيمان مع معرفته بالأدلة البرهانية غير مؤثّرة نحو أن يكون العارف بخيلاً أو جباناً، و كلّ فضيلة مع الجهل به —سبحانه— ليست بفضيلة في الحقيقة، لأنّ الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جواداً أو شجاعاً. و يمكن أن يكون الظلام والنور كنايةتين عن الوجود والعدم، و يحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله «بظلمته» راجعاً إلى كلّ نور

لتقدمه رتبةً فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أَنَّ النور هو ما ينسب إليه - تعالى - فبتلك الجهة نور ، وأما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكأنها ظلمة. ٧٢١

بيان: «التكلف» التجشّم وارتكاب الشيء على مشقة. و«حجرة القوم» بالفتح، ناحية دارهم، والجمع «حجرات» كجمرة وجمرات؛ وفي بعض النسخ: «حجرات» بضمتين، جمع «حجرة» بالضمّ وهي الغرفة، وقيل: الموضع المنفرد. و«ارجحن الشيء» - كاقشعر - أي مال من ثقله وتحرك. قال في النهاية: أورد الجوهري هذا الحرف في حرف النون على أَنَّ النونين أصليّة، وغيره يجعلها زائدة من «رجح الشيء» - كمنع - إذا ثقل. قال ابن أبي الحديد: أي ماثلين إلى جهة التحت خضوعاً لله - سبحانه - . وقال الكيدري: «الارجحنان» الميل، و«ارجحن الشيء» اهتز. (انتهى). ولعلّ المراد بحجرات القدس المواضع المعدة لهم في السماوات، وهي محالّ القدس والتزّه عن المعاصي وذرائل الأخلاق. و«الوله» الحزن والحيرة والخوف، و«متولّه عقولهم» على صيغة اسم الفاعل، أي محزونة أو حائرة أو خائفة؛ وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، والأوّل أظهر. «أن يحدوا أحسن الخالقين» أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته وعلومه، أو مقدار عظّمته. ٧٢٢

الموصية بالتقوى

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ^(٢٣٢٩) ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ أَلْمَعَاشَ ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا ، أَوْ لِيَذْفَعَ أَلْمَوْتَ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ^(٢٣٣٠) ،

٧٢١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٣.

٧٢٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٩، كتاب الساء والعالم، ص ١٩٣.

وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةٌ ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً !

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ ! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرُّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ ، وَأَطْفَؤُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ ، وَعَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ !

ومنها : قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا^(٢٣٣١) ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا ، مِنْ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا ، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ بِعَصِيبِ ذَنْبِهِ^(٢٣٣٢) ، وَالْأَصَقِ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ^(٢٣٣٣) بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: قالت الامامية: إن المراد به القائم— عليه السلام— المنتظر والصوفية يزعمون أنه ولي الله وعندهم أن الدنيا لا يخلو عن الأبدال وهم أربعون وعن الأوتاد وهم سبعة وعن القطب وهو واحد. والفلاسفة يزعمون أن المراد به العارف وعند أهل السنة هو المهدي الذي سيخلق، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضى إلّا على المهدي.^{٧٢٣}

قوله — عليه السلام — «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفى نفسه إذا ظهر
الفسق و الفجور، و اغترب الاسلام باغتراب العدل والصلاح، و هذا يدل على ما
ذهبت إليه الامامية. و «العسيب» عظم الذنب أو منبت الشعر منه و إصاق الأرض
بجرائه كناية عن ضعفه و قلة نفعه فإن البعير أقل ما يكون نفعه حال بروكه. ٧٢٤

ثم قال عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا
أُمَّهُمْ ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَأَدَبْتُكُمْ بِسَوَاطِي
فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا^(٢٣٣٤) . اللَّهُ أَنْتُمْ !
أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُذْبِرًا ،
وَأَزَمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ،
بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكَتْ دِمَاؤُهُمْ
— وَهُمْ بِصَفَيْنَ — أَلَا يَكُونُوا أَلْيَوْمَ أَحْيَاءَ ؟ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ
الرَّنَقَ^(٢٣٣٥) ! قَدْ — وَاللَّهِ — لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ ، وَأَحْلَاهُمْ دَارَ
الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ .

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ^(٢٣٣٦) ؟

وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ^(٢٣٣٧) ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ^(٢٣٣٨) ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ^(٢٣٣٩) إِلَى الْفَجْرَةِ !

قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :
أَوْه^(٢٣٤٠) عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكُمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْصَ
فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَقَّعُوا
بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ ! أَلَا وَلِئِي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ؛ فَمَنْ أَرَادَ
الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نوف : وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد - رحمه
الله - في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد
آخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه
الله ، فراجعت الساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كل مكان !

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

تبيان: قد مرّ شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد.

و قال في النهاية: «الرياش والريش» ما ظهر من اللباس. و قيل:
«الرياش» جمع «الريش» ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد. و
«أسبغ» أي أكمل وأوسع. و «المعاش والمعيشة» مكسب الإنسان الذي يعيش به.
و «السلم» - كسكر - ما يرتقى عليه، واستعمل هنا في الوسيلة. و كون النبوة والزلفة
أي القرب والمنزلة إلى الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معها، فهما مظنتان

للتوصل إلى البقاء في الباطن كما أنَّ السلطنة الكاملة مظنة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر. و «الطعمة» الرزق المقدّر. و «القسّي» جمع «القوس». و «النبل» السهام العربية لا واحد لها من لفظها. و قال ابن أبي الحديد: «نبال الموت» أسبابه و الإضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

و «العمالقة» أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذين إرم بن سام بن نوح. ٧٢٥ و «الفراعنة» ملوك مصر. و قد مضى ذكر أصحاب الرس. و «عسكروا» أي جمعوا. و «مدنوا المدائن» أي بنوها.

قوله — عليه السلام — «قد لبس للحكمة جنتها» إشارة إلى القائم — عليه السلام — كما ذكره ابن أبي الحديد ٧٢٦ نقلاً عن الإمامية. و «التفرغ لها» أي عن العلائق والشواغل. قوله — عليه السلام — «ضالته» إشارة إلى قوله — عليه السلام — «الحكمة ضالة المؤمن». قوله — عليه السلام — «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخنى نفسه و يخملها إذا ظهر الفسق والجور، و اغترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، و هو إشارة إلى غيبة القائم — عليه السلام —.

و قال في النهاية في حديث علي — عليه السلام —: إنه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» أي فارق أهل الفتنة و ضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه، و أتباعه يتبعونه على رأيه و هم الأذئاب. و قال الزمخشري: الضرب بالذنب هيناً مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو و من يتبعه على الدين». و قال الفيروزآبادي: «العسيب» عظم الذنب، أو منبت الشعر منه، والبعير إذا أعيب و تأذى ضرب بعسيب ذنبه؛ و إصااق الأرض بجوانه كناية عن ضعف الإسلام و قلة نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه. و «جران البعير» صدره أو مقدّم عنقه. و «بثّ الخبر» نشره. و «الخداء» سوق الإبل والفناء لها. و «استوثقوا» استجمعوا و انضمتوا. و «الزواجر» النواهي والاياعات. «يطأبكم الطريق» أي

٧٢٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٣، ط بيروت.

٧٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦، ط بيروت.

يذهب بكم في سبيل الحق. قوله — عليه السلام — «ما كان مقبلاً» أي الهدى و
الرشاد الذي كان في أيام الرسول — صلى الله عليه وآله — أو في أيام خلافته —
عليه السلام —، فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله — عليه السلام — من دارالفناء. و «ما
كان مدبراً» الضلال والفساد. و «أزعج الأمر» أي عزم عليه. و «الترحال» بالفتح،
مبالغة في الرحلة. و كلمة «ما» في «ضرّ» نافية، و يحتمل الاستفهام على الإنكار،
والفاعل «أن لا يكونوا». و إساعة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام و مشاهدة
المنكرات بحيث صار تجرّع الغصص عادة لهم، أوعن الرضا بقضاء الله. و «الغصة»
ما يعترض في الحلق. و «الرنق» بالفتح والتحريك، الكدر من الماء.

و «عمار» هو ابن ياسر المعروف، و قدمر فضله. و «ابن التيهان» بالياء
المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة و قبلهاتاء منقوطة باثنتين فوقها، ذكره ابن
أبي الحديد، و جوز فتح الياء أيضاً، والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة و فتح
التاء و كسرهما معاً. و في القاموس: و «تيهان» و «تيهان» مشددة الياء و يكسر و هو
أبواهيم و اسمه مالك. و قال ابن أبي الحديد: الصحيح أنه أدرك صفين و شهد هامع
عليّ — عليه السلام — و قيل: توفي في زمن الرسول — صلى الله عليه وآله — و
«ذوالشهادتين» هو خزيمة بن ثابت و قصته مشهورة، يكتي أبا عمار؛ شهد بدرأ و ما
بعدها من الشاهد، و شهد صفين مع عليّ — عليه السلام —، فلما قتل عمار قاتل
حتى قتل.

قوله — عليه السلام — «تعاقدوا» أي جعلوا الموت بينهم عقداً، أو بايعوا
على الموت؛ و روي «تعاهدوا». و «أبرد برؤوسهم» من البريد، أي أرسل للشارة
بها. و «الفجرة» أمراء عسكر الشام. و «أوه» ساكنة الواو مسكورة الهاء، كلمة
شكوى و توجع، و ربّما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: «آه من كذا» و «آه على كذا» و ربّما
شدّوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا: «أوه من كذا»، و ربّما حذفوا الهاء مع
التشديد و كسروا الواو فقالوا: «أؤ من كذا» بلامتة، و قد يقولون: «أؤه» بالمدو
التشديد و فتح الواو و سكنوا الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، و ربّما أدخلوا فيه التاء،

تارة يمدّونه وتارة لا يمدّونه فيقولون: «أوتاه وأوتاه» والاسم منه الآهة بالمدّة، ذكره الجوهري وابن أبي الحديد.^{٧٢٧} و«إحكامه» تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسنات، والتدبّر في معانيه والعمل بمقتضاه. وأراد بالقائد نفسه— عليه السلام—. و«الرواح إلى الله» الذهاب إلى الفوز برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

و«قيس» هومن أصحاب رسول الله—صلى الله عليه وآله—، كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة علي— عليه السلام—، شهد حروبه كلّها، وأبوه سعد بن عبادة كان رئيس الخرج ولم يبايع أبابكر، ومات على عدم البيعة، والمشهور أنّهم قتلوه لذلك، وأحالوا قتله على الجنّ، وافتروا شعراً من قبل الجنّ كما مرّ. و«أبو أيوب» هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، و عليه نزل رسول الله—صلى الله عليه وآله— حين قدم المدينة، شهد مع أمير المؤمنين— عليه السلام— مشاهدته كلّها، وكان على مقدّمته يوم النهروان. و«الاختطاف» أخذ الشيء بسرعة، والمراد هنا إمّا الأخذ بالنهب والقتل والإذلال، أو الإغواء والإضلال.^{٧٢٨}

١٨٣ — وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلِيٌّ

في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ^(٢٣٤١). خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ؛

٧٢٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١١٠، ط بيروت.

٧٢٨- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٥، ط كمپاني وص ٦٤٣، ط تبريز.

وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْإِنْسِ رُسُلَهُ ،
لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيَحْذَرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ
أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبْصِرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا^(٢٣٤٢) عَلَيْهِمْ بِمُغْتَبِرِ^(٢٣٤٣)
مِنْ تَصَرُّفِ^(٢٣٤٤) مَصَاحِبِهَا^(٢٣٤٥) وَأَسْقَامِهَا ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا ، وَمَا أَعَدَّ
اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ
إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ^(٢٣٤٦) إِلَى خَلْقِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ
قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

فضل القرآن

منها : فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةٌ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .
أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ ، وَأَرْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ^(٢٣٤٧) . أَتَمَّ نُورُهُ ، وَأَكْمَلَ
بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ
مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ . فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ
لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا
وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا ، وَآيَةً مُحْكَمَةً ، تَزْجُرُ عَنْهُ ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ،
فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ
يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخَطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسَخَطَ عَلَيْكُمْ
بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ

بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَوْئِنَهُ دُنْيَاكُمْ ،
وَحَثُّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتِرَاضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ .

الموصية بالتقوى

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى ، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ^(٢٣٤٨) ، وَتَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ .
إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَغْلَنْتُمْ كِتَابَهُ ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةَ كِرَامًا ،
لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا . وَاعْلَمُوا « أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا » مِنَ الْفِتَنِ ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ ،
وَيُنْزِلْهُ مَنَزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ ،
وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفُقَاوُهَا رُسُلُهُ ؛ فَبَادِرُوا أَلْمَعَادَ
وَسَابِقُوا أَلْآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ
الْأَجَلُ ^(٢٣٤٩) ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ
إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ ^(٢٣٥٠) مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ

لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ ، وَأَمَرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرِّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ ،
فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا .

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثَرَةِ تُدْمِيهِ ،
وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ،
وَقَرِينِ شَيْطَانٍ ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا ^(٢٣٥١) إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ
بَعْضُهَا بَعْضًا لِعِصْبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ
زَجَرَتِهِ !

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ ^(٢٣٥٢) ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْفَقِيرُ ^(٢٣٥٣) ، كَيْفَ أَنْتَ
إِذَا أَلْتَحَمْتَ أَطْوَأَ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ، وَنَشِبْتَ الْجَوَامِعَ ^(٢٣٥٤) حَتَّى
أَكَلْتَ لُحُومَ السَّوَاعِدِ . فَاللهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصُّحَّةِ
قَبْلَ الْبُؤْسِ ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضُّيْقِ . فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا ^(٢٣٥٥) .

إيضاح: «الرمضاء» الأرض الشديدة الحرارة. و «الطابق» — كهاجر و
صاحب الأجر الكبير و «الحطم» الكسر. و «اليفن» بالتحريك، الشيخ الكبير و
يقال: «لهزه» أي خالطه. و «الفتير» — كأمير — الشيب أو أوله.
قوله — عليه السلام — «إذا التحمت» أي التفت عليها وانضمت والتصفت بها. و
«نشب الشيء بالشيء» أي علق. و «الجوامع» جمع «جامعة» وهي الغل لأنها
تجمع اليدين إلى العنق. ^{٧٢٩}

أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ،

وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ : « إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » وَقَالَ تَعَالَى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ؛ أَسْتَنْصِرْكُمْ « وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ». وَأَسْتَقْرِضْكُمْ « وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ». وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ « يَبْلُوكُمْ »^(٢٨٥٦) أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِبْرِانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ . رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسٌ^(٢٣٥٧) نَارٍ أَبَدًا ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَتَنْصَبًا^(٢٣٥٨) : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

— ١٨٤ — ﴿٢٣٥٩﴾

قاله للبرج بن مسهر الطائي ، وقد قال له بحيث يسمعه :

« لا حكم إلا لله » ، وكان من الخوارج

أَسْكَنْتَ قَبْحَكَ اللَّهُ^(٢٣٥٩) يَا أَثَرُمُ^(٢٣٦٠) ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ

فِيهِ ضَيْلًا^(٢٣٦١) شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ^(٢٣٦٢) الْبَاطِلُ
نَجَمَتْ^(٢٣٦٣) نَجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

بيان: «قبحك الله» بالتخفيف والتشديد، أي نَحَاكَ عن الخبي و قيل:
كسرك، يقال: «قبحت الجوزة» أي كسرتها. «الثرم» سقوط الإنسان. و
«الضئيل» الدقيق النحيف الخفي. و «نعر» أي صاح، كناية عن ظهور الباطل و
قوة أهله. و «نجم» طلع، أي طلعت بلاشرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة. و
«الماعز» واحد المعز من الغنم وهو خلاف الضأن. ٣٣٠

١٨٥ — وَمِنْ حُطْبَةِ الْعِزِّ وَالْمَلِكِ

يحمد الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان

حمد الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُذَرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ
النَّوَاطِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ،
وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . الَّذِي
صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ،
وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِّيَّتِهِ ، وَبِمَا
وَسَمَّاهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا أَضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى
دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا يَعْدِدُ^(٢٣٦٤) ، وَدَائِمٌ لَا يَأْمِدُ^(٢٣٦٥) ، وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ .

تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ^(٢٣٦٦) ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَاثِي^(٢٣٦٧) لَا بِمُحَاصَرَةٍ .
لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَلِئِنْهَا
حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ أَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسُّيماً ، وَلَا
بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسُّيْداً ؛ بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ،
وَعَظُمَ سُلْطَانًا .

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ ، وَظُهُورِ الْفَلَاحِ^(٢٣٦٨) ،
وَإِضْاحِ الْمُنْهَجِ ؛ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا^(٢٣٦٩) بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ
دَالًا عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ^(٢٣٧٠)
الْإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَا الْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

بيان: قوله «بوجوب الحجج» أي تمامها ونفوذها ولزومها. و «الفلج»
بالتحريك، النصر والغلبة. و «المرسة» بالتحريك، الحبل، وجمع جمع «أمراس». و
«المتانة» الشدة. ٧٣١

منها هي صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ ،

وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَذْخُولَةٌ !
 أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَاتَّقَنَ تَرْكِيبَهُ ،
 وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ^(٢٣٧١) ! أَنْظُرُوا إِلَى
 النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ،
 وَلَا بِمُسْتَذْرَكِ الْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ،
 تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ،
 وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا^(٢٣٧٢) ؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا^(٢٣٧٣) ؛ لَا
 يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ ، وَلَوْ فِي الصَّافَا^(٢٣٧٤) الْيَابِسِ ،
 وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا
 فِي الْجَوَفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ^(٢٣٧٥) بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ،
 لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا ، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا ! فَتَعَالَى الَّذِي
 أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ،
 وَلَمْ يُعْنِهِ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبْلُغَ
 غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ،
 لِذَيْقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ . وَمَا الْجَلِيلُ
 وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً .

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ،
وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ
هَذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ ^(٢٣٧٦) وَتَفَرُّقِ
هَذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ . وَجَحَدَ
الْمُدَبِّرَ ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ . وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ
صَانِعٌ ؛ وَلَمْ يَلْجَوْا ^(٢٣٧٧) إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا ^(٢٣٧٨) ،
وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ !

خلقة الجرادة

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ
لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ^(٢٣٧٩) ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا الْقَمَمَ
السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابِئِينَ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ ^(٢٣٨٠)
بِهِمَا تَقْبِضُ . يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ^(٢٣٨١) ،
وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرَدَّ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا ^(٢٣٨٢) ، وَتَقْضِي
مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدَقَّةً .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي « يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا » ،
وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا ، وَيُعْطِي لَهُ

أَلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ؛ أَخْصَى' عَدَدَ الرَّيْشِ مِنْهَا
وَالنَّفْسَ ، وَأَرْسَى' قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى' (٢٣٨٣) وَالْبَيْسَ ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ،
وَأَخْصَى' أَجْنَاسَهَا . فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ . وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ .
دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ « السَّحَابَ الثَّقَالَ »
فَأَهْطَلَ (٢٣٨١) دِيمَهَا (٢٣٨٥) ، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا (٢٣٨٦) . فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ،
وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا (٢٣٨٧)

إيضاح: «مدخولة» أي معيوبة من «الدخل» بالتحريك، وهو العيب والغش والفساد. و«فلق» أي شق. و«البشر» ظاهر جلد الإنسان. «ولا بمستدرك الكفر» إما مصدر ميمي أي بادرارك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي بادرارك الفكر الذي يدركه الإنسان بغاية سعيه، أو اسم مكان والباء بمعنى «في» أي في محل إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. «كيف دبّت» أي مشت. و«ضنّت» بالضاد المعجمة والنون، أي بخلت؛ وفي بعض النسخ: «صبّت» بالصاد المهملة والباء الموحدة على بناء المجهول، إما على القلب أي صب عليها الرزق، أو كناية عن هجومها واجتماعها على رزقها بإلهامه—تعالى—فكأنها صبّت على الرزق، ويمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة وهي حرارة الشوق. «لصدرها»، «الصدر» بالتحريك، رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد، أي تجمع في أيام التمكن من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تخفى في شدة الشتاء لعجزها عن البرد. و«المتان» هو كثير المتى والعطاء. و«الديان» القهار والقاضي والحاكم والسائس والمُجازي. و«الصفاء» مقصوراً، جمع «الصفاء» وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا يثبت. و«الجامس» اليابس الجامد، قال الخليل في كتاب العين: «جس الماء» جمده، و«صخرة جامسة» لزمت مكاناً. انتهى. والضمير في «علوها وسفلها» إما راجع إلى

المجاري، أو إلى النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة. و قال الجوهري: «الشرايف» مفاظ الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن، ويقال: «الشروسف» غصروف معلق بكلّ ضلع، مثل غصروف الكف. «لقصيت من خلقها عجباً» القضاء بمعنى الأداء، أي لأدّيت عجباً، و يحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقصيت نخبك من شدة تعجبك، ويكون «عجباً» مفعولاً لأجله. «ولو ضربت» أي سرت، كما قال تعالى: «وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ»^{٧٣٢}. «غاياته» أي غايات فكره. «إلاساء» أي في دقة الصنعة وغموض الخلقة، أو في الدلالة على الفاطر وكمال قدرته وعلمه. و «القلال» بالكسر، جمع «قُلّة» بالضم، وهي أعلى الجبل. «زعموا أنهم كالنبات» أي كما زعموا في النبات، أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب إلى الزارع. وإن نسب إلى ربه تعالى. «لماوعوا» أي جمعوا وحفظوا. «وأسرج لها حدقتين» أي جعلها مضيئتين كالسراج، ويقال: «حدقة قراء» أي منيرة، كما يقال: «ليلة قراء» أي نيرة بضوء القمر. «بها تقرض» بكسر الراء، أي تقطع. و «المنجل» كمنبر، حديدة يقضب بها الزرع، شُبّهت بها يداها. و «الذب» الدفع والمنع. «في نزواتها» أي وثباتها. «وخلقها كلّ» الواو حالّة. «سلماً» بالكسر وبالتحريك أي استسلاماً وانقياداً. و «أرسي» أي أثبتت، أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بها على الأراضي اليابسة والندية. و «الهطل» تتابع المطر. و «الديم» بكسر الدال وفتح الياء، جمع «الديمّة» بالكسر، وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. و «الجدوب» قلة النبات والزرع.^{٧٣٣}

تبيين: «التفكير» إعمال النظر في الشيء، يقال: فكر فيه — كضرب — و فكر — بالتشديد — وأفكر و تفكر بمعنى. و «الجسيم» العظيم. و «الحريق» اسم من الاحتراق. و «البصائر» جمع «البصيرة» وهي البصر بالتحريك، العلم والخبرة، و في بعض النسخ: «الأبصار» موضع البصائر. و «الدخل» بالتحريك، ما داخلك من

٧٣٢- النساء: ١٠١.

٧٣٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣، كتاب التوحيد، ص ٢٦ - ٢٨.

فساد في عقل أوجسم والعيب والريبة، يقال: هذا الأمر فيه دخل و دغل بمعنى، وقد دخل - كفرج - و دخل على البناء للمفعول. و «الاحكام» الاتقان، و «ركبه تركيباً» أي وضع بعضه على بعض فتركب. و «فلق» - كضرب - أي شق فانفلق، و منه [قوله - تعالى -]: «فَالْبَقِ الْوَحْبَ وَالنَّوَى»^{٧٣٤}. و «استوى الشيء» اعتدل، و «سويته» عدلته.

و «الغلة» واحدة «الغل»، و «الجثة» بالضم للانسان، شخصه قاعداً أو نائماً، فان كان منتصباً فهو طلل بالتحريك، والشخص عام، كذا قيل. و في القاموس: «جثة الانسان» شخصه. و «لطف الشيء - ككرم - لطافة بالفتح» و قيل: هو اسم أي صغر ودق، و «الهيئة» حال الشيء و كلفيته. و «نلتة - بالكسر - أنيله» أي أصبته. و «اللمحظ» في الاصل، النظر بمؤخر العين و هو أشد التفاتا من الشرر و في بعض النسخ: «بلحظ النظر». و «استدرك الشيء وأدركه» بمعنى، ذكره الجوهري و «استدركت ما فات و تداركته» بمعنى، و «استدركت الشيء بالشيء» أي حاولت إدراكه به؛ و «الفكر» - كعنب - جمع «فكرة» بالكسر و هو إعمال النظر، و قيل: اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار، و في بعض النسخ: «الفكر» بسكون العين، و مستدرك الفكر على بناء المفعول يحتمل أن يكون مصدراً أي إدراك الفكر أو يطلبها الادراك، و لعله أنسب بقوله - عليه السلام - «بلحظ البصر» و أن يكون اسم مفعول أي بالفكر الذي يدركه الانسان و يصل إليه أو يطلب إدراكه أي منتهى طلبه لا يصل إلى إدراك ذلك، و أن يكون اسم مكان، والباء بمعنى في. و «دب» - كفر - أي مشى رويداً. و «صبّت» على بناء المفعول من الصب و هو في الأصل الاراقة، و قيل: هو على العكس، أي صبّت رزقها عليها والظاهر أنه لاجابة إليه، أي كيف ألهمت حتى انحطت على رزقها، واستعير له الصب لهجومها عليه، و في بعض النسخ: «و صبّت» بالضاد المعجمة والنون على بناء المعلوم أي بخلت برزقها، و ذكر ديبها لأنه متوقّف على القوائم والمفاصل والقوى الجزئية، وتركبها فيها

مع غاية صغرها على وجه تنتظم به حركاتها السريعة المتتابعة مظهر للقدرة و لطيف الصنعة، و ذكر الصب أو الضمة للدلالة على علمها بم حاجتها إلى الرزق و حسن نظرها في الاعداد والحفظ. و «الجحرة» بالضم، الحفرة التي تحتفرها الموام و السباع لأنفسها. و «أعدّه» أي هيأه، و «مستقرها» موضع استقرارها. و «الورود» في الاصل، الاشراف على الماء للشرب، و «الصدر» بالتحريك، رجوع الشاربة من الورد، كأن المعنى: تجمع في أيام التمكن من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تظهر في المصيف و تخفى في الشتاء لعجزها عن البرد. و «كفل» — كنصر و قيل: كعلم و شرف — أي ضمن، قيل: تقول: «كفلته و به و عنه» إذا تحملت به. «بوقفها» أي بقدر كفايتها. ٧٣٥ و «أغفلت الشيء إغفالاً» أي تركته إهمالاً من غير نسيان، و «المتان» المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنة، و قد يشتق منه و هو مذموم. و «حرمه» — كمنعه — ضدّ أعطاه و «الديان» الحاكم والقاضي، و قيل: القهار، و قيل: السائس و هو القائم على الشيء بما يصلحه كما تفعل الولاة والأمراء بالرعية، و وجه المناسبة على الأخير واضح و لعله على الأوّل هو أنّ إعطاء كلّ شيء ما يستحقّه و لو على وجه التفضّل من فروع الحكم بالحق، و على الثاني الاشعار بأنّ قهره — سبحانه — لا يمنع عن العطاء كما يكون في غيره أحياناً. و «الصفاء» مقصوراً، الجبارة، و قيل: الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئاً والواحدة «صفاء». و جس و حمد بمعنى، و قيل: أكثر ما يستعمل في الماء جد، و في السمن و غيره جس، و «صخرة جامسة» أي ثابتة في موضعها. و «الأكل» بالضم، كما في بعض النسخ و بضمتين كما في بعضها، المأكول، و «الأكلة» بالضم، اللقمة و «علوها و سفلها» بالضم فيها في بعض النسخ، و بالكسر في بعضها، والضميران كالسوابق.

قال بعض شراح النهج: «علوها» رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسط، و يحتمل رجوعها إلى المجاري. و «الشراسيف» مقاط الأضلاع و هي أطرافها التي تشرف على البطن، و قيل: «الشرسوف» — كعصفور — غصروف معلق بكلّ ضلع

مثل غضروف الكتف؛ ولا حاجة إلى الحمل على المجاز كما يظهر من كلام بعض الشارحين. و «الأذن» بضمّتين في النسخ. و «القضاء» يكون بمعنى الأداء، قال الله تعالى: «فَإِذَا قُضِيْتُمْ مَتَاسِكُكُمْ»^{٧٣٦} و قال: « فَإِذَا قُضِيَْتُمْ الصَّلَاةُ »^{٧٣٧}. و «قضاء العجب» التعجب أو التعجب الكامل، و قال بعض الشارحين: يحتمل أن يكون بمعنى الموت من قولهم: «قضى فلان» أي مات، أي لقضيت نحبك من شدة تعجبك، و يكون «عجبا» نصباً على المفعول له، و لا يخفى بعده. و «الدعامة والدعام» بالكسر فيها، عماد البيت، والخشب المنصوب للتعريش وفيه تشبيه لها بالبيت المبنّي على الدعائم. و في بعض النسخ: «لم يعنه». و «الضرب في الأرض» السير فيها أو الاسراع فيه. و «الدلالة» بالفتح كما في بعض النسخ و بالكسر كما في بعضها، الاسم من قولك: «دله إلى الشيء و عليه» أي أرشده و سدّده. و «الغامض» خلاف الواضح، والغرض من الكلام دفع توهم يسر الخلق و سهولة الابداع في بعض الأشياء للصغر و خفاء دقائق الصنع. و «الجليل» العظيم، يقال: «جلّ - كفر - جلاله» بالفتح، أي عظم، والغرض استواء نسبة القدرة الكاملة إلى الأنواع، كذلك السماء قيل: المشبه به الأمور المتضادة السابقة، والمشبّه هو السماء والهواء والرياح والماء و وجه الشبه هو حاجتها في خلقها وتركيبها وأحوالها المختلفة والمتفقة إلى صانع حكيم، و يحتمل أن يكون التشبيه في استواء نسبة القدرة.

«فانظر إلى الشمس والقمر... الخ» أي تدبّر فيما أودع في هذه الأشياء من غرائب الصنعة ولطائف الحكمة، و قيل: استدلال بإمكان الاعراض على ثبوت الصانع بأن يقال: كلّ جسم يقبل لجسميته المشتركة بينه وبين سائر الاجسام ما يقبله غيره من الأجسام فإذا اختلف الاجسام في الاعراض فلا بدّ من مخصّص و هو الصانع الحكيم. انتهى.

و «اختلاف الليل والنهار» تعاقبها. و «فجر الماء» أي فتح له طريقا ففجّر، و «انفجر» أي جرى وسال، والمراد بالبحار الأنهار العظيمة وألبهار المعروفة،

و «تفجّرها» جريانها لو وجدت طريقاً. و «القلال» — كجبال — جمع «قلة» بالضم، وهي أعلى الجبل، وقيل: الجبل. و «تفرّق اللغات» اختلافها وتباينها كما قال — عزّ وجلّ —: «وَ اخْتِلَافُ السِّيَتِ كُنْمْ وَالْوَاكُنْمْ»^{٧٣٨}. و «الويل» الحزن و الهلاك والمشقة من العذاب، و علم واد في جهنّم والجملة تحتل الاخبار والدعاء. قال سيبويه: «الويل» مشترك بين الدعاء والخبر.

والمراد بالنبات ما ينبت في الصحاري والجبال من غير زرع، وليس المراد أنّ النبات ليس له مقدّر ولا مدبّر، بل المعنى أنّ النبات المذكور كما أنّه ليس له مدبّر من البشر يزعمون أنّ الانسان يحصل من غير مدبّر أصلاً، وقيل: المراد أنّهم قاسوا أنفسهم على النبات الذي جعلوا من الأصول المسلّمة أنّه لا مقدّر له بل ينبت بنفسه من غير مدبّر، و ذكر الاختلاف في الصور لأنّه من الدلائل الواضحة على الصانع لم يلبأوا أي لم يستندوا، والغرض استنادهم في دعواهم إلى قياس باطل وظنّ ضعيف كما قال — عزّ وجلّ —: «وَقَا لَهُمْ يَذَلِك مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»^{٧٣٩}. و «أوعى الشيء» و «وعاه» على المجرد كما في بعض النسخ، أي حفظه و جمعه، أي لم يرتبوا العلوم الضرورية، و لم يحصلوا المقدّمات على وجهها حتّى تفضي إلى نتيجة صحيحة. و «جنّ فلان جنّاية» بالكسر، أي جرّ جريرة على نفسه وقومه، ويقال: «جنّيت الثمرة أجنيها واجتنيها» أي اقتطفها، واسم الفاعل منها «جان» إلّا أنّ المصدر من الثاني «جنّ» لاجنّاية. والغرض دعوى الضرورة في الاحتياج إلى الصانع والفاعل كالبناء والجنّاية لا الاستناد إلى القياس.

«قلت في الجراة» أي تكلمت في بدیع صنعتها و عجب فطرتها. و «أسرج» لها حدقتين» أي جعلها مضيئين كالسراج، «قراوين» أي منبرتين كالليلة القمرَاء المضيئة بالقمر. و «جعل لها السمع الخفي» أي عن أعين الناظرين، و قيل: المراد بالخفي اللطيف السامع لخفي الاصوات، فوصف بالحقّة مجازاً من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل و هو أنسب بقوله — عليه السلام — «و جعل لها الحسّ القوي»؛ و

قيل: أراد بحسّها قوتها الوهية، وبقوته حدقتها فيما ألهمت إياه من وجوه معاشها و تصرفها يقال: «لفلان حسّ حاذق» إذا كان ذكياً فطنا ذراكاً. و «الناب» في الاصل، السنّ خلف الرباعية. و «قرض» - كضرب - أي قطع. و «المنجل» - كمنبر - حديدة يقضب بها الزرع وقيل: «المنجلان» رجلاهما شتبهما بالمنجل لوعجهما وخشونتهما. و «رهبه» - كعلم - أي خاف. و «ذبّ عن حريمه» - كمد - أي دفع وحى. و «أجلبوا» أي تجتمعوا وتآلبوا، و «أجلب على فرسه» أي استحثّه للعدو بوزك أو صياح أو نحو ذلك؛ «بجمعهم» أي بأجمعهم، وكلمة «لو» للوصل. و «الحرث» الزرع. و «نزا» - كدعا - أي وثب. «وخلقها» الجملة حالية. و «استدقّ» صار دقيقاً. «الذي يسجد[له]...» أي حقيقة، فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين «طوعاً» حالتي الشدة والرضاء، والكفزة له «كرها» حال الشدة والضرورة أو أعمّ منها ومن السجدة المجازية وهي الخضوع والدخول تحت ذلّ الافتقار والحاجة كامراً مراراً. و «العفر» بالتحريك وقد يسكن، وجه الارض و يطلق على التراب و «عفّره في التراب» - كضرب - وعفّره تعفيراً أي مرغه فيه، و كان التعفير في البعض كأهل السماوات كناية عن غاية الخضوع. و «اللقاء بالطاعة» مجاز عن الانقياد، وفي بعض النسخ: «بالطاعة إليه». و «السلم» بالكسر كما في بعض النسخ، الصلح و بالتحريك كما في بعضها، الاستسلام والانقياد. و «القياد» بالكسر، ما يقاد به و «إعطاء القياد» الانقياد. و «الرهبه» الخوف، و «أرسي» أي أثبت، و «الندى»^{٧٤٠} البلل والمطر، و «البيس» بالتحريك، ضدّ الرطوبة، و «طريق بيس» أي لاندأوة فيه ولا بلل. و «الحمام» بالفتح، كلّ ذي طوق من الفواخت والقماري والوراشين وغيرها، والحمامة تقع على الذكر والأنثى كالحية والنعام، و اسم الجنس من النعام «نعام» بالفتح والغرض بيان عموم علمه - سبحانه - وقدرته. «دعا كلّ طائر باسمه» قيل: «الدعاء» استعارة في أمر

٧٤٠ - «الندى» هنا مقابل البيس فيعمّ الماء كأنه يريد أنّ الله جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء ومنه مالا يمشي إلا على الأرض اليابسة.

كلّ نوع بالدخول في الوجود، وقد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدرة الإلهية عليه بالدخول في الوجود كقوله تعالى: «فَقَالَتْ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اثْنَيْتَا-الآية»^{٧٤١}. ولما استعار الدعا رشح بذكر الاسم لأنّ الشيء إنّما يدعى باسمه، و يحتمل أن يريد الاسم اللغويّ وهو العلامة، فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّة و سمة ليست للآخر، و يكون المعنى أنّه تعالى أجري عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواصّ في العلم الإلهيّ واللوح المحفوظ؛ و قال بعضهم: أراد أسماء الاجناس وذلك أنّ الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كلّ لغة تواضع عليها العباد في المستقبل و ذكر الأسماء التي يتواضعون عليها، و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إرادة خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب داعيه وأسرع في إجابته. و «كفل برزقه» أي ضمن. و «السحاب» جمع «سحابة» وهي الغيم. و «الهطل» بالفتح، تتابع المطر أو الدمع و سيلانه، و قيل: تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر؛ و «الديمة» بالكسر، مطريدوم في سكون بلا رعد و برق والجمع «ديم» - كعنب - و «تعديد القسم» إحصاء ما قدر منها لكلّ بلد و أرض على وفق الحكمة. و «البلة» بالكسر، ضدّ الجفاف، يقال: «بله فابتلّ». و «الجفوف» بالضّم، الجفاف بالفتح. و «الجدوب» بالضّم، انقطاع المطر و يبس الارض.^{٧٤٢}

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة:]

إيضاح: «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» فيه وفيما بعده دلالة على أنّ علّة الفاقة إلى المؤثر الحدوث، و أنّه لا يعقل التأثير في الأزليّ القديم.^{٧٤٣} و كذا قوله «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته».

يده، ن: حدّثنا أبو العباس محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ - رضوان الله عليه - قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عليّ العدويّ، قال:

٧٤١- فصلت: ١١.

٧٤٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب الساء والعالم، ص ٤٠-٤٦.

٧٤٣- الحدوث والقدم قد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الذاتي ومقابلها، وقد يستعملان بمعنى المسبوقيّة بالعدم الزماني

حدثنا الهيثم بن عبدالله الرماني، قال: حدثني علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي - عليهم السلام - ، قال : خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - الناس في مسجد الكوفة، فقال :

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كَوْن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولاله شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغيب عن شيء فيعلم بحيثية؛ مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ناقيات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات

ومقابلها. فإن كان المراد بها في كلامه - عليه السلام - المعنى الأول كان المعنى أنَّ العالم لمكان إمكانه يدل على وجود الواجب؛ وإن كان المراد بالحدوث الحدوث الزماني وبالقدم القدم الذاتِي كان المعنى أنَّ الحدوث الزماني في الزمانيات دليل على وجود الواجب، وذلك لأنَّ الحدوث تغير والتغير يختص بالممكن والممكن يحتاج إلى الواجب، وأيضاً الحادث مسبوق بالعدم وكل ما كان كذلك أمكن عدمه فاحتاج في الوجود إلى الواجب؛ وإن كان المراد بها الحدوث والقدم الزمانيتين كان المعنى أنَّ الحدوث الزماني في الزمانيات يدل على كون الواجب قديماً غير مقيد بالزمان وذلك لأنَّ الحدوث نقص ومحدودية ووجود الواجب تام وفوق تمام، فلا يتصف به؛ وإن كان المراد بالحدوث، الحدوث الذاتِي وبالقدم، القدم الزماني كان المعنى أنَّ إمكان الخلق يدل على قدم الواجب وعدم تقيده بالزمان، لكنه في غاية البعد. وعلى الأولين فكلامه - عليه السلام - ناظر إلى إثبات الواجب وعلى الآخرين فنناظر إلى إثبات قدمه. وعلى كل حال فلا يستفاد من كلامه - عليه السلام - أنَّ ما يحتاج إلى العلة ينحصر في الحادث الزماني بحيث لو فرض ممكن غير حادث زماناً لم يحتاج إلى الواجب. فتأمل. وأما تحقيق القول في أنَّ ملاك الاحتياج إلى العلة هل هو الحدوث أو الإمكان، فله علل آخر.

وأما النكتة في جملة - عليه السلام - «الدال» صفة له - سبحانه - لا خلقه مع أنَّ الظاهر أنَّ الخلق يدل بحدوثه على قدم الواجب، فهي أنَّ الذي يدل الناس إلى الحق حقيقة هو الحق - سبحانه - كما في الدعاء المأثور: «وأنت دلتني عليك ودعوتني إليك»؛ ويدل على ذلك روايات كثيرة وأدعية مأثورة ووجوه عقلية يضيق المجال عن ذكرها.

الفكر تكيفه، وعلى غواص ساجحات النظر تصويره؛ لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذره المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمتلئه. قد يشت من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناء بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم. واحد لامن عدد، ودائم لأبأمد، وقائم لأبعد، وليس بجنس فتعاده الأجناس، ولا بشيخ فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات. قد ضلّت العقول في أمواج تيّار إدراكه، وتغيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلّيته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته. مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملّك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به. قد خضعت له رواتب الصعاب في محلّ تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواحق أقطارها. مستشهد بكلّيّة الأجناس على ربوبيته، وبمعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزواها على بقاءه، فلا لها محيص عن إدراكه إيتاها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها؛ كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمة، وبأحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولاله مثل مضروب، ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علوّاً كبيراً، وأشهد أن لا إله إلّا هو إيماناً بربوبيته، وخلافاً على من أنكره، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، المقرّ في خير مستقرّ، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن محدّداً، وأفضل المناصب منبئاً، من أمتع ذرّة^{٧٤٤} وأعزّ أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه^{٧٤٥}، وانتجب منها أمناه، الطيّبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع،

٧٤٤- «أمنع» من «منع جاره» أي حامى عنه وصانه من أن يضام، أو من «منع الحصن» أي تعترى الوصول إليه، يقال: «مكان ممنوع» ويقال: «امرأة منيعة» كناية عن العفيفة. و«الذروة» بضمّ الذال وكسرهما وسكون الراء، العلو والمكان المرتفع وأعلى الشيء. ولعله إشارة إلى شرف والدته - صلى الله عليه وآله - وبجدها وعلو نسبها وحسبها وقداستها وشدة عقبتها.

٧٤٥- «صاغ الشيء» هيّأه على مثال مستقيم.

الناصرة النصفون^{٧٤٦}، اليانعة الثمار، الكريمة الحشا^{٧٤٧}، في كرم غرست^{٧٤٨} وفي حرم أنبت^{٧٤٩}، وفيه تشعبت وأثمرت وعزّت وامتنعت فسمت به وشمخت حتى أكرمها الله - عزّ وجلّ - بالروح الأمين، والنور المنير، والكتاب المستبين، وسخر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأبالس، وهدم به الأصنام والآلهة المعبودة دونه، سنته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحق، صدع بما أمره ربّه، وبلغ ما حمّله، حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حتى خلصت الوجدانية وصفت الربوبية^{٧٥٠}، وأظهر الله بالتوحيد حجّته، وأعلى بالاسلام درجته، واختار الله - عزّ وجلّ - لنبيه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة. صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

بيان: قوله - عليه السلام - «ولا من شيء كَوْن ما قد كان» ردّ على من يقول بأنّ كلّ حادث مسبوق بالماذّة. «المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته»، «الاستشهاد» طلب الشهادة أي طلب من العقول بما بيّن لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليّته، أو من الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد

٧٤٦- «نضر الشجر» أخضر وحسن وكان جيلاً.

٧٤٧- «الحشا» ما انضمت عليه الضلوع. مافي البطن. والجمع «الأحشاء». ويقال: «فلان في حشا فلان» أي في كنفه، و«فلان خيرهم حشاً» أي رعاية.

٧٤٨- «الكرم» بفتح الكاف والراء، صفة بمعنى الكريم والطيب؛ يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، يقال: رجل كرم ونساء كرم وأرض كرم. وبسكون الراء يأتي بمعنى أرض منقاة من الحجارة.

٧٤٩- «الحرم» بفتح الحاء والراء، مصدر بمعنى ما يحبه الرجل ويدافع عنه، وبالضمتين جمع «الحريم» كلّ موضع تحب حمايته؛ و«حريم الرجل» ما يدافع عنه ويحميه، ومنه سمّيت نساء الرجل بالحريم.

٧٥٠- أي خلصت ونقّيت.

على أزلّيته، والمعنى على التقديرين أنّ العقل يحكم بأنّ كلّ حادث يحتاج إلى موجد، وأنّه لابدّ من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى من لا يحتاج إلى موجد فيحكم بأنّ علّة العلل لابدّ أن يكون أزلّياً، وإلاّ لكان محتاجاً إلى موجد آخر يحكم المقدّمة الأولى.

«وبما وسمها به من العجز على قدرته»، «الوسم» الكي، شبه—عليه السلام— ما أظهر عليها من آثار العجز والإمكان والاحتياج بالسمّة التي تكون على العبيد والنعم وتدّل على كونها مقهورة مملوكة. «وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه» إذ فناؤها يدلّ على إمكانها وحدوثها فيدلّ على احتياجها إلى صانع ليس كذلك.

«لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّة» أي ليس ذامكان حتّى يكون في مكان دون مكان كما هومن لوازم المتمكّنات فيدرك بأنّه ذوأين ومكان، بل نسبة المجرد إلى جميع الأمكنة على السواء، ولم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلميّة والعلّيّة والحفظ والتربية؛ أو أنّه لم يخل منه مكان حتّى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كلّ شيء. «ولاله شبح مثال فيوصف بكيفيّة» إضافة الشبح بيانيّة، أي ليس له شبح مائل له لا في الخارج ولا في الأذهان فيوصف بأنّه ذو كيفيّة من الكيفيّات الجسمانيّة أو الإمكانيّة ويحتمل أن يكون المراد بالكيفيّة الصورة العلميّة.

«و لم يغيب عن شيء فيعلم بجثيّة» أي لم يغيب عن شيء من حيث العلم حتّى يعلم أنّه ذوحيث ومكان إذ شأن المكانيّات أن يغيبوا عن شيء فلا يحيطوا به علماً فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة، ويحتمل أن يكون «حيث» هنا للزمان، قال ابن هاشم: قال الأخفش: وقد تردّد «حيث» للزمان؛ أي لم يغيب عن شيء بالعدم ليكون وجوده مخصوصاً بزمان دون زمان، ويحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ما قيل من أنّه—تعالى—لما كان خارجاً عن الزمان فجميع الأزمنة حاضرة عنده كخط مع ما فيه من الزمانيّات وإنّما يغيب شيء عما لم يأت إذا كان داخلياً في الزمان. ويحتمل أن تكون الحيثيّة تعليليّة أي لم يجهل شيئاً فيكون علمه به معللاً بعلة، وعلى هذا يمكن أن يقرأ «يعلم» على بناء المعلوم. وفي التوحيد: لم يغيب عن علمه شيء.

«وَمَمْتَنَعُ عَنِ الْإِدْرَاكِ بِمَا ابْتَدَعَ مِنْ تَصْرِيفِ الذَّوَاتِ» أَي أَظْهَرَ بِمَا أَبْدَعَ مِنَ الذَّوَاتِ الْمُتَغَيِّرَةِ الْمُتَنَقِّلَةِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَنَّهُ يَمْتَنَعُ إِدْرَاكَهُ إِذَا لَوْجُوبُ وَجُودِ الْمَانِعِ مِنْ حَصُولِ حَقِيقَتِهِ فِي الْأَذْهَانِ لَمَامَرٍّ، أَوْلَآنَ حَصُولَهُ فِيهَا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ كَسَائِرِ الذَّوَاتِ الْمُمْكِنَةِ مُحَلًّا لِلصِّفَاتِ الْمُتَغَيِّرَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ، أَوْلَآنَ الْعَقْلُ بِحُكْمِ بَيَانَةِ الصَّانِعِ لِلْمَصْنُوعِ فِي الصِّفَاتِ فَلَا يَدْرِكُ كَمَا تَدْرِكُ تِلْكَ الذَّوَاتِ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ مُتَعَلِّقًا بِالْإِدْرَاكِ، أَي يَمْتَنَعُ عَنْ أَنْ يَدْرِكَ بِخَلْقِهِ أَي بِمَشَابَهَتِهَا، أَوْ بِالْأَصُورِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَخْلُوقَةٌ لَهُ.

«مِنْ جَمِيعِ تَصْرِفِ الْحَالَاتِ» أَي الصِّفَاتِ الْخَادِثَةِ الْمُتَغَيِّرَةِ. «مَحْرَمٌ عَلَى بَوَارِعِ نَاقِبَاتِ الْفُطُنِ تَحْدِيدِهِ»، «الْبَوَارِعُ» جَمْعُ «الْبَارِعَةِ» وَهِيَ الْفَائِظَةُ. وَ«النَّقَبُ» الثَّقْبُ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالتَّحْدِيدِ الْعَقْلِيِّ، وَيَحْتَمِلُ الْأَعْمَ. وَ«الثَّاقِبَاتُ» النِّفَازَاتُ أَوِ الْمَضْيِئَاتُ. وَ«التَّكْيِيفُ» إِثْبَاتُ الْكَيْفِ لَهُ أَوِ الْإِحَاطَةُ بِكَيْفِيَّةِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ أَي كُنْهَاهُ. وَكَذَا «التَّصْوِيرُ» إِثْبَاتُ الصُّورَةِ، أَوْ تَصَوُّرُهُ بِالْكُنْهِ، وَالْأَخِيرُ فِيهَا أَظْهَرَ. قَوْلُهُ «لِعَظَمَتِهِ» أَي لَكُونِهِ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى الْمَكَانِ. قَوْلُهُ—عَلَيْهِ السَّلَامُ—«لِجَلَالِهِ» أَي لَكُونِهِ أَجَلُّ قَدْرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَامِقْدَارًا. قَوْلُهُ—عَلَيْهِ السَّلَامُ—«وَلَا تَقْطَعُهُ» مِنْ «قَطْعُهُ»—كَسَمْعِهِ—أَي أَبَانِهِ، أَوْ مِنْ «قَطْعِ الْوَادِي وَقَطْعِ الْمَسَافَةِ»؛ وَ«الْمَقَائِيسُ» أَعْمٌ مِنَ الْمَقَائِيسِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْعَقْلَانِيَّةِ. وَ«الْكُنْهُ» بِالضَّمِّ، جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَقَدْرُهُ وَوَجْهُهُ؛ وَ«اَكْنَهُ وَأَكْنَهُ» بَلَغَ كُنْهَهُ، ذَكَرَهُ الْفَيْرُوزِآبَادِيُّ.

قَوْلُهُ—عَلَيْهِ السَّلَامُ—«أَنْ تَسْتَفْرِقَهُ» قَالَ الْفَيْرُوزِآبَادِيُّ: «اسْتَفْرِقْ» اسْتَوْعِبْ، وَفِي التَّوْحِيدِ: «أَنْ تَسْتَعْرِفَهُ» أَي تَطْلُبْ مَعْرِفَتَهُ. قَوْلُهُ—عَلَيْهِ السَّلَامُ—«أَنْ تَمْتَلِئَهُ» قَالَ الْفَيْرُوزِآبَادِيُّ: «اِمْتَلِئَهُ» تَصَوُّرُهُ، وَفِي التَّوْحِيدِ: «تَمْتَلِئُهُ». قَوْلُهُ «مِنْ اسْتِنْبَاطِ» أَي اسْتِخْرَاجِ الْإِحَاطَةِ بِهِ وَبِكُنْهِهِ. «طَوَامِحُ الْعُقُولِ» أَي الْعُقُولُ الطَّامِحَةُ الرَّفِيعَةُ، وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ طَامِحٍ.

قَوْلُهُ—عَلَيْهِ السَّلَامُ—«وَوَضَبْتُ» يُقَالُ: «نَضَبَ الْمَاءُ نَضُوبًا» أَي غَارَ أَيُّ

يست بحار العلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته، أوتبين غاية صفاته. قوله «بالصغر» بالضم، أي مع ذلك. و «السمو» الارتفاع والعلو، ولعل إضافة اللطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، بل المراد المناظرات اللطيفة بينهم، أوفكرهم الدقيقة، أوعقولهم و نفوسهم اللطيفة.

قوله —عليه السلام— «واحد لا من عدد» أي من غير أن يكون فيه تعدد، أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه. و «الأمد» الغاية، و «العمد» بالتحريك، جمع «العمود» أي ليس قيامه قياماً جسمانياً يكون بالعمد البدنية أو بالاعتماد على الساقين، أو أنه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه و يقيمه كسائر الموجودات الممكنة. قوله —عليه السلام— «ليس بجنس» أي ذا جنس، فيكون ممكناً معادلاً لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها. و «الشبح» بالتحريك، الشخص، وجمعه أشباح. و «المضاربة» المشابهة: وقال الجزري: «التيار» موج البحر ولجته. انتهى. و «حصر الرجل» —كعلم— تعب، و «حصرت صدورهم» ضاقت، و كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصرنه، ذكرها الجوهري. و «الاستشعار» ليس الشعار والثوب الذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف، و يحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم والشعور. و «الملوكوت» الملك والعزة و السلطان.

قوله —عليه السلام— «بالآلاء» أي عليها. و «التملك» الملك قهراً، وضمن معنى التسلط والاستيلاء، و في بعض نسخ التوحيد: مستملك. قوله «بخلق» من باب الإفعال من «الخلق» ضد الجديد. و «الراتب» الثابت، و «الصعب» نقيض الذلول، و «التخم» منتهى الشيء، والجمع «التخوم» بالضم. و «الرصين» المحكم الثابت، و «أسباب السماء» مراقبها أونواحيها وأبوابها، و «الشاهق» المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها. فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة التي تشبه الإبل الصعاب حيث أثبتت بعروقها إلى منتهى الأرض، و يحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضية من الأرض والجبال والماء والثور والسمكة والصخرة وغيرها حيث

أثبت كلاً منها في مقرها بحيث لا يزول عنه ولا يتزلزل ولا يضطرب. وإنما عبر عنها بالصعاب إشارة إلى أن من شأنها أن تضطرب وتزلزل لولا أن الله أثبتها بقدرته. ورواصن الأسباب إشارة إلى الأسباب السماوية من الأفلاك والكواكب حيث رتبها على نظام لا يخل ولا يتبدل ولا يختلف، ولذا أورد—عليه السلام—في الأول التخوم وفي الثاني الشواقي. وما بعد ذلك من الفقرات مؤكدة لأمرة. و«الإدراك والإحاطة والإحصاء» كل منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة والعلية والقهر والغلبة، أو بالمعنى الأعم، أو بالتوزيع.

قوله—عليه السلام—«كفى بإتقان الصنع» الباء زائدة أي كفى إحكام صنعه—تعالى—للأشياء لكونها آية لوجوده وصفاته الكمالية. و«الركب» مصدر ميمي بمعنى الركوب، أي كفى ركوب الطبايع وغلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبايع فيها وجعلها مسخرة لها؛ ويحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال: «ركبت الفص في الخاتم أو عليه»، أي كفى الطبع الذي ركب على الأشياء دلالة على مركبها. وعلى التقديرين رد على الطبيعيتين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبايع. و«الفطر» الخلق والابتداء والاختراع، ويحتمل أن يكون هنا «الفطر» بكسر الفاء وفتح الطاء على صيغة الجمع، أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه.

قوله—عليه السلام—«فلا إليه حد» أي ليس له حد ينسب إليه. قوله «إيماناً» حال أو مفعول لأجله، وكذا قوله «خلاقاً». قوله—عليه السلام—«المقر» على صيغة المفعول، و«خير مستقر» المراد به إما عالم الأرواح أو الأضلاب الطاهرة وأعلى عليين بعد الوفاة.

قوله «المتناسخ» أي المتزائل والمتنقل. و«المحدد» بكسر التاء، الأصل، يقال: «فلان في محد صدق» ذكره الجوهري. و«المنبت» بكسر الباء، موضع النبات. و«الأرومة» بفتح الهمزة وضمة الراء، أصل الشجرة و«بسق النخل بسوقاً»

طال، و منه قوله - تعالى -: «وَالْتَّخْلُ بِأَيْقَاتٍ»^{٧٥١}. و «البائع» النضيح. و «الحشا» واحد أحشاء البطن؛ والمراد هنا داخل الشجرة و يحتمل أن يكون من قولهم «أنا في حشاه» أي في كنفه و ناحيته. و «سمت و شمخت» كلاهما بمعنى ارتفعت. و الباء في قوله «به» لتعديتها. والمراد بالشجرة، الإبراهيمية، ثم القرشية، ثم الهاشمية. و «صدع بالحق» تكلم به جهاراً. و «الإفصاح» البيان بفصاحة، أي أظهر دعوته متلبساً بالتوحيد، و يمكن أن تقرأ «دعوته» بالرفع ليكون فاعل الإفصاح والضمير في قوله «حجته و درجته» راجع إلى الرسول.^{٧٥٢}

١٨٦ - وَمِنْ خُطَبِهِ الْمَعْلُومَاتِ

في التوحيد ، و تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى
مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ^(٢٣٨٨) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ
مَصْنُوعٌ^(٢٣٨٩) ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَغْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِأَضْطِرَابِ آلَةٍ ،
مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَضْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا
تَرْفِدُهُ^(٢٣٩٠) الْأَدْوَاتُ ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ ، وَالْإِبْتِدَاءَ
أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ^(٢٣٩١) ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ
الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنْتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ

٧٥١- ق: ١٠.

٧٥٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٢٢١.

لَهُ . ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلْبَلِ ،
وَالْحُرُورَ بِالصَّرَدِ^(٢٣٩٢) . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ،
مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا^(٢٣٩٣) . لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ،
وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى
نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا «مَنْدُ» الْقِدَمَةِ ، وَحَمَتْهَا «قَدْ» الْأَرْلِيَّةُ ، وَجَبَّبَتْهَا «لَوْ لَا»
التَّكْمِلَةُ^(٢٣٩٤) ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ ،
وَلَا يَجْزِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكََةُ ، وَكَيْفَ يَجْزِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ،
وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ . وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَتْهُ ! إِذَا لَتَفَاوَتْ
ذَاتُهُ^(٢٣٩٥) ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَا مَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ
إِذَا وُجِدَ لَهُ أَمَامُ ، وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ
الْمُضْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَذْلُولًا عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ^(٢٣٩٦) مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ . الَّذِي لَا
يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ^(٢٣٩٧) . لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ
مَوْلُودًا^(٢٣٩٨) . وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَخْدُودًا . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ،
وَطَهَّرَ عَنْ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ
فَتُصَوِّرُهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسُّهُ ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ . وَلَا
يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا

يُغَيِّرُهُ الضَّبَاءُ وَالظَّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ^(٢٣٩٩)، وَلَا بِالْجَوَارِحِ
وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْعَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ: لَهُ
حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ؛ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلُّهُ^(٢٤٠٠)
أَوْ تُنْهَوِيهِ^(٢٤٠١)، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيُمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ
بِوَالِجٍ^(٢٤٠٢)، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ^(٢٤٠٣)،
وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ^(٢٤٠٤)،
وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ
غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: «كُنْ فَيَكُونُ»، لَا بِصَوْتٍ يَفْرَعُ،
وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَ وَمِثْلُهُ، لَمْ يَكُنْ
مِنْ قَبْلُ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ،
وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ
وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ
فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ،
وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ^(٢٤٠٥) وَالْأَعْوَجَاجِ، وَمَنْعَهَا
مِنَ التَّهَافُتِ^(٢٤٠٦) وَالْإِنْفِرَاجِ^(٢٤٠٧). أَرْسَى أَوْتَادَهَا^(٢٤٠٨)، وَضَرَبَ

أَسَدَادَهَا^(٢٤٠٩) ، وَأَسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدَّ^(٢٤١٠) أَوْدِيَّتَهَا ؛ فَلَمْ يَهِنْ^(٢٤١١) مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيْغْلِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كُفَّ لَهُ فَيُكَافِئُهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا . وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا . وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا^(٢٤١٢) وَسَائِمِهَا^(٢٤١٣) ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا^(٢٤١٤) وَأَجْنَاسِهَا ، وَمُتَبَلِّدَةٍ^(٢٤١٥) أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا^(٢٤١٦) ، عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضَةٍ ، مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا ، وَلَتَحِيرَتْ عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً^(٢٤١٧) حَسِيرَةً^(٢٤١٨) ، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا ، مُذِنَّةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا !

وإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَخَدُّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا

كَانَ قَبْلَ آبْتِدَائِهَا ، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ،
وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُذِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ
السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ
مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ آبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ
أَمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا ، وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَى الْأَمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا .
لَمْ يَتَكَاهَدْهُ^(٢٤١٩) صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يُوْذِهِ^(٢٤٢٠) مِنْهَا خَلْقُ
مَا خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ^(٢٤٢١) ، وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ
زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى نِدٍّ^(٢٤٢٢) مُكَاثِرٍ^(٢٤٢٣) ، وَلَا
لِإِخْتِرَازٍ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ^(٢٤٢٤) ، وَلَا لِإِلَازِدِيَادٍ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا
لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكِ فِي شِرْكِهِ ، وَلَا لِيَوْخَشَةِ كَانَتْ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ
إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا
وَتَذْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا
يُمْلَهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا
بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتَقْنَهَا بِقُدْرَتِهِ . ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ
مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ
مِنْ حَالٍ وَخَشَةِ إِلَى حَالٍ أَسْتَيْفَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ

عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

بيان: قال بعض شراح النهج في قوله—عليه السلام—«ولتجزأ كنه» إشارة إلى نفي الجوهر الفرد. وقال: قوله—عليه السلام—«و لكان له وراء إذ كان له أمام» يؤكد ذلك لأن من أثبتة يقول يصح أن تحله الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر.

* فائدة *

اعلم أن الطبيعيين والرياضيين اتفقوا على أن الأرض كروية بحسب الحس وكذا الماء المحيط بها، وصاروا بمنزلة كرة واحدة، فالماء ليس بتأم الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوفة قطع بعض منها وملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة، ومع ذلك ليس شيء من سطحه صحيح الاستدارة، أما المحدث فلما فيه من الأمواج، وأما المقرفل للتضاريس فيه من الأرض. وقد أخرج الله—تعالى—قريباً من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة، أول بعض الأسباب المتقدمة لتكون مسكناً للحيوانات المتنفسة وغيرها من المركبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور والأشكال وربط الأعضاء والأوصال. ومما يدل على كروية الأرض ما أوأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب وغروبها في البقاع الشرقية قبل طلوعها وغروبها في الغربية بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من ارساد كسوفات بعينها لاسيما القمرية في بقاع مختلفة، فإن ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور، وكون الاختلاف متقدراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بمجدها المواضع التي يتلو بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين، وازدياد ارتفاع القطب والكواكب الشمالية وانحطاط الجنوبية للسائرين إلى الشمال وبالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب والشمال، وتركب الاختلافين يعطي الاستداره في جميع الامتدادات. ويؤيده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالة على أن الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض وما

ينبعث منه الظلّ دائرة، وكذلك اختلاف ساعات النهر^{٧٥٣} الطوال والقصار في مساكن متفقة الطول إلى غير ذلك. ولو كانت أسطوانية قاعدتها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبديّ الظهور، بل إمّا الجميع طالعة غاربة أو كانت كواكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبدية الخفاء والباقية طالعة غاربة وليس كذلك، وأيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له، وتظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السين، وذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً. ومما يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشاخعة على السائرين في البحر أولاً ثم ما يلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات. وقالوا: التضاريس التي على وجه الأرض من جهة الجبال والاغوار لا تقدح في كرويتها الحسية، إذ ارتفاع أعظم الجبال وأرفعها على ما وجدوه فرسخان وثلاث فرسخ، ونسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك. ويظهر من كلام أكثر المتأخرين أنّ عدم قدح تلك الأمور في كرويتها الحسية معناه أنّها لا تتخلّ بشكل جملتها كالبيضة الزقت بها حبات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها. واعترض عليه بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع، وكيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منها ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه وعرفوه به؟ وربما يوجّه بوجه آخر وهو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الاحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع. بيانه أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب والبعد، فيرى القريب أعظم ممّا هو الواقع والبعد أصغر منه وهو ظاهر، وقد أطبق القائلون بالانطباع وبخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف في رؤية المرئيّ بسبب القرب والبعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليدية في رأس المخروط الشعاعيّ بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئيّ، فكلّما قرب المرئيّ عظمت تلك الزاوية، و

كلّما بعد صغرت. وقد تقرّر أيضاً بين محقّقيهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو^{٧٥٤} في حالة يكون البعد بين الراي والمريّ على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة. فبناءً على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مريّ قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط وقاعدته المحيطة بالمريّ بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول. فلما كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مريّة على ماهي عليه من دون ألف فرسخ، ومعلوم أنّ الجبال والوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الذي مهّدنا.

ثمّ إنهم استعلموا بزعمهم مساحة الأرض وأجزائها ودوائرها في زمان المأمون وقبلة فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ، وقصرها ألفين وخسمائة وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً، ومضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض وهي عشرون ألف ألف وثلاثمائة وستون ألف فرسخ وربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض. وأما القدر المعمور من الربع المسكون وهو ما بين خط الاستواء والموضع الذي عرضه بقدر تمام الميل الكليّ فمساحته ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة وخمسة وستين ألفاً وأربعمائة وعشرين فرسخاً وهو قريب من سدس سطح جميع الأرض وسدس عشره. والفرسخ ثلاثة أميال بالاتفاق، وكلّ ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدثين، وثلاثة آلاف عند القدماء، وكلّ ذراع أربع وعشرون إصباعاً عند المحدثين، واثنان وثلاثون عند القدماء. وكلّ إصبع بالاتفاق مقدار ست شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة.

وذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات: الأولى الأرض الصرفة المحيطة بالمركز، الثانية الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء، الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتتولد منها المعادن والنباتات والحيوانات. وزعموا أنّ

البسائط كلها شفاقة لا تحجب عن إبصار ما ورأها ماعدا الكواكب، وأن الأرض الصرفة المتجاوزة^{٧٥٥} للمركز أيضاً شفاقة، والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان. فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملونة كثيفة غبراء لتقبل الضياء وخلق ما فوقها من العناصر مشقة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل إلى غيرها ساطع الشعاع، فإن الكواكب وسيا الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله تعالى.

وقالوا: الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم، وذلك لتساوي ارتفاع الكواكب وانحطاطها مدة ظهورها وظهور النصف من الفلك دائماً وتطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها وغروبها عند كونها على المدار الذي يتساوى فيه زمان ظهورها وخفائها على خط مستقيم، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة التي يقطعها سيرها الخاص بها، وانخساف القمر في مقاطراته^{٧٥٦} الحقيقية للشمس، فإن الأول يمنع ميلها إلى أحد الحافقين، والثاني إلى أحد السمتين، الرأس والقدم، والثالث إلى أحد القطبين، والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى. وكما أن مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها، وذلك لأن الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلت عليه التجربة، فهي إذن لا تتحرك عن الوسط، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساوياً، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقي المتحد بمركز حجمها التقريبي على مركز العالم ومستقرها عند وسط العالم لتكافؤ القوى، ولا تنزلق واضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور، ولكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شيء منها، وكذا الأجزاء المبانة لها تهوي إليها وهي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب. هذا ما ذكره في هذا المقام، ولا نعرف من ذلك

٧٥٥- في (خ): المجاورة.

٧٥٦- «المقاطرة» مقابلة القطرين.

إِلَّا كَوْنُ الْجَمِيعِ بِقُدْرَةِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ وَ إِرَادَةِ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ كَمَا سَتَعْرِفُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -تَعَالَى-.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ -قُدَّسَ سِرُّهُ- فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ: أَقُولُ: إِنَّ الْعَالَمَ هُوَ السَّاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهَا وَفِيهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ خِلَافاً فِي ذَلِكَ.

أَقُولُ: لَعَلَّ مَرَادَهُ -قُدَّسَ سِرُّهُ- بِالسَّمَاوَاتِ مَا يَشْمَلُ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَالْحُجُبَ، وَ غَرَضُهُ نَفْيُ الْجَوَاهِرِ الْمَحْرُودَةِ الَّتِي تَقُولُ بِهَا الْحُكَمَاءُ.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَ أَقُولُ: إِنَّ الْفَلَكَ هُوَ الْمَحِيطُ بِالْأَرْضِ الدَّائِرُ عَلَيْهَا وَ فِيهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَسَائِرُ النُّجُومِ، وَالْأَرْضُ فِي وَسْطِهِ بِمَنْزِلَةِ النَّقْطَةِ فِي وَسْطِ الدَّائِرَةِ، وَ هَذَا مَذْهَبُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُلْخِيِّ وَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْقَدَمَاءِ وَ الْمُنْتَجِمِينَ وَ قَدْ خَالَفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَصَرِيَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ النَّحْلِ.

وَ أَقُولُ: إِنَّ الْمُتَحَرِّكَ مِنَ الْفَلَكَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً دَوْرِيَّةً كَمَا يَتَحَرَّكُ الدَّائِرُ عَلَى الْكَرَةِ، وَ إِلَى هَذَا ذَهَبَ الْبُلْخِيُّ وَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَ الْأَرْضُ عَلَى هَيْئَةِ الْكَرَةِ فِي وَسْطِ الْفَلَكَ وَ هِيَ سَاكِنَةٌ لَا تَتَحَرَّكُ، وَ عِلَّةُ سُكُونِهَا أَنَّهَا فِي الْمَرْكَزِ، وَ هُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْقَاسِمِ وَ أَكْثَرِ الْقَدَمَاءِ وَ الْمُنْتَجِمِينَ، وَ قَدْ خَالَفَ فِيهِ الْجَبَائِثِيُّ وَ ابْنُهُ وَ جَمَاعَةٌ غَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْآرَاءِ وَ الْمَذَاهِبِ مِنَ الْمُقَلِّدَةِ وَ الْمُتَكَلِّمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: وَ أَقُولُ: إِنَّ الْعَالَمَ مَمْلُوءٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَ إِنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ خِلَافٌ لَمَاصَحَ فَرْقُ بَيْنِ الْمُجْتَمِعِ وَ الْمُتَفَرِّقِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَ الْأَجْسَامِ وَ هُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْقَاسِمِ خَاصَّةً مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ، وَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْقَدَمَاءِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَ خَالَفَ فِيهِ الْجَبَائِثِيُّ وَ ابْنُهُ وَ جَمَاعَةٌ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ الْحَشْوِ وَ الْجَبْرِ وَ التَّشْبِيهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَ أَقُولُ: إِنَّ الْمَكَانَ هُوَ مَا أَحَاطَ بِالشَّيْءِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَلَا يَصَحُّ تَحَرُّكُ الْجَوَاهِرِ إِلَّا فِي الْأَمَاكِنِ؛ وَ الْوَقْتُ هُوَ مَا جَعَلَهُ الْمَوَقْتُ وَقْتاً لِلشَّيْءِ وَ لَيْسَ بِمَحَادَثٍ مُخْصُوصٍ وَ الزَّمَانُ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى حَرَكَاتِ الْفَلَكَ فَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْفِعْلُ مُحْتَاجاً فِي وَجُودِهِ إِلَى وَقْتٍ وَ لَا زَمَانٍ، وَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ سَائِرُ الْمُوَحِّدِينَ.

وسئل السيد المرتضى -رحمه الله-: الفراغ له نهاية؟ والقديم -تعالى- يعلم منتهى نهايته؟ وهذا الفراغ أي شيء هو؟ وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء نقطع أن هناك فراغاً أم لا؟ فإن قلت: لا، طابتك بما وراء الملاء، القديم -تعالى- يعلم أن هناك نهاية. فإن قلت: نعم، طابتك أي شيء وراء النهاية؟

فأجاب -رحمه الله-: إن الفراغ لا يوصف بأنه منته، ولا أنه غير منته على وجه الحقيقة، وإنما يوصف بذلك مجازاً واتساعاً. وأما قوله «وهذا الفراغ أي شيء هو؟» فقد علمنا^{٧٥٧} أنه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالملومات. وأما الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها، والذي نطق به القرآن: «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» فأما غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع. انتهى.

وأقول: بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب، ومحل علم الكلام.^{٧٥٨}

[إيضاح:] «لا تصحبه الأوقات» يحتمل وجهين: أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالزمانيات^{٧٥٩} كما قال: «سبق الأوقات كونه». وثانيهما نفي الزمانية عنه -سبحانه- مطلقاً كما ذهب إليه الحكماء من أن الزمان نسبة المتغير إلى المتغير ولا يكون فيما لا يتغير فيه أصلاً، فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له وامتناع مقارنته -سبحانه- لها، وربما يؤيد ذلك بقوله -عليه السلام- «و كيف يجري عليه ما هو أجراه؟».

٧٥٧- في (خ): قلنا.

٧٥٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب الساء والعالم، ص ٩٥-١٠٠.

٧٥٩- يعني أن الزمانيات تصحب الزمان مادامت موجودة لكن وجود الواجب غير مقارن للزمان دائماً لأنه -تعالى- كان موجوداً ولم يكن زمان، فلما خلق الزمان صار مقارناً له؛ وأما الحكماء فينفون مقارنته -سبحانه- للزمان مطلقاً لأن الزمان أمر تدريجي لا يقارنه إلا ما شأنه الحركة والتغير وهو الجسم لا غير. ودلالة كلامه -عليه السلام- على مقالته لا غبار عليها.

فإنه—عليه السلام—استدلّ على عدم جريان السكون والحركة عليه بأنّه موجدهما فلا يكونان من صفاته الكمالية، لأنّ الفعل لا يكون كمالاً للفاعل واتّصافه بهما لا على وجه الكمال يوجب التغيّر أو النقص وهذا جارٍ في الزمان أيضاً.

و كذا قوله «و يعود فيه ما هو أبداه» أي أظهره، فقيل: المعنى أنّه—سبحانه—أظهر الحركة والسكون فكانا متأخرين عنه ذاتاً، فلو كانا من صفاته لزم أن يعود المتأخّر ويصير متقدّماً لأنّ صفاته—سبحانه—عين ذاته فلا يجوز خلوه عنها في مرتبة الإظهار والإيجاد. «و يحدث فيه ما هو أحدثه» لأنّ الشيء لا يكون فاعلاً و قابلاً لشيء واحد، أو لما مرّ من لزوم الاستكمال بغيره والنقص في ذاته.

«إذا لتفاوتت ذاته» أي حصل الاختلاف والتغيّر في ذاته. «و لتجزأ كنهه» أي كانت حقيقة ذات أجزاء وأبعاد، لأنّ الحركة والسكون مستلزمان للتحيّز المستلزم للجسميّة، أو لكان فيه ما به بالقوّة وما به بالفعل. «ولا ممتنع من الأزل معناه» أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى، والامتناع من الأزل للجسميّة وحدوث ما لا ينفك عن الحركة والسكون.

«لا بصوت يقرع» أي يقرع الأسماع، و «القرع» الدق، وفي بعض النسخ على بناء المجهول أي يحصل من قرع شيء «و مثله» أي أقامه، و قيل: الباريّ—تعالى—مثل القرآن لجبرئيل—عليه السلام—بالكتابة في اللوح، و يقال: «مثله بين يديّ» أي أحضرته. فلما كان الله—تعالى—فعل القرآن واضحاً بيناً كأن قد مثله للمكلفين. انتهى. والظاهر أنّ المراد أنّ قوله [—تعالى—]: «مَنْ قَبِطُوكُمْ»^{٧٦٠} ليس المراد به الكلام الحقيقيّ الذي له صوت بل كناية عن تعلّق الإرادة وتمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخّر ولا توقّف على أمر.

«و لو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً» هذا صريح في أنّ الإمكان لا يجمع القدم و أنّ الإيجاد إنّما يكون لما هو مسبوق بالعدم^{٧٦١}، فالقول بتعدد القدماء مع القول بإمكان

٧٦٠- النحل: ٤٠.

٧٦١- كلامه - عليه السلام - صريح في أنّ القدم يلازم الألوهيّة ولا يجمع الإمكان، لكنه ليس بصريح في أنّ المراد به القدم الزمانيّ، فإن كانت هناك قرينة عقلية وجب حملها على القدم الذاتيّ.

بعضها قول بالنقيضين. «فتجري» على [بناء] المعلوم وفي بعض النسخ على [بناء] المجهول. «عليه الصفات المحدثات» في أكثر النسخ «الصفات» معرفة باللام، فالمحدثات صفة له وفي بعضها بدون اللام على الإضافة وهو أنسب، أي لو كان محدثاً لجرت عليه صفات الأجسام المحدثه فلم يكن بينه وبينها فرق. و «الفصل» القطع، والحاجزين الشيثين. و «المبتدع» في بعض النسخ على صيغة الفاعل، وفي بعضها على صيغة المفعول، فعلى الأول «البديع» بمعنى المبدع على بناء المفعول، وعلى الثاني بمعنى «المبدع» على بناء الفاعل.

«على غير مثال خلا» أي مضى وسبق. «من غير اشتغال» أي لم يشغله إمساكها عن غيره من الأمور. و «أرساها» أي أثبتها «على غير قرار» أي مقرّ يتمكّن عليه بل قامت بأمره لأعلى شيء. «بغير قوائم» أي لاكدابة تقوم بقوائمها. و «الدعامة» بالكسر، عماد البيت الذي يقوم عليه. و «حصنه تحصيناً» أي جعله منيعاً. و «الأود» بالتحريك، الاعوجاج، والعطف للتفسير. و «التهافت» التساقط قطعة قطعة. «وأوتادها» أي جبالها التي هي للأرض بمنزلة الأوتاد. «و ضرب أسداها»، «السدّ» بالفتح وبالضمّ الجبل والحاجز بين الشيثين، وقيل: بالضمّ ما كان مخلوقاً لله تعالى—و بالفتح ما كان من فعلنا. و «ضرب الأسداد» نصبها، يقال: «ضربت الخيمة» أي نصبتها، وأوتعيناها كضرب الخراج. و لعلّ المعنى خلق الجبال فيها والأنهار التي هي كالحدود لها لتمييز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة. و قال الجوهري: «السدّ» أيضاً واحد السدود وهي السحائب السود، عن أبي زيد. «و استفاض عيونها» أي جعلها فائضة جارية. «وخذ أوديتها» أي شقّها ومنها «الأخدود» أي الحفرات المستطيلة في الأرض.

«حتى يصير موجودها كمفقودها» لعلّ المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلاً أي حتى يصير كأن لم يكن، و يحتمل أن تكون الكاف زائدة.

وقوله—عليه السلام—«كما كان قبل ابتدائها» إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى الله تعالى—و ظاهره نفي الزمان أيضاً قبل العالم و عدم

زمانيته—سبحانه—إلى أن يحمل على الأزمنة المعينة من الليالي والأيام والشهور والسنين ويدلّ على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود. وهذا أيضاً ينافي القدم لأنهم أطبقوا على أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأقاموا عليه البراهين العقلية.

«لم يتكاذه» في أكثر النسخ على صيغة التفاعل و في بعضها على صيغة التفاعل، و كلاهما بمعنى نفي المشقة. و في بعض النسخ: «لم يتكاهه» على صيغة التفاعل من الكره، يقال: فعل الأمر على تكراهه و تكاره أي على تسخّط و عدم الرضا به. والغرض أنه—سبحانه—لم يكن مجبوراً مكرهاً في خلق الأشياء.

و «آده الأمر يؤده» أثقله. و «برأه» أي خلقه. و «تشديد السلطان» إحكام السلطنة و حفظها عن تطرّق الخلل فيها. و «الندّ» بالكسر، المثل، قالوا: ولا يكون الندّ إلا مخالفاً. و «المكاثرة» المغالبة بالكثرة. و «الضدّ» بالكسر، النظير والكفو، و قيل: مثل الشيء و خلافه، و هو من الأضداد. و «الثور» بالفتح، الهيجان والوثب، و «ثاوره» أي واثبه. و «الشرك» بالكسر، الاسم من «شركته—كعلمت—في البيع والميراث شركة»؛ و في النسخ: «في شركة» بالتاء موضع الضمير «والاستئناس» اتخاذ الأنيس ضدّ الاستيحاش.

و «السأم» بالتحريك، الملال. و «التصريف» التغير و تحويل الشيء من حال إلى حال و من وجه إلى وجه. و «الثقل» بالكسر كما في بعض النسخ و كعنب كما في بعضها، ضدّ الخفة. و «لم يملّه» على صيغة الإفعال، أي لم يجعله سئماً، و في بعض النسخ: «ولا يملّه». و ذكر السرعة لأنّ الإفناء لا يستدعي زماناً طويلاً إذا كان عن قدرة كاملة، أولأته إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة. و «أتقنها» أحكمها. و «الالتماس» الطلب، والمراد طلب علم مجهول. و «الضعة» بالفتح كما في النسخ و بالكسر، انحطاط الدرجة ضدّ الرفعة. والضمير في قوله—عليه السلام—«يعيدها» راجع إلى الدنيا كالضمانر السابقة، و جوّز بعض شارحي النهج عودها إلى «الأموار» في قوله—عليه السلام—«إليه مصير جميع الأمور»؛ و على أيّ حال ظاهره انعدام جميع المخلوقات حتّى الأرواح والملائكة ثمّ عودها فيدلّ على جواز إعادة

المعدوم، وقد سبق الكلام فيه في المجلد الثالث. ٧٦٢
أقول: قد مرّت الخطبة بتمامها وشرحها في كتاب التوحيد.

تتميم: اعلم أنّ ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلمين، قال شارح المواقف: قد سبق في مباحث الجسم إشارة إلى أنّ الأجسام باقية غير متزايلة على ما يراه النظام، وقبلة نفعاً غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولاً بأنّها أزليّة أبدية، والجاحظ وجع من الكرامة قولاً بأنّه أبدية غير أزليّة، وتوقف أصحاب أبي الحسين في صحة الفناء، واختلف القائلون بها في أنّ الفناء بإعدام معدوم أو يحدث ضدّه أو بانتفاء شرط. أمّا الأول فذهب القاضي وبعض المعتزلة إلى أنّ الله تعالى يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوماً كما أوجده كذلك فصار موجوداً، وذهب أبو الهذيل إلى أنّه تعالى يقول له: افن فيني، كما قال له: كن فكان. وأمّا الثاني فذهب جمهور المعتزلة إلى أنّ فناء الجوهر يحدث ضدّه له هو الفناء، فذهب ابن أحشيد إلى أنّ الفناء وإن لم يكن متحيزاً لكتفه يكون حاصلًا في جهة معيّنة، فإذا أحدث الله تعالى فيها عدمت الجواهر بأسرها؛ وذهب ابن شبيب إلى أنّ الله تعالى يحدث في كلّ جوهر فناءً ثمّ ذلك الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني؛ وذهب أبو عني وأتباعه إلى أنّه يخلق بعدد كلّ جوهر فناءً لا في محلّ فتفنى الجواهر؛ وقال أبو هاشم وأشياعه: يخلق فناءً واحداً لا في محلّ فيفنى به الجواهر بأسرها. وأمّا الثالث وهو أنّ فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أنّ ذلك الشرط بقاء مخلقه الله تعالى لا في محلّ، فإذا لم يخلقه الله تعالى عدم الجوهر. وذهب الأكثرون من أصحابنا والكلبيّ من المعتزلة إلى أنّه بقاء قائم به يخلقه الله حالاً فحالاً، فإذا لم يخلقه الله تعالى فيه انتفى الجوهر. وقال إمام الحرمين: إنّها الأعراض التي يجب اتصاف الجسم بها، فإذا لم يخلقها الله تعالى فيه فنى. وقال القاضي في أحد قوليّه: هو الأكوان التي يخلقها الله في الجسم حالاً فحالاً، فتى لم يخلقها الله فيه انعدم. وقال النظام: إنّ الله ليس بباقي بل يخلق الله حالاً فحالاً فتى لم يخلق

فنى.

وأكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل، سيما القول بكون الفناء أمراً محققاً في الخارج ضدّاً للبقاء قائماً بنفسه أو بالجواهر، وكون البقاء موجوداً لا في محل، ولعل وجه البطلان غني عن البيان.

ثم القائلون بصحة الفناء وبحقبة حشر الأجساد اختلفوا في أن ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرق الأجزاء؟ والحق التوقف، وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال: يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثم تعاد، وأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيتها ولم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما، فلا يبعد أن يغير أجساد العباد على صفة أجسام التراب، ثم يعاد تركيبها إلى ما عهد، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد، والله أعلم.

احتج الأولون بوجوه:

الأول: الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخرين من المعتزلة وأهل السنة. ورد بالمنع كيف وقد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه؟ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحق وفناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء وموت الأحياء وتفرق الأجزاء لا بمعنى انعدام الجواهر بالكلية لأن الظاهر أنهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات.

الثاني: هو قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»^{٧٦٣} أي في الوجود، ولا يتصور ذلك إلا بانعدام ماسواه، وليس بعد القيامة وفقاً فيكون قبلها؛ وأجيب بأنه يجوز أن يكون المعنى: هو مبدء كل موجود وغاية كل مقصود، أو هو المتوحد في الألوهية، أو في صفات الكمال، كما إذا قيل لك: هذا أول من زارك أو آخرهم؟ فتقول: هو الأول والآخر، وتريد أنه لا زائر سواه؛ أو هو الأول والآخر بالنسبة إلى كل حي، بمعنى أنه يبقى بعد موت جميع الأحياء، وهو الأول خلقاً والآخر رزقاً، كما قال [تعالى]: «خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ»^{٧٦٤}. وبالجملة فليس المراد أنه آخر كل شيء بحسب الزمان

للاتفاق على أبدية الجنة ومن فيها.

الثالث: قوله—تعالى—: «كُلْ شَيْءٍ هَالِكٍ إِلَّا وَجْهَهُ»^{٧٦٥} فَإِنَّ المراد به الانعدام، لا الخروج عن كونه منتفعاً به لأنَّ الشيء بعد التفرق يبقى دليلاً على الصانع، وذلك من أعظم المنافع. وأجيب بأنَّ المعنى أَنَّهُ هَالِكٌ في حَدِّ ذاته لكونه ممكنًا لا يستحقُّ الوجود إلا بالنظر إلى العلة، أو المراد بالهلاك الموت، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به للاتق بحاله، كما يقال: هلك الطعام إذا لم يبق صالحاً للأكل وإن صلح لمنفعة أخرى. ومعلوم أن ليس مقصود الباري—تعالى—من كلِّ جوهر الدلالة عليه وإن صلح لذلك كما أنَّ من كتب كتاباً ليس مقصوده بكلِّ كلمة الدلالة على الكاتب. أو المراد الموت كما في قوله—تعالى—: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ»^{٧٦٦}، وقيل: معناه: كلَّ عمل لم يقصد به وجه الله—تعالى—فهو هالك أي غير مثاب عليه.

الرابع: قوله—تعالى—: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»^{٧٦٧} [و قوله—تعالى—: «كَمَآ بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ»^{٧٦٨}. والبدؤ من العدم فكذا العود، و أيضاً إعادة الخلق بعد إبدائه لا يتصور بدون تحلل العدم. وأجيب بأننا لا نسلم أنَّ المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله—تعالى—: «وَبَدَأْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ»^{٧٦٩}. ولهذا يوصف بكونه مرتباً مشاهداً كقوله—تعالى—: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»^{٧٧٠} فَنَظَرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»^{٧٧١}.

و أما القول بأنَّ الخلق حقيقة في التركيب متمسكاً بمثل قوله—تعالى—: «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ»^{٧٧١} أي ركبكم [وقوله—تعالى—: «وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ»^{٧٧٢} أي تركبونه؛ فلا يكون حقيقة في الإيجاد دفعاً للاشتراك، فضعيف جداً لإطباق أهل اللغة على أَنَّهُ إحداث وإيجاد مع تقدير، سواء كان عن مادة كما في خلقكم من تراب أو بدونه كما في خلق الله العالم.

٧٦٥- القصص: ٨٨.

٧٦٧- الروم: ٢٧.

٧٦٩- السجدة: ٧.

٧٧١- الفاطر: ١٣.

٧٦٦- النساء: ١٧٦.

٧٦٨- الأنبياء: ١٠٤.

٧٧٠- العنكبوت: ١٩- ٢٠.

٧٧٢- العنكبوت: ١٧.

الخامس: قوله - تعالى - : «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»^{٧٧٣} و الفناء هو العدم. و
أجيب بالمتع بل هو خروج الشيء من الصفة التي ينتفع به عندها كما يقال: فنى زاد
القوم و فنى الطعام و الشراب. و لذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب. و قيل:
معنى الآية: كل من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميت.

قال الإمام: ولو سلم كون الفناء والهلاك بمعنى العدم فلا بد في الآيتين من
تأويل، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكل هالكاً فانياً في الحال وليس كذلك،
و ليس التأويل بكونه آنلاً إلى العدم على ما ذكرتم أوّل من التأويل بكونه قابلاً له، و
هذه منه إشارة إلى ما اتفق عليه أئمة العربية من كون اسم الفاعل ونحوه مجازاً في
الاستقبال. و أنه لابد من الاتصاف بالمعنى المشتق منه. و إنها الخلاف في أنه هل
يشترط بقاء ذلك المعنى؟ و قد توهم صاحب التلخيص أنه كالمضارع يشترك
بين الخال والاستقبال، فاعترض بأنّ حمله على الاستقبال ليس تأويلاً و صرفاً
عن الظاهر.

و احتج الآخرون بوجه:

الأول: أنه لو كان كذلك لما كان الجزاء أصلاً إلى مستحقّه، و اللازم
باطل عندنا سمعاً للنصوص الواردة في أنّ الله لا يضيع اجر من أحسن عملاً. و عقلاً
عند المعتزلة لما سبق من وجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي. و بيان اللزوم أنّ المنشأ
لا يكون هو المبتدأ بل مثله لا متنازع إعادة المعدوم بعينه. و ردّ بالمتع و قد مرّ بيان ضعف
أدلّته، و لو سلم فلا يقوم على من يقول ببقاء الروح أو الأجزاء الأصلية و إعدام البواقي
ثمّ إيجادها و إن لم يكن الثاني هو الأوّل بعينه بل مغايراً له في وصفه الابتدأ و
الإعادة أو باعتبار آخر، ولا شك أنّ العمدة في الاستحقاق هو الروح على ما مرّ، و قد
يقرّر بأنّها لو عدمت لما علم إيصال الجزاء إلى مستحقّه لأنّه لا يعلم أنّ ذلك المحشور هو
الأوّل أعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته. أمّا على تقدير الفناء بالكلية فظاهر، و
أمّا على تقدير بقاء الروح و الأجزاء الأصلية فلانعدام التركيب والهيئات والصفات

التي بها يتميز المسلمون سيما على قول من يجعل الروح أيضاً من قبيل الأجسام، و
اللازم منتفٍ لأن الأدلة قائمة على وصول الجزاء إلى المستحق.

لا يقال: لعَلَّ الله يحفظ الروح والأجزاء الأصلية عن التفرق والانحلال، بل
الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحق إلى المستحق لأننا نقول: المقصود إبطال رأي
من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثم الإيجاد وقد
حصل ولو سلم فقد علمت أن العمدية في الحشر هو الأجزاء الأصلية لا الفضلية وقد
سلمت أنها لا تفرق فضلاً عن الانعدام بالكلية؛ بل الجواب أن المعلوم بالأدلة هو
أن الله تعالى—يوصل الجزاء إلى المستحق ولا دلالة على أننا نعلم ذلك عند الإيصال
البيّنة وكنى بالله عليمًا. ولو سلم فعل الله تعالى—يخلق علماً ضرورياً أو طريقياً جلياً
جزئياً أو كلياً.

الثاني: وهو للمعتزلة أن فعل الحكيم لابد أن يكون لغرض لامتناع العبث
عليه ولا يتصور له غرض في الإعدام إذ لا منفعة فيه لأحد لأنها إنما تكون مع الوجود بل
الحياة، وليس به أيضاً جزاء المستحق كالعذاب والسؤال والحساب ونحو ذلك وهذا
ظاهر. ورد بمنع انحصار الغرض في المنفعة والجزاء، فعَلَّ الله في ذلك حكماً ومصالح
لا يعلمها غيره، على أن في الإخبار بالإعدام لطفًا للمكلفين وإظهاراً لغاية العظمة
والاستغناء والتفرّد بالدوام والبقاء، ثم الإعدام تحقيق لذلك وتصديق.

الثالث: النصوص الدالة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع

بعد التفريق كقوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» الآية^{٧٧٤}
وقوله تعالى: «أَوَ كَأَلَدِي مَرٌّ عَلَيَّ فَزَيَّةٌ وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا قَالَ أَتَى بُغْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» إلى قوله: «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
لَحْمًا»^{٧٧٥} وقوله تعالى: «كَذَلِكَ النُّشُورُ»^{٧٧٦} [وقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ»^{٧٧٧} و [قوله تعالى: «كَمَا بَدَأْتُمْ تَعْمَدُونَ»^{٧٧٨} بعد ما ذكر بدء
الخلق من الطين وعلى وجه نرى ونشاهد مثل [قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا

كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ إِثْمَ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا—فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»^{٧٧٩}، و كقوله— تعالى: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِصْفَى الْمَنْفُوشِ»^{٧٨٠}. إلى غير ذلك من الآيات المشعة بالتفريق دون الإعدام.

والجواب أنها لاتنفي الانعدام وإن لم تدلّ عليه، وإنا سيقّت لكيفية الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق لأنّ السؤال وقع عن ذلك، ولأنّه أظهر في بادئ النظر والشواهد عليه أكثر، ثم هي معارضة بالآيات المشعة بالإعدام والفناء. انتهى كلامه.

والحقّ أنّه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها، وعن تقدير ثبوته لا يتوقّف انعدامها على شيء سوى تعلّق إرادة الربّ— تعالى— باعدامها. وأكثر متكلّمي الإمامية على عدم الانعدام بالكليّة لاسيّما في الأجساد.^{٧٨١} قال المحقّق الطوسي— رحمه الله— في التجريد: والسمع دلّ عليه ويتأوّل في المكلف بالتفريق كما في قصة إبراهيم— عليه السلام—. انتهى.

وأما الصور فيجب الإيمان به على ماورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنّه جمع للصورة كما مرّ من الطبرسيّ وقد سبقه الشيخ المفيد— رحمه الله— فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها، إذ لا يتأتّى ذلك في النفخة الأولى، ويأبى عنه أيضاً توحيد الضمير في قوله— تعالى: «وَنُفِخَ فِيهِ أُخْرَى»^{٧٨٢} و إطرار للنصوص الصحيحة

٧٧٩- العنكبوت: ١٩- ٢٠.

٧٨٠- القارعة: ٤- ٥.

٧٨١- لماكان انعدام كلّ شيء إلّا الله— سبحانه— يبطل التقدّم والتأخّر وكلّ معنى حقيقيّ ويبطل به النسبة بين الدنيا والآخرة والمبدأ والمعاد وجيع المعارف الالهية المبتنة تلوّذ ذلك في الكتاب والسنة القطعية لم يكن مجال لاحتماله، وما ظاهره ذلك من النصوص مبين بما يعارضه. وأما أحاديث الصور فهي آحاد لا تبلغ حدّ التواتر ولا يؤيد الكتاب تفاصيل مافيا من صفة الصور والأمور المذكورة مع نفخة ولا دليل على حجيّة الآحاد في غير الأحكام الفرعية من المعارف الأصلية لامن طريق سيرة العقلاء ولامن طريق الشرع على ما بين في الأصول. فالواجب هو الإيمان باجمال ما أريد من الصور لوروده في كتاب الله. وأما الأخبار، فالواجب تسليمها وعدم طرحها لعدم مخالفتها الكتاب والضرورة وإرجاع علمها إلى الله ورسوله والأئمة من أهل بيته—

صلوات الله عليهم أجمعين— ط

٧٨٢- الزمر: ٦٨.

الصريحة من غير حاجة. وقد قال سيد الساجدين—صلوات الله عليه—في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة: وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور. ٧٨٣

١٨٧ — ﴿وَإِذَا نَادَىٰ رَبُّكَ بِالْحَمْدِ﴾

وهي في ذكر الملاحم

أَلَا يَا بَنِي وَائِي ، هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِ وُصْلِكُمْ ، وَأَسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السِّيفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي. ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَخْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ^(٢٤٢٥). ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمْ أَلْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ^(٢٤٢٦) غَارِبَ الْبَعِيرِ^(٢٤٢٧). مَا أَطْوَلَ هَذَا أَلْعَنَاءَ ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ !

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ^(٢٤٢٨) الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَنْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، وَلَا تَصَدَّعُوا^(٢٤٢٩) عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا

تَفْتَحُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ^(٢٤٣٠) الْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا^(٢٤٣١) ،
وَخَلُّوا قِصْدَ السَّبِيلِ^(٢٤٣٢) لَهَا : فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ ،
وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

لِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ
وَلَجَّهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا .

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: قالت الإمامية: هذه العدة هم الأئمة الأحد
عشر من ولده—عليه السلام—، و قال غيرهم؛ إنه غنى الأبدال الذين هم
أولياء الله. ٧٨٤ انتهى.

و ظاهر أنَّ ذكر انتظار فرج الشيعة كما اعترف به بعد هذا لا ارتباط له
بجاية الأبدال. و أما كون أسمائهم في الأرض مجهولة فعلل المراد به أنَّ أكثر الناس
لا يعرفون قدرهم و منزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواص لهم و إن كانوا أيضاً لا يعرفونهم
حق معرفتهم، أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد الكلام، و التخصيص في
الاحتمال الأخير أقل منه في الأول.

قوله—عليه السلام—«وانقطاع وصلكم» جمع «وصلة» أي تفرق أموركم
المنظمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ و أرباب التجارب في
الأعمال والولايات. قوله—عليه السلام—«حيث يكون المعطى» على بناء المجهول
«أعظم أجراً من المعطى» على بناء الفاعل، لأنَّ أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من
الحرام، و أيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به للأغراض الفاسدة. و أما المعطى فلما
كان فقيراً يأخذ المال لسد خلته لا يلزمه البحث عن المال و حلّه و حرمة، فكان
أعظم أجراً من المعطى. و قيل: لأنَّ صاحب المال لما كان يصرفه في أغلب الأحوال
في الفساد فإذا أخذه الفقير فقد قوت عليه صرفه في القبائح فقد كفّه بأخذ المال من

ارتكاب القبيح؛ ولا يخلو من بعد.

و «التَّعْمَةُ» بالفتح، غضارة العيش؛ وفي بعض النسخ بالكسر، أي الخفض والدعة والمال. قوله—عليه السلام—«من غير إحراج» أي من غير اضطرار إلى الكذب، و روي بالواو. قوله—عليه السلام—«إذا عَصَيْكُمْ الْبَلَاءُ» يقال: «عَصَى اللقمة»—كسمع ومنع—أي أمسكها بأسنانه، و «عَصَى بصاحبه» أي لزمه، و «عَصَى الزمان والحرب» شدتها. و «القتب» بالتحريك، معروف. و «الغارب» ما بين العتق والسنام.

و قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متصل بما قبله كما هو عادة الرضي. و قد ذكر—عليه السلام—بين ذلك ما ينال من شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج. و قوله—عليه السلام—«ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعته—عليه السلام—. ^{٧٨٥} انتهى. فيكون المراد بالرجاء رجاء ظهور القائم—عليه السلام—. و قال ابن ميثم: و يحتمل أن يكون الكلام متصلاً، أو يكون قوله—عليه السلام—«ما أطول هذا العناء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إتباعهم أنفسهم في طلبها، و تنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها و بعد الرجاء لما يرجى منها. قوله—عليه السلام—«ألقوا» أي ألقوا من أيديكم أزيمة الآراء الفاسدة و الأعمال الكاسدة التي هي كالنوق والمراكب في حمل التبعات والآثام. «ولا تصدعوا» أي لا تنفرتوا. و «السلطان» الأمير والإمام. و «غَبَّ كُلَّ شَيْءٍ» عاقبته. و «فور نار الفتنة» وهجها و غلبانها. و «أميطوا» أي تنحوا. و «السَّنَن» الطريقة. قوله—عليه السلام—«و خلّوا» أي دعوها تسلك طريقها، ولا تتعرّضوا لها فتكونوا حطباءً لنارها. ^{٧٨٦}

٧٨٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٩٧، ط بيروت.

٧٨٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمباني و ص ٦٦٠، ط تبريز.

١٨٨ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْأَلُوا آلَهُمُ الْبِرَّ﴾

في الوصية بأمور

التقوى

أَوْصِيكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَانِهِ
إِلَيْكُمْ . وَنِعْمَانِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَانِهِ ^(٢٢٣٣) لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ،
وَتَذَارَكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَغَوْرْتُمْ ^(٢٢٣٤) لَهُ فَسْتَرَكُم ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ ^(٢٢٣٥)
فَأَمْهَلَكُمْ !

الموت

وَأَوْصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا
لَيْسَ يَغْفِلُكُمْ ^(٢٢٣٦) . وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهَلُكُمْ ! فَكَفَىٰ وَاعِظًا
بِمَوْتِ عَايِنْتُمُوهُمْ . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا
غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ
تَنْزَلْ لَهُمْ دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ^(٢٢٣٧) ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا
يُوحِشُونَ ^(٢٢٣٨) . وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا . لَا
عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ أَزْدِيَادًا . أُنِسُوا
بِالدُّنْيَا فَفَرَّتْهُمْ . وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ .

سرعة النفاق

فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَىٰ مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ،
وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا ، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَأَسْتَمِعُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ
عَلَىٰ طَاعَتِهِ . وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ . فَإِنَّ غَدًا مِنْ أَلْيَوْمٍ قَرِيبٌ . مَا
أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي أَلْيَوْمٍ . وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ
فِي السَّنَةِ . وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ !

١٨٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الايمان ووجوب الهجرة

اقسام الايمان

فَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
عَوَارِيٍّ^(٢٤٣٩) بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ . «إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ» . فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ
بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّىٰ يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ .

وجوب الهجرة

وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا الْأَوَّلِ^(٢٤٤٠) . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ
حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرٍّ^(٢٤٤١) الْإِمَّةِ^(٢٤٤٢) وَمُعْلِنِهَا . لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ

بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ . فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ . وَلَا يَقَعُ
أَسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاَهَا قَلْبُهُ .

صعوبة الايمان

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ . لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ
قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ . وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ^(٢٤٤٣) رَزِينَةٌ .

علم الوصي

أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَا تَأْتِ بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ
مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ^(٢٤٤٤) بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطَأُ فِي خِطَامِهَا^(٢٤٤٥) ،
وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

بيان: قال ابن عبد البر في الاستيعاب^{٧٨٧} وغيره: أجمع الناس كلهم على
أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام.

وقال ابن ميثم: كُتِبَ بشغرجلها عن خلوتك الفتنة من مدبر^{٧٨٨}. قال

٧٨٧- قال ابن عبد البر: حدَّثنا قاسم، حدَّثنا عبد الوارث، حدَّثنا أحمد بن زهير، حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا شعبة عن
أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنّا نتحدّث أن أفضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب.
قال أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار، قال: حدَّثنا سفيان بن عيينة، حدَّثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ما
كان أحد من الناس يقول: «سلوني» غير عليّ بن أبي طالب. الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٩.

٧٨٨- وقال بعض الشراح: الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٠١، ط بيروت.

الجهري: «بلدة شاغرة برجلها» إذا لم تمنع من غارة أحد. و «شجر البلد» أي خلا من الناس. و قال ابن الأثير: «شجر الكلب» رفع إحدى رجله ليبول، و قيل: «الشجر» البعد. و قيل: الاتساع. و منه حديث عليّ - عليه السلام -: قبل أن تشجر رجلها فتنة. انتهى.

و قوله - عليه السلام - «تطأ في خطامها» قال ابن ميثم^{٧٨٩}: استعارة بوصف الناقة التي أرسلت خطامها و خلعت عن القائد في طريقها فهي تخط و تعثر و تطأ من لقيت من الناس على غير نظام من حالها. «و تذهب بأحلام قومها» قال بعض الشارحين: أي يتحير أهل زمانها فلا يبتدون إلى طريق التخلص عنها؛ و يحتمل أن يريد أنهم يأتون إليها سراعاً رغبةً و رهبةً من غير معرفة بكونها فتنة^{٧٩٠}.
[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «العواري» جمع «العارية» بالتشديد فيها كأنها منسوبة إلى العار فإن طلبها عار و عيب. قال ابن ميثم - رحمه الله -: قوله - عليه السلام - «فن الايمان...» إلى آخره قسمة للايمان إلى قسمين: أحدهما الثابت المستقر في القلوب الذي صار ملكة، و ثانيها ما كان في معرض الغير و الانتقال. و استعار - عليه السلام - لفظ «العواري» لكونه في معرض الاسترجاع و الرد. و كتى - عليه السلام - بكونه بين القلوب و الصدور عن كونه غير مستقر في القلوب ولا متمكن من جواهر النفوس^{٧٩١}.

و قال ابن أبي الحديد: أراد - عليه السلام - من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص و منه ما يكون على سبيل النفاق^{٧٩٢}.
و قوله - عليه السلام - «إلى أجل معلوم» ترشيع لاستعارة العواري و هذه

٧٨٩ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٠١، ط بيروت.

٧٩٠ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٠، كتاب الاحتجاج، ص ١٢٨.

٧٩١ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٩٣، ط بيروت.

٧٩٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٢، ط بيروت.

القسمه إلى القسمين هي الموجودة في نسخة الرضيّ - رضي الله عنه - بخطه وفي نسخ كثير من الشارحين و نسخ كثيرة معتبرة ثلاثة أقسام هكذا: «فن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عوارِيّ [في القلوب، ومنه ما يكون عوارِيّ]»^{٧٩٣} بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم».

وقال ابن أبي الحديد في بيانها^{٧٩٤}: إنّ الايمان إما أن يكون ثابتاً مستقراً بالبرهان وهو الايمان الحقيقي، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي ككثير ممن لم يحقق العلوم العقلية وهو الذي عبر - عليه السلام - عنه بقوله «عوارِيّ في القلوب» فهو وإن كان في القلب الذي هو محلّ الايمان الحقيقي إلا أنّ حكمه حكم العارِيّة في البيت وإما أن يستند إلى تقليد وحسن ظنّ بالأسلاف. وقد جعله - عليه السلام - عوارِي بين القلوب والصدور، لأنّه دون الثاني فلم يجعله حالاً في القلب. وردّ قوله - عليه السلام - إلى أجل معلوم إلى القسمين الأخيرين لأنّ من لم يبلغ درجة البرهان ربما ينحط إلى درجة المقلّد، فيكون إيمان كلّ منها إلى أجل معلوم، لكونه في معرض الزوال.

«فاذا كانت لكم براءة...» الخ قيل: أي إذا أردتم التبرّي من أحد فاجعلوه موقوفاً إلى حال الموت، ولا تسارعوا إلى البراءة منه قبل الموت، لأنّه يجوز أن يتوب ويرجع، فإذامات ولم يتب جازت البراءة منه، لأنّه ليس له بعد الموت حالة تنتظر. وينبغي أن تحمل هذه البراءة على البراءة المطلقة لجواز التبرّي من الفاسق و هوجيٍّ ومن الكافر و هوجيٍّ، لكن بشرط الاتّصاف بأحد الوصفين، بخلاف ما بعد الموت.

وقيل: المعنى: انتظروا حتّى يأتيه الموت فإنّه ربما يكون معتقداً للحقّ ويكتم إيمانه لغرض دنيويّ، وقيل: هذا إشارة إلى ما كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وآله - في الصلاة على المنافقين، فاذا كبر أربعاً كانوا يعلمون أنّه منافق، وإذا

٧٩٣ - ساقط من نسخة الكبائي.

٧٩٤ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٢، ط بيروت.

كبر خمساً كانوا يعلمون أنه مؤمن؛ فأشار- عليه السلام- إلى أنه عند الموت تقع البراءة و تصبح بعلامة تكبيراته الأربع. وكلا الوجهين كما ترى.

والظاهر أن المراد بالبراءة قطع العلائق الإيمانية التي يجوز معها الاستغفار كما يَوْمِي إِلَيْهِ قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ...»^{٧٩٥} إلى قوله - تعالى - : «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ»^{٧٩٦}

«والهجرة قائمة...» الخ، وأصل الهجرة المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام. وقال في النهاية: فيه لاهجرة بعد الفتح ولكن جهادية. وفي حديث آخر: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». «الهجرة» في الأصل اسم من «المهجر» ضد الوصل؛ وقد هجره هجراً وهجراناً. ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية، يقال منه: هاجر مهاجرة.

والهجرة هجرتان:

إحداها التي وعد الله عليها الجنة في قوله «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ»^{٧٩٧}. فكان الرجل يأتي النبي - صلى الله عليه وآله - ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجرة، وكان النبي - صلى الله عليه وآله - يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فن ثم قال: «لَكِنَّ الْبَائِسَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ»، يرثي له أن مات بمكة^{٧٩٨}، وقال حين قدم مكة: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ مَنَآيَنَا بِهَا». فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة، و انقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل

٧٩٥ - التوبة: ١١٣.

٧٩٦ - التوبة: ١١٤.

٧٩٧ - التوبة: ١١١.

٧٩٨ - أي يترقق ويشفق عليه رسول الله - صلى الله عليه وآله - أن مات سعد بن خولة بمكة في حجة الوداع حين قال: لكن البائس سعد بن خولة قدمنا في الأرض التي هاجر منها. راجع ترجمته في الاستيعاب بذي الاصابة، ج ٢، ص ٤١.

أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، و هو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». فهذا وجه الجمع بين الحديثين، وإذا أُطلق في الحديث ذكر المهجرين فأنما يراد بها هجرة الحبشة و هجرة المدينة.^{٧٩٩} انتهى.

و قال ابن أبي الحديد: هذا كلام من أسرار الوصية يختص به عليّ— عليه السلام— لأنّ الناس يروون أنّ النبي— صلى الله عليه وآله— قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فشعّ عمّه العباس في نعم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه فاستثناه؛ و هذه الهجرة التي أشار إليها أمير المؤمنين— عليه السلام— ليست تلك بل هي الهجرة إلى الامام. و قال بعض الأصحاب: تحب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الاسلام مع المكنة و يستحب للقادر على إظهارها تحرراً عن تكثير سواد المشركين، والمراد بها الأمور التي تختص بالاسلام كالأذان و الإقامة و صوم شهر رمضان وغير ذلك. و ألحق بعضهم ببلاد الشرك بلاد الخلاف التي لا يتمكّن فيها المؤمن إقامة شعائر الايمان مع الامكان. ولو تعدّرت الهجرة لمرض أو عدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج لقوله— تعالى—: «إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَفُورًا»^{٨٠٠}.

والظاهر أنّ قوله— عليه السلام— «ما كان لله في أهل الأرض حاجة» كناية عن بقاء التكليف كما يدلّ عليه قول النبي— صلى الله عليه وآله—: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». و للتجوز مجال واسع و في الصحيفة السجادية: «ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه، ولا حاجة بك إليه». و قيل: كلمة «ما» هي هنا نافية و وجهه بتوجيهات ركيكة. و «السرّ» ما يكتُم و «استسرّ» أي استروا احتفى، فالاحتفى حينئذ كمن لا يخفى بل يعلن نفسه لأنّه لا يخاف و لا يتقي لدينه

٧٩٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٣، ط بيروت.

٨٠٠- النساء: ٩٨-٩٩.

أوغیره؛ و قيل: أي مَن أسردينه أو أظهره وأعلنه، و «من» لبيان الجنس، و قيل: زائدة، ولو حذفت لجُرَّ المستسرّ بدلاً من أهل الأرض.

«لا يقع اسم الهجرة...» الخ، أي يشترط في صدق الهجرة معرفة الامام والاقرار به. و المراد بقوله «فن عرفها...» الخ أنه مهاجر بشرط الخروج إلى الامام والسفر إليه أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان، و يحتمل أن يكون المراد أن مجرّد معرفة الامام والاقرار بوجوب اتباعه كافٍ في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام و يدلّ عليه بعض أخبارنا، فعرفه الامام والاقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول — صلى الله عليه وآله.

و قال بعض الأصحاب: الهجرة في زمان الغيبة سكنى الأمصار لأنها تقابل البادية مسكن الأعراب، والأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى والبوادي فإنّ الغالب على أهلها الجفاء والغلظة والبعد عن العلوم والكمالات كما روي عن النبي — صلى الله عليه وآله — أن الجفاء والقسوة في الفذّادين^{٨٠١}؛ وقيل: هي الخروج إلى طلب العلوم فيعمّ الخروج عن القرى والبوادي، والخروج عن بلد لا يمكن فيه طلب العلم.

«ولا يقع اسم الاستضعاف...» الخ، «الاستضعاف» عذ الشيء ضعيفاً أو وجدانه ضعيفاً و «استضعفه» أي طلب ضعفه. و «الحجّة» الدليل والبرهان، و يعتبر به عن الامام لأنه دليل الحق، والمراد به هنا إمّا دليل الحق من أصول الدين أو الأعم أو الامام بتقدير مضاف أي حجّة الحجّة.

قال القطب الراوندي — رحمه الله —: يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى إحدى

آيتين:

إحداهما: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعُوا الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَظْفَعِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟!!»

٨٠١ — «الفدادون» الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون والفلّاحون وأصحاب الوبر والذين تملأ أصواتهم في حروثهم ومواسمهم والمكثرون من الابل.

فَأُولَئِكَ مَا وَبَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^{٨٠٢}. فيكون مراده—عليه السلام—على هذا أنه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته أحكامه وعابها قلبه، وإن بقي في ولده وأهله لم يتجشم السفر إلى الامام؛ كما يصدق على هؤلاء المذكورين في الآية.

و الثانية قوله—تعالى—بعد ذلك: «إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ—الآية»^{٨٠٣}. فيكون مراده على هذا أن من عرف الامام وسمع مقالته وعابها قلبه لا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على هؤلاء، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم، بل يقنع منهم بمعرفته و العلم بقوله بدون المهاجرة إليه بالبدن.

و قال ابن ميثم—رحمه الله—بعد حكاية كلامه: و أقول: يحتمل: أن يريد بقوله ذلك أنه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجّة فسمعتها أذنه في تأخيرها عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذراً له، بل يكون في تأخره ملوماً مستحقاً للعقاب كالذين قالوا: كنّا مستضعفين في الأرض، ويكون مخصوصاً بالقادرين على النهوض دون العاجزين، فإن اسم الاستضعاف صادق عليهم.^{٨٠٤} انتهى.

و أقول: سيأتي شرح هذا الكلام في أخبار كثيرة و أن المراد به أن المستضعف المعذور في معرفة الامام في زمان الهدنة في الجملة، إنما هو إذا لم تبلغه الحجّة و اختلاف الناس فيه، أو بلغه ولم يكن له عقل يتميّز به بين الحقّ و الباطل، كما سنذكر تفصيله إن شاء الله—تعالى—.

«إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَعِيبٌ»، «الصَّعْبُ» العسر و الأيبي الذي لا ينقاد بسهولة ضدّ الذلول، و «استصعب الأمر» أي صار صعباً، و «استصعبت الأمر» أي

٨٠٢- النساء: ٩٧.

٨٠٣- النساء: ٩٨.

٨٠٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٩٨، ط بيروت.

وجدته صعباً. و «حملته واحتملته» بمعنى، و «حملته» بالتشديد، فاحتمله. و «الامتحان» الاختبار و «امتنح الله قلبه» أي شرحه و وسّعه.

قال ابن أبي الحديد: قال الله - تعالى - : «أُولَئِكَ الَّذِينَ افْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَقْوَى»^{٨٥} يقال: «امتنح فلان لأمر كذا» أي جَرَبَ للنهوض به، فهو قويّ على احتمال مشاقّه و يجوز أن يكون بمعنى المعرفة لأنّ تحقيقك الشيء إنّما يكون باختباره، فوضع موضعها فيتعلّق اللام بمحدوف، أي كائنه له، وهي اللام الّتي في قولك «أنت لهذا الأمر» أي مختصّ به و يكون مع معمولها منصوبة على الحال، و يجوز أن يكون المعنى: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى، أي ليثبت و يظهر تقواها و يعلم أنّهم متّقون، لأنّ التقوى لا يعلم إلّا عند الصبر على المحن والشدائد أو أخلص قلوبهم للتقوى أي أذاب و صفّاه. و «وعيت الحديث» أي حفظته و فهمته والغرض حفظ الحديث عن الإذاعة و ضبط الأسرار عن إفصائها إلى غير أهلها أو الإذعان الكامل به، و عدم التزلزل عند العجز عن المعرفة التفصيليّة به، فيكون كالتفسير لما قبله. و «الحلم» بالكسر، الأناة والعقل. و «الرزانة» الوقار.

و حاصل الكلام أنّ شأنهم و ما هم عليه من الكمال والقدرة على خوارق العادات صعب لا يحصل لغيرهم، مستصعب الفهم على الخلق، أوفهم علومهم وإدراك أسرارهم مشكل يستصعبه أكثر الخلق، فلا يقبله حقّ القبول بحيث لا يخرج إلى طرف الافراط بالغلو أو التفريط بعدم التصديق، أو القول بعدم الحقّ لسوء الفهم إلّا قلب عبد شرحه الله و صفّاه للإيمان، فيحمل كلّما يأتون به على وجهه إذا وجد له محملاً و يصدّق إجمالاً بكلّ ما عجز عن معرفته تفصيلاً و يرّدّ علمه إليهم - عليهم السّلام -.

والمراد بطرق السماء الطرق الّتي يصعد منها الملائكة ويرفع فيها أعمال العباد، أو منازل سكّان السماوات و مراتبهم، أو الأمور المستقبلية و ما خفي على الناس ممّا لا يعلم إلّا بتعليم ربّانيّ فإنّ مجاري نزولها في السماء، أو أحكام الدين و قواعد الشريعة و

على ما يقابل كلّ واحد منها يحمل طرق الأرض.

و «شجر البلد» — كمنع — إذا خلا من حافظ يمنعه، و «بلدة شاغرة برجلها» لم تمنع عن غارة أحد، و «شغرت المرأة» رفعت رجلها للنكاح، و «شغرتها» فعلت بها ذلك، يتعدى ولا يتعدى، و «شجر الكلب» إذا رفع أحد رجله لبيول، و قيل: «الشجر» البعد والاتّساع؛ و قيل كنتي شجر رجلها عن خلّو تلك الفتنة عن مدبر يردّها و يحفظ الأمور و ينظم الدين. و يحتمل أن يكون كناية عن شموها للبلاد و العباد من الشجر بمعنى الاتّساع، أو من شجر الكلب، أو من شجرة المرأة كناية عن تكشفها و عدم مبالاتها بظهور عيوبها و إبداء سوءتها. و «الوطء» الدوس بالرجل. و «الخطم» بالفتح من الدابة، مقدّم أنفها، و «الخطام» — ككتاب — ما يوضع في أنف البعير ليقتابه. و الوطء في الخطام كناية عن فقد القائد و إذا خلت الناقة من القائد تعثر و تخبط، و تفسد ما تمرّ عليه بقوائمه.

«و تذهب بأحلام قومها» أي تفسد عقول أهلها فكانت أفعالهم على خلاف ما يقتضيه العقل، فالمراد بأهلها المفسدون، أو يتجبر أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلص عنها، فأهلها من أصابته البليّة، أو يأتي أهل ذلك الزمان إليها رغبة و رهبة ولا يتفحصون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحق فيها. ^{٨٠٦}

١٩٠ — ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

يحمد الله ويشني على نبيه ويعظ بالتقوى

حمد الله

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَطَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.

الثنا، على النبي

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا
عَنْ دِينِهِ ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ
نُورِهِ .

بيان: «لا يثنيه» أي لا يصرفه ولا يعطفه. ٨٠٧

العظة بالتقوى

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا (٢٤٤٦)
مَنْعِيًا ذُرْوَتَهُ (٢٤٤٧) . وَبَادِرُوا (٢٤٤٨) الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ (٢٤٤٩) ، وَأَمْهَدُوا (٢٤٥٠)
لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ : فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ ؛ وَكَفَى
بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ ! وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا
تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ (٢٤٥١) ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ (٢٤٥٢) ، وَهَوْلِ
الْمُطْلَعِ (٢٤٥٣) ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ (٢٤٥٤) ، وَاسْتِنَاكِ
الْأَسْمَاعِ (٢٤٥٥) ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ (٢٤٥٦) . وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ ،
وَرَدَمِ الصَّفِيحِ (٢٤٥٧) .

بيان: «الأرماس» جمع «الرمس» و هو القبر. و «الإبلاس» اليأس
والانكسار والحزن. وقال الجزري: «المطلع» مكان الاطلاع من الموضع العالي، ومنه
الحديث: «لا فتديت من هول المطلع» أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من

أمر الآخرة عقيب الموت، فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال. و «اختلاف الأضلاع» كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها. و «الضريح» الشق في وسط القبر، واللحد في الجانب. و «الصفيح» الحجر، والمراد بردمه هنا سد القبر به.^{٨٠٨}

[إنَّ ما سيأتي هنا بحوث ودراسات في أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله بمناسبة البحث حول القيامة]

[* تذييل *]

ثم اعلم أنَّ عذاب البرزخ وثوبه ممَّا اتَّفقت عليه الأُمَّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلَّا شذمة قليلة لاعبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً. والأحاديث الواردة فيه من طرق العامة والخاصة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملتين والفلاسفة، ولم ينكره إلَّا فرقة قليلة كالقائلين بأنَّ النفس هي المزاج وأمثاله ممن لا يعابهم ولا بكلامهم، وقد عرفت ما يدلُّ عليه من الأخبار الجليلة وقد أقيمت عليه البراهين العقلية، ولنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملة والدين—قدس الله روحه—في التجريد: عذاب القبر واقع للإمكانه وتواتر السمع بوقوعه.

وقال العلامة الحلي—نور الله ضريحه—في شرحه: نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه.

وقال الشيخ المفيد—رحمه الله—في أجوبة المسائل السروية—حيث سئل: ما قوله—أدام الله تأييده—في عذاب القبر وكيفيته؟ ومتى يكون؟ وهل تردُّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟—الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل.

وقد ورد عن أئمة الهدى—عليهم السلام—أنهم قالوا: ليس يعذب في القبر كل

مَيّت، وإِنَّمَا يَعَذَّبُ مِنْ جَمَلَتِهِمْ مَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ مُحَضّاً، وَلَا يَنْتَقِمُ كُلَّ مَاضٍ لِسَبِيلِهِ، وَ
 إِنَّمَا يَنْتَقِمُ مِنْهُمْ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مُحَضّاً، فَأَمَّا مَا سِوَى هَٰذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ فَإِنَّهُ يَلْهَى عَنْهُنَّ. وَ
 كَذَلِكَ رَوَى أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ إِلَّا هَٰذَانِ الصَّنِفَانِ خَاصَّةً، فَعَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ مِنْ
 ذَلِكَ يَكُونُ الْحُكْمُ مَا ذَكَرْنَاهُ. فَأَمَّا عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ وَنَعِيمُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ فَإِنَّ الْخَبَرَ
 أَيْضاً قَدُورِدَ بِأَنَّ اللَّهَ—تَعَالَى—يَجْعَلُ رُوحَ الْمُؤْمِنِ فِي قَالِبٍ مِثْلَ قَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا فِي جَنَّةٍ
 مِنْ جَنَّتَاتِهِ يَنْتَقِمُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ السَّاعَةِ، فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ أَنْشَأَ جَسَدَهُ الَّذِي بَلِيَ فِي
 التُّرَابِ وَتَمَزَّقَ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهِ وَحَشَرَهُ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَأَمْرُهُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ، فَلَا يُزَالُ
 مَنْعَمًا بِبَقَاءِ اللَّهِ—عَزَّ وَجَلَّ—غَيْرَ أَنَّ جَسَدَهُ الَّذِي يَعَادُ فِيهِ لَا يَكُونُ عَلَى تَرْكِيبِهِ
 فِي الدُّنْيَا، بَلْ تَعْدِلُ طَبَاعُهُ، وَتَحْسَنُ صُورَتُهُ، فَلَا يَهْرَمُ مَعَ تَعْدِيلِ الطَّبَاعِ، وَلَا يَمُتُ نَصَبُ
 فِي الْجَنَّةِ وَلَا لَغُوبٌ؛ وَالْكَافِرُ يَجْعَلُ فِي قَالِبٍ كَقَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا فِي مَحَلِّ عَذَابٍ يَعَاقِبُ بِهِ،
 وَنَارٍ يَعَذَّبُ بِهَا حَتَّى السَّاعَةِ، ثُمَّ تُنْشِئُ جَسَدَهُ الَّذِي فَارَقَهُ فِي الْقَبْرِ وَيَعَادُ إِلَيْهِ، ثُمَّ
 يَعَذَّبُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ الْأَبَدِ، وَيرْكَبُ أَيْضاً جَسَدَهُ تَرْكِيباً لَا يَفْنَى مَعَهُ، وَقَدْ
 قَالَ اللَّهُ—عَزَّ وَجَلَّ—اسْمُهُ: «الَّذِينَ يُغْرِضُونَ عُلْفَتَهَا عُذْوًا وَعَاشِيَةً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»^{٨٠٩} وَقَالَ فِي قِصَّةِ الشَّهَدَاءِ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»^{٨١٠}. فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ
 وَالثَّوَابَ يَكُونَانِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَهَا، وَالْخَبَرُ وَارِدٌ بِأَنَّهُ يَكُونُ مَعَ فِرَاقِ الرُّوحِ الْجَسَدِ
 مِنَ الدُّنْيَا، وَالرُّوحُ هَهُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْفَعَالِ الْجَوْهَرِ الْبَسِيطِ، وَلَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنِ الْحَيَاةِ
 الَّتِي يَصْطَحُّ مَعَهَا الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ عَرْضٌ لَا يَبْقَى وَلَا يَصْغَحُ الْإِعَادَةُ فِيهِ فَهَذَا
 مَا عَوَّلَ عَلَيْهِ بِالنَّقْلِ وَجَاءَ بِهِ الْخَبَرُ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ.

ثُمَّ سُئِلَ—رَحِمَهُ اللَّهُ—: مَا قَوْلُهُ—أَدَامَ اللَّهُ تَمَكِينَهُ— فِي مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ—
 تَعَالَى—: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 يُرْزَقُونَ»؟^{٨١١} أَهْمُ أَحْيَاءٌ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ أَمْ الْآيَةُ مُجَازٌ؟ وَأَنَّ أَجْسَادَهُمْ
 الْآنَ فِي قُبُورِهِمْ أَمْ فِي الْجَنَّةِ؟

فإنَّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إنَّ الله— تعالى— ينزع من جسد كلِّ واحد منهم أجزاءً قدر ما يتعلَّق به الروح، وإنَّه— تعالى— يرزقهم على ما نطقت به الآية، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى.

الجواب: هذا المحكي عن أصحاب أبي هاشم لأنَّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب بالمأمور المنهي هو البنية التي لا تصحَّ الحياة إلَّا بها وما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجَّه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، وإن كان القوم يزعمون أنَّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذب أو ينعم فهو مقال يستمرُّ على أنَّ البنية التي ذكروها هو المكلف بالمأمور المنهي وباقي جسده في القبر، إلَّا أنَّهم لم يذكروا كيف يعذب من عذب ويثاب من أثيب؟ أي دار غير الدنيا أم فيها؟ وهل يحى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثم لم يحك عنهم في أيِّ محلِّ يعذبون و يثابون؟ وفيما قالوه من ذلك فليس به أثر ولا يدلُّ عليه العقل، وإنَّما هو يخرج منهم على الظنِّ والحساب، ومن بنى مذهبه على الظنِّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثم الَّذي يفسد قولهم من بعد ما دلَّ على أنَّ الإنسان بالمأمور المنهي هو الجوهر البسيط، وأنَّ الأجزاء المؤلَّفة لا يصحُّ أن تكون فعالة، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، وفيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلق به السؤال وبالله التوفيق.

و سئل عنه— قدس الله روحه— في المسائل العكبرية عن قول الله— تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ— الآية»^{٨١٢} هل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنَّا مجمعون على أنَّ الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر.

فأجاب— رحمه الله— بأنَّ الرزق لا يكون عندنا إلَّا للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، وتعدَّر عليهم كثير من الأفعال إلَّا بها، فإن أُغنوا عنها بعد الوفاة جازأن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللذات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء. فأما

قوله «ما صورة هذه الحياة؟» فالحياة لاصورة لها لأنها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعالة دون الأجساد التي تقوم بها حياة النمودون الحياة التي هي شرط في العلم والقدرة ونحوها من الأعراض. وقوله «إننا مجمعون على أن الجواهر لا تبلى شيئاً» فليس ذلك كما ظن، ولو كان كما توهم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض، كما توجد حياة النمود لبعض الأجساد وترفع من بعض بالاتفاق؛ ولو قلنا: «إن الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعم أهل الكفر والإيمان» لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللذات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب. انتهى.

وقال شارح المقاصد: اتفق الإسلاميون على حقيقة سؤال منكرو نكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخرين منهم: حكى إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنما نسب إلى المعتزلة—وهم برآء منه—لمخالطة ضرار إياهم، وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحق ونحوه؛ قال في المواقف: وقال المحقق الدواني في شرح العقائد العنصرية: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حق لقوله—تعالى:—«أَلَنَّا يُغْرِضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا»^{٨١٣}.

وقوله: «رَبَّنَا أَمَنَّكَ إِنَّا نُنْشِئُكَ وَأَخْبِثْنَا أُنْشَيْنَا»^{٨١٤}؛ ولقوله—صلى الله عليه وآله:—«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَفِي النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى نَبْعَثَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وقوله—صلى الله عليه وآله:—«استنزها من البول فَإِنَّ عَاقِبَةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ»، وقوله—صلى الله عليه وآله:—«الْقَبْرُ إِمَارَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ». ونقل العلامة التفتازاني عن السيد أبي الشجاع أَنَّ الصَّيْبَانَ يُسْأَلُونَ وَكَذَا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ—وقيل: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُسْأَلُونَ لِأَنَّ السُّؤَالَ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَبِّهِ وَعَنْ دِينِهِ وَعَنْ نَبِيِّهِ، وَلَا يَعْقِلُ

السؤال عن النبيّ — صَلَّى الله عليه وآله — من نفس النبيّ، وأنت خير بآنه لا يدلّ على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيّه فقط، وذلك أيضاً في الذي لا يكون على ملة نبيّ آخر.

و اختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكليّة و أثبتّه آخرون، ثم اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب وأنكر الإحياء وهو خلاف العقل، وبعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال: تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بهادفة، وهذا إنكار لعذاب القبر حقيقة، ومنهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح، و منهم من قال بالإحياء وإعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتّى أن المأكول في بطن الحيوانات يحيى ويسأل وينعم ويعذب ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعم.

قال الإمام الغزاليّ في الإحياء: اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا.

أحدها — وهو الأظهر والأصح — أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميت و لكنّها لا نشاهد ذلك، فإنّ ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأمور المملوكيّة، و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم المملوك، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل — عليه السلام —، و ما كانوا يشاهدونه، و يؤمنون أنّه — صَلَّى الله عليه وآله — يشاهده؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أو جب، وإن آمنّت به وجوّرت أن يشاهد النبيّ — صَلَّى الله عليه وآله — ما لا تشاهده الأئمة فكيف لا تجوّز هذا في الميت؟.

المقام الثاني أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه وهو يتألّم بذلك حتّى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه، وقد ينزعج من مكانه. كلّ ذلك يدرك من نفسه ويتأدّى به كما يتأدّى اليقظان، و أنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حوالبه حيّة، والحيّة موجودة في حقّه، والعذاب حاصل، و لكنّه في حقك غير مشاهد، وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حيّة تتخيّل أو تشاهده.

المقام الثالث أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك من غير سم فكان ذلك العذاب قد توفّر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أن من الناس من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أن كلّ ذلك في حيز الإمكان، وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتّساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكر من أفعال الله—تعالى—مالم يأنس به ولم يألفه وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب، ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة. هذا هو الحق فصّدق به.

ثم قال: و سؤال منكر ونكير حق لقوله—صلى الله عليه وآله—: «إذا أقبر الميت أتاها ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر وللآخر: نكير؛ يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان: قد كنّا نعلم أنك تقول هذا؛ ثم يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثم ينوره فيه، ثم يقال له: نعم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري! فيقولان: قد كنّا نعلم أنك تقول ذلك؛ فيقال للأرض: التثمي عليه، فتلتثم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وأنكر الجبائي وابنه و البلخي تسمية الملكين منكراً ونكيراً وقالوا: إنّها المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنّما هو تقرير الكافر، وهو

خلاف ظاهر الحديث. والأحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حذ التواتر وإن كان كل منها خبر الآحاد، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف. وأنكره مطلقاً ضرار بن عمرو وأكثر متأخري المعتزلة وبعض الروافض متمسكين بأن الميت جماد فلا يعذب، وما سبق حجة عليهم، ومن تأمل عجائب الملك و الملكوت و غرائب صنعه — تعالى — لم يستنكف عن قبول أمثال هذا؛ فإنّ للنفس نشأت وفي كلّ نشأة شاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنّها تشاهد في المنام أموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أموراً لم تكن تشاهد في الحياة. وإلى هذا يشير من قال: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنّ مانسبه هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلامرية. ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك؛ ولعله رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيلية وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحقة فنسب ذلك إليهم مجملًا، وهذا تدليس قبيح ولا سيما من الفضلاء.

ثمّ اعلم أنّه روى العامة في كتبهم عن أبي أمانة الباهلي أنّ النبي — صلى الله عليه وآله — قال: «إذا مات أحدكم وسوّيت عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة — الثانية — فيستوي قاعداً، ثمّ ليقل: يا فلان بن فلانة؛ فإنه يقول: أرشدنا رحك الله، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّك رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً. فإنّ منكراً و نكيراً يتأخّر كلّ واحد منها فيقول: انطلق فاقمعدنا عند هذا وقد لقن حجته؟»

فقال: يا رسول الله! فإن لم يعرف أمّه؟

قال: فلينسبه إلى حواء.

و قال الشيخ البهائي — قدس الله روحه —: قديتوهم أنّ القول بتعلّق

الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أخر كما دلت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، وهذا توهم سخيف لأنّ التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أخر في هذا العالم، إما عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه إلى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ، أو فلكية ابتداءً أو بعد ترزدها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائهم الواهية المفصلة في محلها.

وأما القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها إما بجمع أجزائها المتشتتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أول مرة فليس من التناسخ في شيء، وإن سمّيته تناسخاً فلامشاحة في التسمية إذا اختلف المسمى، وليس إنكارنا على التناسخية وحكنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإنّ المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقولهم بقدم النفوس وترزدها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأخرى.

قال الفخر الرازي في نهاية العقول: إن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخية يقولون بقدمها و ردها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة والجنة والنار، وإنما كفروا من أجل هذا الإنكار. انتهى كلامه ملخصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين. انتهى كلامه، زاد الله في إكرامه.

ثم اعلم أنّ مقتضى قواعد العدلية وظواهر النصوص الماضية والآية أنه إنما يسأل في القبر المكلفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، وأما الأنبياء والأئمة عليهم السلام—وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقن وأمثالهم و مامرّ أنه يسأل وهو مضغوط على بعض احتمالاته وغيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم، لكن لما لم نرفيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفيّاً وإثباتاً، و لذا لم يتعرّض له علماءنا—رضوان الله عليهم—.

قال صاحب المحجة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنة في أنّ الأنبياء عليهم السلام—هل يسألون في القبر أم لا؟ و كذا في الأطفال؟ فقل:

الأصح أَنَّ الأنبياء—عليهم السلام—لا يسألون. وقال الصقار: ليس في هذا نص ولا خبر ولا دليل فانتفي ذلك عنهم، وما روي عنه—صلى الله عليه وآله—من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله—تعالى—وقيل: هو تحكّم محض لجواز أن يقال: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»^{٨١٥} فكما جاز أن يسأل المؤمن عما آمن به فيقال: من ربك وما دينك؟ فكذا الرسول يسأل عما آمن به. فعلم أَنَّ حمل الاستعاذة على المبالغة تحكّم بغير دليل، ولأَنَّ النبي—صلى الله عليه وآله—صاحب عهدة عظيمة لأنه إنما بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى الله—تعالى—فلم لا يجوز أن يسأل عما كان في عهده؟ حتى قيل: وسؤالها الأنبياء بهذه العبارة: على ماذا تركتم أمتكم؟

والحق أَنَّ الأئمة كالأنبياء—صلوات الله عليهم أجمعين—في هذه الأمور كلها، ولم أر في كتب الإمامية هذه المسألة لانفياً ولا إثباتاً، والذي يطمئن إليه قلبي أنهم مع الأئمة—سلام الله عليهم—مستثنون من هذه الأحكام. انتهى.

وقال الصدوق—رحمه الله—في رسالة العقائد: اعتقدنا في المسألة في القبر أنها حق لا بد منها، فن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره و بجنة نعيم في الآخرة ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حيم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة. وأكثر ما يكون عذاب القبر من القبر من النيمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول، وأشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شربة حجام، ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزف عند الموت.

فإن رسول الله—صلى الله عليه وآله—كفن فاطمة بنت أسد في قيصه بعدما فرغت النساء من غسلها وحل جنازتها على عاتقه حتى أودعها قبرها، ثم وضعها و دخل القبر واضطجع فيه ثم قام فأخذها على يديه ووضعها في قبرها، ثم انكب عليها يناجها طويلاً ويقول لها: ابنتك ابنتك، ثم خرج وسوى عليها التراب، ثم انكب على قبرها فسمعوه وهو يقول: اللهم إني أودعتها إليك. ثم انصرف.

فقال له المسلمون: يا رسول الله! إنا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم؟!

فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إنها كانت يكون عندها شيء فتؤثّرني به على نفسها ولدها؛ وإني ذكرت القيامة وأنّ الناس يحشرون عراة فقالت واسوأناه! فضمنت لها أن يبعثها الله— تعالى— كاسية، وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاه! فضمنت لها أن يكفها الله— تعالى— ذلك فكفنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكبت عليها فلقتها ما تسأل عنه، وإنها سئلت عن ربّها فقالت: الله، وسئلت عن نبيّها فأجابت، وسئلت عن وليّها وإمامها فأرتج عليها، فقلت لها: ابنك ابنك.

أقول: وقال الشيخ المفيد— نور الله ضريحه— في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي— صلى الله عليه وآله— أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين لله— تعالى— يقال لهما: ناكر ونكير، ينزلان على الميت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب. و قيل في بعض الأخبار: إنّ اسمي الملكين اللّذين ينزلان على المؤمن مبشر ومبشر. و قيل: إنّهما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنّه ينكر الحقّ وينكر ما يأتيانه به ويكرهه؛ و سمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنّها يبشّرانه من الله— تعالى— بالرضا والثواب المقيم. وإنّ هذين الاسمين ليسا بقلب لهما، وإنّها عبارة عن فعلها، وهذه أمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها.

وقد قلنا فيما سلف: إنّها ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهي عنه ويبتئ أن الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

فصل: وليس ينزل الملكان إلّا على حيّ ولا يسألان إلّا من يفهم المسألة و يعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله— تعالى— يحيي العبد بعد موته للمساءلة، ويدم

حياته بنعيم إن كان يستحقه، أو بعذاب إن كان يستحقه^{٨١٦}—نعوذ بالله من سخطه و نساؤه التوفيق لما يرضيه برحمته—والغرض من نزول الملكين و مساءلتها العبد أن الله يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم و ملائكة العذاب، و ليس للملائكة طريق إلى ما يستحقه العبد إلا بإعلام الله—تعالى—ذلك لهم، فالملاك اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم و الآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا و كلا به استفسها حال العبد بالمسألة فإن أجاب بما يستحق به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب، و إن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب و كل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم. و قد قيل: إن الملائكة الموكلين بالنعيم و العقاب غير الملكين الموكلين بالمسألة، و إنما يعرف ملائكة النعيم و ملائكة العقاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المسألة، فإذا ساءلا العبد و ظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء و عرج ملكا المسألة إلى مكانها من السماء. و هذا كله جائز و لسنا نقطع بأحدود صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة و العادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقف و التجويز.

فصل: و إنما و كل الله—تعالى—ملائكة المسألة و ملائكة العذاب و النعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك، كما و كل الكتبة من الملائكة—عليهم السلام—بمحفظ أعمال الخلق و كتبها و نسخها و رفعها تعبداً لهم بذلك، و كما تعبد طائفة من الملائكة بمحفظ بني آدم و طائفة منهم بإهلاك الأمم، و طائفة يحمل العرش، و طائفة بالطواف حول البيت المعمور، و طائفة بالتسبيح، و طائفة بالاستغفار للمؤمنين، و طائفة بتنعيم أهل الجنة، و طائفة بتعذيب أهل النار و التعبد لهم بذلك ليشبهم عليها. و لم يتعبد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبد البشر و الجن بما تعبدهم به لعباً بل تعبد الكل للجزاء و ما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه—تعالى—و التزامهم شكر النعمة عليهم.

٨١٦—لعل المراد أن الإنسان لا يبطل بعد الموت ولا ينعدم بالكلية، بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسية التي يفقدها بالموت؛ قال—صلى الله عليه وآله—: «وإنما تنتقلون من دار إلى دار الحديث». و أما الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر، فهي تمثيل للمسألة كما أن الروايات الدالة على قولها له «نم نومة العروس» و إنا منها له و غير ذلك تمثيل لمكانته في القبر في انتظار البعث. ط

و قد كان الله - تعالى - قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقّه من غير واسطة و ينعم المطيع من غير واسطة، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه و بيّنا وجه الحكمة فيه و وصفناه.

و طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو النسمع، و طريق العلم برّد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل، إذ لا تصحّ مساءلة الأموات و استخبار الجمادات، و إنّما يحسن الكلام للحَيِّ العاقل لما يكلم به و تقريره و إلزامه بما يقدر عليه، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مسأل تردّ اليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له؛ فالخبر بذلك أكّد ما في العقل، و لولم يردّ بذلك خبر لكنّي حجة العقل فيه على ما بيّناه. انتهى كلامه - رحمه الله -.

وأقول: لما كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلامية و قد أكثرت المتفلسفة و الملاحدة الشبه فيها و رام بعض من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه تأويلها و تحريفها أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب و أرجو من فضل ربّي أن يوقّني لأنّ أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب، والله الموفق لكلّ خير و صواب. و قد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار، و باب الجريدتين، و باب الدفن، و باب التلقين و غيرها من أبواب الجنائز، و باب أحوال أولاد آدم، و أبواب معجزات الأئمة - عليهم السلام - و غرائب أحوالهم. و سيأتي خبر طويل في تكلم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله - رضي الله عنه -، و سيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لاسيّما في باب فضل فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها -، و باب فضل ليلة الجمعة و يومها، و أبواب المواعظ، و أبواب فضائل الأعمال و غيرها ممّا تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها. ^{٨١٧}

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ^(٢٤٥٨) ، وَأَنْتُمْ
وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ^(٢٤٥٩) . وَكَانَهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا^(٢٤٦٠) ، وَأَزِفَتْ^(٢٤٦١)
بِأَفْرَاطِهَا^(٢٤٦٢) ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَانَهَا قَدْ أَشْرَفَتْ
بِزَلَالِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا^(٢٤٦٣) ، وَأَنْصَرَمَتْ^(٢٤٦٤) الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ،
وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى^(٢٤٦٥) ، أَوْ شَهْرٍ أَنْقَضَى^(٢٤٦٦) ، وَصَارَ
جَدِيدُهَا رِثًا^(٢٤٦٧) ، وَسَمِينُهَا غُثًا^(٢٤٦٨) . فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ ،
وَأُمُورِ مُشْتَبِهَةِ عِظَامِ ، وَنَارِ شَدِيدِ كَلْبِهَا^(٢٤٦٩) ، عَالٍ لَجْبِهَا^(٢٤٧٠) ،
سَاطِعٍ لَهْبِهَا ، مُتَغَيِّظٍ^(٢٤٧١) زَفِيرُهَا^(٢٤٧٢) ، مُتَجَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدِ
خُمُودِهَا ، ذَاكَ^(٢٤٧٣) وَقُودُهَا ، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا ، عَمٍ قَرَارُهَا^(٢٤٧٤) ،
مُظْلِمَةِ أَقْطَارِهَا ، حَامِيَةِ قُدُورِهَا ، فَظِيْعَةِ أُمُورِهَا . « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا » . قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ ؛ وَزُحِرُوا
عَنِ النَّارِ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي
دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَخَشَعُوا وَاسْتَغْفَرُوا ؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا ، تَوَحُّشًا^(٢٤٧٥)
وَأَنْقِطَاعًا . فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَبَايَا ، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا ، « وَكَانُوا أَحَقَّ
بِهَا وَأَهْلَهَا » فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

بيان: «على سنن» أي على طريقة الأمم الماضية يهلككم كما أهلككم.

«القرن» حبل يشد به البعيران. «بأفراطها» أي مقدماتها. و «الكلاكل» جمع

«الكلكل» وهو الصدر، ويقال للأمر الثقيل: «قد أناخ عليهم بكلكله» أي هذهم و
 رَضَهم كما يهذ البعير البارک من تحته إذا أُنيخ عليه بصدرة، والجمع باعتبار تعدد
 أهوالها. و «الحِصْن» بالكسر، الجنب. و «الرث» البالي. و «الغث» المهزول. و
 «الضنك» الضيق. و «الكلب» الشدة والأذى. و «اللجب» الصوت. و «التغيظ»
 الهيجان والغليان. و «الذكاء» شدة وهج النار. و «حى التتور» اشتد حرها. و
 «زحزحه عن كذا» باعده. ^{٨١٨}

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ .
 وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ
 بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَلْمَخُوفُ ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ ، وَلَا
 عَشْرَةَ تَقَالُونَ . اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا
 وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

الزُّمُوا الْأَرْضَ ^(٢٤٧٤) ، وَأَصْبِرُوا عَلَى أَلْبَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ
 وَسُيُوفَكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ .
 فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ
 وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا
 نَوَى مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِضْلَاتِهِ ^(٢٤٧٥) لِسَيْفِهِ ؛
 فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

١٩١ - (خطبنا في الإسلام)

يحمد الله ويشني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي^(٢٤٧٦) فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالِي جَدَّهُ^(٢٤٧٧) . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التَّوَامِ^(٢٤٧٨) ، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ . الَّذِي عَظَّمَ حِلْمَهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى ، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ^(٢٤٧٩) ، بِلَا أَقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ . وَلَا آخِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ ، وَلَا إِصَابَةٍ خَطَأٍ ، وَلَا حَضَرَةٍ مَلَأَ .

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَتْبَعَتْهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ^(٢٤٨٠) ، وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ^(٢٤٨١) الْحَيْنِ^(٢٤٨٢) ، وَأَسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ^(٢٤٨٣) .

بيان: «الضرب» السير السريع، و «الضارب» السابح. و «الغمزة» الماء الكثير. و «الحين» الهلاك. و «استغلق» أي تعسر فتحها. و «الرين» الطبع والتغطية. ٨١٩

الوصية بالزهد والتقوى

عِبَادَ اللَّهِ ! أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ : فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجَنَّةُ ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَلْكُهَا رَاسِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا ^(٢٤٨٤) حَافِظٌ . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا . إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى ، وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى ^(٢٤٨٥) . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا . وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ » . فَمَا أَهْطَعُوا ^(٢٤٨٦) بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَالْظُّو ^(٢٤٨٧) بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا ^(٢٤٨٨) بِهَا ذُنُوبَكُمْ ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصُونُوا ^(٢٤٨٩) بِهَا ، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُرَاهَا ^(٢٤٩٠) ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهَا ^(٢٤٩١) . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتُهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتُهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا ^(٢٤٩٢) بَارِقَهَا ^(٢٤٩٣) ، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوهَا

بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا^(٢٤٩٤) ، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ^(٢٤٩٥) ، وَتُنْفَقَهَا
كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ^(٢٤٩٦) ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ
الْمُتَصَدِّبَةُ^(٢٤٩٧) الْعُنُونُ^(٢٤٩٨) ، وَالْجَامِحَةُ الْحُرُونُ^(٢٤٩٩) ، وَالْمَائِنَةُ
الْخَوُونُ^(٢٥٠٠) ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ^(٢٥٠١) ، وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ^(٢٥٠٢) ، وَالْحَيُودُ
الْمَيُودُ^(٢٥٠٣) . حَالُهَا أَنْتِقَالٌ ، وَوُطْأَتُهَا زَلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجَدُّهَا
هَزَلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرْبٍ^(٢٥٠٤) وَسَلْبٌ ، وَنَهَبٌ وَعَطَبٌ . أَهْلُهَا
عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ^(٢٥٠٥) ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ^(٢٥٠٦) . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا^(٢٥٠٧) ،
وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا^(٢٥٠٨) ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ؛ فَاسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمْ
الْمَنَازِلُ ، وَأَغْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ^(٢٥٠٩) : فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ^(٢٥١٠) ، وَلَحْمٍ
مَعْزُورٍ^(٢٥١١) ، وَشَلْوٍ^(٢٥١٢) مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ^(٢٥١٣) ، وَعَاضٍ
عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ^(٢٥١٤) ، وَزَارٍ^(٢٥١٥) عَلَى
رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتْ الْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ^(٢٥١٦) ،
«وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»^(٢٥١٧) . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ
مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلِهَا^(٢٥١٨) ، «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»^(٢٥١٩) .

وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله ، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام ، وأنه أول من أظهر العصبية ^(٢٥٢١) وتبع الحمية ، وتحذير الناس من سلوك طريقته .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْإِزَّ وَالْكِبرِيَاءَ ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى ^(٢٥٢٢) وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَصْطَفَاهُمَا ^(٢٥٢٣) لَجَلَالِهِ .

رأس المصيان

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَخْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ » اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ ، وَأَدْرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنْذِيلِ .

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا ؟!

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاوُهُ ،
 وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاوُهُ^(٢٥٢١) ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ^(٢٥٢٥) ، لَفَعَلَ .
 وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ .
 وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَنْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً
 بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ .

طلب العبرة

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ^(٢٥٢٦) عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ،
 وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبْدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَى
 أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا
 بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ
 السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ^(٢٥٢٧)
 فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ .

بيان: «لا يدري» على صيغة المجهول، وفي بعض النسخ على المتكلم المعلوم؛
 فعلى الأول لا يدل على عدم علمه—عليه السلام—و على الثاني أيضا المراد به غيره و
 أدخل نفسه تغليبا، والابهام لمصلحة كعدم تحاشي السامعين من طول المدة أو غيره.
 قوله—عليه السلام—«أخرج به منها ملكا» ظاهره أن إبليس كان من
 الملائكة، ويمكن الجواب بأن إطلاق الملك عليه لكونه من الملائكة بالولاء. وقال

بعض شراح النهج: «يسلم على الله» أي يرجع اليه سالما من طرده ولعنه، تقول: «سلم عليّ هذا الشيء» إذا رجع إليك سالما ولم يلحقه تلف، والباء للمصاحبة كما في قوله «بأمر» وأما الباء في «به» فيحتمل المصاحبة والسببية وقد مرّ تمام الخطبة وشرحها. ٨٢٠

التحذير من الشيطان

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُغْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ^(٢٥٢٨) ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ ^(٢٥٢٩) بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ^(٢٥٣٠) . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فُوقَ ^(٢٥٣١) لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ ^(٢٥٣٢) إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ ^(٢٥٣٣) الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، فَقَالَ : «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» ، قَدْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ ^(٢٥٣٤) مِنْكُمْ ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ ^(٢٥٣٥) مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ ^(٢٥٣٦) الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ ^(٢٥٣٧) بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ، فَأَقْحَمُوكُمْ ^(٢٥٣٨) وَلَجَاتٍ ^(٢٥٣٩) الدَّلَّ ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَوْوكُمْ ^(٢٥٤٠) إِثْخَانَ ^(٢٥٤١) الْجِرَاحَةِ ، طَعَنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزَا فِي

حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْفًا بِخَزَائِمِ^(٢٥٤٢)
 الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا ، وَأَوْرَى^(٢٥٤٣)
 فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا ، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ^(٢٥٤٤) ، وَعَلَيْهِمْ
 مُتَالِبِينَ^(٢٥٤٥) . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ^(٢٥٤٦) ، وَلَهُ جَدَّكُمْ^(٢٥٤٧) ، فَلَعَمْرُ
 اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ،
 وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ
 مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ^(٢٥٤٨) . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا
 تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ^(٢٥٤٩) ، وَحَلَقَةِ ضَيْقٍ ، وَعَرَصَةِ مَوْتٍ ،
 وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ . فَاطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ وَأَحْقَادِ
 الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ
 وَنَخَوَاتِهِ^(٢٥٥٠) ، وَنَزَغَاتِهِ^(٢٥٥١) وَنَفَثَاتِهِ^(٢٥٥٢) . وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ
 عَلَى رُؤُوسِكُمْ ، وَلِإِقْلَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ
 أَعْنَاقِكُمْ ؛ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً^(٢٥٥٣) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ لِإِبْلِيسَ
 وَجُنُودِهِ ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا ، وَلَا
 تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا
 أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ
 نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَغْقَبَهُ

اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةُ ، وَالْزَمَهُ آثَامَ الْفَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

التحذير من الكبر

أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ^(٢٥٥٤) فِي الْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، مُصَارِحَةً^(٢٥٥٥) لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنَّهُ مَلَأَ^(٢٥٥٦) الشَّانَ^(٢٥٥٧) ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّى أَغْنَوْا^(٢٥٥٨) فِي حَنَادِسِ^(٢٥٥٩) جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي^(٢٥٦٠) ضَلَالَتِهِ ، ذُلًّا^(٢٥٦١) عَنْ سِيَاقِهِ ، سُلْسًا^(٢٥٦٢) فِي قِيَادِهِ . أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ ، وَكَبُرَ تَضَايَقَتِ الصُّلُورُ بِهِ .

التحذير من طاعة الكبراء

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوْا الْهَجِيئَةَ^(٢٥٦٣) عَلَى رَبِّهِمْ ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ^(٢٥٦٤) . فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ غَيْرِزَاءِ^(٢٥٦٥) الْجَاهِلِيَّةِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا . وَلَا تُطِيعُوا الْأَذْعِيَاءَ^(٢٥٦٦) الَّذِينَ شَرِبْتُمْ

بِصَفْوِكُمْ كَذَرَهُمْ^(٢٦٦٧) ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ^(٢٥٦٨) الْفُسُوقِ ، وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ^(٢٥٦٩) اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْسًا فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبِيلِهِ^(٢٦٧٠) ، وَمَوَاطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَاخِذَ يَدِهِ .

العبرة بالماضين

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمِثْلَاتِهِ^(٢٥٧١) ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ^(٢٥٧٢) ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ^(٢٥٧٣) ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبَرِ^(٢٥٧٤) ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعَ ، فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعِفِينَ . قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ^(٢٥٧٥) ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ^(٢٥٧٦) ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ^(٢٥٧٧) بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْبَوْلَدَ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ ، وَالْإِخْتِبَارَ فِي مَوْضِعِ

الْغَنَى وَالْاِفْتِدَارِ ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « اَيْحَسِبُونَ اَنْ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

بواضع الانبياء.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَذَارِغُ الصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ - إِنْ أَسْلَمَ - بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ ؛ فَقَالَ : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا آسَورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ؟ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ ! وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ ^(٢٥٧٨) ، وَمَعَادِنِ الْإِغْقِيَانِ ^(٢٥٧٩) ، وَمَغَارِسِ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَخْشَرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضَيْنِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ ^(٢٥٨٠) ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَأَضْمَحَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُتَبَتِّلِينَ . وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا . وَلَكِنَّ اللَّهَ

سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِهِمْ . وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَانِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعْيُونَ غِنًى . وَخَصَاصَةً ^(٢٥٨١) تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعُ أَذًى .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرُّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْأَعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْأَسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَنُوءَ عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِبَطَاعَتِهِ ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبَلَوَى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمُشُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

الكعبة المقدسة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ؛ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَهُ الْحَرَامَ «الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا» . ثُمَّ

وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجَرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ^(٢٥٨٢) الدُّنْيَا مَدْرَأً^(٢٥٨٣) ،
وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا . بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ^(٢٥٨٤) ،
وَعُيُونٍ وَشَلَّةٍ^(٢٥٨٥) ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ ؛ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ
وَلَا ظِلْفٌ^(٢٥٨٦) . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ^(٢٥٨٧)
نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ^(٢٥٨٨) أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمُلْقَى^(٢٥٨٩)
رِحَالِهِمْ . تَهْوِي^(٢٥٩٠) إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ^(٢٥٩١) قِفَارٍ سَحِيقَةٍ^(٢٥٩٢)
وَمَهَاوِي^(٢٥٩٣) فِجَاجٍ^(٢٥٩٤) عَمِيقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى
يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ^(٢٥٩٥) ذُلًّا يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ ، وَيَرْمُلُونَ^(٢٥٩٦) عَلَى
أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا^(٢٥٩٧) غُبْرًا^(٢٥٩٨) لَهُ . قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ^(٢٥٩٩) وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ^(٢٦٠٠) مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، أَبْتِلَاءَ عَظِيمًا ،
وَأَمْتِحَانًا شَدِيدًا ، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا ، وَتَمْحِيطًا بَلِيغًا ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا
لِرَحْمَتِهِ ، وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ ،
وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ . بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ^(٢٦٠١) ، جَمَّ^(٢٦٠٢) الْأَشْجَارُ
دَانِي الثَّمَارِ ، مُلْتَفَّ الْبُنَى^(٢٦٠٣) ، مُتَّصِلَ الْقُرَى^(٢٦٠٤) ، بَيْنَ بُرَّةٍ^(٢٦٠٥) سَمَرَاءَ ،
وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ^(٢٦٠٦) مُخْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ^(٢٦٠٧) مُغْدِقَةٍ ،
وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ . وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ
مُضْعَفِ الْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ^(٢٦٠٨) الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَخْبَارُ

الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمْرَةِ خَضَرَاءَ ، وَيَا قُوتَةَ حَمَرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءَ ،
لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ
الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ^(٢٦٠٩) الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ
عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ
بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَانًا لِلتَّنَذُّلِ فِي
نَفُوسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا^(٢٦١٠) إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا
لِعَفْوِهِ .

عود إلى التحذير

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُخْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلَمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ
الْكِبَرِ ، فَإِنَّهَا مَضِيدَةٌ لِإِبْلِيسَ الْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى ، الَّتِي
تُسَاوِرُ^(٢٦١١) قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي^(٢٦١٢)
أَبَدًا ، وَلَا تُشْوِي^(٢٦١٣) أَحَدًا ، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِيلًا فِي طَمَرِهِ^(٢٦١٤) .
وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَّوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ
الصَّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ^(٢٦١٥) ، وَتَخْشِيعًا
لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلًا لِنَفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ
عَنْهُمْ ، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ^(٢٦١٦) بِالثَّرَابِ تَوَاضِعًا ،
وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلِحُوقِ الْبُطُونِ

بِالْمُتُونِ^(٢٦١٧) مِنَ الصَّيَامِ تَذُلًّا؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ
الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ .

فضائل الفرائض

أَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعٍ^(٢٦١٨) نَوَاجِمٍ^(٢٦١٩) الْفَخْرِ ،
وَقَذَعٍ^(٢٦٢٠) طَوَالِعِ الْكِبَرِ ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنْ
الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لشيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهِ الْجُهْلَاءِ ،
أَوْ حُجَّةٍ تَلِيظُ^(٢٦٢١) بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ مَا
يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأُضْلِهِ ، وَطَعَنَ
عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ ، فَقَالَ : أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي .

عصبة المال

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفَةٍ^(٢٦٢٢) الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ
النَّعَمِ^(٢٦٢٣) ، فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ » .
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ
الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ
بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ^(٢٦٢٤) الْقَبَائِلِ ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ^(٢٦٢٥) ،
وَالْأَخْلَامِ^(٢٦٢٦) الْعَظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ .
فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ^(٢٦٢٧) ، وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ^(٢٦٢٨) ،

وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبَرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ
الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلخَلْقِ ، وَالْكَظْمَ لِلْبَغْيِ ،
وَأَجْتَنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

بيان: «الأساورة» جمع للأسورة التي هي جمع السوار. و«الذهبان» بالكسر والضم، جمع «الذهب». و«العقيان» بالكسر، هو الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت منه نباتاً. و«البلاء» الامتحان. و«اضمحَلَّ الأنبياء» أي سقط الوعد والوعد.

قال الثعلبي: قال العلماء بأخبار الماضين: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَبَعَثَهُ إِلَى مِصْرَ خَرَجَ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالطَّرِيقِ، وَكَانَ اللَّهُ—تَعَالَى—يَهْدِيهِ وَيُدَلُّهُ وَلَيْسَ مَعَهُ زَادٌ وَلَا سِلَاحٌ وَلَا حَوْلَةٌ^{٨٢١} وَلَا شَيْءٌ غَيْرَ عَصَاهُ وَمَدْرَعَةِ صُوفٍ وَقَلَنْسُوءَةٍ مِنْ صُوفٍ وَنَعْلَيْنِ، يَظَلُّ صَاغِئاً، وَبَيْتٌ قَائِماً، وَيَسْتَعِينُ بِالصَّيْدِ وَيَقُولُ الْأَرْضُ حَتَّى وَرَدَ مِصْرَ، وَلَمَّا قَرَّبَ مِصْرَ أَوْحَى اللَّهُ—سُبْحَانَهُ—إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ يَبْشِرُهُ بِقُدُومِ مُوسَى وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَهُ لِمُوسَى وَزِيْرًا وَرَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَمْرُؤَ السَّبْتَ لِفِرْعَوْنَ ذِي الْحِجَّةِ مُتَنَكِّرًا إِلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لِيَلْتَقِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمُوسَى.

قال: فخرج هارون وأقبل موسى—عليه السلام—فالتقيا على شقِّ النيل قبل طلوع الشمس، فاتفق أنه كان يوم ورود الأسد الماء، وكان لفرعون أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها، وكانت ترد الماء غباً، وكان فرعون إذذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً، في كلِّ سور رساتيق وأنهار^{٨٢٢} ومزارع وأرض واسعة، في ربض كلِّ سور^{٨٢٣} سبعون ألف مقاتل، ومن وراء تلك المدينة غيضة^{٨٢٤} تولى فرعون غرسها بنفسه وعمل فيها وسقاها بالنيل، ثم أسكنها الأسد فنسلت^{٨٢٥} وتوالدت

٨٢١- في المصدر بعد ذلك: ولا صاحب له ولا شيء. هـ. م.

٨٢٢- في المصدر: وكان بين كلِّ سورين بساتين وأنهار. هـ. م.

٨٢٣- «الربض» ماحول المدينة من بيوت ومساكن: سور المدينة. وفي المصدر: وأرض واسعة في ربض. لكلِّ سور. هـ.

٨٢٤- «الغيضة» مجتمع الشجر في مفيض الماء: الأجمة.

٨٢٥- في المصدر: فتناسلت. م.

حتى كثرت، ثم اتخذها جنداً من جنوده تحرسه، وجعل خلال تلك الغيضة طريقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها، فن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الأسد^{٨٢٦} وكانت الأسود إذا وردت النيل ظلت عليها يومها كلها ثم تصدر مع الليل.

قال: فالتقى موسى وهارون يوم ورودها، فلما أبصرتها الأسد مدت أعناقها ورؤوسها إليها وشخصت أبصارها نحوهما، وقذف الله تعالى في قلوبها الرعب، فانطلقت نحو الغيضة منهزمة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضاً حتى اندست في الغيضة، وكان لها ساسة يسوسونها وذادة يذودونها ويشلون بالناس^{٨٢٧} فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها فرعون ولم يشعروا من أين أتوا، فانطلق موسى وهارون عليها السلام في تلك المسبعة^{٨٢٨} حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون، وكان منه يدخل ومنه يخرج، وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم؛ فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس و زبرهما^{٨٢٩} وقال لهما: هل تدريان لمن هذا الباب؟ فقال موسى عليه السلام: إن هذا الباب والأرض كلها وما فيها لرب العالمين، وأهلها عبيد له، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يسمع مثله قط ولم يظن أن أحداً من الناس يفصح بمثله، فلما سمع ما سمع أسرع إلى كبارائه الذين فوقه فقال لهم: سمعت اليوم قولاً وعانيت عجباً من رجلين هو أعظم عندي وأفظع وأشنع مما أصابنا في الأسود، وما كانا ليقدا على ما أقدمنا عليه إلا بسحر عظيم، وأخبرهم القصة فلا يزال ذلك يتداول بينهم حتى انتهى إلى فرعون.

وقال السدي بإسناده: سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتى أتوها ليلاً فضيَّف أمه وهي لا تعرفه، وإنا أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل و نزل في جانب الدار، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه، فأخبرته أنه ضيف

٨٢٦- في المصدر: فتأكله الأسود. م

٨٢٧- في المصدر: ويسلطونها على الناس. م

٨٢٨- في المصدر: في تلك الغيضة. م

٨٢٩- «زبره عن الأمر» منعه ونهاه عنه، «زبر السائل» انتهزه. وليست هذه الكلمة في المصدر.

فدعاه فأكل معه فلما أن فعد تحدثا فسأله هارون فقال: من أنت؟
فقال: أنا موسى.

فقام كل واحد منها إلى صاحبه فاعتنقه، فلما أن تعارفا قال له موسى: يا هارون! انطلق معي إلى فرعون، فإن الله—عز وجل—قد أرسلنا إليه.
فقال هارون: سمعاً وطاعة.

فقامت أمتهمافصاحت^{٨٣٠} وقالت: أنشدكم الله أن تذهباً^{٨٣١} إلى فرعون فيقتلكما.

فأتيا ومضيا^{٨٣٢} لأمر الله—سبحانه—فانطلقا إليه ليلاً فأتيا الباب واثمسا الدخول عليه ليلاً ففرعا الباب ففرع فرعون وفرع البواب، وقال فرعون: من هذا الذي يضرب بأبي هذه الساعة؟!

فأشرف عليها البواب فكلّمهما، فقال له موسى: أنا رسول رب العالمين.
فأتى^{٨٣٣} فرعون فأخبره وقال: إن ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: خرج موسى لما بعثه الله—سبحانه—حين قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان: إنا رسولا رب العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل^{٨٣٤}، فكثتا سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بظال له يلعب عنده ويضحكه فقال له: أيتها الملك إن على بابك رجلاً^{٨٣٥} يقول قولاً عجيباً يزعم أن له إلهاً غيرك.

٨٣٠- في المصدر: فصاحت وضجت. اه. م

٨٣١- في المصدر: أن لا تذهباً. م

٨٣٢- في المصدر: فأتيا عليها ومضيا. م

٨٣٣- في المصدر: ففرع البواب وأتى. اه. م

٨٣٤- المصدر خال من هذه الجملة. م

٨٣٥- في المصدر: رجلين. وهكذا نثني جميع الضمانر الآتية. م

فقال: بياي؟!!!^{٨٣٦} أدخلوه.

فدخل موسى ومعه هارون—عليهما السلام—على فرعون.^{٨٣٧}

قالوا: فلما أذن فرعون لموسى و هارون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء و هو: «لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. اللهم إني أدركك^{٨٣٨} في نحره وأعوذ بك من شره وأستعينك^{٨٣٩} عليه فاكفنيه بما شئت».

قال: فتحول ما بقلب موسى من الخوف أمناً، وكذلك من دعا بهذا الدعاء و هو خائف آمن الله خوفه، ونفس كربته، وهون عليه سكرات الموت.

ثم قال فرعون لموسى: من أنت؟

قال: أنا رسول رب العالمين.

فأتمله فرعون فعرفه فقال له: «أَلَمْ تُرَبِّكَ فَيْتَا وَلِيداً وَلَيْسَتْ فَيْتَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبَتَّى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ»^{٨٤٠} معناه: على ديننا هذا الذي تعييه^{٨٤١}.

فقال موسى: «فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ»^{٨٤٢} المخطئين^{٨٤٣} ولم أرد بذلك

القتل؛ «فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً»^{٨٤٤}—أي نبوة^{٨٤٤}—و

٨٣٦- المصدر خال من هذه الكلمة. م

٨٣٧- العرائس، ص ١١٤-١١٥. م

٨٣٨- في المصدر: أدركه بك. م

٨٣٩- في المصدر: وأستعين بك. م

٨٤٠- الشعراء: ١٨-١٩.

٨٤١- أي معنى «وليسيت فينا من عمرك سنين» أنك لبست على ديننا الذي تعييه.

٨٤٢- الشعراء: ٢٠.

٨٤٣- في المصدر: أي من المخطئين. م

٨٤٤- المصدر خال عن قوله أي نبوة. م

جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْتَلِينَ»^{٨٤٥}. ثُمَّ أَقْبَلَ مُوسَى يَنْكُرُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ فَقَالَ: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ نَمُنُّهَا عَلَيْ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^{٨٤٦} أَيِ اتَّخَذْتَهُمْ عِبِيداً تَنْزِعُ أَبْنَاءَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ تَسْتَرْقَ مِنْ شَتَّى^{٨٤٧} أَيِ إِنَّمَا صَيَّرَنِي إِلَيْكَ ذَلِكَ.

قَالَ فِرْعَوْنُ: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ»^{٨٤٨}.

قَالَ فِرْعَوْنُ لِمَنْ حَوْلَهُ: «الْأَتَسْتَمِئُونَ؟»^{٨٤٩} إِنْكَاراً لِمَا قَالَ.

قَالَ مُوسَى: «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ»^{٨٥٠}.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْجُونٌ»^{٨٥١} يَعْنِي مَا هَذَا بِكَلَامٍ صَحِيحٍ^{٨٥٢} إِذْ يَزْعُمُ أَنَّ لَكُمْ إِلَهاً غَيْرِي.

قَالَ مُوسَى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ»^{٨٥٣}.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: «لَيْسَ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ: أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ»^{٨٥٤} تَعْرِفُ بِهِ صَدِيقِي وَكَذَبُكَ، وَحَقِّي وَبَاطِلُكَ.

قَالَ فِرْعَوْنُ: «قَاتِبٍ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ»^{٨٥٥} فَاتَّحَتْ فَاهَا قَدَمَلَاتٍ مَا بَيْنَ سَمَاطِي فِرْعَوْنَ^{٨٥٦}، وَاضْعَةً لَحْيَيْهَا الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْلَى فِي سَوَارِ الْقَصْرِ حَتَّى رَأَى بَعْضُ مَنْ كَانَ خَارِجاً مِنْ مَدِينَةِ مِصْرَ رَأْسَهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِأَخْذِهِ فَارْفَضَ^{٨٥٧} عَنْهَا النَّاسُ وَذَعَرَهَا فِرْعَوْنُ، وَوَثَبَ عَنْ سَرِيرِهِ وَأَحْدَثَ حَتَّى قَامَ بِهِ بَطْنُهُ^{٨٥٨} فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً! وَكَانَ فِيمَا يَزْعُمُونَ لَا يَسْعَلُ وَلَا يَصْدَعُ^{٨٥٩} وَلَا يَصِيبُهُ آفَةٌ مِمَّا يَصِيبُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُومُ فِي

٨٤٥- الشعراء: ٢١.

٨٤٦- الشعراء: ٢٢.

٨٤٧- في المصدر بعد ذلك: وتقتل من شتَّى. م.

٨٤٨- الشعراء: ٢٣-٢٤.

٨٤٩- الشعراء: ٢٥.

٨٥٠- الشعراء: ٢٦.

٨٥١- الشعراء: ٢٧.

٨٥٢- في المصدر: ما هذا بكلام رجل صحيح العقل. م.

٨٥٣- الشعراء: ٢٨.

٨٥٤- الشعراء: ٢٩-٣٠.

٨٥٥- الشعراء: ٣١-٣٢.

٨٥٦- أي جانباه. وفي المصدر: قد ملأت ما بين جانبي القصر.

٨٥٧- في المصدر: فانفضّ. م.

٨٥٨- في المصدر: قام من بطنه. م.

٨٥٩- في المصدر: لايسل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه. م.

أربعين يوماً مرة، و كان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثقل^{٨٦٠} فيحتاج إلى القيام، و كان هذه الأشياء ممّا زَيّن له أن قال ما قال، لأنّه ليس له من الناس شبهه.

قالوا: فلمّا قصدته الحية صاح: يا موسى أنشدك بالله و حرمة الرضاع إلّا أخذتها و كففتها عتي، وإني أوّمن بك وأرسل معك بني إسرائيل. فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، ثمّ نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، لها شعاع كشعاع الشمس، فقال له فرعون: هذه يدك.

فلمّا قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثمّ أخرجها الثانية، لها نور ساطع في السماء تكلّ منها الأبصار، و قد أضاءت ما حولها، يدخل نورها في البيوت، و يرى من الكوى من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمّ ردّها موسى إلى جيبه ثمّ أخرجها فإذا هي على لونها الأوّل.

قالوا: فهمّ فرعون بتصديقه، فقام إليه هامان و جلس بين يديه فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟! فقال فرعون لموسى: أمهلني اليوم إلى غد.

و أوحى الله تعالى—إلى موسى أن قل لفرعون: إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددت^{٨٦١} شاباً طرياً.

فاستنظره فرعون. فلمّا كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه.

فقال له هامان: والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً، و نفخ في منخره، ثمّ قال له هامان: أنا أردك شاباً، فأتاه بالوسمة فخضبه بها!^{٨٦٢} فلمّا دخل عليه موسى فرآه على تلك الحالة هاله ذلك ،

٨٦٠- في نسخة: ثقل.

٨٦١- في المصدر: ورددتك . م

٨٦٢- في المصدر: فأتاه بالوشم فخضبه به . م

فأوحى الله - تعالى -: لا يهولتك ما رأيت فإنه لم يلبث إلا قليلاً حتى يعود إلى الحالة الأولى. وفي بعض الروايات أن موسى و هارون لما انصرفا من عند فرعون أصابها المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما، ووجه فرعون الطلب في أثرهما، فلما دخل عليها الليل ناما في دارها وجاءت الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلما أحسّت بهم خافت عليها فخرجت العصا من صير الباب والعجوز تنظر^{٨٦٣} فقالتهم حتى قتل منهم سبعة أنفس، ثم عادت ودخلت الدار، فلما انتبه موسى و هارون أخبرتهما بقصة الطلب ونكاية العصا منهم^{٨٦٤} فأمنت بهما وصدقتهما^{٨٦٥}.

توضيح: «الغيضة» موضع تنبت فيه الأشجار الكثيرة. و «ربض المدينة» بالتحريك، ما حولها. و «الاندساس» الاختفاء. و «أشليت الكلب على الصيد» أغريته. و «الطفيشل» - كسميدع - نوع من المرق. و «الارفضاض» التفرق. و «الطلب» بالتحريك، جمع طالب. و «الصير» بالكسر، شق الباب.

ثم قال الثعلبي: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: إن موسى و هارون - عليهما السلام - وضع فرعون أمرهما و ما أتيا به من سلطان الله - سبحانه - على السحر و قال للملأ من حوله^{٨٦٦}: «إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَآئِ يَرِيدَانِ»^{٨٦٧} إلى^{٨٦٨} قوله: «فَمَآذَا تَأْمُرُونَ»^{٨٦٩} أقتلها؟^{٨٧٠} فقال العبد الصالح خربيل^{٨٧١} مؤمن آل فرعون:

٨٦٣- في المصدر: من جانب الباب والعجوز تنظر إليها. م

٨٦٤- في نسخة: ونكاية العصا فيهم.

٨٦٥- العرائس: ١١٦. م

٨٦٦- في نسخة: قال للملأمن قومه. وفي المصدر: قال للملأحوله؛ وكلها باطل لأن ما في القرآن هو: «قالوا: إن هذان لساحران يريدان» يعني: قال الملأ. فالصحيح هنا هو: وقال الملأحوله.

٨٦٧- طه: ٦٣.

٨٦٨- الظاهر هو أن «إلى» هنا غلط لأن الآية الآتية أي «فَمَآذَا تَأْمُرُونَ» تكون في سورة الشعراء، وإن كانت ترتبط بالآية السابقة. فالصحيح هو أن يكون: وقوله.

٨٦٩- الشعراء: ٣٥.

٨٧٠- في المصدر: قالوا: أقتلها؟ م

٨٧١- في المصدر: خربيل. م

«اتَّقِشُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ»^{٨٧٢} إلى قوله: «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا»^{٨٧٣} قال فرعون: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»^{٨٧٤}. وقال الملأ من قوم فرعون: «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ خَاشِعِينَ * يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَخِرٍ عَلَيْهِمْ»^{٨٧٥} وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة عدة للأمر إذا حزبه^{٨٧٦}.

وقال ابن عباس: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في اليد والعصا^{٨٧٧}: إِنَّا لَا نَغَالِبُ مُوسَى إِلَّا بِنِ هُوَ مِثْلُهُ. فَأَخَذَ غُلَمَانًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى قَرْيَةٍ يَقَالُ لَهَا الْغُرْمَاءُ^{٨٧٨} يَعْلَمُونَهُمُ السَّحْرَ كَمَا يَعْلَمُ الصَّبِيَّانَ (الكتابة خ ل) فِي الْكِتَابِ، فَعَلِمُوهُمْ سَحْرًا كَثِيرًا. وَوَاعَدَ فِرْعَوْنَ مُوسَى مُوعِدًا فَبَعَثَ فِرْعَوْنَ إِلَى السَّحْرَةِ فَجَاءَ بِهِمْ وَمَعَهُمْ مُعَلِّمُهُمْ، فَقَالُوا لَهُ^{٨٧٩}: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَلَّمْتَهُمْ سَحْرًا لَا يُطِيقُهُ سَحْرَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ. ثُمَّ بَعَثَ فِرْعَوْنَ الشَّرْطِيَّ فِي مَمْلَكَتِهِ فَلَمْ يَتْرِكْ فِي سُلْطَانِهِ سَاحِرًا إِلَّا أَتَى بِهِ^{٨٨٠}.

وَاخْتَلَفُوا فِي عِدَدِ السَّحْرَةِ^{٨٨١} الَّذِينَ جَعَلَهُمْ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَاحِرًا، اثْنَانِ مِنْهُمْ مِنَ الْقِبْطِ وَهُمَا رَأَسَا الْقَوْمِ، وَسَبْعُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وَ قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانُوا سَبْعِينَ سَاحِرًا غَيْرَ رُئُوسِهِمْ، وَ كَانَ الَّذِي يَعْلَمُهُمْ ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مَجُوسِيَّيْنِ مِنْ أَهْلِ نِينَوى؛ وَ قَالَ كَعْبٌ: كَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا؛ وَ قَالَ السَّدِّيُّ: كَانُوا بَضْعًا وَثَلَاثِينَ أَلْفًا؛ وَ قَالَ عِكْرَمَةُ: سَبْعِينَ أَلْفًا؛ وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدَرِ: ثَمَانِينَ أَلْفًا.

٨٧٢- الغافر: ٢٨.

٨٧٣ و ٨٧٤- الغافر: ٢٩.

٨٧٥- الشعراء: ٣٦-٣٧.

٨٧٦- «حزبه» أمر، أي أصابه. وفي المصدر: معدة للأمر إذا أحزنه. م

٨٧٧- في المصدر بعد ذلك: ما رأى. م

٨٧٨- في المصدر: الغرقاء. م

٨٧٩- في المصدر: فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له. م

٨٨٠- في المصدر: فلم يتركوا في مملكته ساحراً إلّا أتوا به. م

٨٨١- في المصدر: عدة السحرة. م

فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلا ساحر ماهر، ثم اختار منهم سبعمئة، ثم اختار من أولئك السبعمئة سبعين من كبارهم وعلماهم؛ قال مقاتل: وكان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر. فلما جاءهما رسول فرعون قالاً لأتهما: دلينا على قبر أبينا. فدلتهما عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابها، فقالا: إن الملك وجه إلينا أن نقدّم عليه لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عزّ ومنعة وقد ضاق الملك ذرعاً^{٨٨٢} من عزّهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لها شيء، تطلع الحديد والخشب والحجر، فأجابها أبوهما: انظرا إذاهما ناما فإن قدرتا أن تسلاّ العصا فسلاّها، فإنّ الساحر لا يعمل سحره وهونائهم، وإن عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين، ولا طاقة لكما بهما ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتها العصا.

قالوا: ثم واعدوه يوم الزينة وكان يوم سوق لهم، عن سعيد بن جبير؛ وقال ابن عباس: كان يوم عاشوراء، ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز، وكان يوم عيد لهم يجتمع إليه الناس من الآفاق؛ قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: وكان اجتماعهم للميقات بالإسكندرية، ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة^{٨٨٣} يومئذ.

قالوا: ثم قال السحرة لفرعون: «أَيُّنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَخْشَى الْغَالِيِينَ»^{٨٨٤}.

قال فرعون: «وَأَنْتُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»^{٨٨٥} عندي في المنزلة.

فلما اجتمع الناس جاء موسى وهو متكئ على عصاه ومع أخوه هارون حتى أتى^{٨٨٦} الجمع وفرعون في مجلسه مع أشرف قومه، فقال موسى — عليه السلام — للسحرة حين جاءهم: «وَيَلْبِغْكُمْ لَأَتَفَسَّرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجَنَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ

٨٨٢- أي ضاق صدره وضعت طاقته.

٨٨٣- في المصدر: بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحرة. م

٨٨٤- الشعراء: ٤١.

٨٨٥- الشعراء: ٤٢.

٨٨٦- في المصدر: حتى أتيا الجمع. م

خَابَ مَنِ افْتَرَى»^{٨٨٧}.

فتناجى السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قوله- تعالى: «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى»^{٨٨٨}.

فقال السحرة: لنأتيتك اليوم بسحر لم تر مثله، وقالوا: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ»^{٨٨٩}، وكانوا قد جاؤوا بالعصي والجمال تحملها ستون بعيراً^{٨٩٠}، فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى: «إِنَّمَا أَنْتَ تُلْفِي وَإِنَّمَا أَنْتَ تَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَى؟ قَالَ: بَلْ أَلْفُوا»^{٨٩١} أنتم، فألقوا جبالهم وعصيتهم فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى، فذلك قوله- تعالى: «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى»^{٨٩٢} وقال: واللّه إن كانت لعصياً في أيديهم ولقد عادت حيات وما يعدون عصاي هذه، أو كما حدث نفسه^{٨٩٣} فأوحى الله- تعالى- إليه: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كِبَئُودًا سَاجِدٌ وَلَا يُلْقِي السَّاجِدُ حَبْتٌ أَتَى»^{٨٩٤} ففرج عن موسى وألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبین، كأعظم ما يكون أسود مدلم^{٨٩٥} على أربع قوائم قصار غلاظ شداد، وهو أعظم وأطول من البختي، وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه و عنقه و كاهله، لا يضرب ذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه، و يكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب، و يطحن كلّ شيء، و يضرم حيطان البيوت

٨٨٧- طه: ٦١.

٨٨٨- طه: ٦٢.

٨٨٩- الشعراء: ٤٤.

٨٩٠- قال اليعقوبي: فعملوا من جلود البقر جبالاً مجوفة وعصياً مجوفة ويزوقونها ويصيرون فيها الزبيق ثم أحوا المواضع التي أرادوا أن يلقوا فيها الجبال والعصى، ثم جلس فرعون فألقى السحرة جبالهم وعصيتهم؛ فلما حى الزبيق تحرك ومشت الجبال والعصى.

٨٩١- طه: ٦٥-٦٦.

٨٩٢- طه: ٦٦-٦٧.

٨٩٣- في المصدر: فلما حدث نفسه. م

٨٩٤- طه: ٦٨-٦٩.

٨٩٥- في المصدر: كأعظم ما يكون من الثعابين، أسود مدلم. م

بنفسه ناراً، وله عينان تلتهبان ناراً، ومنخران تنفخان سموماً، وعلى مفرقه شعر كأمثال الرماح، وصارت الشعبتان له فماً سعته اثنا عشر ذراعاً، وفيه أنياب و أضرار، وله فحيح وكشيش و صرير و صريف، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم وعصيتهم وهي حیات^{٨٩٦} في عين فرعون وأعين الناس، تسعى تلقفها و تبتلعها واحداً واحداً حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير ممّا ألقوا، و انهزم الناس فزعين هاربين منقلبين، فتزاحوا و تضاغطوا و وطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام و مواطي الأقدام خمسة و عشرون ألفاً، و انهزم فرعون فيمن انهزم منخوباً^{٨٩٧} مربعاً عازباً عقله^{٨٩٨} وقد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمئة جلسة^{٨٩٩}! ثم بعد ذلك إلى أربعين مرة في اليوم والليلة على الدوام إلى أن هلك!

فلما انهزم الناس و عين السحرة ما عاينوا و قالوا: لو كان سحراً لما غلبنا، و لما خفي علينا أمره و لئن كان سحراً فأين حبالنا و عصيتنا؟ فألقوا سجداً و قالوا: «آمناً بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ»^{٩٠٠} و كان فيهم اثنان و سبعون شيخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر، و كانوا علماء السحرة، و كان رئيس جماعتهم أربعة نفر^{٩٠١}: سابور و عادور و حطحط^{٩٠٢} و مصفا، و هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله - تعالى -، ثم آمنت السحرة كلهم.

فلما رأى فرعون ذلك أسف و قال لهم متجلداً: «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ؟ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا فَطَسَنَ أَبْيَدِيكُمْ وَ أُجْلِلَكُمْ مِنْ خِلَافِ وَلَا صَلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَ لَتَغْلِبُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَاباً وَ أَبْقَى»^{٩٠٣}.

٨٩٦- في المصدر: وهي تحيل. م

٨٩٧- «نخب» كان منزوع الفؤاد جباناً، و«المنخوب» الجبان الذاهب القلب. وفي المصدر: متخوفاً. م

٨٩٨- في المصدر: ذاهباً عقله.

٨٩٩- في المصدر: أربعمئة مرة. م

٩٠٠- الشعراء: ٤٧- ٤٨ والأعراف: ١٢١- ١٢٢.

٩٠١- هكذا في النسخ وفي تاريخ الطبري. وفي المصدر: خمسة نفر، وزاد «حفظ».

٩٠٢- في المصدر: وحفظ وخطط. وفي نسخة من العرائس: «غادر» بدل «عادور».

٩٠٣- طه: ٧١.

فقالوا: «لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ»^{٩٠٤} إلى قوله -تعالى-: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَابْقَى»^{٩٠٥}.

فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل، وهو أول من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفره وأمسوا شهداء بررة، ورجع فرعون مغلوباً^{٩٠٦} معلولاً، ثم أبى إلّا إقامة على الكفر والتماذي فيه، فتابع الله -تعالى- عليه بالآيات وأخذته وقومه بالسنين إلى أن أهلكهم. وخرج موسى -عليه السلام- راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوفا بصاحبه، والناس ينظرون إليها ينخزلون ويتضاغطون حتى دخل موسى عسكر بني إسرائيل وأخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أول مرة، وشتت الله على فرعون أمره، ولم يجد على موسى سبيلاً، فاعتزل موسى في مدينته ولاحق بقومه وعسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظاهرين ظافرين.^{٩٠٧}

بيان: «المدهم» المظلم. و«فحيح الأفعى» صوتها من فيها. و«الكشيش» صوتها من جلدها. و«المنخوب» الجبان الذي لا فؤاد له.

ثم قال الثعلبي: فلما خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه، فقال: «يَا هَاهُنَا ابْنِي لِي صَرْحاً -الآية-»^{٩٠٨}. فجمع العمال والفعلة حتى اجتمع له خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجر والحصّ وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بانيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض، فبعث الله -عزّ وجلّ- جبرئيل وضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة منها في البحر، وأخرى في الهند، وأخرى في المغرب.

و قال الضحاك: بعثه الله وقت الغروب^{٩٠٩} فقاذ به على عسكر فرعون

٩٠٧- العرائس، ص ١١٦-١١٨ م

٩٠٤- طه: ٧٢.

٩٠٨- الغافر: ٣٦.

٩٠٥- طه: ٧٣.

٩٠٩- المصدر خال عن قوله: وقت الغروب. م

٩٠٦- في المصدر: مغلوباً مهزوماً مكسوراً. م

فقتل منهم ألف ألف رجل^{٩١٠}.

وقالوا: ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلا أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثم إن فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه الله الآيات^{٩١١}.

فلما لم يؤمن أوحى الله—تعالى—إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أهل أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب، فإني مرسل على أعدائكم عذاباً وإني سأمر الملائكة^{٩١٢} فلا يدخل بيتاً على بابه دم، و سأمرها فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم و يهلكون هم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً^{٩١٣} فإنه أسرع لكم، ثم اسر بعبادي حتى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري. ففعلت ذلك بنو إسرائيل.

فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟

فقالوا: إن الله—سبحانه—مرسل عذاباً فنسلم و تهلكون.

فقالت القبط: فإيعرفكم ربكم إلا بهذه العلامات؟

فقالوا: هكذا أمرنا نبيتنا.

فأصبحوا و قد طعن أبقار آل فرعون و ماتوا كلهم في ليلة واحدة و كانوا

سبعين ألفاً، و اشتغلوا بدفنهم و بمانا لهم من الحزن على المصيبة.

و سرى موسى بقومه متوجهين إلى البحر و هم ستمائة ألف و عشرون ألفاً

لا يعدفهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره، و هم المقاتلة

سوى الذرية، و كان موسى—عليه السلام—على الساقة، و هارون على المقدمة.

فلما فرغت القبط من دفن أبقارهم و بلغهم خروج بني إسرائيل، قال

فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبقارنا من أنفسنا و أموالنا، ثم خرجوا و لم يرضوا أن

ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال الله—سبحانه—:

«فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ

٩١٢- في المصدر: سأمرل الملائكة. م

٩١٣- في المصدر: ثم أخبزوا فطيراً. م

٩١٠- في المصدر: أني ألف رجل. م

٩١١- المرائس، ص ١١٩. م

• وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ^{١١٤}. ثُمَّ تَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ وَعَلَى مَقْعَتِهِ هَامَانَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ، كُلُّ رَجُلٍ عَلَى حِصَانٍ وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَةٌ وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي أَثَرِ مُوسَى وَقَوْمِهِ أَلْفَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ مَلِكٌ مَسُورٌ^{١١٥} مَعَ كُلِّ مَلِكٍ أَلْفٌ، ثُمَّ خَرَجَ فِرْعَوْنُ خَلْفَهُمْ فِي الدَّهْمِ^{١١٦} وَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ رَجُلٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَاكِبًا حِصَانًا أَدْهَمَ، فَكَانَ فِي عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ مِائَةُ أَلْفٍ حِصَانٍ أَدْهَمَ، وَذَلِكَ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَشْرَقَتْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ—سُبْحَانَهُ—: «فَاتَّبَعُوهُمْ مُتَشْرِقِينَ»^{١١٧}.

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ وَرَأَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ غِبَارَ عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ قَالُوا: يَا مُوسَى أَيْنَ مَا وَعَدْتَنَا مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ؟ هَذَا الْبَحْرُ أَمَامُنَا، إِنْ دَخَلْنَاهُ غَرَقْنَا، وَفِرْعَوْنُ خَلْفُنَا إِنْ أَدْرَكَنَا قَتَلْنَا، وَلَقَدْ أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا.

فَقَالَ مُوسَى: «أَسْتَعِثُّوا^{١١٨} بِاللَّهِ وَآضِبُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^{١١٩}. وَقَالَ: «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (الأعراف: ١٢٩)»^{١٢٠}.

قَالُوا: فَلَمَّا انْتَهَى مُوسَى—عَلَيْهِ السَّلَامُ—إِلَى الْبَحْرِ هَاجَتِ الرِّيحُ تَرْمِي بِمَوْجِ كَالْجِبَالِ، فَقَالَ لَهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ: يَا مَكَلَّمَ اللَّهِ^{١٢١} أَيْنَ أَمَرْتَ وَقَدْ غَشِيْنَا فِرْعَوْنَ وَالْبَحْرَ أَمَامَنَا؟

فَقَالَ مُوسَى: هَهُنَا.

فَخَاضَ يَوْشَعَ الْمَاءَ وَجَازَ الْبَحْرَ مَا يُوَارِي حَافِرَ دَابَّتِهِ الْمَاءَ.

وَقَالَ خُرَيْبِلٌ^{١٢٢}: يَا مَكَلَّمَ اللَّهِ أَيْنَ أَمَرْتَ؟

قَالَ: هَهُنَا.

٩١٤- الشعراء: ٥٣-٥٦.

٩١٥- «ملك مسور» مسود قدير.

٩١٦- «الدهم» العدد الكثير.

٩١٧- الشعراء: ٦٠.

٩١٨- في المصدر: فقال موسى لقومه: يا قوم استمعوا. اهـ م

٩١٩- الأعراف: ١٢٨.

٩٢٠- العرائس، ص ١٢٣ م

٩٢١- في المصدر: يا كلم الله. م

٩٢٢- في المصدر: «حزقيل» في الموضح.

فكبح فرسه بلجامه^{٩٢٣} حتى طار الزبد من شذقيه ثم أقحمه البحر فرسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا، فأوحى الله - سبحانه - إلى موسى: «إِنِ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ»^{٩٢٤}، فضرب فلم يطعمه فأوحى الله إليه أن كته؛ فضرب موسى بعصاه ثانياً وقال: انفلق أبا خالد^{٩٢٥}! «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْقَلْوَءِ الْعَظِيمِ»^{٩٢٦}. فإذا خربيل واقف على فرسه لم يتلَّ سرجه ولا لبدته. وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لا ثني عشر سبطاً، لكل سبط طريق، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صاريساً.

وعن عبدالله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال: «يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً».

وعن عبدالله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: إنه قال عند ذلك: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان»^{٩٢٧} ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجلج الصخيم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كل سبط، قد قتل إخواننا. فأوحى الله - سبحانه - إلى جبال الماء أن تشبكي! فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين، ولما خرجت ساقه عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه، وأراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى الله - سبحانه - أن: «اتْرَكِ الْبَحْرَ زَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّفْرَقُونَ»^{٩٢٨}.

فلما وصل فرعون قال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبي حتى أدرك أعدائي وعبيدي، ولم تكن في خيل فرعون أنثى فجاء جبرئيل على فرس أنثى وعليه عمامة سوداء وتقدمهم وخاض البحر وظن أصحاب فرعون أنه منهم، فلما سمعت

٩٢٦ - الشعراء: ٦٣.

٩٢ - «كبح الدابة بالجام» جذبا به لتقف ولا تجري.

٩٢٧ - في المصدر بعد ذلك: وعليك التكلاّن. م

٩٢١ - الشعراء: ٦٣.

٩٢٨ - الدخان: ٢٤.

٩٢٤ - هذا كنية للبحر.

الخيل ربحها اقتحمت البحر في أثرها، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم^{٩٢٩} ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم. فلما أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان وقال: إني قد أتيت هذا الموضع مراراً ومالي عهد بهذه الطرق، وإني لا آمن أن يكون هذا مكرّاً من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا. فلم يقطع فرعون وذهب حاملاً^{٩٣٠} على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع ونفر حتى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلما توافوا في البحر وهم أولهم بالخروج أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين برأى من بني إسرائيل. قالوا: فلما سمعت بنو إسرائيل صوت النظام البحر قالوا لموسى: ما هذه الوجبة؟^{٩٣١} فقال لهم: إن الله—سبحانه—قد أهلك فرعون وكلّ من كان معه. فقالوا: إن فرعون لا يموت لأنّه خلق خلق من لا يموت، ألم تر أنّه كان يلبث كذا وكذا يوماً يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان؟ فأمر الله—سبحانه—البحر فألقاه على نجوة من الأرض وعليه درعه حتى نظر إليه بنو إسرائيل.

ويقال: لولم يخرج الله—تعالى—بيدنه لشكّ فيه بعض الناس، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كلّ جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، وهي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلّا النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى، وأمر على الجند بن يوشع بن نون وكالب بن يوفنا^{٩٣٢} فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم، وحلوا من ذلك ما استقلّت به الحمولة^{٩٣٣} عنها، وما لم يطبقوا حملها باعوه من قوم آخرين؛ فذلك قوله—تعالى—: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ»^{٩٣٤}. ثمّ

٩٢٩- أي يسوقهم شديداً. وفي المصدر: يستحثهم.

٩٣٠- في المصدر: معاجلاً. م

٩٣١- «الوجبة» السقطة مع الهدية، أو صوت الساقط. وفي المصدر: هذه الضوضاء.

٩٣٢- تقدّم الخلاف في ضبطه.

٩٣٣- أي ما أطاقته الحمولة.

٩٣٤- الدخان: ٢٨-٢٥.

إِنَّ يَوْشَعَ اسْتَخْلَفَ عَلَى قَوْمِ فِرْعَوْنَ رَجُلًا مِنْهُمْ وَ عَادَ إِلَى مُوسَى بْنِ مَعَهُ سَالِمِينَ غَانِمِينَ. ٩٣٥

تذنيب: قال السيد المرتضى—قدس سره—: فإن قيل: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصي وذلك كفر وسحر وتلبيس وتمويه، والأمر بمثله لا يحسن؟

قلنا: لابد من أن يكون في أمره—عليه السلام—بذلك شرط، فكأنه قال: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محققين، وكان فيما تفعلونه حجة، وحذف الشرط للدلالة الكلام عليه واقتضاء الحال له، ويمكن أن يكون على سبيل التحدي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه، ولا يخيلون فيما ألقوه السعي والتصرف من غير أن يكون له حقيقة لأن ذلك غير مساو لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حية على الحقيقة دون التخيل، وإذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنما تحذاهم به ليظهر حجته. ٩٣٦

أقول: يمكن أن يقال: الأمر بالسحر إذا كان مشتملاً على بيان بطلانه و ظهور المعجزة وعدم مبالاته بما صنعوا مع أن القوم لا ينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضاً ليس بتبجح^{٩٣٧}، فيمكن أن يكون مخصصاً لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت ولو كان محض دليل العقل، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح؛ أو يقال: إنه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه و مبالاته بما سحره، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية؛ وقيل: إنه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء وهو أعم منه.

ثم قال السيد: فإن قيل: فن أي شيء خاف موسى—عليه السلام—؟ أو ليس خوفه يقتضي شكه في صحة ما أتى به؟

٩٣٥- العرائس، ص ١٢٣-١٢٦؛ وفيه: غانمين شاكرين. م

٩٣٦- تنزيه الأنبياء، ص ٧٠-٧١. م

٩٣٧- بل ربما يمكن أن يقال بحسن ذلك، إذ فيه إبطال الباطل وإرشاد الجاهل إلى بطلان عملهم وأن عمله ليس من سنخ عملهم وسحرهم، بل هو من عند الله، وعمله من صنع الله.

قلنا: إنها رأى من قوة التلبس والتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر^{١٣٨} فأمنه الله تعالى—من ذلك، وبتن له أن حجته ستضح للقوم بقوله—تعالى: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» (طه: ٦٨).^{١٣٩}

أقول: قدمر خبر في علة ذلك الخوف في إلقاء إبراهيم—عليه السلام—في النار؛^{١٤٠} وقيل كان لا يلقي العصا إلا بوحسي، ولما أبطأ الوحي خاف تفرق بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء؛ وقيل: كان خوفه ابتداءً على مقتضى الجبلة البشرية.

ثم قال السيد—رحمه الله—^{١٤١}: فإن قيل: فما معنى قوله: «رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ الْآيَةَ»^{١٤٢}؟

قلنا: أما قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»^{١٤٣} ففيه وجوه:
أولها: أنه أراد: لئلا يضلوا، فحذف. وهذا له نظائر كثيرة في القرآن و
كلام العرب فن ذلك قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا»^{١٤٤} وإنها أراد: لئلا تضل. وقوله:
«أَنْ تَقُولُوا بِتَوَمِّ الْقَيْمَةِ»^{١٤٥} وقوله: «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»^{١٤٦} وقال الشاعر:
نزلتم منزل الأضياف متا * فعجلنا القرى أن تشتمونا

١٣٨— أي لم يحقق النظر فيما صنعوا.

١٣٩— تنزيه الأنبياء، ص ٧١ م.

١٤٠— وهو خبر اسماعيل بن الفضل الهاشمي، سأل عن أبي عبد الله—عليه السلام—عن موسى بن عمران لما رأى جبالهم وعصيتهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم؟

قال: إن إبراهيم—عليه السلام—حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عز وجل ولم يكن موسى—عليه السلام—كذلك.

١٤١— تنزيه الأنبياء، ص ٧٣-٧٥. وقد لخصه المصنف م.

١٤٢ و ١٤٣— يونس: ٨٨.

١٤٤— البقرة: ٢٨٢. والظاهر أن الآية لا تحتاج إلى تقدير والمعنى هو أن تنسى إحدى المرأتين فتذكرها الأخرى.

١٤٥— الأعراف: ١٧٢.

١٤٦— النحل: ١٥ ولقمان: ١٠.

و ثانيها: أَنَّ اللَّامَ ههنا هي لامِ العاقبة و ليست بلامِ الغرض كقوله:
«لَيَكُونَنَّ لَهُمْ عَذَابٌ وَخَرْنَا» ٩٤٧.

و ثالثها: أَن يكون مخرج الكلام مخرج النفي و الإنكار على من زعم
أَنَّ اللَّهَ - تعالى - فعل ذلك ليضلَّهم.

ورابعها: أَن يكون أراد الاستفهام فحذف حرفه المختص به. ٩٤٨

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ
الْمَثَلَاتِ (٢٦٢٩) بِسُوءِ الْأَفْعَالِ ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
أَحْوَالَهُمْ ، وَاحْذَرُوا أَن تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ .

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ (٢٦٣٠) حَالِيهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ
بِهِ شَأْنُهُمْ ، وَزَاخَتْ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُدَّتِ (٢٦٣١) الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ ،
وَأَنْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتْ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ
لِلْفُرْقَةِ ، وَاللُّزُومِ لِلْأَلْفَةِ ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهَا ، وَالتَّوَاصِي بِهَا ، وَاجْتَنِبُوا
كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ (٢٦٣٢) ، وَأَوْهَنَ (٢٦٣٣) مُنْتَهُهُمْ (٢٦٣٤) ؛ مِنْ تَضَاغُنِ
الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْجِيسِ^(٢٦٣٥) وَالْبَلَاءِ . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا . اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِئَةُ عَيْدًا فَسَأَمُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ^(٢٦٣٦) ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْعَلْبَةِ ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا ، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا ، وَأَئِمَّةً أَعْلَامًا ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ إِلَّا مَالٌ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمَلَاءُ^(٢٦٣٧) مُجْتَمِعَةً ، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا^(٢٦٣٨) فِي أَنْطَارِ الْأَرْضِينَ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ! فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ الْأَلْفَةُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ . وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كِرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ^(٢٦٣٩) ، وَبَقِيَ قَصَصُ

أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُغْتَبِرِينَ .

الاعتبار بالأمم

فَاغْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالُ^(٢٦٤٠) الْأُخُوَالِ ، وَأَقْرَبَ أَشْتِبَاهُ^(٢٦٤١) الْأَمْثَالِ !

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ
وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَخْتَازُونَهُمْ^(٢٦٤٢) ، عَنْ رِيفِ آلَافٍ ، وَبَحْرِ
الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ ، وَمَهَا فِي^(٢٦٤٣) الرِّيحِ ،
وَنَكْدِ^(٢٦٤٤) الْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانِ دَبَّرِ^(٢٦٤٥) وَوَبَّرِ^(٢٦٤٦) ،
أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا ، لَا يَأْوُونَ^(٢٦٤٧) ، إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ
يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَلَا أُخُوَالُ
مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثَرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ، فِي بَلَاءٍ أَزَلِ^(٢٦٤٨) ،
وَأَطْبَاقِ جَهْلِ ! مِنْ بَنَاتِ مَوْوُودَةٍ^(٢٦٤٩) ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامِ
مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتِ مَشْنُونَةٍ^(٢٦٥٠) .

النعمه برسول الله

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ،
فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ : كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ

عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَأَلْتَفَّتِ
 أَلَمِلَةُ بِهِمْ ^(٢٦٥١) فِي عَوَانِدِ ^(٢٦٥٢) بَرَكَتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا
 غَرَقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ^(٢٦٥٣) . قَدْ تَرَبَّعَتْ ^(٢٦٥٤) الْأُمُورُ
 بِهِمْ ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفٍ عِزٍّ غَالِبٍ ،
 وَتَعَطَّفَتْ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ،
 وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ . يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا
 عَلَيْهِمْ ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ ! لَا تُغْمَرُ
 لَهُمْ قَنَاءٌ ^(٢٦٥٥) ، وَلَا تُقَرَّعُ لَهُمْ صَفَاءٌ ^(٢٦٥٦) !

لوم العصاة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَتَلَمَّسْتُمْ ^(٢٦٥٧) حِصْنَ
 اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ آمَنَ
 عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي
 يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ
 الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً ، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ نَعْمٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .
 وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَغْرَابًا ، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ ^(٢٦٥٨) أَحْزَابًا .
 مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا
 رَسْمَهُ .

تَقُولُونَ : النَّارَ وَلَا الْعَارَ ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِشُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَنْتِهَا كَأَلْحَرِيبِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ .

وإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعَيْدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي !

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمْتَمْتُمْ أَحْكَامَهُ . أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ ^(٢٦٥٩) وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ ^(٢٦٦٠) فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ ^(٢٦٦١) فَقَدْ دَوَّخْتُ ^(٢٦٦٢) ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذَّةِ ^(٢٦٦٣) فَقَدْ كُفِّيتُهُ بِصَفْقَةٍ ^(٢٦٦٤) سَمِعَتْ لَهَا وَجْبَةً ^(٢٦٦٥) قَلْبِهِ وَرَجَّةً صَدْرِهِ ^(٢٦٦٦) ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ . وَلَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِلَّيْنٍ مِنْهُمْ ^(٢٦٦٧) إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ ^(٢٦٦٨) فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا !

فضل الوحي

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلَامِي (٢٦٦٩) الْعَرَبِ . وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ (٢٦٧٠) قُرُونِ رَبِيعَةٍ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ ، وَيُشْمِنِي عَرْفَهُ (٢٦٧١) . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ : وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطَلَةً (٢٦٧٢) فِي فِعْلٍ . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ . لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ (٢٦٧٣) أَثَرُ أُمِّهِ . يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا (٢٦٧٤) ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ (٢٦٧٥) فَأَرَاهُ ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ : « هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ

لَسْتُ بِنَبِيٍّ ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَمَّا أَنَا هُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ،
 إِنَّكَ قَدْ أَدْعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ
 نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ،
 وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
 «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا : تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ
 بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا :
 نَعَمْ ، قَالَ : «فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا
 تَفِيثُونَ» ^(٢٦٧٦) إِلَى خَيْرٍ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِيبِ ^(٢٦٧٧) ، وَمَنْ
 يُحْزَبُ الْأَخْزَابَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَبْتَاهَا الشَّجَرَةُ إِنْ
 كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَانْقَلِعِي
 بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلِعَتْ
 بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَضَفُ» ^(٢٦٧٨) كَقَضَفِ أَجْنَحَةَ
 الطَّيْرِ ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرَفَةً ،
 وَأَلْقَتْ بِغُضْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِغَضِ
 أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا

نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا - : فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا
وَيَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ
وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا
- كُفْرًا وَعُتُوًّا - : فَمَرَّ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ،
فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ؛ فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ إِنِّي
أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلْتَ
بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ
كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السَّخْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ
فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا ! (يَغْنُونَنِي) وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَائِمٌّ . سِيَمَاهُمْ سِيَمَا الصُّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ،
عَمَّارٌ^(٢٦٧٩) اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ؛ يُخَيُّونَ سُنْنَ
اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ ، وَلَا يَغْلُونَ^(٢٦٨٠) وَلَا
يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ !

[توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة]

[١] - كَيْفِيَّةُ وَلَادَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَمَعِيشَتُهُ وَسُلُوكُهُ وَ

آدَابُهُ]

أَقُولُ: قَالَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: رَوَى أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ
مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى: «إِنَّمَا مَنِي ارْتَضَى

مِنْ رَسُولٍ قَبْلَهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»^{٩٤٩} فقال - عليه السلام - :
يوكل الله - تعالى - بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليهم تبليغهم الرسالة، و
وكل بمحمد ملكاً عظيماً مندفصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق و
يصده عن الشرّ ومساوي الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السّلام عليك يا محمد يا
رسول الله؛ وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض،
فيتأمل فلا يرى شيئاً.

و روى الطبري في التاريخ عن محمد بن الحنفية، عن أبيه علي - عليه
السلام - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: ما هممت بشيء
مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد
من ذلك، ثمّ ما هممت بسوء حتّى أكرمني الله برسالته؛ قلت ليلة لغلام من قريش
كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتّى أدخل مكة فأسمر^{٩٥٠} بها كما
يسمر الشباب، فخرجت أريد ذلك حتّى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت
عزفاً^{٩٥١} بالدفّ والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج ابنة فلان. فجلست
أنظر إليهم، فضرب الله على أذني، فكنت^{٩٥٢} فأيقظني إلّا ممسّ الشمس، فجئت^{٩٥٣}
إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً ثمّ أخبرته الخبر، ثمّ قلت له
ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعل. فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما
سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر فضرب الله على أذني، فأيقظني
إلّا ممسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثمّ ما هممت بعدها بسوء حتّى
أكرمني الله برسالته.

وروى محمد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : أذكر
و أنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جذعان داراً له بمكة، فجئت مع الغلمان

٩٤٩ - الجن: ٢٧.

٩٥٠ - «سمر» لم يَمْ وتحدّث ليلاً.

٩٥١ - «العزف» صوت الدفّ والطنبور والعود وغيرها من آلات الطرب.

٩٥٢ - في المصدر: فتمت. وهو الموجود في تاريخ الطبري أيضاً.

٩٥٣ - في المصدر: فرجعت: وفي الطبري: فجئت. راجع تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٤.

نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فلأت حجري تراباً، فانكشفت عورتي، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمد أرخ إزارك! فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلا أنني أسمع الصوت، فتماسكت لم أرخه، فكأن إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، واخل إزاري و سقط^{٩٥٤} التراب إلى الأرض، فقممت إلى دار أبي طالب عتي ولم أعد.

فأما حديث مجاورته— صَلَّى الله عليه وآله— بجرآء فشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنه كان يجاور في حرآء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حرآء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ماشاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله— تعالى— فيها بالرسالة فجاور في حرآء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلی بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة، قال— صَلَّى الله عليه وآله—: جاءني وأنا نائم بنمط^{٩٥٥} فيه كتاب فقال: اقرأ! قلت: ما أقرأ؟ ففتني^{٩٥٦} حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: «أقرأ باسم ربك الذي خلق...» إلى قوله: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^{٩٥٧}. فقرأته ثم انصرف عتي، فهبيت^{٩٥٨} من نومي، و كأنها كتب في قلبي كتاب. وذكر تمام الحديث.

وأما حديث «أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلا النبي و هو»^{٩٥٩}— عليها السلام— وخديجة» فخير عفيف الكندي مشهور^{٩٦٠}، وقد ذكرناه من

٩٥٤- في المصدر: واخل إزاري فسترني وسقط.

٩٥٥- «النمط» ضرب من البسط؛ وعاء كالسقط. والظاهر أن المراد هنا الثاني.

٩٥٦- في المصدر: «ففتني» بالفين، أي خنتني.

٩٥٧- العلق: ١- ٥.

٩٥٨- أي فاستيقظت. وفي المصدر: فانتبهت.

٩٥٩- أي عليّ— عليه السلام—.

٩٦٠- هذا الحديث مشهور بين العامة والخاصة، بل متواتر وعليه أصحابنا الإمامية من سالف الزمان إلى الآن. وتقدم ذلك ويأتي في أحاديث كثيرة في علة.

قبل، و أنَّ أباطالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا محمد^{٩٦١} بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفها خديجة بنت خويلد زوجة محمد بن أخي؛ وأيم الله ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.^{٩٦٢}

و قال أيضاً: روى محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة النبوية، و رواه أيضاً محمد بن جرير الطبري في تاريخه قال: كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله - صلى الله عليه وآله - التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها و معها زوجها و ابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتبس الرضعا بمكة في سنة شهباء لم تبق شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لنا قرأ عجباً، و معنا شارف لنا ما تبص^{٩٦٣} بقطرة، ولا ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيتنا الذي معنا من الجوع؛ ما في ثديي ما يغنيه، ولا في شاربنا^{٩٦٤} ما يغذيه، و لكننا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أتان في تلك و لقد رائت بالركب ضعفاً و عجباً حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتبس الرضعا^{٩٦٥}، فاما امرأة إلّا و قد عرض عليها محمد فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، و ذلك أنا إنها كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمه و جدّه، فكنا نكرهه لذلك؛ فاما بقيت امرأة ذهبت معي إلّا أخذت رضيعاً غيري. فلما اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبي: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي لم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذه، قال: لا عليك أن تفعلي، و عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه فأخذه و ما يحملني على أخذه إلّا أنني لم أجد غيره.

قالت: فلما أخذه رجعت إلى رحلي فلما وضعته في حجره قبل عليه ثدياي

٩٦١- في المصدر: هذا ابن أخي محمد.

٩٦٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٠، ط بيروت.

٩٦٣- قال الجزري: «ماتبص بلال» أي ما يقطر منها بلبن، يقال: «بص الماء» إذا قطر و سأل.

٩٦٤- «الشارف» المستة من النوق.

٩٦٥- في المصدر: الرضاع.

باشاء من لبن، فوضع حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، وما كنا ننام قبل ذلك من بكاء صبيتنا جوعاً، فنام وقام زوجي إلى شاربنا تلك فنظر إليها فإذا أنها حافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهيناريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمين؟! ١٦٤. واللّه يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة.

فقلت: واللّه إنّي لأرجو ذلك.

ثم خرجنا وركبت أتانى تلك وحملت معي عليها، فواللّه لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتى أنّ صواحي ليقلن لي: ويحك يا بنت أبي ذؤيب اربعي ١٦٥ علينا، أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنّ: بلى واللّه إنها هي.

فيقلن: واللّه إنّ لها لشأناً.

قالت: ثمّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض العرب أجذب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً ملاء لبنا ١٦٨، فكنا نحتلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى أنّ الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب؛ فيفعلون فيروح أغنامهم جياً ما تبصّ بقطرة، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتى مضت سنتاه وفصلته ١٦٩، فكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان حتى كان غلاماً جفراً فقدّمنا به على أمّه آمنة بنت وهب ونحن أحرص شيء على مكثه فينالنا كثرنا من بركته. فكلّمنا أمّه وقلنا لها: لو تركته ١٧٠ عندنا حتى يغلظ فإنّا نخشى عليه وباء مكّة. فلم نزل بها حتى ردّته معنا فرجعنا به إلى بلاد

١٦٦- في المصدر: أتعلمين؟!

١٦٧- أي أقيمي وانتظري، ويقال: «ربع فلان على فلان» إذا أقام وانتظره.

١٦٨- في السيرة: شباعاً لبناً. قلت: أي غزيرات اللبن.

١٦٩- «فصل الصبي عن الرضاع» فطمه.

١٧٠- في المصدر: لو تركته. وفي السيرة وتاريخ الطبري: لو تركت بني عندي.

بني سعد، فوالله إنه لبعد ما قدمنا بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشد^{٩٧١} فقال لي ولأبيه: ها هو ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليها ثياب بيض فأضجعا و شقّابطنه فهما يسوطانه.

قالت: فخرجت أنا و أبوه نشدت نحوه فوجدناه قائماً منتقياً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه و قلنا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليها ثياب بيض فأضجعاني، ثم شقّابطني، فالتمساً فيه شيئاً لا أدري ما هو.

قالت: فرجعنا به إلى خباتنا، وقال لي أبوه: يا حليلة! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب^{٩٧٢} فألحقه بأهله^{٩٧٣}.

قالت: فاحتملته حتى قدمت به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر^{٩٧٤} و قد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك؟

فقلت لها: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، و تحوّفت عليه الأحداث، وأذيتك إليك كما تحبين.

قالت: ما هذا شأنك فاصدقني خبرك.

قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر.

قالت: أفخّوكت عليه الشيطان؟

قلت: نعم.

قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لابني لشأناً، أفلا أخبرك

خبره؟

قلت: بلى.

قالت: رأيته^{٩٧٥} حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بصرى

٩٧١- يشتد (خ ل). وهو الموجود في السيرة والتاريخ.

٩٧٢- أي أصابه الجن، أو طرف من الجنون.

٩٧٣- في السيرة وتاريخ الطبري: فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.

٩٧٤- «الظئر» المرأة المرضعة.

٩٧٥- في المصدر والسيرة والتاريخ: رأيت.

من الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت حملاً قط كان أخف ولا أيسر منه، ثم وقع حين ولدت و إنه واضع يديه بالأرض، و رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك، و انطلق راشدة. ٩٧٤

و روى الطبري في تاريخه عن شداد بن أوس، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله- يحدث عن نفسه و يذكر ما جرى له و هو طفل في أرض بني سعد بن بكر، قال: لما ولدت استرضعت في بني سعد، فبينما أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي في بطن واد مع أتراب^{٩٧٧} لي من الصبيان تتقاذف بالجلّة إذ أتاني رهط ثلاثة، معهم طست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هرباً حتى انتهوا إلى شفير^{٩٧٨} الوادي، ثم عادوا إلى الرهط فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام فإنه ليس متاً، هذا ابن سيد قريش و هو مسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب، فاذا يرد عليكم قتله؟ و ماذا تصيبون من ذلك؟ ولكن إن كنتم لابد قاتليه فاخترأوا متاً أينما شئتم فاقتلوه مكانه و دعوا هذا الغلام، فإنه يتيم.

فلما رأى الصبيان أن القوم لا يجيرون لهم جواباً^{٩٧٩} انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحي يؤذونهم و يستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي و أنا أنظر إليه فلم أجِدْ لذلك مساً^{٩٨٠}، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها^{٩٨١} ثم أعادها مكانها؛ ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنح! فنحاه عني، ثم أدخل يده في جوفي و أخرج قلبي و أنا أنظر إليه فصدعه، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرماها، ثم قال بيده: ينة منه، و

٩٧٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠١-٢٠٤، ط بيروت، والسيرة لابن هشام، ج ١، ص ١٧٣-١٧٧، وتاريخ

الطبري، ج ١، ص ٥٧٣-٥٧٩.

٩٧٧- «أتراب» أصدقاء، أو من ولد معه.

٩٧٨- «شفير الوادي» ناحيته من أعلاه.

٩٧٩- «أحار الجواب» رده.

٩٨٠- في المصدر: ولم أجِدْ لذلك حساً.

٩٨١- أي بالغ في ذلك وأجاد.

كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئاً فَإِذَا فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ نُورٍ تَحَارَ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهراً؛ ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لَصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنْهُ! فَأَمَرِيده مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مَنتهى عَانَتِي، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضاً لَطِيفاً وَقَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي: زَنَّهُ بَعْشَرَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ. فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتَهُمْ. فَقَالَ: دَعُوهُ فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كَلَّهَا لَرَجَحَهُمْ. ثُمَّ ضَمَوْنِي إِلَى صَدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ، وَقَالُوا: يَا حَبِيبُ^{٩٨٢}! لَا تَرْعَ إِنَّكَ لَوْتَدْرِي مَا يَرَادُكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ. فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِالْحَيِّ قَدْ جَاؤُوا بِحِذَائِهِمْ، وَإِذَا أُمِّي وَهِيَ ظُفْرِي أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتَفُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَتَقُولُ: يَا ضَعِيفَاهُ! فَانْكَبْتُ عَلَيَّ أَوَّلُكَ الرَّهْطَ فَقَبَلُوا رَأْسِي وَبَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ. ثُمَّ قَالَتْ ظُفْرِي: يَا وَحِيدَاهُ! فَانْكَبُوا عَلَيَّ وَضَمَوْنِي إِلَى صَدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَبَيْنَ عَيْنَيَّ، ثُمَّ قَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ، وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ، إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ مَعَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. ثُمَّ قَالَتْ ظُفْرِي: يَا يَتِيمَاهُ! اسْتَضَعَفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقَتَلْتَ لَضَعْفِكَ. فَانْكَبُوا عَلَيَّ وَضَمَوْنِي إِلَى صَدُورِهِمْ وَقَبَلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا: حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ، لَوْ تَعْلَمُ مَا يَرَادُكَ مِنَ الْخَيْرِ.

قَالَ: فَوَصَلَ الْحَيِّ إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي فَلَمَّا بَصُرْتُ بِي أُمِّي وَهِيَ ظُفْرِي قَالَتْ: يَا بَنِي لَا أُرَاكَ حَيّاً بَعْدَ^{٩٨٣}، فَجَاءَتْ حَتَّى انْكَبَتْ عَلَيَّ وَضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَفِي حَجَرِهَا قَدْ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا وَإِنْ يَدِي لَفِي يَدِ بَعْضِهِمْ، فَجَعَلْتُ أَلْتَفْتُ إِلَيْهِمْ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ يَبْصُرُونَهُمْ، فَإِذَا هُمْ لَا يَبْصُرُونَهُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ أَصَابَهُ لَمْ أَوْطَافٌ مِنَ الْجَرْحِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى كَاهِنِ بَنِي فُلَانٍ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيَدَاوِيهِ.

فَقُلْتُ: مَا بِي شَيْءٌ مِمَّا يَذْكَرُ، إِنَّ نَفْسِي سَلِيمَةٌ^{٩٨٤} وَإِنْ فَوَادِي صَحِيحٌ

٩٨٢- في المصدر: يا حبيب الله.

٩٨٣- في المصدر وتاريخ الطبري: ألا أراك حياً بعد؟

٩٨٤- في تاريخ الطبري: إن آرائني صحيحة.

ليست بي قلبه.

فقال أبي وهوزوج ظنري: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنني لأرجو أن لا يكون على ابني بأس.

فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه فقصوا عليه قصتي، فقال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم.

فسألني فقصصت عليه أمري وأنا يومئذ ابن خمس سنين؛ فلما سمع قولي وثب و قال: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام، فهو واللوات والعزى لئن عاش ليبذلن دينكم، و ليخالفن أمركم، و ليأتيتكم بالم تسمعوا به فقط.

فانترعتني ظنري من حجره وقالت: لو علمت^{٩٨٥} أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به^{٩٨٦} ثم احتملوني. فأصبحت و قد صار في جسدي أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنه الشراك^{٩٨٧}.

بيان: أقول: رواه الكازرون في المنتقى بأسانيد^{٩٨٨} ولنشرح بعض ألفاظها: «الرضعاء» جمع «رضيع». وقال الجزري: في حديث حليلة: «في سنة شهباء» أي ذات قحط وجذب، و قال: «القمرء» الشديدة البياض. قولها «راثت» من «الريث»، بمعنى الإبطاء؛ و في أكثر رواياتهم: «ولقد أذمت» قال الجزري: و منه

٩٨٥- في تاريخ الطبري: فانتصصت عليه أمري ما بين أوله وآخره، فلما سمع وثب إلي وضعتي إلى صدره، ثم نادى بأعلى صوته: يا للعرب! يا للعرب! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك، ليبذلن دينكم وليسفنن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتيتكم بدين لم تسمعوا بمثله قط.

فعمدت ظنري فانترعتني من حجره وقالت: لأنت أعتة وأجبن من ابني هذا، فلو علمت.

٩٨٦- في تاريخ الطبري بعد ذلك: فاطلب لنفسك من يقتلك، فأنا غير قاتلي هذا الغلام، ثم احتملوني فأذوني إلى أهل، فأصبحت مفرغاً ممّا فعل بي وأصبح أثر الشق. ٨٧

٩٨٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٤-٢٠٧، ط بيروت، وتاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٧٥-٥٧٧.

٩٨٨- المنتقى في مولود المصطفى. الباب الثاني والثالث من القسم الثاني. قلت: ذكرت سابقاً أن حديث شق الصدر ممّا رواه

حديث حليلة «فلقد أذمت بالركب» أي حبستهم لانقطاع سيرها، كأنها حملت الناس على ذمها. انتهى. و «العجف» الهزال. «حتى انتهينا ريًا» أي بلغنا غايته. «لقطعت بالركب» أي من سرعة سيرها وشدة تقدمها انقطع الركب عنها. و «اربعي» أي ارفقي بنا و انتظري بنا. و «اللبن» بمعنى اللبن.

وقال الجزري: في حديث حليلة: «كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر فبلغ ستاً وهو جفر»، «استجفر الصبي» إذا قوى على الأكل، وأصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي، قيل له: «جفر» والأنثى «جفرة». انتهى.

و «البهم» جمع «بهمة» وهي أولاد الضأن. و «السوط» خلط الشيء بعضه ببعض، و «المسواط» ما يساط به القدر ليختلط بعضه ببعض. قوله «منتقأ» أي متغيراً. و «الجلّة» بالفتح، البعر. قوله «مارابكم»^{٩٨٩} أي ماشككم، ومعناه هاهنا: ما دعاكم إلى أخذ هذا. قوله «ماذا يرذ عليكم» أي ما ينفعكم ذلك. قوله «فأنعم غسلها» أي بالغ فيه. قوله «ثم قال بيده يمينه» أي أشار بيده، أو مدها إلى جانب يمينه. و «القلبة» الداء.^{٩٩٠}

[٢- كيفية عبادة النبي - صلى الله عليه وآله - قبل البعثة]

تذنيب: اعلم أن علماء الخاصة والعامة اختلفوا في أن النبي - صلى الله عليه وآله - هل كان قبل بعثته متعبداً بشريعة أم لا؟

العامة، والإمامية لا يقول به، وهذا أيضاً كما ترى من مروياتهم.

٩٨٩- في المصدر وتاريخ الطبري: ما إربكم.

٩٩٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٥، كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله، ص ٣٦١-٣٦٩.

قال العلامة—قدس الله روحه—في شرحه على مختصر ابن الحاجب: اختلف الناس في أنَّ النبي—صلى الله عليه وآله—هل كان متعبداً بشرع أحد من الأنبياء قبله قبل النبوة أم لا؟

فذهب جماعة إلى أنه كان متعبداً ونفاه آخرون كأبي الحسين البصري وغيره وتوقف الغزالي والقاضي عبد الجبار؛ والمثبتون اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنه كان متعبداً بشرع نوح—عليه السلام—وآخرون قالوا بشرع إبراهيم—عليه السلام—وآخرون بشرع موسى—عليه السلام—وآخرون بشرع عيسى—عليه السلام—وآخرون قالوا: بما ثبت أنه شرع.

و استدلل المصنف على أنه كان متعبداً بشرع من قبله بما نقل نقلاً يقارب التواتر أنه كان يصلي ويحج ويعتمر ويطوف بالبيت ويتجنب الميتة ويذكي ويأكل اللحم ويركب الحمار وهذه أمور لا يدركها العقل فلا مَصِيرَ إليها إلا من الشرع؛ واستدل آخرون على هذا المذهب أيضاً بأنَّ عيسى—عليه السلام—كان مبعوثاً إلى جميع المكلفين، والنبي—صلى الله عليه وآله—كان من المكلفين، فيكون عيسى—عليه السلام—مبعوثاً إليه.

والجواب: لانسَلَمَ عموم دعوة من تقدمه.

و احتج الخالف بأنه لو كان متعبداً بشرع من قبله لكان مخالطاً لأهل تلك الشريعة قضاء العادة الجارية بذلك أو لزمته المخالطة لأرباب تلك الشريعة بحيث يستفيد منهم الأحكام، ولما كان التالي باطلاً إجماعاً فكذا المقدم.

والجواب: لانسَلَمَ وجوب المخالطة لأنَّ الشرع المنقول إليه عَمَّنْ تقدمه إن كان متواتراً فلا يحتاج إلى المخالطة والمناظرة، وإن كان آحاداً فهو غير مقبول خصوصاً مع اعتقاده بأنَّ أهل زمانه—صلى الله عليه وآله—كانوا في غاية الإلحاد.

سلمنا أنه كان يلزم المخالطة، لكن المخالطة قد لا تحصل لموانع تمنع منها، فيحتمل^{٩٩١} ترك المخالطة لمن يقاربه من أرباب الشرائع المتقدمة على تلك الموانع، جمعاً بين الأدلة. انتهى.

وقال المرتضى - رضي الله عنه - في كتاب الذريعة: هل كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - متعبداً بشرائع من تقدمه من الأنبياء - عليهم السلام -؟ في هذا الباب مسألتان: إحداهما قبل النبوة، والأخرى بعدها. وفي المسألة الأولى ثلاثة مذاهب:

أحدها أنه - صلى الله عليه وآله - ما كان متعبداً قطعاً، والآخر أنه كان متعبداً قطعاً، والثالث التوقف وهذا هو الصحيح، والذي يدل عليه أن العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله - تعالى - من المصلحة بها في التكليف العقلي، ولا يمتنع أن يعلم الله - تعالى - أن لا مصلحة للنبي - صلى الله عليه وآله - قبل نبوته في العبادة بشيء من الشرائع، كما أنه غير ممتنع أن يعلم أن له - صلى الله عليه وآله - في ذلك مصلحة. وإذا كان كل واحد من الأمرين جائزاً ولا دلالة توجب القطع على أحدهما، وجب التوقف.

و ليس لمن قطع على أنه ما كان متعبداً أن يتعلق بأنه لو كان تعبد^{٩٩٢} - صلى الله عليه وآله - بشيء من الشرائع لكان فيه متبعاً لصاحب تلك الشريعة ومقتدياً به، وذلك لا يجوز لأنه أفضل الخلق وأتباع الأفضل للمفضول قبيح، وذلك أنه غير ممتنع أن يوجب الله - تعالى - عليه - صلى الله عليه وآله - بعض ما قامت عليه الحاجة به من بعض الشرائع المتقدمة لأعلى وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الاتباع. وليس لمن قطع على أنه - صلى الله عليه وآله - كان متعبداً أن يتعلق بأنه - صلى الله عليه وآله - عليه وآله - كان يطوف بالبيت ويحج ويعتمر ويذكي ويأكل المذكي ويركب البهاائم ويحمل عليها، وذلك أنه لم يثبت عنه - صلى الله عليه وآله - أنه قبل النبوة حج

٩٩١ - فيحمل (خ ل).

٩٩٢ - لعل الصحيح: لو كان تعبد.

أو اعتمر، ولو ثبت لقطع به على أنه كان متعبداً، وبالتطتي لا يثبت مثل ذلك؛ ولم يثبت أيضاً أنه—صلى الله عليه وآله—تولى التذكية بيده. وقد قيل أيضاً إنه لو ثبت أنه ذكى بيده لجاز أن يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أن يستعين بغيره في الذكاة، فذكى على سبيل المعونة لغيره. وأكل لحم المذكى لاشبهة في أنه غير موقوف على الشرع، لأنه بعد الذكاة قدر صار مثل كلّ مباح من المأكل وركوب البهائم والحمل عليها يحسن عقلاً إذا وقع التكفل بما يحتاج إليه من علف وغيره، ولم يثبت أنه—صلى الله عليه وآله—فعل من ذلك ما لا يستباح بالعقل فعله، وليس علمه—صلى الله عليه وآله—بأن غيره نبي بالدليل يقتضي كونه متعبداً بشريعته، بل لابتدأ من أمرائهم على هذا العلم.

فأما المسألة الثانية، فالصحيح أنه—صلى الله عليه وآله—ما كان متعبداً بشريعة نبي تقدم، وسند له عليه بعون الله، وذهب كثير من الفقهاء إلى أنه كان متعبداً.

ولابد قبل الكلام في هذه المسألة من بيان جواز أن يتعبده الله—تعالى—نبياً بمثل شريعة النبي الأول، لأن ذلك إذا لم يجوز سقط الكلام في هذا الوجه من المسألة. وقد قيل: إن ذلك يجوز على شرطين: إما بأن تدرس الأولى فيجدها الثاني، أو بأن يزيد فيها ما لم يكن منها، ويمنعون من جواز ذلك على غير أحد هذين الشرطين ويدعون أن بعثته على خلاف ما شرطوه تكون عبثاً، ولا يجب النظر في معجزته ولا بد من وجوب النظر في المعجزات.

وليس الأمر على ما قالوه، لأن بعثة النبي الثاني لا تكون عبثاً، إذا علم الله—تعالى—أنه يؤمن عندها وينتفع من لم ينتفع بالأول، ولو لم يكن الأمر أيضاً كذلك كانت البعثة الثانية على سبيل ترادف الأدلة الدالة على أمر واحد، ولا يقول أحد: إن نصب الأدلة على هذا الوجه يكون عبثاً.

فأما الوجه الثاني، فإننا لا نسلم لهم أن النظر في معجز كل نبي يبعث لابد من أن يكون واجباً، لأن ذلك يختلف؛ فإن خاف المكلف من ضرر إن هو لم ينظر

وجب النظر عليه، وإن لم يخف لم يكن واجباً. وقد استقصينا هذا الكلام وفرغناه في كتاب الذخيرة.

والذي يحقق هذه المسألة أن تعبدَه—صلى الله عليه وآله—بشرع من تقدمه لابد فيه من معرفة أمرين: أحدهما نفس الشرع والآخر كونه متعبداً به؛ وليس يخلو من أن يكون علم—صلى الله عليه وآله—كلا الأمرين بالوحي النازل عليه والكتاب المسلم إليه، أو يكون علم الأمرين من جهة النبي المتقدم، أو يكون علم أحدهما من هذا الوجه والآخر من غير ذلك الوجه.

والوجه الأول يوجب أن لا يكون متعبداً بشرائعهم إذا فرضنا أنه بالوحي إليه علم الشرع والتعبد معاً، وأكثر ما في ذلك أن يكون تعبد بمثل شرائعهم، وإنها يضاف الشرع إلى الرسول إذا حمله ولزمه أدائه، ويقال في غيره: إنه متعبد بشرعه متى دعاه إلى اتباعه وألزمه الانقياد له، فيكون مبعوثاً إليه؛ وإذا فرضنا أن القرآن والوحي وردا ببيان الشرع وإيجاب الاتباع فذلك شرعه—صلى الله عليه وآله—لا يجب إضافته إلى غيره.

وأما الوجه الثاني فهو وإن كان خارجاً من أقوال الفقهاء المخالفين لنا في هذه المسألة فاسد من جهة أن نقل اليهود ومن جرى مجراهم من الأمم الماضية قديين في مواضع أنه ليس بحجة لانقراضهم وعدم العلم باستواء أولهم وآخرهم، وأيضاً فإنه—صلى الله عليه وآله—مع فضله على الخلق لا يجوز أن يكون متبعاً لغيره من الأنبياء المتقدمين—عليهم السلام—؛ ثم هذا القول يقتضي أن لا يكون—صلى الله عليه وآله—بأن يكون من أمة ذلك النبي بأولى متاً، ولا بأن تكون متعبدين بشرعه بأولى من أن يكون متعبداً بشرعنا، لأن حاله كحالنا في أننا من أمة ذلك النبي.

وبهذه الوجوه التي ذكرناها نبطل القسمين الذين فرغناهما، ومما يدل على حجة ما ذكرناه وفساد قول مخالفينا أنه قد ثبت عنه—صلى الله عليه وآله—توقفه في أحكام معلوم أن بيانها في التوراة وانتظاره فيها نزول الوحي، ولو كان متعبداً بشريعة موسى—عليه السلام—لما جرى ذلك؛ وأيضاً فلو كان الأمر على ما قالوه لكان يجب أن

يجعل—صلى الله عليه وآله—كتب من تقدمه في الأحكام بمنزلة الأدلة الشرعية، و
 معلوم خلافه؛ وأيضاً فقد نبه—صلى الله عليه وآله—في خبر معاذ على الأدلة فلم يذكر
 في جملتها التوراة والإنجيل؛ وأيضاً فإن كل شريعته مضافة إليه بالإجماع، ولو كان
 متعبداً بشرع غيره لما جاز ذلك؛ وأيضاً فلا خلاف بين الأمة في أنه—صلى الله
 عليه وآله—لم يؤد إلينا من أصول الشرائع إلا ما أوحى إليه وحمله؛ وأيضاً فإنه
 لاخلاف في أن شريعته—صلى الله عليه وآله—ناسخة لكل الشرائع المتقدمة من غير
 استثناء، فلو كان الأمر كما قالوه لما صح هذا الإطلاق؛ وأيضاً فإن شرائع من تقدم مختلفة
 متضادة فلا يصح كونه متعبداً بكلها فلا بد من تخصيص ودليل يقتضيه، فإن ادعوا أنه
 متعبد بشريعة عيسى—عليه السلام—بأنها ناسخة لشريعة من تقدم فذلك منهم ينقض
 تعلّقهم بتعرفه—صلى الله عليه وآله—من اليهود في التوراة، فأما رجوعه في رجم
 المحصن إليها فلم يكن لأنه كان متعبداً بذلك، لأنه لو كان الرجوع لهذه العلة
 لرجع—صلى الله عليه وآله—في غير هذا الحكم إليها، وإنما رجع لأمر آخر؛ وقد قيل:
 إن سبب الرجوع أنه—صلى الله عليه وآله—كان خبر بأن حكمه في الرجم يوافق ما
 في التوراة فرجع إليها تصديقاً لخبره وتحققاً لقوله—صلى الله عليه وآله—. انتهى.

وقال المحقق أبو القاسم الحلبي—طيب الله رمسه—في أصوله: شريعة من قبلنا
 هل هي حجة في شرعنا؟

قال قوم: نعم ما لم يثبت نسخ ذلك الحكم بعينه. وأنكر الباقون ذلك وهو
 الحق. لنا وجوه:

الأول: قوله—تعالى—: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^{١١٣}.
 الثاني: لو كان متعبداً بشرع غيره لكان ذلك الغير أفضل، لأنه يكون تابعاً
 لصاحب ذلك الشرع، وذلك باطل بالاتفاق.

الثالث: لو كان متعبداً بشرع غيره لوجب عليه البحث عن ذلك الشرع، لكن
 ذلك باطل، لأنه لو وجب لفعله، ولو فعله لاشتهر، ولوجب على الصحابة والتابعين

بعده والمسلمين إلى يومنا هذا متابعتة—صلى الله عليه وآله—على الخوض فيه، ونحن نعلم من الدين خلاف ذلك.

الرابع: لو كان متعبداً بشرع من قبله لكان طريقه إلى ذلك إما الوحي أو النقل، ويلزم من الأول أن يكون شرعاً له لا شرعاً لغيره، ومن الثاني التعويل على نقل اليهود وهو باطل، لأنه ليس بمتواتر لما تطرق إليه من القدح المانع من إفادة اليقين، ونقل الآحاد منهم لا يوجب العمل لعدم الثقة.

و احتج الآخرون بقوله—تعالى—: «فَبَيِّهْهُمْ أَقْتَدَةً»^{٩٩٤} وبقوله: «ثُمَّ أُوحِيتَ إِلَيْكَ أَنْ أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً»^{٩٩٥} وبقوله: «سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَّصَّى بِهِ نُوحاً»^{٩٩٦} وبقوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ»^{٩٩٧} وبقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ»^{٩٩٨} وبأنه—صلى الله عليه وآله—رجع في معرفة الرجم في الزنا إلى التوراة.

أجاب الأولون عن الآية الأولى بأنها تتضمن الأمر بالاهتداء بهديهم كلهم، فلا يكون ذلك إشارة إلى شرعهم، لأنه مختلف، فيجب صرفه إلى ما اتفقوا عليه وهو دلائل العقائد العقلية دون الفروع الشرعية.

وعن الثاني بأن ملة إبراهيم—عليه السلام—المراد بها العقليات دون الشرعيات^{٩٩٩} يدل على ذلك قوله [— تعالى —]: «وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ»^{١٠٠٠}، فلو أراد الشرعيات لما جاز نسخ شيء منها، و

٩٩٤— الأنعام: ٩٠.

٩٩٥— النحل: ١٢٣.

٩٩٦— الشورى: ١٣.

٩٩٧— النساء: ١٦٣.

٩٩٨— المائدة: ٤٤.

٩٩٩— وربما يقال: إن هذا التوجيه لا ينطبق على مثل قوله—تعالى—: «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ» (حج: ٧٨) حيث ظاهره عدم الحرج في الفروع، إلا أن يقال ذلك أيضاً في الحرج الشديد المتفق عقلاً فيكون من العقلات أيضاً.

١٠٠٠— البقرة: ١٣٠.

قد نسخ كثير من شرعه، فتعين أنَّ المراد منه العقليات.

وعن الآية الثالثة أنه لا يلزم من وصية نوح—عليه السلام—بشرعنا أنه أمره به، بل يحتمل أن يكون وصايته به أمراً منه بقبوله عند أعقابهم إلى زمانه—صلى الله عليه وآله—أو وصى به بمعنى أطلعه عليه وأمره بحفظه، ولو سلمنا أنَّ المراد: شرع لنا ما شرع لنوح—عليه السلام—لاحتمل أن يكون المراد به من الاستدلال بالمعقول على العقائد الدينية، ولو لم يحتمل ذلك لم يبعد أن يتفق الشرعان، ثم لا يكون شرعه حجة علينا من حيث ورد على نبينا—صلى الله عليه وآله—بطريق الوحي، فلا تكون شريعته شريعة لنا باعتبار ورودها عنه.

وعن الآية الرابعة أنَّ المساواة في الوحي لا تستلزم المساواة في الشرع.

وعن الآية الخامسة أنَّ ظاهرها يقتضي اشتراك الأنبياء جميعاً في الحكم بها، وذلك غير مراد، لأنَّ إبراهيم ونوحاً وإدريس و آدم—عليهم السلام—لم يحكموا بها لتقدمهم على نزولها، فيكون المراد أنَّ الأنبياء يحكمون بصحة ورودها عن الله وأنَّ فيها نوراً وهدى، ولا يلزم أن يكونوا متعبدين بالعمل بها، كما أنَّ كثيراً من آيات القرآن منسوخة وهي عندنا نور وهدى؛ وأما رجوعه—صلى الله عليه وآله—في تعرف حد الرجوع فلانسلم أنَّ مراجعته إلى التورية لتعرفه، بل لم لا يجوز أن يكون ذلك لإقامة الحجة على من أنكر وجوده في التورية. انتهى.

أقول: إنَّما أوردنا دلائل القول في نفي تعبد—صلى الله عليه وآله—بعد البعثة بشريعة من قبله لاشتراكها مع ما نحن فيه في أكثر الدلائل، فإذا عرفت ذلك فاعلم أنَّ الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة والآثار المستفيضة هو أنَّه—صلى الله عليه وآله—كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدوسته نبياً مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً، و كلمه الملك معانية، و نزل عليه القرآن، و أمر بالتبليغ، و كان يعبد الله قبل ذلك بصنوف العبادات إتماً موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ وهو أظهر^{١٠٠١}، أو على وجه آخر، إتماً

١٠٠١ - لأنه لو كان على وجه آخر لكان يتغير بعد ما أمر بتبليغه، ولو كان ذلك لنقل إلينا، وحيث لم ينقل صَحَّ أن نقول: إنَّه كان

موافقاً لما أمر به الناس بعد.

مطابقاً لشرعية إبراهيم - عليه السلام -، أو غيره ممن تقدمه من الأنبياء - عليهم السلام - لاعلى وجه كونه تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم، بل بأن ما أوحى إليه - صلى الله عليه وآله - كان مطابقاً لبعض شرائعهم، وأعلى وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال.

ولا أظن أن يخفى صحة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة وفطنة غير سقيمة بعد الإحاطة بما أسلفنا من الأخبار في هذا الباب و أبواب أحوال الأنبياء - عليهم السلام - وما سنذكره بعد ذلك في كتاب الإمامة. ولنذكر بعض الوجوه لزيادة الاطمئنان على وجه الإجمال:

الأول: أن ما ذكرنا من كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - من خطبته القاصعة المشهورة بين العامة والخاصة يدل على أنه - صلى الله عليه وآله - من لدن كان فظيماً كان مؤيداً بأعظم ملك يعلمه مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، وليس هذا إلا معنى النبوة كما عرفت في الأخبار الواردة في معنى النبوة. وهذا الخبر مؤيد بأخبار كثيرة سبقت في الأبواب السابقة في باب منشأه - صلى الله عليه وآله - وباب تزويج خديجة وغيرها من الأبواب.

الثاني: الأخبار المستفيضة الدالة على أنهم - عليهم السلام - مؤيدون بروح القدس من بدء حالهم بنحو ما مر من التقرير.

الثالث: صحيحة الأحوال وغيرها حيث قال: «نحو ما كان رأى رسول الله - صلى الله عليه وآله - من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة»^{١٠٠٢} فدلّت على أنه - صلى الله عليه وآله - كان نبياً قبل الرسالة. ويؤيده الخبر المشهور عنه - صلى الله عليه وآله -: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أو «بين الروح والجسد»؛ ويؤيده أيضاً الأخبار الكثيرة الدالة على أن الله - تعالى - اتخذ إبراهيم - عليه السلام - عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وأن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن

يجعله إماماً. ١٠٠٣

الرابع: مارواه الكليني في الصحيح عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر - عليه السلام - أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة لله على أهل زمانه؟

فقال: كان يومئذ نبياً حجة لله غير مرسل؛ أما تسمع لقوله حين قال: «إني عبدُ الله آتاني الكتابَ وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً» ١٠٠٤؟!

قلت: فكان يومئذ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟
فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبّر عنها ١٠٠٥ وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان، وكان زكريا الحجة لله على الناس بعد صمت عيسى بستين، ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله - عز وجل -: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً» ١٠٠٦. فلما بلغ عيسى - عليه السلام - سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله - تعالى - إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين...

إلى آخر الخبر. ١٠٠٧

وقد ورد في أخبار كثيرة أنّ الله لم يعط نبياً فضيلة ولا كرامة ولا معجزة إلا وقد أعطاه نبياً - صلى الله عليه وآله - فكيف جاز أن يكون عيسى - عليه السلام - في المهد نبياً ولم يكن نبياً - صلى الله عليه وآله - إلى أربعين سنة نبياً؟
ويؤيده ما قرأ في أخبار ولادته - صلى الله عليه وآله - وما ظهر منه في تلك

١٠٠٣ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٢، كتاب النبوة، ص ١٢.

١٠٠٤ - مريم: ٣١.

١٠٠٥ - أي تكلم عن مريم حين سكنت وأشارت إلى ابنها.

١٠٠٦ - مريم: ١٢.

١٠٠٧ - أصول الكافي، ج ١، ص ٣٨٢.

الحال من إظهار النبوة، ومامرّ سيأتي من أحوالهم وكمالهم في عالم الأظلة وعند الميثاق، وأنهم كانوا يعبدون الله - تعالى - ويستبحونه في حجب النور قبل خلق آدم - عليه السلام - وأنّ الملائكة منهم تعلّموا التسبيح والتهليل والتقدّيس إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في بدء أنوارهم. ويؤتده ماورد في أخبار ولادة أمير المؤمنين - عليه السلام - أنّه - عليه السلام - قرأ الكتب السماوية على النبي - صلى الله عليه وآله - بعد ولادته، وما سيأتي من أنّ القائم - عليه السلام - في حجر أبيه - عليه السلام - أجاب عن المسائل الغامضة وأخبر عن الأمور الغائبة، وكذا سائر الأئمة - عليهم السلام - كما سيأتي في أخبار ولادتهم - عليهم السلام - ومعجزاتهم؛ فكيف يجوز عاقل أن يكون النبي - صلى الله عليه وآله - في ذلك أدون منهم جميعاً؟

الخامس: أنّه - صلى الله عليه وآله - بعد ما بلغ حدّ التكليف لابدّة من أن يكون إمّا نبياً عاملاً بشريعته أو تابعاً لغيره، لما سيأتي من الأخبار المتواترة أنّ الله لا يخلي الزمان من حجة ولا يرفع التكليف عن أحد، وقد كان في زمانه أوصياء عيسى - عليه السلام - وأوصياء إبراهيم - عليه السلام - فلو لم يكن أوحى إليه بشريعة ولم يعلم أنّه نبيّ كيف جازله أن لا يتابع أوصياء عيسى - عليه السلام - ولا يعمل بشريعتهم إن كان عيسى - عليه السلام - مبعوثاً إلى الكافة، وإن لم يكن مبعوثاً إلى الكافة وكان شريعة إبراهيم - عليه السلام - باقية في بني إسماعيل كما هو الظاهر، فكان عليه أن يتبع أوصياء إبراهيم - عليه السلام - ويكونوا حجة عليه - صلى الله عليه وآله - وهو باطل بوجهين:

أحدهما أنّه يلزم أن يكونوا أفضل منه كما مرّ تقريره.

وثانيهما مامرّ من نفي كونه محجوباً بأبي طالب وبأبيه^{١٠٠٨} بل كانا مستودعين

للوصايا.

السادس: أنّه لا شك في أنّه - صلى الله عليه وآله - كان يعبد الله قبل بعثته بما لا يعلم إلّا بالشرع كالطواف والحجّ وغيرها كما سيأتي أنّه - صلى الله عليه وآله -

حجّ عشرين حجةً مستسراً^{١٠٠٩} و قدورد في أخبار كثيرة أنّه - صَلَّى الله عليه وآله - كان يطوف و أنّه كان يعبد الله في حراء، و أنّه كان يراعي الآداب المنقولة من التسمية والتحميد عند الأكل وغيره^{١٠١٠}.

و كيف يجوز ذومسكة من العقل على الله - تعالى - أن يحمل أفضل أنبيائه أربعين سنة بغير عبادة؟ والمكابرة في ذلك سفسطة، فلا يخلو إما أن يكون عاملاً بشريعة مختصه به أوحى الله إليه، و هو المطلوب، أو عاملاً بشريعة غيره و هو لا يخلو من وجوه:

الأول: أن يكون علم وجوب عمله بشريعة غيره و كيفية الشريعة من الوحي و هو المطلوب أيضاً، لأنّه - صَلَّى الله عليه وآله - حينئذ يكون عاملاً بشريعة نفسه موافقاً لشريعة من تقدّمه كما مرّ تقريره في كلام السيّد - رحمه الله -.

الثاني: أن يكون علمها جميعاً من شريعة غيره، و هو باطل كما عرفت بوجهين:

أحدهما أنّه يلزم كون من يعمل بشريعته أفضل منه. و ثانيهما أنّه معلوم أنّه - صَلَّى الله عليه وآله - لم يراجع في شيء من الأمور إلى غيره ولم يخالط أهل الكتاب؛ و كان هذا من معجزاته - صَلَّى الله عليه وآله - أنّه أتى بالقصص مع أنّه لم يخالط العلماء ولم يتعلّم منهم، كما مرّ في وجوه إعجاز القرآن، و قد قال - تعالى - : «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ»^{١٠١١}، و المكابرة في هذا أيضاً ممّا لا يأتي به عاقل.

الثالث: أنّه - صَلَّى الله عليه وآله - علم وجوب العمل بشريعة من قبله

١٠٠٩ - وفي خبر غياث بن ابراهيم عن الصادق - عليه السلام - : لم يحجّ النبيّ بعد قدوم المدينة إلّا واحدة، و قد حجّ بمكة مع قومه حجّات. وفي خبر عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه - صَلَّى الله عليه وآله - حجّ عشر حجّات مستسراً. وفي خبر عمر بن يزيد عنه - عليه السلام - : حجّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله غير حجة الوداع عشرين حجة. و غير ذلك ممّا أوردها الشيخ الحرّ العاملي في كتاب وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحجّ والعمرة، فراجع.

١٠١٠ - راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ١٦.

١٠١١ - الجمعة: ٢.

بالوحي وأخذ الشريعة من أربابها، وهذامع تَضَمَّنَه للمطلوب كما عرفت—إذ لا يلزم منه إلا أن يكون نبياً أُوحي إليه أن يعمل بشرية موافقة لشريعة من تقدمه—باطل بما عرفت من العلم بعدم رجوعه—صلى الله عليه وآله—إلى أرباب الشرائع قط في شيء من أموره، وأما عكس ذلك فهو غير متصور إذ لا يجوز عاقل أن يوحي الله إلى عبده بكيفية شريعة لأن يعمل بها ولا يأمره بالعمل بها حتى يلزمه الرجوع في ذلك إلى غيره، مع أنه يلزم أن يكون تابعاً لغيره مفضولاً وقد عرفت بطلانه. ثم إن قول من ذهب إلى أنه—صلى الله عليه وآله—كان عاملاً بالشرائع المنسوخة كشريعة نوح وموسى—عليهما السلام—فهو أشد فساداً، لأنه بعد نسخ شرائعهم كيف جازله—صلى الله عليه وآله—العمل بها إلا بأن يعلم بالوحي أنه يلزمه العمل بها، ومع ذلك لا يكون عاملاً بتلك الشريعة، بل بشرية نفسه موافقاً لشرائعهم كما عرفت.

و أما استدلالهم بقوله—تعالى—: «مَا كُنْتُ تَذِيرِي مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانُ»^{١٠١٢}، فلا يدل إلا على أنه—صلى الله عليه وآله—كان في حال لم يكن يعلم القرآن وبعض شرائع الإيمان، ولعل ذلك كان في حال ولادته قبل تأييده بروح القدس، كما دلت عليه رواية أبي حمزة^{١٠١٣} وغيرها؛ وهذا لا ينافي نبوته قبل الرسالة والعمل بشرية نفسه قبل نزول الكتاب.

وبعد ما قررنا المطلوب في هذا الباب وما ذكرنا من الدلائل لا يخفى عليك ضعف بعض ما نقلنا في ذلك عن بعض الأعظم ولا نتعرض للقبح فيها بعد وضوح الحق، ولو أردنا الاستقصاء في إيراد الدلائل ودفع الشبهة لطال الكلام، ولخرجنا عن مقصودنا من الكتاب، والله الموفق للصواب.^{١٠١٤}

[هذا بيان في شرح الجزء الأخير من الخطبة]

بيان: «الكلال» الصدور الواحدة «كلكل» والمعنى: أتني أذللتهم و

١٠١٢- الشورى: ٥٢.

١٠١٣- راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، ص ٢٦٥ و ٢٦٦، الحديث تحت رقم ٢٢ و ٢٦.

١٠١٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا—صلى الله عليه وآله—، ص ٢٧١-٢٨١.

صرعهم إلى الأرض، أو أنختهم للحمل عليهم. و «نجم النبت» أي طلع وظهر، قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: فإن قلت: أما قهره لمضر فعلم فإ حال ربعة ولم يعرف ١١١٥ أنه قتل منهم أحداً؟ قلت: بلى قد قتل بيده وبجيشه كثيراً من رؤسائهم في صقن والجمل وقد تقدم ذكر أسمائهم من قبل، وهذه الخطبة خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان. و «العرف» بالفتح، الريح الطيبة. و «مضغ الشيء يعضه» بفتح الضاد. و «الخطلة في الفعل» الخطاء فيه وإيقاعه على غير وجهه. و «حرء» [بالمد والتخفيف] جبل بمكة معروف. و «الرنة» الصوت. و «القرباة القريبة» بينه وبين رسول الله—صلى الله عليه وآله—، و «المنزلة الخصيصة» أنه ابن عمه دنيا ١١١٦ و أن أبوهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بني عبد المطلب إلا الزبير. ثم إن أباه كفل رسول الله—صلى الله عليه وآله—دون غيره من الأعمام و رباه من بني هاشم، ثم ما كان بينها من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار. ونحن نذكر ما ذكره أرباب السيرة من معاني هذا الفصل.

روى الطبري في تاريخه، قال: حدثنا ابن حديد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، قال: كان من نعمة الله—عز وجل—على علي بن أبي طالب—عليه السلام—وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريباً أصابهم أزمة شديدة....

وساق الحديث إلى آخر ما مرّ برواية الصدوق.

ثم قال الطبري: قال ابن حديد: قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله—صلى الله عليه وآله—إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة و خرج معه علي بن أبي طالب—عليه السلام—مستخفياً من عمه أبي طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها. فإذا أمسيا، رجعا فكثما ماشاء الله أن يكثما. ثم إن أبا طالب عثر عليها يوماً و هما يصلّيان، فقال لرسول الله—صلى الله

١٠١٥- في المصدر: ولم نعرف.

١٠١٦- أي أنه ابن عمه لحماً لأصق النسب.

عليه وآله: يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال: يا عم! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم؛ أو كما قال: بعثني الله به رسولاً إلى العباد وأنت يا عم! أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعاني عليه؛ أو كما قال.... فقال أبوطالب: يا ابن أخي! إنني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكن لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت.

قال الطبري: وقدرى هؤلاء المذكورون أن أباطالب قال لعليّ — عليه السلام: يا بني! ما هذا الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبة! آمنت بالله وبرسوله وصدقت بما جاء به وصدقت لله معه.

قال: فزعموا أنه قال له: أما إنه لا يدعو إلا إلى خير فألزمه.

وروى الطبري في تاريخه أيضاً، قال: حدثنا أحمد بن الحسين الترمذي، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا العلاء، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: سمعت عليّاً — عليه السلام — يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتي، صليت قبل الناس سبع سنين.

وفي غير رواية الطبري: أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل صلاته سبع سنين، كانه — عليه السلام — لم يرتض أن يذكر عمرو لا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، وذلك لأن إسلام عمر كان متأخراً.

وروى الفضل بن العباس، قال: سألت أبي عن ولد رسول الله المذكور: أيهم كان رسول الله — صلى الله عليه وآله — له أشد حباً؟

فقال: علي بن أبي طالب — عليه السلام —.

فقلت له: سألتك عن بنيه؟

فقال: إنه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً وأرأف، ما رأيت زايلاً يوماً من الدهر منذ كان طفلاً إلا أن يكون في سفر لخديجة، وما رأيت أباً أبتر بابن منه لعلّي ولا ابناً أطوع لأب من عليّ له.

وروى الحسين بن زيد بن علي بن الحسين -عليهما السلام-، قال: سمعت زيداً أبي يقول: كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يَمْضَغُ اللحمَ والتمرة حتى تلين فيجعلها في فم علي -عليه السلام- وهو صغير في حجره.

وروى جبير بن مطعم، قال: قال أبي لنا ونحن صبيان بمكة: ألا ترون حب هذا الغلام -يعني علياً- لمحمد واتباعه له دون أبيه؟ والآت والغزى لوددت أنه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً. ١٠١٧

بيان: قال ابن أبي الحديد: وأما رثة الشيطان، فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- قال: كنت مع رسول الله صبيحة الليلة التي أُسري به فيها وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رثة شديدة، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرثة؟

قال: ألا تعلم؟! هذه رثة الشيطان، علم أنه أُسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض.

وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وآله- ما يشابه هذا لما بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة، سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل: يا أهل مكة! هذا مذمّم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- للأنصار: ألا تسمعون ما يقول هذا أرب الكعبة يعني شيطانها - وقد روي أرب العقبة -؟!

ثم التفت إليه فقال: أسمع يا عدوّ الله؟ أما والله لا فرغ لك. ١٠١٨ انتهى.

أقول: وهاتان الرتان غير ماورد في الخبر، وهي إحدى الرتين اللتين مضتا في الخبرين. ١٠١٩

١٠١٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٨، كتاب تاريخ أمير المؤمنين -عليه السلام-، ص ٣٢٢. فراجع أيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٨-٢٠١، ط بيروت.

١٠١٨- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٩، ط بيروت.

١٠١٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا -صلى الله عليه وآله-، ص ٢٢٣.

[هذا أيضاً بيان آخر قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

قَب: مرسلًا مثله مع اختصار. ١٠٢٠

بيان: «الدوي» صوت ليس بالعالى كصوت النحل ونحوه. و «قصف الرعد و غيره قصيفاً» اشتدَّ صوته. و «رُفِر الطائر بجناحيه» إذا بسطها عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتوّ» التكبر والتجبر. ١٠٢١

[هذا بيان كامل في شرح تمام الخطبة:]

بيان: «بهره» غلبه. و «الرواء» بضمّ الراء والهمز والمدّ، المنظر الحسن. و «العرف» بالفتح، الريح الطيبة. قوله — عليه السلام — «لا يدري» أي لا يدريه أكثر الناس.

قوله — عليه السلام — «بأمر» الباء للاستصحاب. قوله — عليه السلام — «ملكاً» أي في الظاهر، لكونه في السماء ومخلوطاً بهم.

و قال الجزري: «الموادّة» الرخصة والسكون. و «المحاباة» و قال: «هذا شيء حمى» أي محظور لا يقرب. و «أعداه الداء» أي أصابه مثل ما بصاحب الداء. و «الاستفزاز» الإزعاج والاستهزاء على خفة وإسراع. و «الرّجل» اسم جمع لراجل. قوله — عليه السلام — «لقد فوق» أي وضع فوق سهمه على الوتر. «و أغرق» أي استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، و وقع سهامه أشدّ.

قوله «من مكان قريب» لقربه بهم و جريانه منهم مجرى الدم. قوله — عليه السلام — «بظنّ مصيب» في بعض النسخ «غير مصيب» و وجهه بوجه:

الأول: أنّه قال ما قال لأعلى وجه العلم، بل على سبيل التوهم، و «المصيب» الحقّ هو العلم دون التوهم أو الظنّ وإن اتفق وقوعها.

الثاني: أنّ قوله: «لَا تُغْوِيَنَّهُمْ» ١٠٢٢ بمعنى الشرك أو الكفر، والتّدين

١٠٢٠- ابن شهر آشوب: المناقب.

١٠٢١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٧، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٣٨٩.

١٠٢٢- الحجر: ٣٩.

استثناهم المعصومون من المعاصي، ولا ريب في كون هذا الظن غير مصيب.^{١٠٢٣}
 الثالث: أنه — عليه السلام — إنما قال ذلك لأن غوايتهم كان منهم اختباراً،
 وتصديق أبناء الحمية له يعود إلى وقوع الغواية منهم على وفق ظنّه، فكان ظنّه في
 نسبتها إليه خطأ وبعبارة أخرى لما ظنّ أنه قادر على إجبارهم على المعاصي وسلب
 اختيارهم حكم — عليه السلام — بخطائهم، ولعلّ هذا أصوب.
 قوله — عليه السلام — «الجامعة» أي النفوس الجامعة^{١٠٢٤} من «جمع الفرس»
 إذا اعتزّ راكمه وغلبه. وكلّ ما طلع وظهر فقد نجم. و«استفحل» أي قوي واشتدّ.
 و«دلف» أي تقدّم. و«فحم في الأمر» رمى بنفسه فيه من غير روية.
 و«الولجة» بالتحريك، موضع أوكهف يستتر فيه المارة من مطر وغيره. و
 «الورطات» المهالك.

قوله — عليه السلام — «إثخان الجراحة» أي جعلكم واطئين لإثخانها وهو
 كثرتها كما قيل فهو مفعول ثان للإيطاء، ويحتمل أن يكون مفعولاً أولاً وهو أظهر.
 و«الحزّ» القطع. و«الحزائم» جمع «خزامة» وهي حلقة من شعر تجعل في
 وترة أنف البعير فيشدّ فيها الزمام. و«ورى الزند» أي خرجت ناره. و«القدح»
 إخراجها من الزند. و«تألّبوا» تجتمعوا.

قوله — عليه السلام — «يقتنصونكم» أي يتصيدونكم. و«الحومة» معظم
 الماء والحرب وغيرهما، وموضع الجارّ والمجرور نصب على الحال، أي يقتنصونكم في
 حومة ذلك. و«الجولة» الموضع الذي تحول فيه. و«النزغ» الإفساد. وفي النهاية:
 «المسلحة» القوم الذين يحفظون الثغر من العدو، لأنهم يكونون ذوي سلاح، أولاً أنهم
 يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة. انتهى.
 وكلمة «ما» في قوله — عليه السلام — «(من غير ما فضل)» زائدة للتأكيد. و

١٠٢٣ — لأنه لا يظفر بإغواء الجميع بهذا المعنى.

١٠٢٤ — في هامش المطبع: أي الأنفس الجامعة، أو الأخلاق الجامعة. من شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١٠.

«أُمنن في الطلب» أي جدّ وأبعد. و «المصارحة» المكاشفة. و «المناسبة» المعادة. و «أعنت» أسرع. و «ليلة ظلماء حندس» أي شديدة الظلمة. و «المهواة» الوهدة يتردّى الصيد فيها. و «دُلّلاً» بضمتين، جمع «ذلول» و «سلساً» كذلك جمع «سلس» وهما بمعنى سهل الانقياد.

قوله — عليه السلام — «أمرأ» أي اعتمدوا أمراً. قوله — عليه السلام — «تضايقت الصدور به» كناية عن كثرة. قوله — عليه السلام — «تكبّروا عن حسبهم» قيل: أي جهلوا أصلهم أنّه الطين المنتن فتكبّروا.

قوله — عليه السلام — «وألقوا الهجينة» أي نسبوا ما في الإنسان من القبائح إلى ربهم، أو نسبوا الخطأ إليه — تعالى — فيما اختار لهم من خليفة الحق. ١٠٢٥
قوله — عليه السلام — «مكابرة لقضائه» أي لحكمه عليهم بتابعة أئمة الحق، أو لما أوجب عليهم من شكر النعمة. و «الآلاء» الأنبياء والأوصياء — عليهم السلام —.

و «اعتزاء الجاهلية» نداؤهم: يا فلان! فيستون قبيلتهم فيدعونهم إلى المقاتلة وإثارة الفتنة. ١٠٢٦ قوله «لنعمه عليكم أصداداً» لعلّ المعنى أنّ تلك الحاصل توجب زوال النعم عنكم، فكأنكم أصداد وحساد لنعم الله عليكم.

قوله — عليه السلام — «شربتم بصفوكم» أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم، أو متلبّسين بصفوكم. و «الأحلاس» جمع «جلس» بالكسر، وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقبل لكلّ ملازم أمر هو جلس ذلك الأمر؛ ذكره الجزري.

و «النفث» النفخ، استعير هنا لوساوس الشيطان؛ وفي بعض النسخ «نشأ» من «نثّ الحديث» إذا أفشاه. و «مصارع جنوبهم» مساقطها. و «لواقح الكبر» ما يوجب حصوله. و «خفض الجناح» كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة. و

١٠٢٥ — وقيل: أي أنّهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم.

١٠٢٦ — وقيل: قضاخهم بأنسابهم، كلّ منهم ينتسب إلى أبيه وما فوقه من أجداده؛ وكثيراً ما يبرّز التفاخر إلى الحرب، وهي إنّما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها.

«المحصنة» الجوع. و «المجعدة» المشقة. و «محصهم» بالمهملتين، أي خَلَصَهم و طَهَرَهُم، و بالمعجمتين، أي حَرَكَهُم و زَلَزَهُم. و «الذهبان» بالضم والكسر، جمع الذهب. و «العقيان» بالكسر، الذهب الخالص. و «البلاء» الامتحان. و «الإنباء» الإخبار بالوعد والوعيد.

قوله — عليه السلام — «ولا لُزِمَتِ الأسماء معانيها» أي كانت تنفك الأسماء عن المعاني فتصدق الأسماء بدون مسمياتها، كالمؤمن والمسلم والزهيد وغيرها. و «الخصاصة» الفقر. و «ضامه حقّه» انتقصه. و «الضيم» الظلم.

قوله — عليه السلام — «تمتدّ نحوه» أي يؤمّله المؤمنون ويرجوه الراجون، فإنّ كلّ من أمل شيئاً يطمح إليه بصره ويسافر برغبته إليه، فكنتي عن ذلك بمذ العنق و شدّ عقد الرحال.

قوله — عليه السلام — «فكانت النيات مشتركة» أي بين الله و بين ما يأملون من الشهوات، غير خالصة له — تعالى — و حسناتهم مقتسمة بينه — تعالى — و بين تلك الشهوات؛ أو المعنى أنهم لو كانوا كذلك لآمن بهم جلّ الخلق للرغبة والرغبة، فلم يتميز المؤمن والمنافق، والمخلص والمرائي. و «جبل وعر» أي غليظ حزن.

قوله — عليه السلام — «و أقلّ نائق الدنيا» قال ابن أبي الحديد: أصل هذه اللفظة من قولهم «امرأة نائق» أي كثيرة الحبل والولادة، يقال: «ضيعة منتاق» أي كثيرة الربيع، فجعل — عليه السلام — الضياع ذوات المدر التي يثار للحرث نائق و قال: إنّ مكّة أقلّها صلاحاً للزراع، لأنّ أرضها حجرية. ١٠٢٧ و «القطر» الجانب.

قوله — عليه السلام — «دمثة» أي سهلة، و كلّما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت و من أن يزكوبه الدواب لأنّها تتعب في المشي به. قوله «وشلة» أي

١٠٢٧ — قال في النهاية في حديث عليّ — عليه السلام — «أقلّ نائق الدنيا مدرأ»: «الننائق» جمع «نتيقة» فعليه بمعنى مفعولة من «النق» وهو أن يقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمي به؛ هذا هو الأصل، وأراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها. انتهى. وما ذكرناه في الأصل، ذكر ابن أبي الحديد ولعله أوفق منه رحمه الله. راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٥٨، ط بيروت.

قليلة الماء. قوله «أعطافهم»، «عظفا الرجل» جانباء، أي [أن] يملوا جوانبهم معرضين عن كل شيء متوجهين نحوه. و «المثابة» المرجع. و «النجمة» في الأصل، طلب الكلاء، ثم سمي كل من قصد أمراً يروم النفع فيه منتجاً. و «ثمرة الفؤاد» هي سويداء القلب. و «السحيق» البعيد. و «الفج» الطريق بين الجبلين. و «هزّ المناكب» كناية عن السفر إليه مشتاقين. ١٠٢٨ وقوله «يهللون» أي يرفعون أصواتهم بالتلبية. و «الرمل» سعي فوق المشي. و «السرايل» جمع «السربال» و هو القميص، أي خلعوا المحيط.

قوله «ملتق البنى» أي مشتبك العمارة. ١٠٢٩ و «البرة» الواحدة من البرّ و هو الحنطة. و «الأرياف» جمع «ريف» و هو كل أرض فيها زرع ونخل؛ وقيل: هو ما قارب الماء من الأرض. و «المحدقة» المطيفة. ١٠٣٠ و «الغدق» الماء الكثير. و «النظارة» الحسن. و «مضارعة الشك» مقاربتة، و في بعض النسخ بالصاد المهملة ١٠٣١. و «الاعتلاج» الاضطراب.

قوله — عليه السلام — «فُتِحاً» بضمّتين، أي مفتوحة. وقوله «ذلاً» أي سهلة. و «وخامة العاقية» رداءها.

قوله — عليه السلام — «فإنها» قيل: الضمير يعود إلى مجموع البغي والظلم والكبر، وقيل: إلى الأخير باعتبار جعله «مصيصة» وهي بسكون الصاد وفتح الياء، آلة يصطاد بها. و «المساورة» الموائمة. قوله — عليه السلام — «ما تكدي» ١٠٣٢ أي لا تردّ عن تأثيرها. ويقال: «رمى فأشوى» إذا لم يصب المقتل.

قوله — عليه السلام — «ما حرس الله» ما زائدة. قوله — عليه السلام — «عتاق الوجوه» إمّا من العتق بمعنى الحرّية، أو بمعنى الكرم، و «العتيق» الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء. و «النواجم» جمع «ناجمة» و هو ما يطلع ويظهر

١٠٢٨ - وقيل: أي يحركوا مناكبهم، أي رؤوس أكتافهم لله، يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك في السعي والطواف.

١٠٢٩ - وقيل: أي كثير العمران.

١٠٣٠ - أي المحيطة من كل جهة.

١٠٣١ - وفي المصدر بالسين المهملة.

١٠٣٢ - من «أكدى الرجل» أي لم يظفر بمجاعته.

من الكبر. و «القدع» الكفت والمنع. ويقال: «لاط حبه بقلبي يليط» إذا لصق. و «مواقع النعم» الأموال والأولاد، وآثارها هي الترفه والغناء والتلذذ بها، ويحتمل أن يكون الموقع مصدرأ. و «المجداء» جمع «ماجد» و «المجد» الشرف في الآباء، والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكونا في آبائه. و «النجداء» الشجعان، واحدهم «نجيد». و «بيوتات العرب» قبائلها. و «اليعسوب» السيد والرئيس والمقدم. و «الرغبة» المرغوبة. قوله— عليه السلام— «لخلال الحمد» أي الخصال المحمودة.

قوله— عليه السلام— «و مدّت العافية» على البناء للمفعول وهو ظاهر، وأعلى البناء للفاعل من قولهم: «مدّ الماء» إذا جرى وسال. قوله— عليه السلام— «و وصلت» استعار الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الأمر، و رشح بذكر الحبل. و «التحاضّ» تفاعل من «الحضّ» وهو الحثّ والتحريض. و «تواصى القوم» أي أوصى بعضهم بعضاً. و «الفقرة» واحدة «فقر» الظهر، و يقال لمن أصابته مصيبة شديدة: قد كسرت فقرته. و «المتة» بالضمّ، القوة. و «الأعباء» الأثقال.

قوله— عليه السلام— «فساموهم» أي الزموهم. و «المُرار» بالضمّ، شجر مرّ، واستعير شرب الماء المرّ لكلّ من يلقى شدة.

قوله— عليه السلام— «و بلغت الكرامة»، قوله «بهم» متعلّق بقوله «بلغت» وقوله «لهم» بالكرامة، وقوله «إليه» [متعلّق] بقوله «لم تذهب»^{١٠٣٣}. و «الأملاء» جمع «الملاّ» أي الجماعات والأشراف. و «الترافد» التعاون.

قوله— عليه السلام— «متحازبين» أي مختلفين أحزاباً. و «غضارة النعمة طيبها ولذتها». قوله— عليه السلام— «فما أشدّ اعتدال الأحوال» أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض! وإنّ حالكم لشبهة بحال أولئك.

قوله— عليه السلام— «يحتازونهم» أي يبعدونهم. و «بجر العراق» دجلة والفرات، أمّا الأمكاسرة فطردوهم عن بحر العراق، والقياصرة عن الشام وما فيه من

المراعي والمنتجع. و «الشيخ» نبت معروف، و «منابت الشيخ» أرض العرب. و «مهافي الريح» المواضع التي تهو فيها الريح، أي تهبّ وهي الفيافي والصحاري. و «نكد المعاش» ضيقه وقلته و «العالة» جمع «عائل» وهو الفقير. و «الدبر» بالتحريك، الجرح الذي يكون في ظهر البعير. ١٣٤ و «الجدب» قلة الزرع والشجر. و «الأزل» الضيق والشدة.

قوله «وإطباق جهل» بكسر الهمةزة، أي جهل عامّ مطبق عليهم، أو بفتحها، أي جهل متراكم بعضه فوق بعض. و «وأد البنات» قتلهنّ. و «شنّ الغارة عليهم» تفريقها عليهم من جميع جهاتهم. قوله — عليه السلام — «والتفتّ الملة» أي كانوا متفرقين، فالتفتّ ملة محمد — صلى الله عليه وآله — بهم فجمعهم، يقال: «التفتّ الحبل بالخطب» أي جمعه، و «التفتّ الخطب بالحبل» أي اجتمع به. وقوله «في عوائد حال» أي جمعهم الملة كائنة في عوائد بركتها.

قوله — عليه السلام — «فكهين» أي أشرين مرجين ١٣٥ فكاهة صادرة عن خضرة عيش النعمة. قوله — عليه السلام — «قد تربعت» أي أقامت. و يقال: «تططف الدهر على فلان» أي أقبل حظّه وسعادته بعد أن لم يكن كذلك. و «الدري» الأعالي.

قوله — عليه السلام — «لا يغمز» يقال: «غمز به» أي نخسه. و «القناة» الرمح، ويكتى عن العزيز الذي لا يضام، فيقال: «لا يغمز له قناة» أي هو صلب، والقناة إذا لم تكن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر.

وقوله «لا تفرع لهم صفاة» مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزته وقوته. و «الصفاة» الصخرة والحجر الأملس.

وقوله «بأحكام» متعلق بثلمتم، وقوله «بنعمة» متعلق بقوله «امتّن». قوله

١٣٤ - و«الوبر» شعر الجمال، والمراد أنهم كانوا رعاة ظاعنين من وادٍ إلى آخر، لم تكن لهم بلدة ولا حاضرة يعيشون فيها.
١٣٥ - «أشّر» بطر، أي أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة، أو طغى بالنعمة، أو عندها فصرفها إلى غير وجهها فهو أشّر.
و«مرح الرجل» اشتدّ فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر وتبختر واختال، فهو مرح.

«النار ولا العار» أي ادخلوا النار ولا تلتزموا العار. ١٠٣٦

وقال الجوهري: «كفأت الإناء» قلبته، وزعم ابن الأعرابي أَنَّ «أكفأته» لغة و «كفأت القوم كفاءة» إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره. قوله «إلى غيره» الضمير عائذ إلى الإسلام أو إلى الله.

قوله «فلا تستبطئوا» أي فلا تستبعدوا. قوله «لترك التناهي» يقال: «تناهوا عن المنكر» أي نهى بعضهم بعضاً. و «دَوَّخه» أي ذلَّه. و «شيطان الردهة» هو ذو الثدية ١٠٣٧. فقد روي أَنه رماه الله يوم النهر بصاعقة. ١٠٣٨ و «الردهة» نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء. وإِنها سُمِّيَ بذلك لأنه وجد بعد موته في حفرة؛ وقيل: هو أحد الأبالس. و «الوجبة» اضطراب القلب. و «الرجة» الحركة والزلزلة. و «أدلت من فلان» أي قهرته وغلبته. و «التشذر» التبدد والتفرق. و «الكلاكل» الصدور ١٠٣٩، الواحدة «كلكل» أي أنا أذللتهم وصرعتهم إلى الأرض. و «النواجم» جمع «ناجمة» وهي ماعلا قدرة وطارصيته. و «الخطل» خفة وسرعة، و يقال للأحق العجل: خطل. قوله «لا تفيئون» أي لا ترجعون.

قوله — عليه السلام — «في القلب» أي قلب بدر ١٠٤٠. و «الدوي» صوت ليس بالعالِي. و «قصف الطير» اشتدَّ صوته. و «رُفِرَ الطائر بجناحيه» إذا بسطها عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتو» التكبر والتجبر. قوله «خفيف فيه» أي سريع. قوله — عليه السلام — «ولا يغلون» كل من خان خفية في شيء فقد غلَّ.

١٠٣٦ — هكذا في النسخ؛ ولعلَّ الأصوب هو أن يقال: أي ندخل النار ولا نلتزم العار. ١٠٣٧ — في هامش المطبوع: «ذو الثدية» لقب رجل اسمه «ثرمله». فن قال في الثدي أَنه مذكَّر يقول: إِنَّا أدخلوا الماء في التصغير لأنَّ معناه اليد وذلك أَنَّ يده كانت قصيرة مقدار الثدي، يدلُّ على ذلك أَنهم كانوا يقولون فيه ذواليدية وذو الثدية جميعاً؛ من الصحاح.

١٠٣٨ — في هامش المطبوع: «ذو الثدية» كسمية، لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج، أو هو بالثلاثة تحت. منه — طاب ثراه —.

١٠٣٩ — قيل: «القرن» القوة والشدة، وإِنها ذكره لتشبيههم بالثور، كما ذكر الكلل لتشبيههم بالجمال. منه — رحمه الله —.

١٠٤٠ — طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش.

أقول: إنها أوردت هذه الخطبة الشريفة بطولها لاشتغالها على جل قصص الأنبياء— عليهم السلام— وعلل أحوالهم وأطوارهم وبعثهم والتنبيه على فائدة الرجوع إلى قصصهم والنظر في أحوالهم وأحوال أئمتهم وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ولا تحصى على من تأمل فيها. صلوات الله على الخطيب بها. ١٠٤١

١٩٣ — خطبة في الصلاة

يصف فيها المتقين

روي أن صاحباً لأمر المؤمنين عليه السلام يقال له مام كان رجلاً عابداً ، فقال له ، يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم . فتشاكل عليه السلام عن جوابه ثم قال : يا مام ، اتق الله وأحسن : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . فلم يقنع مام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي — صلى الله عليه وآله — ثم قال عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ^(٢٦٨١) ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ^(٢٦٨٢) عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ^(٢٦٨٣) . وَلَوْ لَا

الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
طَرَفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ،
فَهُمْ فِيهَا مُتَعَمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ .
قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ
خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً .
تِجَارَةٌ مُرَبِحَةٌ^(٢٦٨٤) يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ،
وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِينَ
لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهَا تَرْتِيلًا^(٢٦٨٥) . يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ^(٢٦٨٦)
بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ،
وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا
بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَضْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ^(٢٦٨٧)
جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا^(٢٦٨٨) فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ ، فَهُمْ حَانُونَ^(٢٦٨٩) عَلَى
أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَبِرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ^(٢٦٩٠) وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ ، وَأَطْرَافِ
أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ^(٢٦٩١) . وَأَمَّا
النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ ، أَبْرَارُ أَتَقِيَاءَ . قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِي الْقِدَاحِ^(٢٦٩٢)
يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضَى ؛

وَيَقُولُ : لَقَدْ خُولِطُوا^(٢٦٩٣) !

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ^(٢٦٩٤) إِذَا زُكِّيَ^(٢٦٩٥) أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّْي بِنَفْسِي ! اَللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزَمًا فِي لِينٍ ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ ، وَقَصْدًا فِي غِنَى^(٢٦٩٦) ، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلاً^(٢٦٩٧) فِي فَاقَةٍ ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى ، وَتَحَرُّجًا^(٢٦٩٨) عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُنْسِي وَهْمَهُ الشُّكْرُ ، وَيُضْبِحُ يَهْمَهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُضْبِحُ فَرِحًا ؛ حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنْ اسْتَضَعَبَتْ^(٢٦٩٩) عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ

بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ،
 مَنزُوراً (٢٧٠٠) أَكَلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينَهُ (٢٧٠١) ، مَبْتَةً شَهْوَتُهُ ،
 مَكْظُوماً غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي
 الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ
 الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَنْ ظَلَمِهِ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ،
 بَعِيداً فُحْشُهُ (٢٧٠٢) ، لِيناً قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ،
 مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُذْبِراً شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ (٢٧٠٣) وَقُورٌ (٢٧٠٤) ، وَفِي الْمَكَارِهِ
 صَبُورٌ ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُّ
 فِيمَنْ يُحِبُّ . يَغْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُخْفِظَ ،
 وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ (٢٧٠٥) ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا
 يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ
 صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ
 صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ،
 وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتَعَبَ نَفْسُهُ لِأَخْرَجَتْهُ ، وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .
 بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ يَمِّنٌ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ .
 لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قال : فصق همام صفة (٢٧٠٦) كانت نفسه فيها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ .
ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : وَيَحَكَ ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَفْتًا لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا ، لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ !

تبيين: قال الكيدري: «الهمام» البعيد الهمة و كان السائل كاسمه.

وقال ابن أبي الحديد: همام، هو همام بن شريح بن يزيد بن مرة و كان من
شيعة أمير المؤمنين — عليه السلام — وأوليائه، و كان ناسكا عابداً و ثناقله عن جوابه
لأنه علم أن المصلحة في تأخير الجواب، و كأنه حضر المجلس من لا يحب — عليه
السلام — أن يجيب — و هو حاضر. و لعله بثناقله — عليه السلام — يشتد شوق همام
إلى سماع الموعظة. و لعله من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة، لا عن وقت
الحاجة. ١٠٤٢

وقال ابن ميثم: ثناقله — عليه السلام — لخوفه على همام كما يدل عليه قوله —
عليه السلام — «أما والله لقد كنت أخافها عليه». ١٠٤٣
و أقول: هذا أظهر.

«أتق الله وأحسن» أي ليس عليك أن تعرف صفات المتقين على التفصيل
ولعل الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملًا من صفاتهم و مراعاة التقوى والاحسان، و
كأن المراد بالتقوى الاجتناب عما نهى الله عنه، و بالاحسان فعل ما أمر الله به،
فالكلمة جامعة لصفات المتقين وفضائلهم.

١٠٤٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٣٤، ط بيروت.

١٠٤٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٣، ط بيروت.

«حتى عزم عليه»، «عزمت على فلان» أقسمت عليه، و «عزمت على الأمر» أي قطعت عليه وأردت فعله حتماً؛ فالضمير في «عليه» يحتمل عوده إليه — عليه السلام — و إلى مأسأله من الوصف على التفصيل، والأول أظهر، ورواية الصدوق تعيينه ١٠٤٤.

والتعرض للغنا والأمن ١٠٤٥ لدفع توهم أن مدح المتقين الترغيب في الطاعة والتخويف من المعصية لانتفاعه — سبحانه — ودفع المضرة عنه، وليس المعنى أن أفعال الله — سبحانه — ليست معللة بالأعراض كما زعمه الحكماء، بل إشارة إلى ما ذكره المتكلمون من أن الغرض لا يعود إليه — سبحانه — بل إلى العباد، لأنه أراد أن يشبههم في الآخرة، والثواب هو النفع المقارن للتعظيم والإجلال، وفعله لمن لا يستحق أصلاً قبيح عقلاً، فلذا كلفهم وبعث إليهم الرسل ووعدهم وأوعدهم وعرضهم للمثوبات الدائمة الجليلة. وتفصيل ذلك في كتب الكلام.

و «المعاش» بالياء، جمع «معيشة» وهي مايعاش به أو فيه وما يكون به الحياة، قال الله — تعالى: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ١٠٤٦. و «مواضع الخلق» مراتبهم، قال الله — تعالى: «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» ١٠٤٧ وهي إشارة إلى الدرجات الدنيوية كالغنا والفقر والصحة والمرض، أو الدينية لاختلاف استعداداتهم وقابلياتهم في العلم والعمل، أو الأعمّ منها وهو أظهر، والتفريع يؤيد الأخيرين.

«منطقهم الصواب»، «المنطق» النطق أي لا يقولون إلا حقاً و يحترزون عن الكذب والفحش والغيبة وسائر الأقاويل الباطلة، وقيل: أي لا يتكلمون إلا في مقام التكلم كذكر الله — تعالى — و إظهار حق و إبطال باطل، و كأنّ الابتداء بالمنطق لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح.

١٠٤٤ — حيث قال: فقال همام: «يا أمير المؤمنين! أسألك بالذي أكرمك بما خضك...» الخ. والرواية في الأمالي، ص ٣٤٠، مجلس ٨٤.

١٠٤٥ — يعني في قوله — عليه السلام — «خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمنّا من معصيتهم...» الخ.

١٠٤٦ و ١٠٤٧ — الزخرف: ٣٢.

و «الملبس» بفتح الباء، مايلبس. و «الاقتصاد» التوسط بين طرفي الافراط والتفريط، والمعنى أنهم لا يلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين، ولا ما يلحقهم بأهل الخسة والدناءة، أو يصير سبباً لشهرتهم بالزهد كما هو دأب المتصوفين، أو المعنى أن الاقتصاد في الأقوال والأفعال صار شعاراً لهم محيطاً بهم، كاللباس للانسان كما مر.

«و مشيهم التواضع» أي لا يمشون مشى المختالين والمتكبرين، كما قال — عز و جل —: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا. الْآيَةُ»^{١٠٤٨}، أو المراد أن سيرتهم وسلوكهم بين الخلق أو في سبيل الله بالتواضع والتذلل. «غَضُوا أَبْصَارَهُمْ»، «غَضَ فلان طرفه» — كمد — أي خفضه، وكذلك غَضَ من صوته، وكل شيء كَفَفْتَه فقد غَضَضْتَه.

و «وقفت» — كضربت — أي دمت قائماً، و «وقفته أنا وقفاً» أي فعلت به ما وقف و «وقفت الرجل عن الشيء وقفاً» أي منعته عنه، و «وقفت الدار وقفاً» أي حسبها في سبيل الله. والمراد الاقتصاد على استماع العلم النافع، وفيه إيماء إلى ذم الاصغاء إلى القصص الكاذبة، بل وكثير من الصادقة، كما سيأتي إن شاء الله.

و «الرخاء» بالفتح، سعة العيش، قال القطب الراوندي — رحمه الله —: يعني أن المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات، فيطيبون نفساً بتلك المشقة التي يحتملونها مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرخاء. ولا بد من تقدير مضاف لأن تشبيه الجمع بالواحد لا يصح، أي كل واحد منهم إذا نزل في البلاء يكون كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء، ونحوه قوله — تعالى —: «مَثَلُ الَّذِينَ غَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِينَ يَنْتَقِمُونَ»^{١٠٤٩}. قال: ويجوز أن يكون «الذي» بمعنى ما المصدرية كقوله — تعالى —: «وَوَحُضُّنْهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا»^{١٠٥٠} أي نزوله في البلاء كنزوله في الرخاء.

وقال ابن ميثم: يحتمل أن يكون المراد بالذي، الذين، فحذف النون كما في قوله — تعالى —: «وَوَحُضُّنْهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا»^{١٠٥١}.

١٠٤٨ — الإسراء: ٣٧.

١٠٤٩ — البقرة: ١٧١.

١٠٥٠ — التوبة: ٦٩.

١٠٥١ — شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٥، ط بيروت. والآية، كما سبق، في التوبة: ٦٩.

وقال ابن أبي الحديد: موضع كالأذي نصب لأنّه صفة مصدر محذوف والمراد كالنزول الذي، وقد حذف العائد إليه وهو الهاء في «نزلته» كقولك: «ضربت الذي ضربت» أي ضربت الذي ضربته، وتقدير الكلام: نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الذي نزلته منهم في حال الرخاء. ١٠٥٢

و قال الكيدريّ— قدّس سرّه: «نزلت أنفسهم... الخ» لأنّهم كسروا سورة الشّهوة البهيمية وطبّوا عن أنفسهم نفساً وقفوا أشباحهم وأرواحهم على مرضاة الله وجسّوها في سبيله، فلا مطمح لهم إلى ما فيه نصيب أنفسهم، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله من إعداد زاد المعاد، والاقبال بكلّ الوجوه على عبادة ربّ العباد، والتفاتهم إلى الأبدان يكون على طريق الطبع كالتفات سالك البادية للحجّ الحقيقيّ إلى رعي الجمل، وعلّموا يقيناً أنّ ما أصابهم من الكذب في الطريق وإن كان عظيماً فإنّه كلا شيء في جنب ما يصلون به إليه من لقاء المحبوب ونيل المطلوب، فالحنّ عندهم كالملح والبليّة كالنعم.

و قوله «كالأذي» نظير قوله— تعالى: «وَحُضِّنْهُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» ١٠٥٣ و بيت الحماسة: عسى الأيام أن يرجعن يوماً كالأذي كانوا.

أي نزلت في البلاء كالنزول الذي نزلت في الرخاء. انتهى.

والمراد بالبلاء المرض والضيق ونحوهما أو الأعمّ من احتمال المشقة أيضاً وليس مخصوصاً به وطيب قلوبهم للرضا بقضاء الله كما في المجالس ١٠٥٤: «فصغر مادونه في أعينهم» في اختلاف التعبير دلالة على أنّ الخالق تمكّن في قلوبهم بخلاف مادونه فلم يتجاوز أعينهم.

«فهم والجنة» قال الراونديّ— رحمه الله: الواو بمعنى «مع» وقال ابن أبي الحديد بنصب «الجنة» وقد روي بالرفع على أنّه معطوف على هم، والأوّل أحسن. و

١٠٥٢— شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٤٢، ط بيروت.

١٠٥٣— التوبة: ٦٩.

١٠٥٤— حيث قال: نزلت أنفسهم منهم في البلاء كآتي نزلت منهم في الرخاء. رضي منهم عن الله بالقضاء.

قوله «كمن قدرآها» وقوله «فهم فيما منعمون» إِمَّا كلاهما لقوة الايمان واليقين، أو لشدة الخوف والرجاء، أو الرؤية إشارة إلى قوة اليقين؛ و «التنعم والعذاب» أي شدة الرجاء والخوف وهما أيضا من فروع اليقين، واختار الوالد قدس سره الأخير، و قال الكيدري: أي حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري مجرى الضرورية كما قال عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازدادت يقينا». و روي «والجنة» بالنصب فيكون الواو بمعنى مع ويكون خبر المبتدأ الكاف في «كمن رآها».

«قلوبهم محزونة» حزن قلوبهم للخوف من العقاب لاحتمال التقصير وعدم شرائط القبول، كما قال — عز وجل —: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»^{١٠٥٥}. والأمن من شرورهم لأنهم لا يهتمون بظلم أحد، كما ورد في الخبر: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». و قيل لأن أفعالهم حسنة في الواقع وإن كانت سيئة في الظاهر، وهو بعيد.

«نخيفة» أي مهزولة لكثرة الصيام والسهر والرياضات، أو للخوف أو لها و خفة حاجاتهم لقلّة الرغبة في الدنيا وترك اتباع الهوى وقصر الأمل وقناعتهم بما رزقهم الله.

و «العفة» كفت النفس عن المحرمات، بل عن الشهات والمكروهات أيضاً. و جملة «أعقبهم» صفة للأيتام. و «تجارة» عطف بيان للراحة، أو بدل منه، أو منصوب على المدح، أو على الحال، أو على تقدير فعل، أي اتجروا تجارة. قال الراوندي — رحمه الله —: نصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام. و «ربح الرجل في تجارته» — كعلم —، و يسند إلى التجارة مجازاً، قال — تعالى —: «فَمَنَّا رِبَحْتَ إِنِجَارْتُهُمْ»^{١٠٥٦}.

و قال الأزهري: «ربح الرجل في تجارته» أي صادف سوقاً ذات ربح و «أربحت الرجل إرباحاً» أعطيته ربحاً، فالتجارة المربحة كأنها تعطي ربحاً أو هي الراجعة من أفعال بمعنى فعل.

و قال الكيدري: «تجارة» انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق، لأنّ مضمون قوله «صبروا أيّاماً... الخ» يدلّ على أنّهم اتّجروا بذلك أو يكون منصوباً بفعل مضمر يفتره ما بعده، أي يتر لهم ربّهم تجارة، أو على المدح أو التخصيص، أي أعني تجارة، أو أخصّ تجارة؛ وجعلها بدلاً من «راحة» على ما زعم صاحب المنهاج ليس بالقويّ لأنّ التجارة المرحّة ليست بنفس الراحة، وإنّما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة. انتهى.

«أرادتهم الدنيا» أي أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة أو مطلقاً وتمكّنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه فلم يقبلوها ولم يسعوا في تحصيلها، وقيل: ويحتمل أن يراد أهل الدنيا. و «أسره» — كضربه — أي شدّه وجسه. و «الفدية» زخارف الدنيا وملاذّها التي سلّموها إلى الدنيا بالترك والإعراض عنها.

أقول: و نقل الكيدري — قدس سرّه — رواية تمثّل الدنيا لأمر المؤمنين — عليه السّلام — وإعراضه عنها كما سننقلها عنه في باب ذمّ الدنيا، ثمّ قال: فهذا معنى قوله — عليه السّلام — «أرادتهم الدنيا ولم يريدوها». وإذا تدبّرت خلال المذكورة في هذه الخطبة وجدت أمير المؤمنين — عليه السّلام — هو الموصوف بها كلّها. وقد أوردت هذه الأبيات وأمثالها في «أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول».

فأمّا أسرها إيّاهم، فلا أنّ أرواح الأولياء قدسيّة ومقامها في العالم الجسد أي على خلاف مقتضى طبيعتها فهي غريبة في هذا العالم وصغوها بالكلّيّة إلى عالمها فهي أسيرة هنا من حيث الغربة وعدم الملاءمة، فدائماً يستعدّ ويتبسّط للسفر الحقيقيّ ويزيل المتبّطات ويرفعها من البين، وذلك فداءها.

«أمّا الليل» في بعض النسخ بالنصب على حذف حرف الجرّ، أي أمّا حالهم في الليل، فالمقصود تفصيل حالهم في الليل والنهار؛ وفي بعض النسخ بالرفع، فالغرض تفصيل حال ليلهم ونهارهم. و «الصف» ترتيب الجمع على صفّ، و «صفّ القدمين» وضعهما في الصلاة بحيث يتحاذى الإبهامان ويتساوى البعد بين الصدر والعقب.

و في بعض النسخ: «تالون» مكان «تالين». «يرتلونه» أي القرآن، و روي: «يرتلونها» فالضمير لأجزاء القرآن. «وَرَتَّلِي الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا»^{١٠٥٧} أي أحسن تأليفه، وعن أمير المؤمنين— عليه السلام— أنه «حفظ الوقوف وأداء الحروف، وهو جامع لما يعتبره القراء».

و «الحزن» الهمّ و «حزنه الأمر»— كنصر— أي جعله حزينا و «حزن»— كعلم— أي صار حزينا، و «حزنه تخزينا» جعل فيه حزنا؛ و في أكثر النسخ على التفعيل و في بعضها كينصرون. و تخزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر، و أمّا آيات الوعد فللخوف من الحرمان وعدم الاستعداد.

و «ثار الغبار» إذا سطع وهاج، و «ثار القطا» إذا نهضت من موضعها، و «أثار الغبار واستثاره» هيجه. ولعلّ المراد بالدواء العلم وبالداء الجهل. واستثارة العلم بالتدبر والتذكر، قال في النهاية: في الحديث: «أثيروا القرآن فإنّ فيه علم الأولين والآخرين». و يحتمل أن يراد استثارة العلم الكامنة في النفس على حسب الاستعداد والكمال بالتدبر والتفكير والتذكر.

و قال الوالد— قدس سره—: المراد أنهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الذي كاد أن يبلغ حدّ الاغترار والأمن لمكر الله، و بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط، و بما يستكمل اليقين داء الشبهة، و بالعبرداء القسوة و بما ينفر عن الدنيا والميل إليها داء الرغبة فيها و نحو ذلك.

و «ركن إلى الشيء»— كنصر كما في النسخ و كعلم أيضاً— أي مال وسكن. و «التطلع إلى الشيء» الاستشراق له والانتظار لوروده. و «نصب الشيء» رفعه وأن يستقبل به شيء، والكلمة منصوبة على الظرفية أي ظنّوا أنها فيما نصب بين أيديهم، و في بعض النسخ مرفوعة على أنها خبر أ.ت.

و قال الكيدريّ: «و تطلّعت نفوسهم إليها» أي كادت تطلع شمس نفوسهم من أفق عوالم أبدانهم، فتصعد إلى العالم العلويّ شوقاً إلى ما وعدوا به في تلك

الآيات، من أخائر الذخائر وعظام الكرائم. وانتصاب «نصب أعينهم» على الظرف أي في موضع يقابل أعينهم، ويجوز فيه الرفع.

وقال الراوندي - رحمه الله -: الظن هنا بمعنى اليقين، قال - تعالى -: «الْأَبْطُلُتْ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ»^{١٠٥٨} أي أيقنوا أَنَّ الجنة معدة لهم بين أيديهم. وقال ابن أبي الحديد: ويمكن أن يكون على حقيقته.

و «صني إليه» - كرضي - أي مال، و «أصغى سمعه إليه» أي أماله، و «زفير النار» صوت توقدها، و «الزفير» أيضاً إخراج النفس بعد مدّة فالمراد زفير أهل جهنم. و «الشهيق» تردّد البكاء في الصدر مع سماع الصوت من الحلق، و «شهيق الحمار» صوته. و كونها في أصول الآذان كناية عن تمكّنها في الآذان.

«حانون أوساطهم»، «حتى ظهره يخنيه ويحنوه» أي عطفه فانحنى، و حنوهم على أوساطهم وصف لحال ركوعهم. و «الافتراش» البسط على الأرض، وهو وصف لحال سجودهم.

قال الكيدري: «فهم حانون» أي منعطفون للركوع، و «حتى» قد جاء متعدّياً ولازماً وتعديته أكثر، فيكون تقديره «حانون ظهورهم على أوساطهم». «يطلبون إلى الله» أي يسألونه راغبين ومتوجّهين إليه. و «فكّ الرقبة» - كمدّ - أي أعتقها و «[فكّ] الأسير» خلّصه.

«و أمّا النهار» بالنصب والرفع كما تقدّم. قال الكيدري: «أمّا النهار» انتصابه على الظرفيّة وتعلّقه بما بعده من الصفات كحلما وغيره. و «حلما» خبر مبتدأ محذوف، أي فهم حلما في النهار، ويجوز فيه الرفع على تقدير «أمّا النهار فهم حلما فيه» فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره وفيها ضمير مقدّر يعود إليه. و «الحلما» ذوو الأناة أو العقلاء. و «برى السهم يبريه» أي نخته. و «القداح» جمع «قدح» بالكسر فيها، وهو السهم قبل أن يراش وينصل، وهو كناية عن نخافة البدن وضعف الجسد، أو زوال الآمال والمطالب الدنيويّة.

و «خولط فلان في عقله» إذا اختلّ عقله و صار مجنوناً، و «خالطه» أي مازجه. و قال الراونديّ و غيره: المعنى: يظنّ الناظر بهم الجنون و ما بهم من جنة، بل مازج قلوبهم أمر عظيم و هو الخوف فتولّوها لأجله. و قيل: «و لقد خالطهم» أي صار سبباً لجنونهم الذي يظته الناظر. «أمر عظيم» هو الخوف.

و قال الكيدريّ: «قد براهم الخوف» أي أنصاهم وأنخفهم. «خولطوا» أي خالط عقولهم جنون.

و «الاستكثار» عدّ الشيء كثيراً. و «اتّهمت فلاناً» أي ظننت فيه ما نسب إليه و «اتّهمته في قوله» أي شككت في صدقه، والاسم «التّهمة» كرتبة، والسكون لغة، و أصل التاء واو. والمراد أنّهم يظنون بأنفسهم التقصير أو الميل إلى الدنيا، أو عدم الإخلاص في النية أو الأعم، أو يشكون في شأنها و نياتها و يخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء والسمعة و أن تجرّها العبادة إلى العجب، فلا يعتمدون عليها.

و «الاشفاق» الخوف، و إشفاقهم من السيئات و إن تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم، و من الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط و شوب النية، أو للأعمال السيئة وقد قال الله — عزّ وجلّ —: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^{١٠٥٩}.

«إذا زكّي أحدهم»، «التزكية» المدح، و خوفهم من الوقوع في العجب والالتكال على العمل و سؤال عدم المؤاخذه لذلك، و يحتمل أن يكون كناية عن عدم الرضا بما يقولون، و التبرّي من التزكية و ظنّ البراءة بالنفس فإنّ النفس أمارّة بالسوء إلّا ما رحم الله.

«واجعلني أفضل ممّا يظنون» أي وفّقني لدرجة فوق ما يظنون بي من حسن العمل والقبول.

و قال ابن أبي الحديد: قد قاله لقوم مرّ عليهم، و هم مختلفون في أمره فمنهم

الحامد له، ومنهم الذام، فقال— عليه السلام—: [اللَّهُمَّ] إن كان ما يقوله الذامون حقاً فلا تؤاخذني به، وإن كان ما يقوله الحامدون حقاً فاجعلني أفضل مما يظنون. ١٠٦٠

«فن علامة أحدهم أنك ترى له»، في بعض النسخ: «لهم» فالضمير راجع إلى معنى أحدهم. و «القوة في الدين» أن لا يتطرق إلى الايمان الشك، والشبهات إلى الأعمال الوسوس والخطرات، أو أن لا يدرك العزم في الأمور الدينية وثى ولا فتور للوم وغيره، قال— تعالى—: «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لُؤْمَةً لَّائِمٍ» ١٠٦١. و «الحزم» بالفتح، ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة، والحذر من فواته وكأن المعنى أنه لا يصير حزمه سبباً لخشونته، بل مع الحزم يداري الخلق ويلانهم.

و «القصd» المتوسط بين الإفراط والتفريط وترك الإسراف والتقتير، أي يقتصد في حال الغنا، أو في تحصيل الغنا، أو في الانفاق مع غنى النفس. و «التجمل» التزين وتكلف الجميل وإظهاره، و «التجمل في الفاقة» سلوك مسلك الأغنياء والمتجملين في حال الفقر، وذلك بترك الشكوى إلى الخلق والابتهاج بما أعطى الله وإظهار الغنى عن الخلق، أو التجمل والتزين في الفاقة بما أمكن وعدم إظهار الفاقة للناس، إلا ما لا يمكن ستره أو زائداً على ما هو الواقع كالفقراء الطامعين فيما في أيدي الناس.

«والصبر في الشدة» الصبر على شدة الفقر أو العباداة أو المصائب أو الأعم. و «الطلب في الحلال» الكسب من غير الطرق التي نهي عنها. و «النشاط» بالفتح، طيب النفس للعمل وغيره. و «الهدى» الرشاد والدلالة، أي ينشط لهداية الناس، أو لاهتدائه في نفسه. و «التحرج» التأثم، والمعنى جعل الطمع حرجاً وعدة إثماً وعبأً. و قال ابن أبي الحديد: حرف الجر في بعض هذه المواضع يتعلق بالظاهر فيكون موضعه نصباً بالمفعولية، وفي بعضها يتعلق بمحذوف فيكون موضعه أيضاً نصباً

على الصفة؛ ففي قوله «(في دين) يتعلّق بالظاهر أي «قوة»، يقال: فلان قويّ في كذا و على كذا، و «(في لين) يتعلّق بمحذوف أي حزماً كائناً في لين، و «(في يقين) و «(في علم) يتعلّق بالظاهر، و «(في) بمعنى «على» كقوله تعالى: «وَلَا صَلَبْتُنْكُمْ فِي مُجْذَوِعِ الْغُلِيِّ»^{١٠٦٢}. و «(في غنى) يتعلّق بمحذوف، و «(في عبادة) يحتمل الأمرين، و «(في فاقة) بمحذوف، و «(في شدة) يحتمل الأمرين، و «(في حلال) يتعلّق بالظاهر و «(في) بمعنى اللام، و «(في هدى) يحتملها، و «(عن طمع) بالظاهر.

و «(الوجل) الخوف، و خوفهم من التقصير في العمل كمأ أو كيفاً أو من عذاب الله إشارة إلى قوله—سبحانه—: «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا— الآية»^{١٠٦٣}. و «(الهم)» أوّل العزم، و ما قصده الانسان و أضمره في نفسه، و كأنّ تخصيص الشكر بالمساء لأنّ الرزق و إفاضة النعم والفوز بالمكاسب يكون في اليوم غالباً، و تخصيص الذكر بالصباح لأنّ الشواغل عن الذكر في اليوم أكثر، و كلّ يوم كأنه وقت استئناف العمل.

و «(الحذر) و «(الفرح)»— ككتف— صفتان من الحذر والفرح، بالتحريك. والمراد بالفضل والرحمة، التوفيق والهداية أو ما يشمل النعم الدنيوية، و هذا الفرع يعود إلى الشكر، و قال بعض الشارحين: ليس المقصود تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح بل كما يقول أحدهما: يمسى ويصبح حذراً فرحاً، وكذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح، و يحتمل أن لا يكون مقصوداً.

و «(الصعب)» نقيض الذلول، و «استصعبت على فلان دأبته» أي صعبت، و «استصعبت عليه نفسه» أي لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس و ترك المعاصي، لأنّ النفس أمارة بالسوء إلّا ما رحم الله.

«و لم يعطها سؤلها فيما تحب» أي لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الذي استصعبت عليه، أو في غيره من اللذات لتنفاد وتترك الاستصعاب، إذ إطاعة النفس في لذاتها توجب طغيانها وقوتها في الباطل وبعدها عن الله، ولذا ترى القوة على العبادة في المرتاضين و من أنحلّتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء والمترفين بالنعم.

و «قَرَّتْ عَيْنُ فُلَانٍ وَأَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ» — كَفَرَ وَعَضَّ — أَي سَرَّ وَفَرَحَ، وَمَعْنَاهُ: أبرد الله دَمْعَةَ عَيْنِهِ لِأَنَّ دَمْعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بَارِدَةٌ، وَدَمْعَةُ الْحُزَنِ حَارَّةٌ، وَقِيلَ: مَعْنَى «أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ» بَلَّغَكَ أَمْنِيَّتَكَ حَتَّى تَرْضَى نَفْسَكَ وَتَسْكُنَ عَيْنَكَ فَلَا تَسْتَشْرِفُ إِلَى غَيْرِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أبرد الله عَيْنَكَ بِأَنْ يَنْقَطِعَ بَكَاءُهَا، وَقَرَّةُ عَيْنٍ كُلُّ أَحَدٍ مَأْمُولِهِ وَنَهْيَ رِضَاهُ.

و «مَا لَا يَزُولُ» مَا عِنْدَ اللَّهِ وَالْدارُ الْآخِرَةُ. و «مَا لَا يَبْقَى» الدُّنْيَا وَزَخَارِفُهَا. «يَمِزُجُ الْحَلْمَ بِالْعِلْمِ» أَي يَحْلِمُ لِلْعِلْمِ بِفَضْلِهِ لَا لضعف النفس وعدم المبالاة بما قيل له، أَوْ فَعَلَ بِهِ، أَوْ لَا يَطِيشُ فِي الْمَحَاوِرَاتِ وَالْمُبَاحَثَاتِ مَعَ أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ؛ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْحَلْمِ الْعَقْلُ، أَي يَتَعَلَّمُ عَنْ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى الظُّنُونِ وَالْآرَاءِ الْوَاهِيَةِ، أَوْ يَتَفَكَّرُ فِيهَا عِلْمٌ وَيَحْفَظُهُ حَتَّى يَتِمَكَّنَ فِي قَلْبِهِ. «وَالْقَوْلُ بِالْعَمَلِ» أَي إِذَا أَمَرَ النَّاسَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَاهُمْ عَنْ مُنْكَرٍ عَمِلَ بِهِ، أَوْ بَيَّنَّ بِالْوَعْدِ، أَوْ يَقْرُنَ الْإِيمَانَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقَوْلِ الْجَمِيلِ وَالْفِعْلِ الْحَسَنِ.

و «النَّزْرُ وَالْمَنْزُورُ» الْقَلِيلُ. و «الْأَكْمَلُ» — كَعَنَقَ — الْحَظُّ مِنَ الدُّنْيَا؛ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: «أَكَلَهُ» بِالْفَتْحِ، أَي لَا يَمْتَلِكُ مِنَ الطَّعَامِ، لِأَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْكَسَلِ عَنْ الْعِبَادَةِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ. و «الْحِرْزُ» الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ، وَ «حِرْزُ حَرِيزٍ» كَحَصْنِ حَصِينٍ، وَ «حِرْزُهُ» — كَنَصَرَهُ — حِفْظُهُ وَالْمُرَادُ عَدَمُ إِهْمَالِهِ فِي أَمْرَدِينِهِ وَعَدَمُ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ إِلَيْهِ. وَ «الْمَأْمُولُ» الْمَرْجُوءُ.

«إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ» لَعَلَّ الْغُرُضَ مِنَ الْقَرِينَتَيْنِ أَنَّهُ لَا يَزَالُ ذَاكِرًا لِلَّهِ سِوَاءَ كَانَ مَعَ الْغَافِلِينَ أَوْ مَعَ الذَّاكِرِينَ، أَمَّا إِذَا كَانَ فِي الْغَافِلِينَ فَيَذْكُرُ اللَّهُ بِقَلْبِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ أَيْضًا فَيَصِيرُ سَبَبًا لَذِكْرِهِمْ أَيْضًا، فَيَكْتُبُ أَنَّهُ فِي الذَّاكِرِينَ.

وَقَوْلُهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — «لَمْ يَكْتُبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» كَأَنَّهُ تَفَقَّنَ فِي الْعِبَارَةِ، أَوْ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ ذِكْرُهُ بِمَحْضِ اللِّسَانِ لِيَكْتُبَ مِنَ الْغَافِلِينَ بَلْ قَلْبُهُ أَيْضًا مَشْغُولٌ بِذِكْرِهِ — تَعَالَى —.

وَالْغَالِبُ فِي الصَّلَةِ وَالْقَطْعِ الِاسْتِعْمَالُ فِي الرَّحْمِ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلَانِ فِي الْأَعْمِ

أيضاً.

و «بعيداً» عود إلى السياق السابق، والجمل معترضة، أو حال عن فاعل يصل، وقد يعبر بالبعد عن العدم؛ وكذلك الغيبة والحضور والاقبال والإدبار ويحتمل القلة فإن التقوى غير العصمة، ويمكن أن يراد بالإقبال الازدياد وبالإدبار الانتقاص، أي لا يزال يسعى فيزداد خيره وينتقص شره.

و قال الوالد— رحمه الله—: يمكن أن يراد بالمعروف والمنكر الاحسان والاساءة إلى الخلق.

و «الزلازل» الشدائد. و «الوقور» فعول من «الوقار» بالفتح، وهو الحلم والرزانة. و «الرخاء» سعة العيش. و «الحيف» الجور والظلم. والمراد بالإثم الميل عن الحق والغرض أنه لا يترك الحق للعداوة والمحبة إذا كان حاكماً، أو لا يجور على العدو ولا يساعد المحب بما يخرج عن الحق.

«لا يضيع ما استحفظ» أي ما أودع عنده من الأموال والأسرار، والتضييع في الأول بالخيانة والتفريط و في الثانية بالاذاعة والافشاء، ويحتمل شموله لما استحفظه الله من دينه و كتابه. «ولا ينسى ما ذكر» أي ما أمر بتذكره من آيات الله وعبره وأمثاله، أو الأعم منها و من أحكام الله والموت والمصير إلى الله وأهوال الآخرة.

و «النبز» بالتحريك، اللقب، قيل: و كثر فيما كان ذمّاً، و «المنابزة والتنازب» التعابير والتداعي بالألقاب. و «المضارة» الاضرار. و «الجار» المجاور في السكنى و من آجرته من أن يظلم. و «شمت— كفرح— شماتة» بالفتح، أي فرح ببلية العدو. «لا يدخل في الباطل» أي في مجلس الفسق واللغو والفساد، أو المراد عدم ارتكاب الباطل، وكذا «الخروج من الحق» أي من مجالسه، أو عدم ترك الحق.

«لم يغمه صمته» لعلمه بمفاسد الكلام و عدم التذاهد بالباطل من القول، أو لاشتغال قلبه حين الصمت بذكر الله. «لم يعل صوته» أي لا يشتد صوته أو يكتفي بالتبسم، إذ الخروج عنه يكون غالباً بالضحك بالصوت العالي، والواسطة نادرة. و «أراح الناس» لاشتغاله بنفسه. و «الزهد» خلاف الرغبة، و كثيراً ما يستعمل في

عدم الرغبة في الدنيا. و «التزاهة» بالفتح، التباعد عن كلّ قدر ومكروه، وإنّما كان تباعده زهداً ونزاهة لأنّه إنّما يرغب عن أهل الدنيا وأهل الباطل؛ وقيل: نزاهة عن تدنّس العرض.

و «الخدّعة» — ككربة — الاسم من «خدعة» أي ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم. و «صعق» — كسمع —: أي غشي عليه من صوت شديد سمعه أو من غيره، وربّما مات منه. «كانت نفسه فيها» أي مات بها، ويحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة، كما هو الغالب في هذا المقام. ويراد بكون نفسه فيها خروج روحه بخروجها. و «ويح» كلمة رحمة ويستعمل في التعجّب كما مرّ مراراً، والتلطف في مثل هذا المقام من قبيل الاحسان إلى من أساء. وقد مرّ الكلام في هذا المقام وفي بعض ما تقدّم في شرح رواية الكافي فلانعيده.

وأقول: روى في تحف العقول أيضاً مثله. ١٠٦٤

وأقول: لما سلك قدوة المحقّقين ابن ميثم البحرانيّ في شرح هذا الحديث مسلّكاً آخر، أردت إيرادَه ليطلع الناظر في كتابنا على أكثر ما قيل في ذلك فأوردته. ١٠٦٥

قال — قدّس سرّه — وصف — عليه السّلام — المتّقين بالوصف المجمل فقال: «فالمتمقون فيها هم أهل الفضائل» أي الذين استجمعوا الفضائل المتعلّقة باصلاح قوّتي العلم والعمل، ثمّ شرع في تفصيل تلك الفضائل ونسقتها.

فالأولى: الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلّقة باللسان، وحاصله أن لا يسكت عمّا ينبغي أن يقال فيكون مفرطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً، بل يضع كلّاً من الكلام في موضعه اللائق به وهو أخصّ من الصدق، لجواز أن يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول.

الثانية: «وملبسهم الاقتصاد» وهو فضيلة العدل في الملبوس، فلا يلبس ما

١٠٦٤ — تحف العقول، ص ١٥٤ — ١٥٨، ط إسلاميّة.

١٠٦٥ — شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٤ — ٤٢٥.

يلحقه بدرجة المترفين ولا يلحقه بأهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا.

الثالثة: مشي التواضع، والتواضع ملكة تحت العفة، يعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشى التواضع مستلزم للسكون والوقار.
الرابعة: غَضُّ الأبصار عما حَرَّمَ الله وهو ثمرة العفة.

الخامسة: وقوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع، وهو فضيلة العدل في قوة السمع. والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الإلهي وما يناسبه و ما هو كمال للقوة العملية وهي الحكمة العملية.

السادسة: نزول أنفسهم منهم في البلاء كنزوها في الرخاء، أي لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين مقام الشكر. و «الذي» صفة مصدر محذوف والضمير العائد إليه محذوف أيضاً، والتقدير: نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء. و يحتمل أن يكون المراد بـ «الذي» «الذين» فحذف النون كما في قوله — تعالى: — «كَأَلَيْذِي خُضُوا»^{١٠٦٦}. ويكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالذي نزلت أنفسهم منهم في الرخاء، والمعنى واحد.

السابعة: غلبة الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أن أرواحهم لا تستقر في أجسادهم من ذلك، لولا الآجال التي كتبت لهم. وهذا الشوق والخوف إذا بلغ إلى حد الملكة، فإنه يستلزم دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا، ومبدأهما تصوّر عظمة الخالق، ويقدر ذلك يكون تصوّر عظمة وعده ووعيده، وبحسب قوة ذلك التصوّر يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للجنة.

الثامنة: عظم الخالق في أنفسهم، وذلك بحسب الجواذب الإلهية إلى الاستغراق في محبته ومعرفته، وبحسب تفاوت تصوّر عظمتة — تعالى — يكون تصوّرهم لأصغرته مادونه، ونسبته إليه في أعين بصائرهم.

وقوله «فهم والجنة كمن قد رآها» إلى قوله «معدّبون» إشارة إلى أن

العارف وإن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنة و سعادتها وأحوال النار وشقاوتها، كالذين شاهدوا الجنة بعين حستهم وتنعموا فيها و كالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها. و هي مرتبة عين اليقين، فبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم إلى الجنة وشدة خوفهم من النار.

التاسعة: حزن قلوبهم، وذلك ثمرة الخوف الغالب.

العاشرة: كونهم مأموني الشرور، وذلك أنّ مبدء الشرور بحبة الدنيا و أباطيلها، والعارفون بمعزل عن ذلك.

الحادية عشر: نخافة أجسادهم، ومبدء ذلك كثرة الصيام والشهر وجشوبة المطعم وخشونة الملابس و هجر الملاذّ الدنيوية.

الثانية عشر: خفة حاجاتهم، وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروريّ من ملابس ومأكّل، ولا أخفت من هذه الحاجة.

الثالثة عشر: عفة أنفسهم، وملكة العفة فضيلة القوة الشهوية و هي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور.

الرابعة عشر: الصبر على المكاره أياّم حياتهم من ترك الملاذّ الدنيوية و احتمال أذى الخلق؛ وقد عرفت أنّ الصبر مقاومة النفس الأتارة بالسوء لثلاً ينقاد إلى قبائح اللذات. وإنها ذكر قصر مدّة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيباً فيه و تلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال — تعالى —: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ خَرِيرًا» الآية^{١٠٦٧}. وقوله «تجارة مربحة» استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة و امثال أوامر الله. و وجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا و بحركاتهم في العبادة متاع الآخرة. و رشّح بلفظ الربح لأفضليّة متاع الآخرة و زيادته في النفاسة على ما تركوه. و ظاهر أنّ ذلك بتيسير الله لأسبابه وإعدادهم له بالجواذب الإلهية.

الخامسة عشر: عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم، و هو إشارة إلى الزهد الحقيقيّ و هو ملكة تحت العفة، و كنى بارادتها لهم عن كونهم أهلاً لأن يكونوا فيها

رؤوساً وأشرافاً كفضاة و وزراء و نحو ذلك و كونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها. و يحتمل أن يريد: أرادهم أهل الدنيا، فحذف المضاف.

السادسة عشر: اقتداء من أسرته لنفسه منها، و هو إشارة إلى من تركها وزهد فيها بعد الانهماك فيها والاستمتاع بها، ففك بذلك الترك والإعراض والتمرن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديّة المتلبّسة منها عن عنقه. و لفظ الأسر استعارة في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم، و لفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة الله. و إنّما عطف بالواو في قوله «و لم يريدوها» و بالفاء في قوله «فقدوا» لأنّ زهد الانسان في الدنيا كما يكون متأخراً عن إقبالها عليه، كذلك قد يكون متقدماً عليه لقوله— صلى الله عليه وآله— «و من جعل الآخرة أكبر همّه جمع الله عليه همّه وأتته الدنيا و هي راغمة»، فلم يحسن العطف هنا بالفاء. و أمّا الفدية فلما لم يكن إلّا بعد الأسر لاجرم عطفها بالفاء.

السابعة عشر: كونهم صاقين أقدامهم بالليل يتلون القرآن و يرتلون... إلى قوله «آذانهم»، و ذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأمانة بالسوء العبادات و شرح لكيفية استيثارهم للقرآن العزيز في تلاوته و غاية ترتيلهم له بفهم مقاصده و تحزينهم لأنفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استيثارهم لدواء دائهم. و لما كان داءهم هو الجهل و سائر الرذائل العمليّة، كان دواء الجهل بالعلم و دواء كلّ رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة لها، فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف عن وعيد الله المضادّ للانهماك في الدنيا، و داءه العلم الذي هو دواء الجهل؛ و كذلك كلّ فضيلة حتّى القرآن عليها، فهي دواء لما يصادها من الرذائل. و باقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق.

و قوله «فهم حانون على أوساطهم» ذكر لكيفية ركوعهم. و قوله «مفترشون لجباهم...» إلى قوله «أقدامهم» إشارة إلى كيفية سجودهم و ذكر الأعظم السبعة و قوله «يطلبون...» إلى قوله «رقابهم» إشارة إلى غايتهم من عبادتهم تلك.

الثامنة عشر: من صفاتهم بالنهار كونهم حكماً و أراد الحكمة الشرعيّة و ما فيها من كمال القوّة العلميّة و العمليّة لكونها المتعارفة بين الصحابة والتابعين و روي:

«حلماء» و «الحلم» فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب. وإتّما حصّ الليل بالصلاة لكونها أولى بها من النهار. التاسعة عشر: كونهم علماء وأراد كمال القوة النظرية بالعلم النظريّ وهو معرفة الصانع وصفاته.

العشرون: كونهم أبراراً والبرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر. الحادية والعشرون: كونهم أتقياء، والمراد بالتقوى ههنا الخوف من الله. وقد مرّ ذكر العقّة والخوف وإتّما كرّرها هنا في عداد صفاتهم بالنهار وذكرها هناك في صفاتهم المطلقة. وقوله «وقد براهم الخوف...» إلى قوله «عظيم» شرح لفعل الخوف الغالب بهم، وإتّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن أداء بدل ما يتحلّل وشبه بري الخوف لهم بيري القداح، ووجه التشبيه شدة النحافة، ويتبع ذلك تغير السحنات^{١٠٦٨} والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتّى يحسبهم الناظر مرضى وإن لم يكن بهم مرض.

«و يقول قد خولطوا» وذلك إشارة إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالمأ الأعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته أن يتكلّم بكلام خارج عن المعارف يستبشع بين أهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه إلى الاختلاط والجنون وتارة إلى الكفر والخروج عن الدين. وقوله «ولقد خالطهم أمر عظيم» هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة أنوار المأ الأعلى.

الثانية والعشرون: كونهم لا يرضون [من أعمالهم] القليل إلى قوله «الكبير» وذلك لتصوّره شرف غايته المقصودة بأعمالهم. وقوله «فهم لأنفسهم متهمون...» إلى قوله «ما لا يعلمون» فهمتهم لأنفسهم وخوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم وكونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصول إلى الله — تعالى — فإنّ هذا الوهم يكون مبدأً للعجب بالعبادة والتقاصر عن

الازدياد عن العمل والتشكك في ذلك و تهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمارة يستلزم خوفها أن تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه و ذلك باعث على العمل و كاسر للعجب به، وقد عرفت أن العجب من المهلكات كما قال— عليه السلام—: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و كذلك خوفهم من تركية الناس لهم هو الدواء لما ينشأ من تلك التركية من الكبر والعجب بما يزكون به، فيكون جواب أحدهم عند تركيته أنني أعلم بنفسي من غيري... إلى آخره.

ثم شرع— عليه السلام— بعد ذلك في علاماتهم التي يحملتها يعرف أحدهم. والصفات السابقة و إن كان كثير منها مما يخص أحدهم و يعرف به إلا أن بعضها قد يدخله الرباء فلا يدل على التقوى الحقّة، فجمعها ههنا ونسقتها.

فالأولى: القوة في الدين، و ذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الختاس ولا يدخل فيه خداع الناس، و هذا إنما يكون في الدين العالم.

الثانية: الحزم في الأمور الدنيوية والدينية والتثبت فيها مزوجاً باللين للخلق و عدم الفضاضة عليهم كما في المثل: «لا تكن حلوّاً فتستترط ولا مرّاً فتلفظ»^{١٠٦٩}. و هي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق و قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله— [تعالى]—: «وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^{١٠٧٠}. و قد يكون من مهانة وضعف يقين، والأول هو المطلوب و هو المقارن للحزم في الدين و مصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كلّ جاذب.

١٠٦٩- ذكره الجوهري في «سروط» ولفظه: لا تكن حلوّاً فتستترط ولا مرّاً فتفق؛ و«تفق» بمعنى تلفظ، من قولهم «أعقيت الشيء» إذا أزلته من فيك لمراته، كما يقال: «أشكيت الرجل» إذا أزلته عما يشكو. الصحاح، ص ١١٣٠. وهكذا ذكره الميداني وقال: «الاستراط» الابتلاع. و«الاعقاء» أن تشتد مرارة الشيء حتى يلفظ لمراته. وبعضهم يروي: «فتفق» بوزن «فتستترط» والصواب كسر القاف، يقال: «أعق الشيء». والمعنى: لا تتجاوز الحد في المرارة فتزمرى، ولا في الحلاء فتبلع، أي كن متوسطاً. جمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٣٢، تحت الرقم ٣٦٠٤.

١٠٧٠- الشعراء: ١١٥.

الثالثة: الإيمان في اليقين، ولما كان الإيمان عبارة عن التصديق بالصانع و بما وردت به الشريعة و كان ذلك التصديق قابلاً للشدة والضعف، فتارة يكون عن التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بأنه لا يكون إلّا كذلك وهو علم اليقين. ومحققو السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون بعين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها. أراد أن علمهم علم اليقين لا يتطرق إليه احتمال.

الرابعة: الحرص في العلم والازدياد منه.

الخامسة: مزج العلم— وهو فضيلة القوة الملكية— بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية.

السادسة: القصد في الغنى وهو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة.

السابعة: الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته الذي هو روح العبادة.

الثامنة: التجمل في الفاقة: وذلك بترك الشكوى إلى الخلق والطلب منهم وإظهار الغنى عنهم، وينشأ عن القناعة والرضا وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد العاجل وما أُعد للمتقين.

التاسعة: وكذلك الصبر في الشدة.

العاشرة: الطلب في الحلال وينشأ عن العفة.

الحادية عشر: النشاط في الهدي وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصوّر شرف الغاية.

الثانية عشر: عمل الصالحات على وجل، أي من أن يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين— عليه السلام— أنه كان في التلبية وهو على راحلته وخزّ مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال: «خشية أن يقول

لي: لا لبيك ولا سعديك».

الثالثة عشر: أن يكون همهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا و يصبحوا و همهم الذكر لله ليذكروهم الله فيرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال - تعالى -: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»^{١٠٧١}.

الرابعة عشر: أن يبيت حذراً و يصبح فرحاً، و قوله «حذراً...» إلى قوله «الرحمة» تفسير للمحذور و ما به الفرح و ليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح، بل كما يقول أحدنا: يمسى فلان و يصبح حذراً فرحاً. و كذلك تخصيصه الشكر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل أن لا يكون مقصوداً.

الخامسة عشر: «إن استصعبت...» إلى قوله «تحب» إشارة إلى مقاومته لنفسه الأثارة بالسوء عند استصعابها عليه و قهره لها على ماتكره و عدم متابعتها لها في ميولها الطبيعية و محاباتها.

السادسة عشر: أن يرى قرّة عينه فيما لا يزول، أي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة و مكارم الأخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة. و «قرّة عينه» كناية عن لذته و ابتهاجه لاستلزامهما لقرار العين و بردها برؤية المطلوب و زهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا.

السابعة عشر: أن يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل، فلا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف فيقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعل ولا يعد فيخلف، فيدخل في مقت الله كما قال - تعالى -: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^{١٠٧٢}.

الثامنة عشر: قصر أمّله و قربّه، و ذلك لكثرة ذكر الموت والوصول إلى الله. التاسعة عشر: قلّة زلله و قد عرفت أنّ زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى لأنّ صدور الخيرات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم إلى الزلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أوسهوا، ولا شك في قلّته.

العشرون: خشوع قلبه عن تصوّر عظمة المعبود.
 الحادية والعشرون: قناعة نفسه و ينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته و قسمته الأرزاق، ويعين عليها تصوّر فوائدها الحاضرة وغايتها في الآخرة.
 الثانية والعشرون: قلّة أكله و ذلك لما يتصوّر في البطنة من ذهاب الفطنة و زوال الرقة و حدوث القسوة والكسل عن العمل.
 الثالثة والعشرون: سهولة أمره، أي لا يتكلّف لأحد ولا يكلف أحداً.
 الرابعة والعشرون: حرز دينه، فلا يهمل منه شيئاً ولا يطرق إليه خللاً.
 الخامسة والعشرون: موت شهوته، و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرم عليه و يعود إلى العفة.

السادسة والعشرون: كظم غيظه و هو من فضائل القوة الغضبية.
 السابعة والعشرون: كونه «مأمول الخير» و ذلك لأكثرية خيريّته [و كونه «مأمون الشرور» و ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور.

الثامنة والعشرون: قوله «إن كان من الغافلين...» إلى قوله «الغافلين» أي إن رآه الناس في أعداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان، كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر و إن تركه بلسانه، و إن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنّه لا يكتب من الغافلين. ولذكر الله محامد كثيرة و هو باب عظيم من أبواب الجتّة والاتّصال بمجناب الله، و قد أشرنا إلى فضيلته و أسرارهِ.

التاسعة والعشرون: عفوه عمّن ظلمه، والعفو فضيلة تحت الشجاعة و خصّ من ظلمه ليتحقّق عفوه مع قوّة الداعي إلى الانتقام.

الثلاثون: و يعطي من حرمه و هي فضيلة تحت السخاء.

الحادية والثلاثون: ويصل من قطعه، والمواصلة فضيلة تحت العفة.

الثانية والثلاثون: بعد فحشه، و أراد ببعد الفحش عنه أنّه قلّمها يخرج في أقواله إلى ما لا ينبغي.

الثالثة والثلاثون: لينه في القول عند محاورات الناس و وعظهم و معاملتهم و

هو من أجزاء التواضع.

الرابعة والثلاثون: غيبة منكروه وحضور معروفه وذلك للزومه حدود الله.
الخامسة والثلاثون: إقبال خيره وإدبار شره، وهو كقوله «الخير منه مأمول والشر منه مأمون» ويحتمل باقبال خيره أخذه في الازدياد من الطاعة وتشميره فيها، وبقدر ذلك يكون إدباره عن الشر لأن من استقبل أمراً وسعى فيه بعد عما يضاده وأدبر عنه.

السادسة والثلاثون: وقاره في الزلازل، وكفى بها عن الأمور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب وأحوال الناس، والوقار ملكة تحت الشجاعة.
السابعة والثلاثون: كثرة صبره في المكاره، وذلك عن ثباته وعلو همته عن أحوال الدنيا.

الثامنة والثلاثون: كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبه المنعم الأول جلّت قدرته فيزداد شكره في رخائه وإن قلّ.

التاسعة والثلاثون: كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي إليهما وهو البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه.

الأربعون: كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحب، إما باعطائه ما لا يستحقّ أو دفع ما يستحقّ عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وأمراء الجور، فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه وهو المحبة لمن يحبّه، بل يكون على فضيلة العدل في الكلّ على السواء.

الحادية والأربعون: اعترافه بالحقّ قبل أن يشهد عليه، وذلك لتحزّزه في دينه من الكذب، إذ الشهادة إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحقّ وذلك كذب.

الثانية والأربعون: كونه لا يضيع أماناته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه، وذلك لورعه ولزوم حدود الله.

الثالثة والأربعون: ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وأمثاله ولا يترك العمل بها، وذلك لمداومة ملاحظتها وكثرة إخطارها بباله والعمل لعنايته المطلوبة منه.

الرابعة والأربعون: ولا يتأبى بالألقاب، وذلك لملاحظته النهي في الذكر الحكيم: «وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ»^{١٠٧٣} ولست ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزماً لإثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع.

الخامسة والأربعون: ولا يضارّ بالجار لملاحظة وصية الله— تعالى— به: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ»^{١٠٧٤} ووصية رسول الله— صلى الله عليه وآله— في المرفوع إليه: «أوصاني ربي بالجار حتى ظننت أنه يؤمره»، ولغاية ذلك وهي الألفة والاتحاد في الدين.

السادسة والأربعون: ولا يشمت بالمصائب، وذلك لعلمه بأسرار القدر وملاحظته لأسباب المصائب وأنه في معرض أن تصيبه فيتصور أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره.

السابعة والأربعون: أنه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق، أي لا يدخل فيما يبعد عن الله— تعالى— من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب إليه من مطالبه الحق، وذلك لتصوّر شرف غايته.

الثامنة والأربعون: كونه لا يغمّ صمته لوضعه كلاً من الصمت والكلام في موضعه وإنما يستلزم الغمّ الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه.

التاسعة والأربعون: كونه لا يعلو ضحكك، وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه؛ ومما نقل من صفات الرسول— صلى الله عليه وآله—: كان أكثر ضحكك التبسم وقد يفتّر أحياناً ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان للضحك. الخمسون: صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام الله له، وذلك منه نظراً إلى ثمرة الصبر إلى الوعد الكريم [في قوله— تعالى—]: «ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَتِئْضُرَّهُ اللَّهُ»^{١٠٧٥} وقوله: «وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»^{١٠٧٦}.

الحادية والخمسون: كون نفسه منه في عناء، أي نفسه الأمانة بالسوء لمقاومته لها وقهرها ومراقبته إياها والناس من أذاه في راحة لذلك .

الثانية والخمسون: كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما في أيدي الناس و نزاهته عنه، لاعتن كبر وتعظم عليهم؛ وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم، للمكرهم وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار.

وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها، ولكن تورد بعبارة أخرى أو تذكر مفردة ثم تذكر ثانياً مركبة مع غيرها. ١٠٧٧

١٩٤ - (٢٧) طَبَقُ الْمَعَالِمِ

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ^(٢٧٠٧) عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ،
وَنَسَأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا ، وَبِحَبْلِهِ أَعْتَصَمًا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ^(٢٧٠٨) ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ
غُصَّةٍ^(٢٧٠٩) . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَذْنُونُ^(٢٧١٠) ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ^(٢٧١١) ،
وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا^(٢٧١٢) ، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونٌ رَوَّاحِلُهَا ،
حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا ، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ^(٢٧١٣) الْمَزَارِ .
أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ

الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ^(٢٧١٤) ، يَتَلَوْنُونَ أَلْوَانًا ، وَيَفْتَتِنُونَ
 أَفْتِنَانًا^(٢٧١٥) ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ^(٢٧١٧) وَيَرْضُدُونَكُمْ^(٢٧١٨)
 بِكُلِّ مِرْصَادٍ^(٢٧١٩) . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ^(٢٧٢٠) ، وَصِفَاحُهُمْ^(٢٧٢١) نَقِيَّةٌ .
 يَمْشُونَ الْخَفَاءَ^(٢٧٢٢) ، وَيَدْبُونَ^(٢٧٢٣) الضَّرَاءَ . وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ
 شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ^(٢٧٢٤) أَلْعَاءُ^(٢٧٢٥) . حَسَدُهُ^(٢٧٢٥) الرَّخَاءُ ، وَمُؤَكَّدُو
 أَلْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ^(٢٧٢٦) ، وَإِلَى كُلِّ
 قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ^(٢٧٢٧) دُمُوعٌ . يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ^(٢٧٢٨) ،
 وَيَتَرَاقِبُونَ أَلْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا^(٢٧٢٩) ، وَإِنْ عَذَّلُوا^(٢٧٣٠) كَشَفُوا ،
 وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ،
 وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا . يَتَوَصَّلُونَ
 إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيَقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا^(٢٧٣١) بِهِ أَعْلَاقَهُمْ^(٢٧٣٢) .
 يَقُولُونَ فَيْشَبُّهُونَ^(٢٧٣٣) ، وَيَصِفُونَ فَيْمُوهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ،
 وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ^(٢٧٣٤) ، فَهُمْ لَمَّةٌ^(٢٧٣٥) الشَّيْطَانِ ، وَحَمَّةٌ^(٢٧٣٦) النَّيِّرَانِ :
 «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» .

بيان: «الغمرة» الرحمة من الماء والناس والشدة، و «خوضها» اقتحامها.
 قوله— عليه السلام— «وقد تلون» أي تغير أمارته ألواناً. و «تألب» أي تجمع عليه
 الأبعدون نسباً. قوله— عليه السلام— و «خلعت هذا» مثل سائر أي أوجفوا إليه
 مسرعين لمحاربتة، لأن الخيل إذا خلعت أعتتها كان أسرع لحربها. و «السحق»

البعث ١٠٧٨

١٩٥ - خطبة في يوم الجمعة

بحمد الله ويثني على نبيه ويعظ

حمد الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلَّالِ كِبَرِيَّائِهِ ، مَا حَبَّرَ
مَقْلَ (٢٧٣٧) الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ (٢٧٣٨)
النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ .

الشهادتان

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسُهُ ،
وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَائِمَسُهُ (٢٧٣٩) ، فَصَدَعَ (٢٧٤٠) بِالْحَقِّ ؛ وَنَصَحَ لِلخَلْقِ ،
وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ (٢٧٤١) ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

المظة

وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا ،

عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَنْجَحُوهُ ^(٢٧٤٢) ،
 وَاسْتَنْجَحُوهُ ^(٢٧٤٣) ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ ^(٢٧٤٤) ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ
 حِجَابٌ ، وَلَا أَغْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ
 حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ ؛ لَا يَثْلِمُهُ ^(٢٧٤٥) الْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ
 الْجَبَاءُ ^(٢٧٤٦) ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ ^(٢٧٤٧)
 شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِمِهِ صَوْتُ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَخْجَرُهُ هِبَةٌ
 عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُؤْلِيهِ ^(٢٧٤٨) رَحْمَةٌ عَنْ
 عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ ^(٢٧٤٩) الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ
 الْبُطُونِ . قُرْبَ فَنَائٍ ، وَعَلَا فَدَنًا ، وَظَهَرَ فَبَطْنٍ ، وَبَطْنٌ فَعَلَنَ ،
 وَدَانَ ^(٢٧٥٠) وَلَمْ يَدَنَّ . لَمْ يَذَرِ ^(٢٧٥١) الْخَلْقُ بِأَحْبِيَالٍ ^(٢٧٥٢) ، وَلَا اسْتَعَانَ
 بِهِمْ لِكَلَالٍ ^(٢٧٥٣) .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا الزَّمَامُ ^(٢٧٥٤) وَالْقِيَامُ ^(٢٧٥٥) ،
 فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ، تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانٍ ^(٢٧٥٦)
 الدَّعَةِ ^(٢٧٥٧) وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ ^(٢٧٥٨) الْحِرْزِ ^(٢٧٥٩) وَمَنَازِلِ الْغُرِّ
 «يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَفْطَارُ ، وَتُعْطَلُ فِيهِ
 صُرُومُ ^(٢٧٦٠) الْعِشَارِ ^(٢٧٦١) . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ،
 وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَدِلُّ الشَّمُ ^(٢٧٦٢) الشَّوَامِخَ ^(٢٧٦٣) ، وَالصَّمُ ^(٢٧٦٤)

الرَّوَّاسِخُ^(٢٧٦٥)، فَيَصِيرُ صَلْدَهَا^(٢٧٦٦) سَرَابًا^(٢٧٦٧) رَقْرَقًا^(٢٧٦٨)، وَمَعْهَدَهَا^(٢٧٦٩) قَاعًا^(٢٧٧٠) سَمْلَقًا^(٢٧٧١)، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةٌ تَدْفَعُ.

بيان: تشبيه التقوى بالزمَام إِمَّا لِأَنَّهَا المَانِعَةُ عَنِ الخَطَا والزَّلَلِ، أَوْ لِأَنَّهَا تَقُودُ إِلَى الجَنَّةِ، وَسَمَّاها قَوَامًا لِأَنَّهُ بِهَا تَقُومُ أُمُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. و«الْأَكْنَانُ» جَمْعُ «لَكَنٍ» وَهُوَ السَّرُّ. وَ«المَعْقِلُ» الْمُلْجَأُ، وَ«المَعَاقِلُ» الْحَصُونُ. وَ«الصُّرُومُ» جَمْعُ «صُرْمَةٍ» وَهِيَ الْقِطِيعَةُ مِنَ الْإِبِلِ نَحْوِ الثَّلَاثِينَ. وَ«الشَّمَمُ» مُحَرَّكَةٌ، ارْتِفَاعُ الْجَبَلِ، أَيْ تَذَلُّ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ وَالْأَحْجَارِ الثَّابِتَةِ. وَ«الصِّلْدُ» الصَّلْبُ الشَّدِيدُ. وَ«الرَّقْرَقَةُ» بَصِصُ الشَّرَابِ وَتَلَاؤُهُ. وَ«مَعْهَدَهَا» أَيْ مَا عَهْدُ مَنْزِلًا لِلنَّاسِ أَوْ مَسْكَنًا. وَ«القَاعُ» الْمُسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ. وَ«السَّمْلَقُ» الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَةُ الْجُرْدَاءُ الَّتِي لَا شَجَرَ فِيهَا. «فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ» أَيْ بَغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ، أَوْ لِلْكَافِرِينَ. ١٠٧٩

١٩٦ — وَمِنْ خُطَبِ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَةُ النَّبِيِّ

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ.

العظة بالزهد

أَوْصِيَكُمْ. عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ^(٢٧٧٢)، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاغِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ^(٢٧٧٣)،

تَمِيدُ^(٢٧٧٤) بِأَهْلِهَا مَيِّدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا^(٢٧٧٥) أَلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ
 الْبَحَارِ ، فَمِنْهُمْ أَلْغَرِقُ أَلْوَبِقُ^(٢٧٧٦) ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ ،
 تَحْفِزُهُ^(٢٧٧٧) الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
 فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَلَيْ مَهْلِكٍ !
 عِبَادَ اللَّهِ ، الْآنَ فَاعْلَمُوا ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ،
 وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ^(٢٧٧٨) ، وَالْمُنْقَلَبُ^(٢٧٧٩) فَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ
 إِرْهَاقِ^(٢٧٨٠) أَلْفَوْتِ^(٢٧٨١) ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا
 تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

بيان: «الساطع» المرتفع. ١٠٨٠

١٩٧ — وَمِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ

ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونبيه

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ^(٢٧٨٢) مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ - أَنِّي لَمْ أَرُدُّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ^(٢٧٨٣)
 بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ^(٢٧٨٤) فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا
 الْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً^(٢٧٨٥) أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا .

وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي . وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي ، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي . وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ^(٢٧٨٦) : مَلَأَ يَهْطُ ، وَمَلَأَ يَعْجُ ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً^(٢٧٨٧) مِنْهُمْ ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي صَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ فَانْفِذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ^(٢٧٨٨) . وَلَتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ . وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ^(٢٧٨٩) الْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ !

بيان: «استحفظته الشيء» أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و «المستحفظون» على بناء المفعول، المطلقون على أسرار الرسول - صلى الله عليه وآله - وسيرته، الصادقون في الشهادة، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا للأغراض الدنيوية. وقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنه - عليه السلام - يؤمِّي في قوله «لم أُرِدْ على الله... الخ» إلى أمور وقعت عن غيره. ١٠٨١ ثم ذكر أموراً كثيرة من مخالفات عمر و معارضاته لرسول الله - صلى الله عليه وآله -.

وقال في قوله - عليه السلام - «وَلَقَدْ وَاسَيْتَهُ بِنَفْسِي» يقال: «وَاسَيْتَهُ وَاسَيْتَهُ» وبالهزرة أفصح. وهذا مما اختص - عليه السلام - بفضيلته غير مدافع. ثبت معه يوم أحد وفرّ الناس، و ثبت معه يوم حنين وفرّ الناس. وثبت معه تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها قبله. ١٠٨٢ انتهى.

و قال الجوهري: «نكص ينكص» رجع. و «نجدة» منصوب على المصدر لفعل محذوف، و هي الشجاعة. «و إنَّ رأسه لعلى صدري» قيل: لعلَّ أسنده إلى صدره عند اشتداد علته، أو كان رأسه - صَلَّى الله عليه وآله - على ركبته فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه. و قد يقال: المراد بـ «سِلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس. و قيل: أراد بنفسه دمه، يقال: إنَّ رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله - قاء عند وفاته دمًا يسيرًا و أنَّ عليًّا - عليه السلام - مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يختص دم الرسول - صَلَّى الله عليه وآله -.

و «الضجيج» الصياح عند المكروه، والجزع. و «الهيئة» الكلام الخفي لا يفهم. و «الصلاة» تحتمل الحقيقة والدعاء. و انتصاب قوله «حيًّا وميتًا» بالحالية من الضمير المجرور في «به»، لاعن الضمير في «متي» كما لا يخفى. قوله - عليه السلام - «فانفدوا» أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. و «الزلّة» الموضع الذي يزل فيه الإنسان كالزلزلة. ١٠٨٣

توضيح: «المستحفظون» الضابطون لأحوال النبي - صَلَّى الله عليه وآله - المطلقون على سيرته، أو علماء الصحابة لأنهم استحفظوا الكتاب والسنة. و «النجدة» الشجاعة. و «الهيئة» الكلام الخفي لا يفهم. ١٠٨٤

بيان: «الهيئة» الكلام الخفي لا يفهم. ١٠٨٥

- ١٠٨٣ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كمباني و ص ٦٣٩، ط تبريز.
 ١٠٨٤ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٨، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣١٨.
 ١٠٨٥ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢٢، كتاب تاريخ نبينا - صَلَّى الله عليه وآله -، ص ٥٤٠.

١٩٨ - (خطبته عليه السلام)

منه على إحاطة علم الله بالجزئيات ، ثم بحث على التقوى ،
وبيّن فضل الإسلام والقرآن

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ،
وَأَخْتِلَافَ النَّيَّانِ^(٢٧٩٠) فِي الْبَحَارِ الْغَامِرَاتِ ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّبَاحِ
الْعَاصِفَاتِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ^(٢٧٩١) ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ،
وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

الوصية بالتقوى

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ
يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوُهُ
قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ^(٢٧٩٢) . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ
قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ
فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ ،
وَأَمْنُ فِرَاحِ جَاشِكُمْ^(٢٧٩٣) ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلُمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ
شِعَارًا^(٢٧٩٤) دُونَ دِنَارِكُمْ^(٢٧٩٥) ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ
أَصْلَاعِكُمْ ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا^(٢٧٩٦) لِحِينِ وُرُودِكُمْ ،
وَشَفِيعًا لِدَرْكِ^(٢٧٩٧) طَلِبَتِكُمْ^(٢٧٩٨) ، وَجَنَّةً^(٢٧٩٩) لِيَوْمِ فِرَاحِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ

لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ . وَسَكَنًا لِبُطُولِ وَخَشَتِكُمْ ، وَنَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ .
فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفَةٍ . وَمَخَافَ مَتَوَقِّعَةٍ ، وَأَوَارٍ^(٢٨٠٠)
نِيرَانِ مُوقَدَةٍ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ^(٢٨٠١) عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ ذُنُوهَا ،
وَأَحْلَوَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارِئِهَا . وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَائِكُمِهَا ،
وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا^(٢٨٠٢) . وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ
قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ^(٢٨٠٣) عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ
بَعْدَ نُضُوبِهَا^(٢٨٠٤) . وَوَبَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِزْدَاذِهَا^(٢٨٠٥) .

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ . وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَآمَنْتُمْ
عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ . وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ
طَاعَتِهِ .

فضل الاسلام

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَصْطَفَعَهُ عَلَى
عَيْنِهِ . وَأَصْطَفَاهُ^(٢٨٠٦) خَيْرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ . أَذَلَّ الْأَدْيَانَ
بِعِزَّتِهِ . وَوَضَعَ الدِّمَالِ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ . وَخَدَلَ مُحَادِّدِهِ^(٢٨٠٧)
بِنَصْرِهِ . وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ^(٢٨٠٨) . وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ
حَيَاضِهِ . وَأَتَقَى^(٢٨٠٩) الْخِيَاضَ بِمَوَاتِجِهِ^(٢٨١٠) . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا أَنْفِصَامَ

لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ . وَلَا أَنهْدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ،
وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمَدَنِيَّتِهِ . وَلَا عَفَاءً ^(٢٨١١) لِشَرَائِعِهِ ،
وَلَا جَذًّا ^(٢٨١٢) لِفُرُوعِهِ . وَلَا ضَنْكًا ^(٢٨١٣) لِبُطْرِقِهِ . وَلَا وُعُوثَةً ^(٢٨١٤)
لِسُهُولَتِهِ . وَلَا سَوَادَ لِبُوضَحِهِ ^(٢٨١٥) ، وَلَا عِوَجَ لِنَتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ ^(٢٨١٦)
فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ ^(٢٨١٧) لِفَجِّهِ ^(٢٨١٨) . وَلَا أَنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا
مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ ^(٢٨١٩) فِي الْحَقِّ أَسَاخُهَا ^(٢٨٢٠) ،
وَتَبَّتْ لَهَا آسَاسُهَا . وَيَنَابِيعُ غَزَرَتْ عُيُونُهَا . وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ
نِيرَانُهَا ^(٢٨٢١) . وَمَنَارٌ ^(٢٨٢٢) أَقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا ^(٢٨٢٣) . وَأَعْلَامٌ ^(٢٨٢٤)
قَصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا . وَمَنَاهِلُ رَوَى بِهَا وَرَادُهَا . جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى
رِضْوَانِهِ ، وَذُرُوءَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ،
رَفِيعُ الْبَنِيَانِ . مُنِيرُ الْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ النَّيِّرَانِ . عَزِيزُ السُّلْطَانِ .
مُشْرِفُ الْمَنَارِ ^(٢٨٢٥) . مُعَوِّذُ الْمَنَارِ ^(٢٨٢٦) . فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ
حَقَّهُ ، وَصَعُّوهُ مَوَاضِعُهُ .

بيان: «الاصطفاء» الاختيار. أي اختاره لأن يكون طريقاً إلى طاعته و
سبيلاً إلى جنته. و «الاصطناع» افتعال من «الصنيعة» وهي العطية والكرامة
والاحسان. و «اصطنعه» أي اختاره و اتخذها صنيعة و «اصطنع خاتماً» أي أمر أن
يصنع له. وقال بعض شراح النهج: تقول: «اصنع لي كذا علي عيني» أي اصنع
صنعة كالتي تصنعها وأنا حاضر أشهدها بعيني: فالمعنى: أمر بأن يصنع الاسلام
كالصنوع المشاهد للأمر أي أسس قواعده على ما ينبغي و على علم منه بدقائقه. و

قبل: أي على علم منه بشرفه وفضله. وقيل: أي اختاره أو أمر بأن يصنع حافظاً له كما يقال في الدعاء بالحفظ والحيطة: «عين الله عليك». و«على» يفيد الحال على الوجه. و«اصطفيت الشيء» أي أثرته و«اصطفيت الود» أي أخلصته.

«و أصفاه خيرة خلقه» أي أثر و اختار للبعثة به خيرة خلقه، أو جعل خيرة خلقه خالصاً لتبليغه دون غيره. و «الخيرة» بالكسر و كعنية، الاسم من «الاختيار». و «الدعامة» بالكسر، عماد البيات. والضمير في «محبته» للإسلام أو لله. و «ذلة الأديان» نسخها، أو المراد ذلة أهلها. وكذا «وضع الملل» وهو الحظ ضد الرفع يحتملها. و «خذله» — كنصره — ترك نصرته. و «المحاداة» المخالفة ومنع ما يجب عليك من الحد بمعنى المنع. و «ركن الشيء» حانبه الذي يستند إليه ويقوم به، و «أركان الضلالة» العقائد المضلّة أو رؤساء أهل الضلال أو الأصنام. و «ركن» أصوله وقواعده أو النبي — صلى الله عليه وآله — أو كلمة التوحيد. و «حياضه» قوانينه أو النبي والأئمة — صلوات الله عليهم — أو العلماء أيضاً وماءها العلم والهداية. و «تق الحوض» — كفرح — أي امتلأ، و «أتأقه» أملاه. و «الماتح» المستقي الذي يستخرج الدلو. و «الحياض» هنا المستفيدون و «مواتحه» الأئمة الآخذون شرائعه عن النبي — صلى الله عليه وآله — أو المستنبطون من القرآن، أو العلماء المستنبطون معالم الكتاب والسنة بأفكارهم، أو الآخذون عن النبي والأئمة — عليهم السلام — و يحتمل أن يراد بالحياض القواعد والمواتح المؤسسون لها بأمر الله المبينون لها للمستضيئين بأنوارهم؛ أو يراد بالحياض أولي العلم — عليهم السلام — الذين ملأ الله صدورهم من زلال المعرفة والهداية و بالمواتح المبلغون عن الله من الملائكة وروح القدس والالهامات الربانية.

و «الانقسام» الانكسار أو من غير إبانة، و «العروة» من الدلو والكوز المقبض. و «الفك» الفصل. و «العفاء» الدروس و ذهاب الأثر. و «الشرية» ما شرع الله لعباده أي سنّ وأوضح. و «الجدّ» بالجيم والذال المعجمة، القطع أو القطع المستأصل؛ وفي بعض النسخ بالحاء المهملة وهو القطع، وفي بعضها بالجيم والذال

المهملة و هو القطع أيضاً والفعل في الجميع كـ «مذ»، و «الضنك» الضيق. و «وعوثة الطريق» تعسر سلوكه، وأصله من «الوعث» و هو الرمل، والمشي فيه يشتت ويشقّ و منه «وعثاء السفر» لشدة و مشقته، وعن النبي — صلى الله عليه وآله —: «بعثت إليكم بالحنيفية السمحة السهلة البيضاء».

و «الوَصَح» بالتحريك، البياض و بياض الاسلام صفاءه عن كدر الباطل. و «نصبت الشيء» أي أقمته ورفعته فانصب. و «العَصَل» بالتحريك، الاستواء والاعوجاج أو الاعوجاج في صلابة. و «الفَج» الطريق الواسع بين الجبلين. و «طفئت النار — كفرح — و انطفأت» أي ذهب لها.

و «حلاوة الدين» لذة القرب من الله والنعم الدائم. و «ساخ الشيء في الأرض» أي غاب و غار. و «السينخ» بالكسر الأصل. و «الأساس» — كسحاب — أصل البناء. و «الينبوع» العين ينبع منه الماء أي يخرج، وقيل: الجدول الكثير الماء و هو أنسب. و «غزر العين» — ككرم — أي كثر ماؤه. و «شبت النار» على المعلوم والمجهول، توقدت، لازم متعة، ولا يقال: «شابة» بل مشبوبة، و في النسخ على المجهول. و «النيران» جمع «نار». و «المنار» جمع «منارة» و هو العلم يهتدى به، و قيل: «المنار والمنارة» موضع النور. و «سفر الرجل» — كنصر — أي خرج للارتحال فهو سافر. و «الفَج» الطريق الواسع الواضح بين جبلين. و «المنهل» المشرب والموضع الذي فيه المشرب، و «روي» — كرضي — ضد العطش. و «الوزاد» الذين يردون الماء ضد الصادرين. و «دُرُوة الشيء» بالضم والكسر، أعلاه؛ و كذلك «السنام» — كسحاب — مأخوذ من سنام البعير. و «الوثيق» المحكم الثابت. و «ركن الشيء» بالضم جانبه. و «البنيان» ما بين ومصدر «بنيت الدار وغيره». و «البرهان» الحجة. و «العزة» القوة والغلبة و ضد الذلة. و «السلطان» يحتمل الحجة والسلطنة. و «أشرف الموضع» أي ارتفع. و «أعوزه الشيء» أي احتاج إليه فلم يقدر عليه و «أعوز فلان» إذا افتقر و «أعوزه الدهر» أي أحوجّه.

و «ثار الغبار» هاج و سطع، و «ثاربه الناس» وثبوا عليه، و «ثار فلان إلى

الشر» أي نهض، و «المثار» الموضع والمصدر. قيل: أي يعجز الناس إثارةه وإزعاجه لقوته وثباته، وقال بعضهم: أي يعجز الخلق إثارة دفائنه وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاؤها، و روى بعض: «معوز المثل» باللام، أي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله.

«فشرفوه» أي عذوه شريفاً واعتقدوه كذلك، و كذلك عظموه. و «أداء حقه» الاتباع الكامل. و «وضعه مواضعه» الكف عن تغيير أحكامه والعلم بمرتبه و مقداره الذي جعله الله له، أو العمل بجميع ما تضمنته من الأوامر والنواهي. ١٠٨٤

الرسول الاعظم

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ . وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ ^(٢٨٢٧) ، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ ، وَخَشَنَ مِنْهَا مِهَادٌ ^(٢٨٢٨) . وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ ^(٢٨٢٩) ، فِي أَنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ، وَأَقْتَرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا ^(٢٨٣٠) ، وَتَصَرُّمٍ ^(٢٨٣١) مِنْ أَهْنِهَا ، وَأَنْفِصَامٍ ^(٢٨٣٢) مِنْ خَلْقَتِهَا . وَأَنْتِشَارٍ ^(٢٨٣٣) مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا ^(٢٨٣٤) ، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا .

جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ . وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ .

بيان: «على ساق» أي على شدة. و «المهاد» الفراش. قوله — عليه السلام — «و أرف منها قياد» أي قرب منها انقياد للانقطاع والزوال. و «أشراط الساعة» علاماتها. و «التصرم» الانقضاء. و «الانفصام» الانقطاع. و كتى بالحلقة عن نظامها و اجتماع أهلها بالنواميس والشرائع. و «السبب» كل شيء يتوصل به إلى غيره، و انتشاره كناية عن فساد أسباب ذلك النظام. و «العفاء» الدروس والهلاك. و يمكن أن يكون المراد بالأعلام العلماء والصلحاء. قوله «من طولها» أي من امتدادها، و قرئ الطول بكسر الطاء وفتح الواو بمعنى الحبل. ١٠٨٧

القرآن الكريم

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو^(٢٨٣٥) تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَا جَا^(٢٨٣٦) لَا يُفْصِلُ نَهْجَهُ^(٢٨٣٧) ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بَرْهَانُهُ ، وَبَيِّنَاتٍ لَا تُهْذِمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتِهِ^(٢٨٣٨) ، وَنَبَاطِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ^(٢٨٣٩) الْعَدْلِ وَغَدْرَانُهُ^(٢٨٤٠) ، وَأَنَا فِي^(٢٨٤١) الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغَيْطَانُهُ^(٢٨٤٢) . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ^(٢٨٤٣) ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ^(٢٨٤٤) ، وَمَنَاهِلُ^(٢٨٤٥) لَا يَغِيضُهَا^(٢٨٤٦) أَلْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ^(٢٨٤٧) لَا يَجُوزُ عَنْهَا^(٢٨٤٨) الْقَاصِدُونَ .

جَعَلَهُ اللَّهُ رِبًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، وَرَبِّعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجٍّ ^(٢٨٤٩)
لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ،
وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ . وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ . وَسَلَامًا
لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنْ أَتَمَّ بِهِ . وَعُذْرًا لِمَنْ أَنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا
لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلَجًا ^(٢٨٥٠) لِمَنْ حَاجَّ بِهِ .
وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجَنَّةً ^(٢٨٥١)
لِمَنْ أَسْتَلَامَ ^(٢٨٥٢) ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا
لِمَنْ قَضَى ^(٢٨٥٣) .

١٩٩ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا
بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى
جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ » قَالُوا : لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصْلِينَ . وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّى ^(٢٨٥٤) الْوَرَقِ ، وَتُطْلَقُهَا
إِطْلَاقَ الرَّبَقِ ^(٢٨٥٥) ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -
بِالْحِمَّةِ ^(٢٨٥٦) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ

وَاللَّيْلَةَ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ^(٢٨٥٧) ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَصِيبًا ^(٢٨٥٨) بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « وَأَمُرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرُ عَلَيْهَا » ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

توضيح: «الحَتَّ» نثر الورق من الغصن. و «الربق» جمع «الريقة» وهي في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة ويدها يمسكها، ذكره الجزري؛ أي تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة.

و قال في العين: «الحَمَّة» عين ماء حارّ. وقيل: التاء في «إقامة» عوض عن العين الساقطة للإعلال، فإن أصله «إقوام» مصدر «أَقَوَمَ» كقولك «أعرض إعراضاً» فلما أُضيف أُقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء. قوله— عليه السلام — «و يصبر عليها نفسه» أي يجبس، قال— تعالى —: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» (النور: ٣٧). ^{١٠٨٨}

الزكاة

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَارًا وَوِقَايَةً .

فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُوتٌ^(٢٨٥٩) الْأَجْرَ ، ضَالٌّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

الامانة

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ^(٢٨٦٠) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ . فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنْ الْعُقُوبَةِ . وَعَقَلْنَا مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَوْعَفُ مِنْهُمْ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، « إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » .

علم الله تعالى

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ^(٢٨٦١) فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطْفَ بِهِ خَبْرًا^(٢٨٦٢) ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَصَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ^(٢٨٦٣)

٢٠٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معاوية

وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ
الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ
كُفْرَةٌ . « وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءُ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَاللَّهُ مَا أَسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أَسْتَغْمِرُ بِالشَّدِيدَةِ (٢٨٦٤)

بيان: «الغمر» العصر باليد والكبس، أي لا ألتجئ بالخطب الشديد، بل
أصبر عليه: ويروى بالراء المهملة، أي لا أستجمل بشدائد المكارة. ١٠٨٩

٢٠١ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يعظ بسلوك الطريق الواضح

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ
قَدْ أَجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرُّضَى وَالسُّخْطُ (٢٨٦٥) . وَإِنَّمَا عَقَرَ
نَاقَةَ ثُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوْهُ بِالرُّضَى ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ (٢٨٦٦)

أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُورَ السَّكَّةِ الْمُحَمَّاةِ^(٢٨٦٧) فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ^(٢٨٦٨)

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التَّيِّهِ !

بيان: لما كانت العادة جارية بأن يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق لاسيما إذا كان طويلاً صعباً غير مأنوس، فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وكتى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنهم ليسوا على الحق لقلتهم وكثرة مخالفهم، كما أشرنا إليه.

و أيضاً قلة العدد في الطرق الحسية مظنة الهلاك والسلامة مع الكثرة، فنبههم — عليه السلام — على أنهم في طريق الهدى والسلامة وإن كانوا قليلين، ولا يجوز مقايضة طرق الآخرة بطرق الدنيا.

ثم نبه على علة قلة أهل طريق أهل الهدى وهي اجتماع الناس على الدنيا فقال: «فإن الناس»، واستعار للدنيا المائدة لكونها مجتمع اللذات، وكتى عن قصر مدتها بقصر شعبها، وعن استعقاب الانهماك فيما للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها.

قيل: و لفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت إلى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية وهو بسبب الغفلة في الدنيا، فلذلك نسب الجوع إليها. ١٠٩٠

بيان: «الخوار» صوت البقر. و «السكة» هي التي يحرث بها. و «المحماة» أقوى صوتاً وأسرع غوصاً. ١٠٩١

١٠٩٠ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الإيمان والكفر، ص ١٥٨.

١٠٩١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، كتاب النبوة، ص ٣٧٩.

٢٠٢ - مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي به
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي ، وَعَنْ أَبْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ،
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ! قُلْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ
عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنْ فِي النَّاسِي ^(٢٨٦٩) لِي بِعَظِيمٍ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ ^(٢٨٧٠)
مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزُّ ^(٢٨٧١) ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةٍ ^(٢٨٧٢) قَبْرِكَ ،
وَقَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، « فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .
فَلَقَدْ اسْتُرْجَعْتَ الْوَدِيعَةَ ، وَأَخَذْتَ الرَّهِيْنَةَ ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا
لَيْسِي فَمُسَهَّدٌ ، ^(٢٨٧٣) إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ .
وَسَتُنَبِّئُكَ أَبْنَتُكَ بِتَضَافِرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا ^(٢٨٧٤) ، فَأَخْفِهَا ^(٢٨٧٥) السُّوَالُ ،
وَأَسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ؛ هَذَا وَلَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٍ ، لَا قَالَ ^(٢٨٧٦) وَلَا سَيِّمٍ ^(٢٨٧٧) ، فَإِنْ
أَنْصَرَفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ
الصَّابِرِينَ .

٢٠٣ - وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

في التزميد من الدنيا والترغيب في الآخرة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ^(٢٨٧٨) ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتَكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا ، وَلَا تَخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرَضًا عَلَيْكُمْ .

٢٠٤ - وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ ^(٢٨٧٩) عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةَ كَوْودًا ^(٢٨٨٠) ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةٍ مَهُولَةٍ ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَةِ ^(٢٨٨١) نَحْوَكُمْ دَانِيَةً ^(٢٨٨٢) ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ ^(٢٨٨٣) فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ ، وَمُعْضَلَاتُ الْمَخْذُورِ . فَقَطِّعُوا عَلَانِيَةَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا ^(٢٨٨٤)

بِرَازِدِ التَّقْوَى .

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

٢٠٥ —

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها ،
والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا ^(٢٨٨٥) يَسِيرًا ، وَأَرْجَأْتُمَا ^(٢٨٨٦) كَثِيرًا . أَلَا تُخْبِرَانِي ،
أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ ؟ أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُ
عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ ، أَمْ
جَهَلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ !

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي أَلْوَلِيَّةِ إِرَبَةٌ ^(٢٨٨٧) ،
وَلَكِنِّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضْتُ إِلَيَّ نَظَرْتُ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَنَّ
النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَاقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَخْتَجْ فِي ذَلِكَ
إِلَى رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهَلْتُهُ ، فَاسْتَشِيرَكُمَا
وَلَا خَوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ، وَلَا عَنْ
غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوفَةِ ^(٢٨٨٨) ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ
أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ

رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَخْتَجْ
إِلَيْكُمْ فِيمَا قَدْ فُرِغَ اللَّهُ مِنْ قَسَمِهِ ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ
لَكُمْ ، وَاللَّهُ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمْ فِي هَذَا عُنْتِي^(٢٨٨٩) . أَخَذَ اللَّهُ
بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهِمَّ وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ .
ثم قال عليه السلام : رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ
رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

توضيح: قال في النهاية: «نقم» إذا بلغت به الكراهة حد السخط. وقال
ابن أبي الحديد: أي نقمتما من أحوالي السير وتركنا الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما
فيه مطعن فلم تذكراه، فهلاً اغتفرتما السير للكثير؟ وليس هذا اعترافاً بأن مانقماه
موضع الطعن والعيب، ولكنه على جهة الاحتجاج.^{١٠٩٢}

و قال ابن ميثم: أشار بالسير الذي نقماه إلى ترك مشهورتها و تسويتها
لغيرهما في العطاء، فإنه وإن كان عندهما صعباً فهو لكونه غير حق في غاية السهولة.
والكثير الذي أرجاه ما أخره من حقه ولم يوفياه إياه.^{١٠٩٣}

وقيل يحتمل أن يريد أن الذي أبدياه ونقماه بعض ممّا في أنفسهما، وقد
دلّ ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهرا.

و «الاستئثار» الانفراد بالشيء. ودفع الحق عنها أغم من أن يصير إليه—
عليه السلام— أو إلى غيره أو لم يصير إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال. و «الاستئثار
عليها به» هو أن يأخذ حقهما لنفسه. و جهل الحكم أن يكون الله قد حكم بحرمة
شيء فأحلّه الإمام، و جهل الباب^{١٠٩٤} أن يصيب في الحكم و يخطئ في الاستدلال؛

١٠٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٨، ط بيروت.

١٠٩٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٠، ط بيروت.

١٠٩٤- كذا، والصواب هو أن يكون: وخطأ الباب.

أو يكون جهل الحكم بمعنى التحيز فيه وأن لا يعلم كيف يحكم والخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع، و«الإربة» بالكسر، الحاجة. و«الأسوة» بالضم والكسر، القدوة، أي أسوتكما بغيركما في العطاء. ويقال للأمر الذي لا يحتاج إلى تكميل: مفروغ منه و«العتبي» الرجوع من الذنب والإساءة. ١٠٩٥

٢٠٦ — وَمِنْ أَعْمَالِهِمُ

وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حريم بصفين
 إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ،
 وَذَكَّرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَضَوَّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ
 مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اَللّٰهُمَّ أَحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا
 وَبَيْنَهُمْ ، وَأَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهَلَهُ ،
 وَيَرْعَوْيَ^(٢٨٩٠) عَنِ الْغِيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ^(٢٨٩١) .

بيان: قوله— عليه السلام— «و أبلغ في العذر» أي العذر في القتال معهم،
 أو في إتمام الحجة عليهم وإبداء عذر الله— تعالى— في عقابهم. وفي النهاية: «حقنت
 دمه» إذا منعت من قتله. و«أراقته» أي جمعته له وحبسته عليه. و«يرعوي» أي
 يرجع ويكف. و«اللهج بالشيء» الولوع به، و«قد لهج» بالكسر، أغري به. ١٠٩٦

١٠٩٥— بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كمباني وص ٣٧٦، ط تبريز.

١٠٩٦— بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كمباني وص ٤٧٢، ط تبريز.

٢٠٧ — وَمَنْ كَانَتْ أَعْيُنُهُ عَلَى الْغُلَامِ مُطْمَئِنَّةً

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب
أَمْلِكُوا^(٢٨٩٢) عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِيَنِي^(٢٨٩٣) ، فَإِنِّي أَنفَسُ^(٢٨٩٤)
بِهَٰذَيْنِ - يَغْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى الْمَوْتِ لِثَلَا
يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .
قال السيد الشريف : وقوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام
وافصح .

بيان: في أكثر النسخ: « املكوا » بفتح الهمزة. وقال ابن أبي الحديد: الألف
في « املكوا » ألف وصل لأن الماضي ثلاثي من « ملكت الفرس والدار أملك »
بالكسر، أي احجروا عليها كما يحجر المالك على مملوكه. و « عن » متعلقة بمحذوف،
تقديره: استولوا عليه وأبعدوه عني. ولما كان الملك سبب الحجر عتبر بالسبب عن
المستبب. ووجه علو هذا الكلام وفصاحته أنه لما كان في « املكوا » معنى البعد
أعقبه بـ « عن »، وذلك أنهم لا يملكونه دونه — عليه السلام — إلا وقد أبعدوه
عنه. ١٠٩٧

قوله — عليه السلام — « يهديني » أي لثلاث يهديني، و « هذ البناء » كسره و
« نفست به » بالكسر، أي بخلت به. ١٠٩٨

٢٠٨ — وَمَنْ كَانَتْ أَعْيُنُهُ عَلَى الْغُلَامِ مُطْمَئِنَّةً

قَالَ لَمَّا اضْطَرْبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي أَمْرِ الْحُكُومَةِ
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحِبُّ ، حَتَّى نَهَكْتُمْ^(٢٨٩٥)

١٠٩٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥، ط بيروت.

١٠٩٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كمباني و ص ٤٧٢، ط تبريز.

الْحَرْبُ ، وَقَدْ ، وَاللَّهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكْتَ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ .
لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِي أَمِيرًا ، فَأَضْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَكُنْتُ أَمْسِي
نَاهِيًا ، فَأَضْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ
أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ !

بيان: قال الجوهري: «نهكت الثوب— بالفتح— نهكاً» لبسته حتى خلق،
و «نهكت من الطعام» بالغت في أكله و «نهكته الحمى» إذا جهده وأضنته و
نقضت لحمه؛ وفيه لغة أخرى: نهكته الحمى— بالكسر— تنهكه نهكاً و نهكه.
قوله— عليه السلام— «و تركت» أن لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقية. «و هي
لعدوكم أنهك» لأن القتل في أهل الشام كان أشد استحراراً، والوهن فيهم أظهر.
قوله— عليه السلام— «و ليس لي أن أحلكم» أي لاقدرة لي عليه و إن كان يجب و
عليكم إطاعتي. ١٠٩٩

٢٠٩ — وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي — وهو من أصحابه —
يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ
كُنْتَ أَخْوَجَ ؟ وَبَلَى ! إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ،
وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ^(٢٨٩٦) مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ، فَإِذَا أَنْتَ
قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له ؟ قال : لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا . قال : عليّ به . فلما جاء قال :

يَا عُدَيُّ^(٢٨٩٧) نَفْسِي ! لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ
وَوَلَدَكَ ! أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ! أَنْتَ
أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ !

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك !
قال : وَيَحَاكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ
الْعَدْلَ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ^(٢٨٩٨) بِضَعْفَةِ النَّاسِ ، كَيْلًا يَتَّبِعُ^(٢٨٩٩)
بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ !

بيان: قوله «كنت أحوج»، «كنت» ههنا زائدة، مثل قوله— تعالى—: «مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ ضَبِيًّا»^{١١٠٠}. و«مطالع الحقوق» وجوها الشرعية. قوله— عليه السلام— «عليّ به» أي أحضره، والأصل: أعجل به عليّ، فحذف فعل الأمر ودلّ الباقي عليه. و«العُدَيُّ» تصغير عدوّ، وقيل: إنّما صغره من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه، وقيل: أُريد به الاستعظام لعداوته لها، وقيل: خرج مخرج التحتن والشفقة كقولهم «يا بني». قوله «لقد استهام بك الخبيث» أي جعلك الشيطان هائماً ضالّاً، والباء زائدة. و«طعام جشِب» أي غليظ. و«تبتّع الدم بصاحبه» إذا هاج.^{١١٠١}

١١٠٠— مريم: ٢٩.

١١٠١— بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٣٦.

٢١٠ - وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ غَاثًا

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي الناس
من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكَذِبًا ، وَنَاسِيحًا وَمَنْسُوحًا ،
وَعَامًّا وَخَاصًّا . وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا . وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عَهْدِهِ ، حَتَّى قَامَ خَطِيبًا ،
فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .
وَأِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

المنافقون

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ^(٢٩٠٠) وَلَا
يَتَحَرَّجُ^(٢٩٠١) . يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -
مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ
يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ - رَأَاهُ . وَسَمِعَ مِنْهُ . وَلَقِيفَ عَنْهُ^(٢٩٠٢) ، فَيَاخُلُونَ
بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا
وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُنْمَةِ الضَّلَالَةِ ، وَالذُّعَاةِ

إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ .

الخطاطون

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ^(٢٩٠٣) فِيهِ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ !

اهل الضبهة

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

الصادقون الحافظون

وَأَخْرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ

لِلكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَهْمُ^(٢٩٠١) ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ^(٢٩٠٥) ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ^(٢٩٠٦) ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَعَلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

ل: أبي، عن علي، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر
اليماني وعمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عيث، عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت
لأمير المؤمنين - عليه السلام - : يا أمير المؤمنين! إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي

ذَرَّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ سَمِعْتَ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتَ مِنْهُمْ وَرَأَيْتَ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الْإِحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَنْتُمْ تَخَالِفُونَهُمْ فِيهَا وَتَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ؛ أَفْتَرَى النَّاسُ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مُتَعَمِّدِينَ وَيَفْتَرُونَ الْقُرْآنَ بَارِئَهُمْ؟
قال: فأقبل عليّ - عليه السلام - عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب!

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمُنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً وَحَكْماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً. وقد كذب على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - على عهده حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَبْتَئِمْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». ثُمَّ كَذَبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ.
إِنَّمَا أَتَاكُمْ الْحَدِيثُ مِنْ أَرْبَعَةٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرّج أن يكذب على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يَصْطَفَوْهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوا مِنْهُ فَأَخَذُوا مِنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ، فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ -: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَافُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ»^{١١٠٢}.

ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُنْمَةِ الضَّلَالِ وَالِدَعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَحَلَّوْهُمُ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَكَلُوا مِنْهُمْ الدُّنْيَا^{١١٠٣}، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَقَّعَ فِيهِ وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدِهِ يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُرْوِيهِ وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهُمْ لَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَوْ عَلِمَ هَوَاتِهِ وَهُمْ لَرَفَضُوهُ.

١١٠٢ - المنافقون: ٤.

١١٠٣ - وفي نسخة: وأكلوا بهم الدنيا.

ورجل ثالث سمع من رسول الله - صلى الله عليه وآله - شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه.

وأخر رابع لم يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وآله -، مبالغ للكدب خوفاً من الله - عز وجل - وتعظيماً لرسول الله لم يسه ١١٠٤، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ. وإن أمر النبي - صلى الله عليه وآله - مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله - صلى الله عليه وآله - الكلام له وجهان: فكلام عام وكلام خاص مثل القرآن، وقال الله - عز وجل - في كتابه: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ١١٠٥. فيشبهه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله، وليس كل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - يسأله عن الشيء فيفهم؛ كان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارقي فيسأل رسول الله - صلى الله عليه وآله - حتى يسموا. وكنت أدخل على رسول الله - صلى الله عليه وآله - كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها، أدور معه حيثما دار. وقد علم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما كان ذلك في بيتي ١١٠٦ يأتي رسول الله - صلى الله عليه وآله - أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عتي نساءه فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمة ولا أحد من بني. وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفيت مسائل ابتدائي. فأنزلت على رسول الله - صلى الله عليه وآله - آية من القرآن إلّا أقرأنها وأملأها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فأنسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ، وكتبته منذ دعا الله لي بما دعاه، وماترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام، أمر ولا نهى، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهى عن معصية إلّا علّمته وحفظته،

فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع - صلى الله عليه وآله - يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي إني منذ دعوت الله - عز وجل - لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لالست أخاف عليك النسيان ولا الجهل.

نهج، ف: مرسلاً مثله.

في: ابن عقدة ومحمد بن همام، وعبد العزيز وعبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس، عن رجالهم، عن عبد الرزاق، وحماد، عن معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم مثله.

ج: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد - عليها السلام - قال: خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - وساق الحديث... إلى أن قال:

فقال له رجل: إني سمعت من سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد أشياء من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وآله -.

ثم ذكر نحواً مما مر إلى قوله «حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئي فيسأله - صلى الله عليه وآله - حتى يسمعوها وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعلمهم في رواياتهم.

إيضاح: سيأتي الخبر بتمامه في باب العلة التي من أجلها لم يغير أمير المؤمنين - عليه السلام - بعض البدع. قوله - عليه السلام - «حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً» ذكر الصدق والكذب بعد الحق والباطل من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأن الصدق والكذب من خواص الخبر، والحق والباطل يصدقان على الأفعال أيضاً، وقيل: الحق والباطل هنا من خواص الرأي والاعتقاد والصدق والكذب من خواص النقل والرواية. قوله - عليه السلام - «محكماً ومتشابهاً» المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن ويطلق في الاصطلاح على ما اتضح معناه وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منها معاً وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وما لا يحتمل من

التأويل إلّا وجهاً واحداً، ويقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابهة. قوله — عليه السلام — «ووهماً» بفتح الهاء، مصدر قولك «وهمت» بالكسر، أي غلظت وسهوت؛ وقد روي: «وهماً» بالتسكين، مصدر «وهمت» بالفتح، إذا ذهب وهلك إلى شيء وأنت تريد غيره، والمعنى متقارب. قوله — عليه السلام — «فليتّبوا» صيغة الأمر ومعناه الخبر كقوله — تعالى —: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا»^{١١٧}. قوله — عليه السلام — «مبتصّع بالإسلام» أي متكلف له ومتدلّس به غير متصفّ به في نفس الأمر. قوله — عليه السلام — «لا يتأثم» أي لا يكف نفسه عن موجب الإثم، أو لا يعدّ نفسه آثماً بالكذب على رسول الله — صلى الله عليه وآله —، وكذا قوله «لا يتحرّج» من الحرج بمعنى الضيق. قوله — عليه السلام — «وقد أخبر الله — عزّ وجلّ — عن المنافقين» أي كان ظاهرهم ظاهراً حسناً وكلامهم كلاماً مزيفاً مدّلساً يوجب اغترار الناس بهم وتصديقهم فيما ينقلونه عن النبي — صلى الله عليه وآله — ويرشد إلى ذلك أنّه — سبحانه — خاطب نبيّه — صلى الله عليه وآله — بقوله: «وَإِذَا زَأْتَهُمْ تُعْجِلْ أَخْبَابَهُمْ»^{١١٨} أي لصباحتهم وحسن منظرهم «وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ»^{١١٩} أي تصغي إليه لذلّة ألسنتهم. قوله — عليه السلام — «فولوهم الأعمال» أي أئمة الضلال بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلطوهم على الناس. ويحتمل العكس أيضاً، أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا والين على الناس وصنعوا ماشاؤوا وابتدعوا ما أرادوا، ولكنّه بعيد.

قوله — عليه السلام — «ناسخ ومنسوخ» قال الشيخ البهائي — رحمه الله —: خبرتان لأنّ، أو خبر مبتدأ محذوف أي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، أو بدل من «مثل» وجّهه على البدلية من القرآن ممكن، فإنّ قيام البدل مقام المبدل منه غير لازم عند كثير من المحقّقين. قوله — عليه السلام — «وقد كان يكون» إسم كان ضمير الشأن ويكون تامّة وهي مع اسمها الخبر، وله وجهان: نعت للكلام لأنّه في حكم النكرة، أو حال منه، وإن جعلت «يكون» ناقصةً فهو خبرها. قوله — عليه السلام —

«وقال الله» لعل المراد أنهم لما سمعوا هذه الآية علموا وجوب اتباعه — صلى الله عليه وآله — ولما اشتبه عليهم مراده عملوا بما فهموا منه وأخطأوا فيه، فهذا بيان لسبب خطأ الطائفة الثانية والثالثة؛ ويحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان أن هذه الفرقة الرابعة المحقة إنما تتبعوا^{١١١٠} جميع ما صدر عنه — صلى الله عليه وآله — من الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، لأن الله — تعالى — أمرهم باتباعه في كل ما يصدر عنه. قوله — عليه السلام — «فيشبهه» متفرع على ما قبل الآية، أي كان يشبهه كلام الرسول — صلى الله عليه وآله — على من لا يعرف، ويحتمل أن يكون المراد أن الله — تعالى — إنما أمرهم باتباع الرسول — صلى الله عليه وآله — فيما يأمرهم به من اتباع أهل بيته والرجوع إليهم فإنهم كانوا يعرفون كلامه ويعلمون مرامه فاشتبه ذلك على من لم يعرف مراد الله — تعالى — وظنوا أنه يجوز لهم العمل بما سمعوا منه بعده — صلى الله عليه وآله — من غير رجوع إلى أهل بيته. قوله — عليه السلام — «ماعنى الله به» الموصول مفعول «لم يدر» ويحتمل أن يكون فاعل «يشبهه». قوله — عليه السلام — «ولا يستفهمه» أي إعظماً له. قوله — عليه السلام — «والطارئي» أي الغريب الذي أتاه عن قريب من غير أنس به وبكلامه، وإنما كانوا يحبون قدومها إما لاستفهامهم وعدم استعظامهم إياه أو لأنهم — صلى الله عليه وآله — كان يتكلم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم. قوله — عليه السلام — «فيخليني فيها» من «الخلوة» يقال: «استخلى الملك فأخلاه» أي سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل، أو من «التخلية» أي يتركني أدورمه. قوله — عليه السلام — «أدورمه حيثمدار» أي لا امنع عن شيء من خلواته، أدخل معه أي مدخل يدخل فيه وأسير معه أينما سار، أو المراد أنني كنت محروماً لجميع أسرارها قابلاً لعلومه، أخوض معه في كل ما يخوض فيه من المعارف وكنت أوافقه في كل ما يتكلم فيه وأفهم مراده. قوله — عليه السلام — «تأويلها وتفسيرها» أي بطنها وظهرها.^{١١١١}

١١١٠ - كذا، وهذا خطأ واضح والصواب أن يكون: أتبعوا.

١١١١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٣٢٨ - ٣٣٣.

٢١١ - وَفِي الْخَطْبِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ

في عجيب صنعة الكون

وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ
 مَاءِ الْبَحْرِ الرَّاخِرِ^(٢٩٠٧) الْمَتْرَاكِمْ الْمُتَقَاصِفِ^(٢٩٠٨) ، يَبَسًا جَامِدًا^(٢٩٠٩) ،
 ثُمَّ فَطَرَ^(٢٩١٠) مِنْهُ أَطْبَاقًا^(٢٩١١) ، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِنَاقِهَا^(٢٩١٢) ،
 فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ^(٢٩١٣) ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ^(٢٩١٤) . وَأَرَسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا
 الْأَخْضَرُ^(٢٩١٥) الْمُتَعَنِّجُ^(٢٩١٦) ، وَالْقَمَقَامُ^(٢٩١٧) . الْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ
 لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِيَخْشِيَتِهِ . وَجَبَلَ^(٢٩١٨)
 جَلَامِيدَهَا^(٢٩١٩) ، وَنُشُوزَ^(٢٩٢٠) مُتُونِهَا^(٢٩٢١) وَأَطْوَادَهَا^(٢٩٢٢) ، فَأَرَسَاهَا
 فِي مَرَاسِيهَا^(٢٩٢٣) ، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا^(٢٩٢٤) ، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ
 أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا^(٢٩٢٥) عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ^(٢٩٢٦)
 قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا^(٢٩٢٧) ، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا^(٢٩٢٨) ،
 وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا^(٢٩٢٩) ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا ، وَأَرَزَهَا^(٢٩٣٠) فِيهَا
 أَوْتَادًا ، فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مَنْ أَنْ تَمِيدَ^(٢٩٣١) بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ^(٢٩٣٢)
 بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ
 مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا ،

لَا يَسْرِي ، تُكَرِّكُهُ^(٢٩٣٤) الرِّيَّاحُ أَلْعَوَاصِفُ ، وَتَمَخُّضُهُ أَلْغَمَامُ
الدَّوَارِفُ^(٢٩٣٥) ؛ « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى » .

بيان: «الاعتذار على الشيء» القدرة عليه. و«الجبروت» فعلت من «الجبر» وهو القهر. و«البديع» بمعنى المبدع بالفتح. و«اللطيف» الدقيق. و«زخر البحر» — كمنع — أي تملأ وارتفع. و«المتراكم» المجتمع بعضه فوق بعض. و«تقاصف البحر» تزااحت أمواجه. وقال ابن أبي الحديد: «اليتس» بالتحريك، المكان يكون رطباً ثم ييس. قال الله — تعالى —: فَأَصْرَبَتْ لَهُمْ ظَرْباً فِي الْبَحْرِ يَبَساً^{١١١٢}. و«البيس» بالسكون، اليابس خلقته، يقال: «خطب ييس» وهكذا يقول أهل اللغة، وفيه كلام لأن الخطب ليس يابساً خلقته بل كان رطباً من قبل، والأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلا في المكان خاصة^{١١١٣}. انتهى.

و«الجامد» ضدّ الذائب، والمراد بالبيس الجامد الأرض. و«القطر» بالفتح، الخلق والإنشاء. و«الأطباق» بالفتح، جمع «طبق» بالتحريك، وهو غطاء كل شيء، والطبق أيضاً من كل شيء ما ساواه. وقوله — عليه السلام — «ففتقها» إشارة إلى قوله — تعالى —: «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^{١١١٤}. وقد مرّت الوحوه في تفسيرها، وهذا ممّا يؤيد بعضها فتدكر. ويدلّ على حدوث السماوات وكونها أولى طبقات منفصلة في الحقيقة متصلة في الصورة بعضها فوق بعض، ففتقها وفرّقها وباعد بعضها عن بعض، فحصلت سبع سماوات متميّزات بينها أفضية للملائكة.

و«الاستمساك» الاحتباس والاعتصام، والغرض عدم تفرّقها كأن بعضها معتصم ببعض. و«قيامها على حذّه» كناية عن وقوفها على ماحذّه لها من المكان والمقدار والشكل والهيئة والنهايات والطبائع وعدم خروجها عن تلك. والضمير في

١١١٢- طه: ٧٧.

١١١٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٥٢، ط بيروت.

١١١٤- الأنبياء: ٣٠.

«حدّه» راجع إلى الله أو إلى اليبس.

وقال الكيدري: «الأخضر» الماء، والعرب تصفه بالخضرة. و«المتعجر» على صيغة اسم الفاعل كما في النسخ، السائل من ماء أو دمع، وفتح الجيم، وسط البحر، وليس في البحر ماء يشبهه؛ ذكره الفيروزآبادي.

وقال الجزري في حديث عليّ — عليه السلام —: «يحملها الأخضر المتعجر» هو أكثر موضع في البحر ماء، والميم والنون زائدتان. ومنه حديث ابن عباس: «فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المتعجر»، «القرارة» الغدير الصغير.

و«القمقام» بالفتح كما في النسخ وقد يضمّ، البحر، ويكون بمعنى السيد والأمر العظيم والعدد الكثير. و«المسخر» في بعض النسخ بالحاء المعجمة وفي بعضها بالجيم، في القاموس: «سجر النهر» ملأه و«تسجير الماء» تفجيره. والضمير في قوله — عليه السلام — «منه» راجع إلى ماء البحر أو إلى اليبس الجامد، فيكون الدخان الذي خلق منه السماوات مرتفعاً منه. و[الضمير] في «استمسكت» إلى الأطباق، أو إلى ما يرجع إليه الضمير في يحملها وهو اليبس الجامد والتأنيث لأنّ المراد به الأرض. و«أذعن له» أي خضع وانقاد. و«الجاري منه» أي السائل بالطبع، فوقوفه عدم جريانه طبعاً بارادته — سبحانه — أو السائل منه قبل إرادته وأمره بالجمود. ويحتمل أن تكون الضمائر في «ذلّ» و«أذعن» و«وقف» راجعة إلى الأخضر أو القمقام وهو أنسب بتذكير الضمير والجريان.

و«جبل» — كنصر وضرب — أي خلق. و«الجلمد» بالفتح و«الجلمود» بالضمّ، الحجر العظيم الصلب. و«النشز» بالفتح، المكان المرتفع والجمع «نشوز» بالضمّ. و«المتن» ماصلب من الأرض وارتفع. و«الطود» بالفتح، الجبل أو العظيم منه، والضمائر راجعة إلى الأرض المعبر عنها باليبس الجامد. و«أرسيها» أي أثبتّها «في مراسيها» أي في مواضعها المعينة بمقتضى الحكم الإلهية. و«القرارة» موضع القرار. و«رست» أي ثبتت؛ وفي بعض النسخ: «رست» يقال: «رست» —

كنصر — إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت. ويقال: «نهدثذي الجارية» — كمنع ونصر — أي كعب وأشرف. و«السهل من الأرض» ضد الحزن. و«ساخت قوائمه في الأرض تسوخ وتسيخ» أي دخلت فيها وغابت، و«أساخها» غيَّبها. و«قواعد البيت» أساسه. و«القطر» بالضّم، الناحية، أي غيَّب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض، وقيل: أي في جوانب أقطارها. و«النصب» بالفتح ويحرك، العلم المنسوب، وبالضّم وبضمّتين، كلّ ما جعل علماً وكلّ ماعبد من دون الله، والمراد بالأنصاب الجبال وبمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة. و«القلال» بالكسر جمع «قلّة» بالضّم، وهي أعلى الجبل أو أعلى كلّ شيء. و«الشاهق» المرتفع، أي جعل قلاها مرتفعة، و«إطالة الأنشاز» مؤكدة لها. و«العماد» بالكسر، الخشبة التي تقوم عليها البيت والأبنية الرفيعة، والظاهر أنّ المراد يجعلها للأرض عماداً ما يستفاد من الفقرة التالية، وقيل: المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض. و«أرز» بتقديم المهملة — كنصر وضرب وعلم — أي ثبت، و«أرز» بتشديد المعجمة أي أثبت، وفي أكثر النسخ بالتخفيف وفتح العين وفي بعضها بالتشديد. قال في النهاية: في كلام عليّ — عليه السلام —: «أرزها فيها أوتاداً» أي أثبتها. إن كانت الزاي مخففة فهي من «أرزت الشجرة تأرز» إذا أثبت في الأرض وإن كانت مشددة فهي من «أرزت الجرادة» إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها. و«ررزت الشيء في الأرض رزاً» أثبتته فيها، وحينئذ تكون الهمزة زائدة. انتهى. وقيل: وروي «آرز» بالمد، من قولهم «شجرة آرزة» أي ثابتة في الأرض.

«فسكنت على حركتها» أي حال حركتها التي هي من شأنها، لأنها محمولة على سائل متموج كما قيل. أو على أثر حركتها بتموج الماء. «من أن تميد» أي تتحرك وتضطرب. «أو تسيخ بحملها» أي تغوص في الماء مع ماعليها.

قال ابن الحديّد: لو تحركت الأرض فإما أن تتحرك على مركزها أولاً، والأوّل هو المراد بقوله — عليه السلام — «تميد بأهلها» والثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت وهو المراد بقوله — عليه السلام — «تسيخ بحملها» وأن لا تنزل إلى تحت وهو

المراد بقوله «تزلزل عن مواضعها». انتهى.

ويحتمل أن يراد بقوله — عليه السلام — «تميد بأهلها» تحركها واضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة، وبسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا، فتكون الباء للتعدي، وبزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح والسيول أو بتفرق القطعات وانفصال بعضها عن بعض، فإن الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرق كما سيأتي. ويؤيده إيراد المواضع بلفظ الجمع.

وصيغة «فعلان» بالتحريك في المصدر تدل على الاضطراب والتقلب والتقلل كالليدان والنزوان والحققان، ولعل المراد بهذا الموجان ما كان غامراً للأرض أو أكثرها وإمسакها بخلق الجبال التي تقدم في الكلام. و«رطوبة أكنافها» أي جوانبها لبيدائها قبل خلق الجبال. و«المهاد» بالكسر، الفراش، والموضع بيتاً للمصبي و«يوباً» و«الفراش» ما يبسط. و«اللمجة» بالضم، معظم الماء. و«ركد» — كنصر — أي ثبت وسكن. و«سرى عرق الشجر» — كرمى — أي دب تحت الأرض. وقال الجوهري: «الكركرة» تصريف الرياح^{١١١٥} السحاب إذا جمعت بعد تفرق وقال: «باتت تكركره الجنوب» وأصله تكرّره من التكرير^{١١١٦} و«كركرته عتي» أي دفعته ورددته.

و«الرياح العواصف» الشديدة الهبوب. و«مخض اللبن يمحضه» مثله، أي أخذ زبده، وفي النسخ الفتح والضم. و«الغمام» جمع «غمامة» وهي السحابة البيضاء أو الأعم. و«ذرف الدمع» — كضرب — أي سال. و«ذرف عينه» أي سال دمعها، و«ذرف العين دمعها» أي أسأله. و«من يخشى» العلماء، كما قال — سبحانه: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^{١١١٧}. ويحتمل أن يكون التخصيص لأجل

١١١٥- في الصحاح: الريح.

١١١٦- في الصحاح: و«كركرت بالدجاجة» صحت بها، و«كركرته عتي».

١١١٧- الفاطر: ٢٨.

أنَّ عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والالتفات إليها. ١١١٨

٢١٢ - وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه

اَللّٰهُمَّ اَيُّمًا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ اَلْجَائِرَةِ ،
وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ اَلْمُفْسِدَةِ ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، فَابَيُّ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا اِلَّا
النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْاِبْطَاءَ عَنْ اِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ
عَلَيْهِ يَا اَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً ، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا اَسْكَنْتَهُ
اَرْضَكَ وَسَمَآوَاتِكَ ، ثُمَّ اَنْتَ بَعْدُ اَلْمَغْنِي عَنْ نُصْرِهِ ، وَالاَّخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض — عليه السلام —

بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية. ١١١٩

و«ما» في «أَيُّمًا» زائدة مؤكدة. وفي وصف المقالة بالعادلة توسع.

و«النُّكُوص» الرجوع قهقري. «إِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ» أي نسألك أن تشهد عليه. «ثُمَّ

أنت بعد» أي بعد تلك الشهادة عليه. ١١٢٠

١١١٨ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب الساء والعالم، ص ٣٨.

١١١٩ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٧.

١١٢٠ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٧٨، ط كمباني وص ٦٢٦، ط تبريز.

٢١٣ - خطبة الجمعة

في تمجيد الله وتمظيمه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبِّهِ^(٢٩٣٦) الْمَخْلُوقِينَ ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ ،
الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَذْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ
الْمُتَوَهِّمِينَ ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا أَزْدِيَادٍ ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ،
الْمُقَدَّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلُمُ ،
وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ^(٢٩٣٧) لَيْلٌ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ،
لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْإِنْبَصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِالضُّبَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأِصْطِفَاءِ ، فَرَتَّقَ^(٢٩٣٨) بِهِ أَلْمَفَاتِقَ^(٢٩٣٩) ،
وَسَاوَرَ^(٢٩٤٠) بِهِ أَلْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحَزُونََ^(٢٩٤١) ،
حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

بيان: قوله — عليه السلام — «في الاصطفاء» أي على غيره من الأنبياء
والأوصياء. و«المفاتق» جمع «مفتق» أي أصلح به المفاصد والأمور المنتشرة.
و«المساورة» الموائمة، أي كسر به — صلى الله عليه وآله — سورة من أراد الطغيان.
و«الحزن» المكان الغليظ الحشن. و«الحزونة» الحشونة. قوله — عليه السلام —
«حتى سرح الضلال» أي طرده وأسرع به ذهاباً عن يمين وشمال، من قولهم «ناقة

شرح ومنسوحة» أي سريعة. ١١٢١

٢١٤ - وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يصف جوهر الرسول ، ويصف العلماء ، ويعظ بالتقوى

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ ، وَحَكَمٌ فَصَلٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ ^(٢٩٤٢) فَرَقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي
خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاثِرٌ ^(٢٩٤٣) ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ ^(٢٩٤٤) فَاجِرٌ .

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ ،
وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا ^(٢٩٤٥) . وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ
عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كِفَاءٌ ^(٢٩٤٦) لِمُكْتَفٍ ، وَشِفَاءٌ
لِمُسْتَفٍ .

صفة العلماء.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ ^(٢٩٤٧) عِلْمُهُ ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ ،
وَيَفْجَرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ ^(٢٩٤٨) ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ ،
وَيَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيَةٍ ^(٢٩٤٩) ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ ^(٢٩٥٠) ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّبَّةُ ^(٢٩٥١) ،

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمْ الْغَيْبَةُ . عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ^(٢٩٥٢) ،
فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى^(٢٩٥٣) ،
فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى ، قَدْ مِيزَهُ التَّخْلِيصُ ، وَهَذَبَهُ^(٢٩٥٤) التَّمْحِيصُ^(٢٩٥٥) .

المظة بالتقوى

فَلْيَقْبَلِ أَمْرُكَ كَرَامَةً^(٢٩٥٦) بِقَبُولِهَا ، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً^(٢٩٥٧) قَبْلَ حُلُولِهَا ،
وَلْيَنْظُرِ أَمْرُكَ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ
بِهِ مَنْزِلًا ، فَلْيَصْنَعْ لِمَتَحَوَّلِهِ^(٢٩٥٨) ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقِلِهِ^(٢٩٥٩) . فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى
قَلْبٍ سَلِيمٍ ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ
السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مِنْ بَصَرِهِ ، وَطَاعَةَ هَادٍ أَمَرَهُ ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ
تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَأُسْتَفْتَحَ التَّوْبَةُ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ^(٢٩٦٠) ،
فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

بيان: الظاهر أنَّ الضمير في «أنه» راجع إلى الله، وقيل: راجع إلى القضاء
والقدر المذكور في صدر الخطبة. و«الحكم» بالتحريك، منقذ الحكم. و«الفصل»
القطع والقضاء بين الحق والباطل. و«النسخ» الإزالة والتغيير والإبطال.

وقال ابن أبي الحديد: يعني كلما قسم الله الأب الواحد إلى ابنين أعد خيرهما
وأفضلها لولادة محمد — صلى الله عليه وآله — وسَمَى ذلك نسخاً لأنَّ البطن الأول
تَزُول ويخلفه البطن الثاني. ١١٢٢

«لم يسهم فيه عاهر»، «السهم» النصيب والحظ؛ وفي النهاية: وأصله واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثم سمي به ما يفوز به الفاتح سهمه. ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهماً. انتهى. و«السهم» بالضم، القرابة و«المساهمة» المقارعة، و«أسهم بينهم» أي أقرع، وكانوا يعملون بالقرعة إذا تنازعا في ولد والكلمة في بعض النسخ على صيغة المجرد كـ «يمنع» وفي بعضها على بناء الإفعال. و«العاهر» الزاني، قيل: أي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في أصله شركة.

وقال ابن أبي الحديد^{١١٢٣}: في الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن. ثم حكى عن الجاحظ أنه قال: قام عمر على المنبر فقال: إيتاكم وذكر العيوب والظعن في الأصول. ثم قال: وروى المدائني هذا الخبر في كتاب **أهمات الخلفاء** وقال: إنه روي عند جعفر بن محمد — عليها السلام — بالمدينة فقال: لا تلمه يا ابن أخي! إنه أشفق أن يحدج بقصة نفيل بن عبد العزى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب. ثم قال: رحم الله عمر إنه لم يعد السنة وتلا: «إِنَّ الدِّينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا — الآية»^{١١٢٤}.

أقول: قد أوردنا هذه القصة في نسب عمر. و«الدعامة» بالكسر، عماد البيت الذي يقوم عليه. و«العصم» — كعنب — جمع «عصمة» وهي النع والحفظ. و«كفاء» أصله كفاية والائتيان بالهمزة للازدواج، كما قالوا: الغدايا والعشايا [و] كما قال — صلى الله عليه وآله —: «مأزورات غير مأجورات» والأصل الواو.

وقال ابن أبي الحديد: «أهل الخير» هم المتقون و«دعائم الحق» الأدلة الموصلة إليه المثبتة له في القلوب، و«عصم الطاعة» هي الإدمان على فعلها والتمرن عليها. لأن المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضي سهولة عليه. و«العون» ههنا هو اللطف المقرب من الطاعة المبعد من القبيح ولما كان العون من الله — سبحانه — مستهلاً للقول أطلق عليه من باب التوسع أنه يقول على الألسنة ولما كان

الله — تعالى — هو الذي يثبت كما قال: «يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ»^{١١٢٥}
نسب التثبيت إلى اللطف لأنه من فعل الله.

وقال ابن ميثم^{١١٢٦}: قوله — عليه السلام — «ألا وإن الله» ترغيب
للسامعين أن يكونوا من أهل الخير ودعائم الحق وعصم الطاعة وكأنه عنى بالعون
القرآن، قال — تعالى —: «لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»^{١١٢٧}.

و«فيه كفاء» أي في ذلك العون كفاية لطالبي الاكتفاء، أي من الكمالات
النفسانية، «وشفاء» لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقة، ويمكن أن يكون
المراد بأهل الخير الأتقياء وبدعائم الحق النبي والأئمة — عليهم السلام — وبعصم
الطاعة العبادات التي توجب التوفيق من الله — سبحانه — وترك المعاصي الموجبة
لسلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتباع الشياطين وبالعون الملائكة المرغبة في طاعة
الله كما ورد في الأخبار.

و«المستحفظين» في أكثر النسخ بالنصب على صيغة اسم المفعول وهو أظهر،
يقال: «استحفظته إياه» أي سألته أن يحفظه؛ وفي بعض النسخ على صيغة اسم
الفاعل، أي الطالبين للحفظ؛ وفي بعض النسخ بالرفع حملاً على المحل وكونه خبراً بعيد
والمراد بهم الأئمة — عليهم السلام — كما ورد في الأدعية والأخبار، وقال الشراح:
المراد بهم العارفون أو الصالحون.

«يصنونون مصونه» أي يكتمون ما ينبغي أن يكتم من أسرار علمه من غير
أهله. و«يفجرون عيونه» أي يفيضون ما ينبغي إفاضته على عامة الناس، أو كل علم
على من هو قابل له، أو يتقون في مقام التقية ويظهرون الحق عند عدمها. و«الولاية»
في النسخ بالكسر، قال سيويه: «الولاية» بالفتح المصدر وبالكسر الاسم؛ وقال
ابن أبي الحديد: «الولاية» بفتح الواو المحبة والنصرة، أي يتواصلون وهم أولياء ومثله

١١٢٥- إبراهيم: ٢٧.

١١٢٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٣٣، ط بيروت.

١١٢٧- الفرقان: ٣٢.

«ويتلاقون بالمحبة» كما تقول: «خرجت بسلاحي» أي وأنا متسلح أو يكون المعنى: يتواصلون بالقلوب لا بالأجسام، كما تقول: أنا أراك بقلبي وأزورك بخاطري وأواصلك بضميري. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد ولاية أهل البيت — عليهم السلام — أي بسببها، أو متصفين بها أو مظهرين لها. و «ماء روي» — كغني — أي كثير مرقو، و «روي من الماء — كرضي — رياً» بالفتح والكسر، أي تنعم، والاسم «الري» بالكسر. «والرية» في بعض النسخ بالفتح وفي بعضها بالكسر، ولعل المراد التساقى من المعارف والعلوم. و «الرية» بالكسر، التهمة والشك اسم من «الرب» بالفتح، أي لا تتخالطهم شك في المعارف والعقائد أو تهمة في حب أحدهم للآخر. وعدم إسراع الغيبة فيهم لعدم استحقاقهم للغيبة في أقوالهم وأعمالهم واتقائهم مواضع التهم، أو المعنى: لا يغتابون الناس ولا يتبعون عيوبهم.

و «الخلق» يكون بمعنى التقدير والابداع و بمعنى الطبيعة كالحليقة. و «الأخلاق» جمع «خلق» بالضم وبضمتين، وهو السجية والطبع والمروءة والدين. ويحتمل أن يكون المراد بالخلق ما هو بمنزلة الأصل والمشخص للذات وبالأخلاق الفروع والشعب. والضمير في «عليه» راجع إلى ما أشير إليه بذلك أو إلى العقد.

«فكانوا كفاضل البذر» أي كان التفاضل بينهم وبين الناس كالتفاضل بين ما ينتقى من البذر أي يختار وبين ما يلقى؛ فالمعنى: كالتفاضل بين الجيد والردى. ويحتمل أن يكون المراد أنه كان التفاضل بينهم كالتفاضل بين أفراد المختار من البذر فكما أنه لا تفاضل يعتد به فيما بينها كذلك فيما بينهم. و «خلص الشيء» — كنصر — أي صار خالصاً و «خلصه» أي جعله كذلك و «خلصه» أيضاً نجاه؛ والمراد بالتخلص الانتقاء المذكور أي ميزه ذلك عن غيره، أو المعنى: ميزه الله تخلصاً إياه عن ضرور النفس والشيطان عن غيره. وفي بعض النسخ: «التلخيص» بتقديم اللام، وهو التبيين و «التلخيص والتهديب» التنقية والاصلاح. و «اتمحيص» الابتلاء والاختبار.

و«الكرامة» الاسم من التكريم والاكرام، والمراد بها هنا نصحه — سبحانه — ووعظه وتذكيره أو ما وعده الله على تقدير حسن العمل من المثوبة والزلفى؛ وقبول الكرامة على الثاني بالعمل الصالح الموجب للفوز بها وعلى الأول العمل بمقتضاه وبقبولها القبول الحسن اللائق بها. و«قرعه» — كمنعه — أي أتاه فجأة و«قرع الباب» دقّه، وقال الأكثر: «القارعة» الموت، ويحتمل القيامة لأنها من أسمائها سميت بها لأنها تقرع القلوب بالفزع وأعدّها الله للعذاب، أو الداهية التي يستحقّها العاصي، يقال: «أصابه الله بقارعة» أي بداهية تهلكه، وحلّوها نزولها. و«استبدلت الشيء بالشيء» أي اتخذت الأول بدلاً من الثاني. والمراد بالنظر التدبّر والتفكير. والظرف في قوله «في منزل» متعلّق بالمقام و«حتى» لانتهاء غاية المقام، أي الثبات أو الإقامة، أي ليعتبر الانسان بهذه المدة القصيرة وإقامته القليلة في الدنيا المنتهية إلى الاستبدال بها واتخاذ غيرها.

وقيل: يحتمل أن تكون كلمة «في» لافادة الظرفية الزمانية ويكون قوله «في منزل» متعلّقاً بالنظر ومدخول «حتى» علة غائية النظر، أي لينظر بنظر الاعتبار وليتأمل مدة حياته في الدنيا في شأن ذلك المنزل الفاني حتى تتخذ بدله منزلاً لائقاً للنزول فالاستبدال حينئذ اتّخاذ البديل المستحقّ لذلك، أو توطين النفس على الارتحال ورفض المنزل الفاني.

«فليصنع» أي فليعمل. و«المتحوّل» بالفتح، مكان التحوّل؛ وكذلك «المنتقل» و«معارف المنتقل» قيل: هي المواضع التي يعرف الانتقال إليها، وقال ابن أبي الحديد: «معارف الدار» ما يعرفه المتوسّم بها، واحدها «معرف» مثل معاهد الدار ومعالمها، ومنه: «معارف المرأة» أي ما يظهر منها كالوجه واليدين. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بمعارف المنتقل ما عرف من أحواله والأمور الساخنة فيه، فيمكن أن يكون المتحوّل والمنتقل مصدرين.

«من يهديه» يعنى نفسه والأئمة من ولده — عليهم السلام —. «من يرديه» أي يهلكه بالقائه في مهاوي الجهل والضلالة. و«البصر» يطلق على الحاسة ويراد به العلم مجازاً وقد يطلق على العلم، يقال: «بصرت بالشيء» أي علمته. ويحتمل أن

تكون الإضافة لأدنى ملابسة، أي بالبصر الحاصل للمطيع بتبصير الهادي إتياء. و«السبب» في الأصل الحبل. وإغلاق الأبواب بالموت، وجوز بعضهم أن يكون الأبواب والأسباب عبارة عن نفسه والأئمة من ذريته — عليهم السلام — فإنهم أبواب الفوز والفلاح والأسباب الممدودة من السماء إلى الأرض، بهم يصل العبد إلى الله — سبحانه —. والغلق والقطع كناية عن عدمهم أو غيبتهم — عليهم السلام —. و«استفتح التوبة» أي طلب فتحها كأنها باب مغلق يطلب فتحها للدخول فيها، ويمكن أن يكون من «الاستفتاح» بمعنى الاستنصار. أي طلب أن تنصره التوبة. و«مطت — كبعت — وأمطت» أي تنحيت وكذلك «مطت غيري وأمطته» أي نحيت.

وقال الأصمعي: مطت أنا وأمطت غيري.^{١١٢٨}

و«الحوبة» بالفتح، الإثم. «فقد أقيم على الطريق» أي بهداية الله — سبحانه —. و«النهج» بالفتح، الطريق الواضح.^{١١٢٩} نهج: وأشهد أن محمداً عبده وسيد عباده، كَلِمًا نسخ^{١١٣٠} الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر. بيان: «النسخ» الإزالة والتغيير، استعير هنا للقسمه لأنها إزالة للمقسوم وتغيير له. و«العاهر» الزاني، ويطلق على الذكر والأنثى، وكذلك الفاجر.

تذنيب: أقول: قد ذكر علمائنا — رضي الله عنهم — بعض خصائصه — صلى الله عليه وآله — في كتبهم وجمعها العلامة — رحمه الله — في كتاب التذكرة. فلنورد ملخص ماذكروه — رحمهم الله —. قال في التذكرة: فأما الواجبات عليه دون غيره من أئمة أمور: الأول السواك، الثاني الوتر، الثالث الأصحية.

١١٢٨- راجع الصحاح، ج ٣، ص ١١٦٢.

١١٢٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣١١.

١١٣٠- قيل: «نسخ الخلق» نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقاً.

روي عنه — صَلَّى الله عليه وآله — أنه قال: ثلاث كتب عليّ ولم يكتب عليكم: السواك والوتر والأُضحية.

وفي حديث آخر: كتب عليّ الوتر ولم يكتب عليكم، وكتب عليّ السواك ولم يكتب عليكم، وكتبت عليّ الأُضحية ولم تكتب عليكم.

وتردّد الشافعي^{١١٣١} في وجوب السواك عليه — صَلَّى الله عليه وآله —.

الرابع: قيام الليل لقوله — تعالى —: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ»^{١١٣٢}. وإن أشعر لفظ النافلة بالستهة، ولكتها في اللغة الزيادة ولأنّ الستهة جبر للفرصة، وكان — صَلَّى الله عليه وآله — معصوماً من النقصان في الفرائض. واختلف الشافعية فقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه وقال بعضهم: كان واجباً عليه وعلى أمته فنسخ.

أقول: ذكر الوتر مع قيام الليل يشتمل على تكرار ظاهراً، والأصل فيه أنّ العامة رويوا حديثاً عن عائشة أنّ النبي — صَلَّى الله عليه وآله — قال: «ثلاث عليّ فريضة ولكم ستهة: الوتر والسواك وقيام الليل». ولذا جمعوا بينها تبعاً للرواية، كما يظهر من شارح الوجيزة وتبعهم أصحابنا — رضوان الله عليهم —.

وقال الشهيد الثاني — قدس سره —: اعلم أنّ بين قيام الليل وبين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق، لأنّ قيام الليل بالتهجد يحصل بالوتر وبغيره فلا يلزم من وجوبه وجوبه، وأمّا الوتر فلما كان من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجد بل أفضله. فقد يقال: إنّ إيجابه يغني عن إيجاب قيام الليل وجوابه أنّ قيام الليل وإن تحقّق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه لأنّ الواجب من القيام لما كان يتأدّى به وبغيره. وبالكثير منه والقليل كان كلّ فرد يأتي به منه موصوفاً بالوجوب لأنّه أحد أفراد الواجب الكلّي، وهذا القدر لا يتأدّى بإيجاب الوتر خاصّة ولا يفيد فائدته، فلا بدّ من الجمع بينها.

١١٣١- في المصدر: أصحاب الشافعي.

١١٣٢- الإسراء: ٧٩.

ثم قال في التذكرة: الخامس: قضاء دين من مات معسراً لقوله — صلى الله عليه وآله —: «من مات وخلف مالاً فلورثته، ومن مات وخلف ديناً أو كلاً فعلي» وإلى هذا مذهب الجمهور^{١١٣٣}. وقال بعضهم: كان ذلك كرمأ منه، وهذا اللفظ لا يمكن حمله على الضمان لأن من صحح ضمان المجهول لم يصحح على هذا الوجه. وللشافعية وجهان في أن الإمام هل يجب عليه قضاء دين المعسر إذا مات وكان في بيت المال سعة تزيد على حاجة الأحياء لما في إيجابه من الترغيب في اقتراض المحتاجين.

السادس: مشاورة أولي النهي لقوله — تعالى —: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْإَمْرِ»^{١١٣٤}. وقيل: إنه لم يكن واجباً عليه، بل أمر لاستمالة قلوبهم وهو المعتمد، فإن عقل النبي — صلى الله عليه وآله — أوفر من عقول كل البشر. السابع: إنكار المنكر إذا رآه وإظهاره، لأن إقراره على ذلك يوجب جوازه، فإن الله — تعالى — ضمن له النصر والإظهار.

الثامن: كان عليه تخيير نسائه بين مفارقتها ومصاحبتها بقوله — تعالى —: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً»^{١١٣٥}.

والأصل فيه أن النبي — صلى الله عليه وآله — أثر لنفسه الفقر والصبر عليه، فأمر بتخير نسائه^{١١٣٦} بين مفارقتها واختيار زينة الدنيا وبين اختياره والصبر على ضرر الفقر لئلا يكون مكرهاً لمن على الضرر والفقر؛ هذا هو المشهور. وللشافعية وجه في التخيير لم يكن واجباً عليه وإنها كان مندوباً، والمشهور الأول. ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وآله — لما خيّرهن اخترن الدار الآخرة، فحرم الله — تعالى — على رسوله التزويج عليهن والتبديل بهن من أزواج ثم نسخ ذلك ليكون المنة لرسول الله —

١١٣٣- في المصدر: أو كلاً فإلي. وعلى هذا مذهب الجمهور.

١١٣٥- الأحزاب: ٢٨ و ٢٩.

١١٣٦- في المصدر: فأمره بتخيير نسائه.

١١٣٤- آل عمران: ١٥٩.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — بترك التزويج عليهن بقوله — تعالى —: «إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ
الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ»^{١١٣٧}.

قالت عايشة: إِنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — لم يمت حتى أُحِلَّ له
النِّسَاءُ تعني اللاتي حُظِنَ عليهن. وقال أبوحنيفة: إِنَّ التحريم باقٍ لم ينسخ. وقد روي
أَنْ بعض نساء النبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — طلبت منه حلقة من ذهب فصاغ لها
حلقة من فضة وطلاها بالزعفران، فقالت: لا أُزِيدُ إِلَّا من ذهب، فاعْتَمَ النبي —
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — لذلك فنزلت آية التخيير.

وقيل: إِنَّمَا خِيَرَهُ لِأَنَّهُ لم يمكنه التوسعة عليهن، فربما يكون فيهن من يكره المقام
معه فنزَّهه عن ذلك.

وروي أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — كان يطالب بأمور لا يملكها وكان
نساءه يكثرن مطالبته حتى قال عمر: كُنَّا معاشر المهاجرين متسلطين على نساينا
بمكة وكانت نساء الأنصار متسلطات على الأزواج، فاختلط نساؤنا فيهن فتخلقن
بأخلاقهن؛ وكلمت امرأتي يوماً فراجعتني، فرفعت يدي لأضربها وقلت: أتراجعيني يا
لكماء^{١١٣٨}؟

فقالت: إِنَّ نساء رسول الله — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — يراجعنه وهو خير منك.
فقلت: خَابَتْ حفصة وخسرت، ثُمَّ أَتَيْتُ حفصة وسألتها.

فقالت: إِنَّ رسول الله — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — قد يظلل على بعض نساائه
طول نهاره غضباناً.

فقلت: لا تغتري بابتة أبي قحافة، فَإِنَّهَا حَبَّةٌ^{١١٣٩} رسول الله — صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلَهُ — يحمل منها ما لا يحمل منك.

وقال عمر: كنت قد ناوبت رجلاً من الأنصار حضور مجلس رسول الله —
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — ليخبر كل واحد منا صاحبه فيما يجري، ففرع الأنصاري باب

١١٣٧- الأحزاب: ٥٠.

١١٣٨- «اللكماء» اللئيمة.

١١٣٩- «الحبة» بالكسر، المحبوبة.

الدار يوماً، فقلت: أجاونا غسان؟

وكان قد أخبرنا بأن غسان تنعل خيولها لتغزونا، فقال: أمر أقطع من ذلك،
 طلق رسول الله — صلى الله عليه وآله — جميع نسائه.
 فخرجت من البيت ورأيت أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وآله —
 سيكون حوله وهو جالس وكان أنس على البيت^{١١١٠}.

فقلت: استأذن لي فلم يجب. فانصرفت فنازعني نفسي وعادت فلم يجب،
 حتى فعلت ذلك ثلاثاً، فسمع رسول الله — صلى الله عليه وآله — صوتي فأذن،
 فدخلت فرأيتة نائماً على حصير من الليف، فاستوى وأثر الليف في جنبه؛ فقلت: إن
 قيصر وكسرى يفرشان الديباج والحرير.

فقال: أي شك أنت ياعمر؟ أما علمت أنها لم في الدنيا ولنا في الآخرة.
 ثم قصصت عليه القصة فابتسم لما سمع قولي لحفصة «لا تغتري بآبنة أبي
 قحافة». ثم قلت: طلقت نساءك؟
 فقال: لا.

وروي أنه كان آلى من نسائه شهراً فكمت في غرفة شهراً، فنزل قوله — تعالى
 —: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ — الآية»^{١١٤١} فبدأ رسول الله — صلى الله عليه وآله —
 بعائشة وقال: إني ملق إليك أمراً فلا تبادريني بالجواب حتى تؤامري^{١١٤٢} أبويك،
 وتلا الآية.

فقلت: أفيك أوامر أبوي؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة.
 ثم قالت: لا تخبر أزواجك بذلك. وكانت تريد أن يخترن.
 فيفارقهن رسول الله — صلى الله عليه وآله — فدار — صلى الله عليه وآله —
 على نسائه وكان يخبرهن بما جرى لعائشة، فاخترن بأجمعهن الله ورسوله، وهذا التخيير

١١٤٠ - في المصدر: وكان أسامة على البيت.

١١٤١ - الأحزاب: ٢٨.

١١٤٢ - أي حتى تشاوري أبويك.

عند العامة كناية في الطلاق وعندنا أنه ليس له حكم.

وقال الشهيد الثاني والشيخ علي — رحمهما الله —: هذا التخيير عند العامة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية كناية عن الطلاق، وقال بعضهم: إنه صريح فيه وعندنا ليس له حكم بنفسه، بل ظاهر الآية أن من اختارت الحياة الدنيا وزينتها يطلقها لقوله — تعالى —: «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ اامْتَمِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» ١١٤٣.

أقول: سيأتي القول فيه في بابه.

ثم قال في التذكرة: وأما المحرمات فقسمان:

الأول: ما حرم عليه خاصة في غير النكاح وهو أمور:

الأول: الزكاة المفروضة، صيائه لمنصبه العليّ عن أوساخ أموال الناس التي تعطى على سبيل الترحم وتنبي عن ذلّ الآخذ، وأبدل باليء الذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة المنبي عن عزّ الآخذ وذللّ المأخوذ منه، ويشركه ١١٤٤ في حرمتها أولوا القربي، لكنّ التحريم عليهم بسببه أيضاً فالخاصة ١١٤٥ عائدة إليه، قال رسول الله — صلى الله عليه وآله —: إنا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة.

أقول: قال الشهيد الثاني — رحمه الله — بعد ذكر هذا الوجه: مع أنها لا تحرم عليهم مطلقاً، بل من غير الهاشمي مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم وأما عليه — صلى الله عليه وآله — فإنها تحرم مطلقاً، ولعلّ هذا أولى من الجواب السابق لأنّ ذاك مبني على مساواتهم له في ذلك كما تراه العامة، فاشتركوا في ذلك الجواب والجواب الثاني مختصّ بقاعدتنا.

رجعنا إلى كلام التذكرة:

الثاني: الصدقة المندوبة، الأقرب تحريمها على رسول الله — صلى الله عليه وآله —

١١٤٣- الأحزاب: ٢٨.

١١٤٤- في المصدر: ويشركه.

١١٤٥- في المصدر وفي غير نسخة المصنف: فالخاصة.

وآله — لما تقدّم وهو أحد قولي الشافعيّ تعظيماً له وتكريماً، وفي الثاني يجوز، وحكم الإمام عندنا حكم النبيّ — صَلَّى الله عليه وآله —.

الثالث: إنه كان — صَلَّى الله عليه وآله — لا يأكل الثوم والبصل والكراث، وهل كان محرماً عليه؟ الأقرب: لا، وللشافعيّة وجهان، لكنّه كان يمتنع منها لئلاّ يتأذى بها من ينجيه من الملائكة؛ روي أنّه — صَلَّى الله عليه وآله — أنّي بقدر فيها بقول فوجد لها ريحاً فقرّبها إلى بعض أصحابه وقال له: كل! فإنّي أناجي من لا تناجي.

الرابع: إنه — صَلَّى الله عليه وآله — كان لا يأكل متكئاً، روي أنّه — صَلَّى الله عليه وآله — قال: أنا أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد. وهل كان ذلك محرماً عليه أو مكروهاً كما في حقّ الأئمة؟ الأقرب الثاني، وللشافعيّ وجهان.

الخامس: يحرم عليه الخطّ والشعر تأكيذاً لحجّته وبياناً لمعجزته، قال الله — تعالى —: «وَلَا تَحْطُ بِبَيْمِنِكَ»^{١١٤٦} وقال — تعالى —: «وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ»^{١١٤٧}. وقد اختلف في أنّه — صَلَّى الله عليه وآله — كان يحسنها أم لا؟ وأصحّ قولي الشافعيّ الثاني، وإنّها يتّجه التحريم على الأوّل.

السادس: كان — صَلَّى الله عليه وآله — إذا لبس لأمة^{١١٤٨} الحرب يحرم عليه نزعها حتّى يلقى العدو ويقاتل، قال — صَلَّى الله عليه وآله —: «ما كان لنبيّ إذا لبس لأمته أن ينزعها حتّى يلقى العدو»؛ وهو المشهور عند الشافعيّة ولهم وجه: إنه كان مكروهاً لا محرماً.

السابع: كان — صَلَّى الله عليه وآله — إذا ابتدأ بتطوّع حرم عليه تركه قبل إتمامه، وفيه خلاف.

الثامن: كان يحرم أن يمدّ عينيه إلى ما متّع الله به الناس، قال الله — تعالى —: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ — الآية»^{١١٤٩}.

التاسع: كان يحرم عليه خائنة الأعين، قال - صلى الله عليه وآله -: «ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين». وفسروها بالإيماء إلى مباح، من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وإنما قيل له خائنة الأعين لأنه سبب الخيانة^{١١٥٠} من حيث أنه يخفى ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور، وبالجمللة أن يظهر خلاف ما يضمن. وطرده بعض الفقهاء ذلك في مكائدة الحروب وهو ضعيف، وقد صرح أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان إذا أراد سفراً ورى بغيره.

العاشر: اختلفوا في أنه هل كان يحرم عليه أن يصلي على من عليه دين أم لا؟ على قولين.

الحادي عشر: اختلفوا في أنه هل كان يجوز أن يصلي على من عليه دين مع وجود الضامن.

الثاني عشر: لم يكن له أن يمين ليستكثر، قال الله - تعالى -: «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ»^{١١٥١} أي لا تعط شيئاً لتنال أكثر منه، قال المفسرون: إنه كان من خواصه - صلى الله عليه وآله -.

الثاني: ما حرم عليه خاصة في النكاح وهو أمور:

الأول: إمساك من تكره نكاحه وترغب عنه لأنه - صلى الله عليه وآله - نكح امرأة ذات جمال، فلقت أن تقول لرسول الله - صلى الله عليه وآله -: «أعوذ بالله منك» وقيل لها: «إن هذا الكلام يعجبه». فلما قالت ذلك قال - صلى الله عليه وآله -: «لقد استعذت بمعاذ» وطلّقها.

وللشافعية وجه غريب: أن كان لا يحرم إمساكها لكن فارقتها تكرماً منه ومات رسول الله - صلى الله عليه وآله - عن تسع نساء: عايشة، وحفصة، وأم سلمة بنت ابن أمية المخزومي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي بن أخطب

١١٥٠- في المصدر: لأنه شبه الخيانة.

١١٥١- المذتر: ٦.

الخيرية، وزينب بنت جحش. وجميع من تزوج بهن خمسة عشر وجمع بين إحدى عشرة ودخل بثلاث عشرة وفارق امرأتين في حياته: إحداهما الكلبية وهي التي رأى بكشحتها بياضاً، فقال لها: الحق بأهلك! والأخرى التي تعوذت منه.

وقال: أبو عبيد: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وآله - ثمانية عشر امرأة واتخذ من الاماء ثلاثاً. ١١٥٢

الثاني: نكاح الكفار ١١٥٣. عندنا لا يصح للمسلم على الأقوى، لقوله - تعالى -: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» ١١٥٤ وقال: «وَلَا تُنْكِحُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ» ١١٥٥.

وقال بعض علمائنا: إنه يصح، وهو مذهب جماعة من العامة؛ فعندنا التحريم بطريق الأولى ثابت في حق النبي - صلى الله عليه وآله -.

واختلف في مشروعيته له من جور من العامة في حق الأمة على قولين:

أحدهما المنع لقوله - صلى الله عليه وآله -: «زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة»، والجنة محرمة على الكافرين، ولأنه أشرف من أن يضع مائه في رحم كافرة، والله - تعالى - أكرم زوجاته إذ جعلهن أمهات المؤمنين والكافرة لا تصلح لذلك لأن هذه أسوة الكرامة، ولقوله - تعالى -: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» ١١٥٦، ولقوله «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي» وذلك لا يصح في الكافرة.

والثاني الجواز لأن ذبائحهم له حلال فكذلك نساءهم. والمقدمة الأولى ممنوعة، فإن ذبائح أهل الكتاب عندنا محرمة، وأما نكاح الأمة فلم يجز له بلا خلاف بين الأكثر، وأما وطئ الأمة فكان سائغاً له مسلمة كانت أو كتابية لقوله - تعالى -: «أَوْفُوا مَلَكُتْ إِيْمَانُكُمْ» ١١٥٧ وقوله - تعالى -: «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» ١١٥٨ ولم يفصل. ومملك - صلى الله عليه وآله - مارية القبطية وكانت مسلمة، ومملك صفية وهي مشرقة، فكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها وتزوجها. وجوز بعضهم نكاح الأمة

١١٥٢ - سيأتي أحوال أزواجه في بابه.

١١٥٣ - في المصدر: نكاح الكتابية.

١١٥٦ - التوبة: ٢٨.

١١٥٧ - النساء: ٣.

١١٥٤ - البقرة: ٢٢١.

١١٥٨ - الأحزاب: ٥٠.

١١٥٥ - المتحنة: ١٠.

المسلمة له — صلى الله عليه وآله — بالعقد كما يجوز بالملك والنكاح أوسع منه من الأمة، ولكن الأكثر على المنع لأن نكاح الأمة مشروط بالخوف من العنت، والنبى — صلى الله عليه وآله — معصوم وبفقدان طول^{١١٥٩} الحرية، ونكاحه — صلى الله عليه وآله — مستغني^{١١٦٠} عن المهر ابتداء وانتهاء، وبأن من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً عند جماعة ومنصب النبى — صلى الله عليه وآله — منزّه عن ذلك، لكن من جوز له نكاح الأمة قال: خوف العنت إنما يشترط في حق الأمة ومنع من اشتراط فقدان الطول، وأما رقّ الولد فقد التزم^{١١٦١} بعض الشافعية وجهاً مستبعداً فيه بذلك، والصحيح خلافه لأنه عندنا يتبع أشرف الطرفين.

وأما التخفيفات فقسمان:

الأول: ما يتعلق بغير النكاح وهي أمور:

الأول: الوصال في الصوم، كان مباحاً للنبى — صلى الله عليه وآله — وحرام على أمته؛ ومعناه أنه يطوي الليل بلا أكل وشرب^{١١٦٢} مع صيام النهار، لا أن يكون صائماً لأن الصوم في الليل لا ينعقد، بل إذا دخل الليل صار الصائم مفطراً إجماعاً، فلما نهى النبى — صلى الله عليه وآله — أمته عن الوصال قيل له: إنك تواصل، فقال: إنني لست كأحدكم، إنني أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني.

وفي رواية: إنني أبست عند ربّي فيطعمني ويسقيني.

قيل: معناه يسقيني ويغذيّني بوجيه.

وقال الشهيد الثاني — نور الله ضريحه —: الوصال يتحقق بأمرين: أحدهما الجمع بين الليل والنهار عن تروك الصوم بالنية، والثاني تأخير عشائه الى سحوره بالنية كذلك^{١١٦٣} بحيث يكون صائماً مجموع ذلك الوقت. والوصال بمعنييه محرّم على أمته ومباح له — صلى الله عليه وآله —.

١١٥٩ — «الطول» القدرة والغنى.

١١٦٠ — هكذا في النسخة، والصحيح: مستغني.

١١٦١ — في المصدر: فقد ألزم.

١١٦٢ — في المصدر: ولا شرب.

١١٦٣ — والروايات قد وردت بمعنيين. في مرسله الصدوق عن الصادق — عليه السلام —: الوصال الذي نهى عنه هو أن يجعل

ثم نقل كلام التذكرة وقال: ليس بجيد لأن الأكل بالليل ليس بواجب، وقد صرح به هو في المنتهى فقال: لو أمسك عن الطعام يومين لابنية الصيام بل بنية الإفطار فالأقوى عدم التحريم، وعلى ما ذكره هنا لافرق بينه — صلى الله عليه وآله — وبين غيره، بل المراد الصوم فيها معاً بالنية، فإن هذا حكم مختص به محرم على غيره. أقول: ما ذكره — رحمه الله — هو المطابق لكلام الأكثر، لكن الأخبار الواردة في تفسيره تقتضي التحريم مطلقاً؛ وأيضاً لو كان المراد مع النية فلا وجه للتخصيص بهذين الفردين، بل الظاهر أنه لونهى دخول ساعة من الليل مثلاً في الصوم كان تشرعاً محرماً.

وسأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصوم ان شاء الله — تعالى —.

ثم قال في التذكرة:

الثاني: اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة، كجارية حسنة وثوب مترفع^{١١٤٤} وفرس جواد وغير ذلك، ويقال لذلك الذي اختاره: «الصفى والصفية» والجمع «الصفايا» ومن صفاياها صفية بنت حيى، اصطفاهَا واعتقها وتزوجها، وذوالفقار.

الثالث: خمس النية والغنيمة كان لرسول الله — صلى الله عليه وآله — الاستبداد به، وأربعة أخماس النية كانت له أيضاً.

الرابع: أبيع له دخول مكة بغير إحرام خلافاً لأئمة، فإنه محرم عليهم على خلاف.

الخامس: أبيع له ولائته كرامة له الغنائم وكانت حراماً على من قبله من الأنبياء، بل أمروا بجمعها فتتزل نار من السماء فتأكلها. وإنه كان يقضي لنفسه

الرجل عشاء سحوره. وفي حديث الحلبي عن أبي عبد الله — عليه السلام —، قال: الوصال في الصيام أن يجعل عشاء سحوره. وفي حديث سليمان الديلمي عنه — عليه السلام —: وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا وصال في صيام» يعني لا يصوم الرجل يومين متواليين من غير إفاطار. وفي حديث حفص عنه — عليه السلام —: الواصل في الصيام يصوم يوماً وليلة ويفطر في السحر. ١١٦٤ — «رفع الثوب» خلاف غلط. وفي الحديث: ثوب حسن.

وفي غيره خلاف، وأن يحكم لنفسه ولولده، وأن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من شهد له^{١١٦٥}.

السادس: أُبيح له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته وكان حراماً على من قبله من الأنبياء — عليهم السلام — والأئمة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم. وقال المحقق الثاني — رحمه الله — في شرح القواعد: وهذا عندنا مشترك بينه وبين الأئمة — عليهم السلام — وقول المصنف — رحمه الله — في التذكرة «والأئمة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم» ليس جارياً على مذهبنا. ثم قال في التذكرة:

السابع: أُبيح له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك وإن اضطر إليها^{١١٦٦} لأن حفظه لنفسه الشريفة أولى من حفظ نفس غيره، وعليه البذل والفداء بمهجته مهجة رسول الله — صلى الله عليه وآله — لأنه — صلى الله عليه وآله — أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وقال المحقق في شرح القواعد: وينبغي أن يكون الإمام كذلك كما يرشد إليه التعليل، ولم أفق على تصريح في ذلك. ثم قال في التذكرة:

الثامن: كان لا ينتقض وضوءه بالنوم، وبه قال الشافعية، وحكى أبو العباس منهم وجهاً آخر غريباً، وكذلك حكى وجهين في انتقاض وضوئه باللمس. التاسع: كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً، ومنعه بعض الشافعية وقال: لا أخاله صحيحاً.

العاشر: قيل: إنه كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط، فإنه من يجرم^{١١٦٧} عليه خائفة الأعين كيف يجوز له قتل من آمنه؟

١١٦٥ - في المصدر: من يشهد له.

١١٦٦ - في المصدر: وإن اضطر إليها.

١١٦٧ - في المصدر: فإن من يجرم عليه.

الحادي عشر: قيل: إنه كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه لأن لعنه رحمة؛ واستبعده الجماعة وروى أبوهريرة أن النبي — صلى الله عليه وآله — قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفه، إنما أنا بشر فأني المؤمنين آذيت بهمة ولعنة^{١١٦٨} فأجعلها له صلاة وزكاة وقربة يتقرب بها إليك يوم القيامة». وهو عندنا باطل لأنه معصوم لا يجوز منه لعن الغير وسبّه بغير سبب؛ والحديث لو سلم إنما هو لسبب.

ومن التخفيفات^{١١٦٩} ما يتعلق بالنكاح وهي أمور:

الأول: الزيادة على أربع نسوة، فإنه — صلى الله عليه وآله — مات عن تسع، وهل كان له الزيادة على تسع؟ الأولى الجواز لامتناع الجور عليه، وللشافعية وجهان: هذا أصحهما، والثاني المنع، وأما انحصار طلاقه في الثلاث فالوجه في ذلك كما في حق الأمة وهو أحد وجهي الشافعية. والثاني العدم كما لم ينحصر عدد زوجاته — صلى الله عليه وآله —.

الثاني: العقد بلفظ الهبة، لقوله — تعالى —: «وَاقْرَأْهُ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ^{١١٧٠}» فلا يجب المهر حينئذٍ بالعقد ولا بالدخول، لا ابتداءً ولا انتهاءً كما هو قضية الهبة، وهو أظهر وجهي الشافعية. والثاني المنع، كما في حق الأمة. وعلى الأول هل يشترط لفظ النكاح من جهة النبي — صلى الله عليه وآله —؟ للشافعية وجهان: أحدهما: نعم، لظاهر قوله — تعالى —: «أَنْ يَشْتَرِكْهَا^{١١٧١}». والثاني لا يشترط في حق الواهبة^{١١٧٢}، وهل ينقذ نكاحه بمعنى الهبة حتى لا يجب المهر ابتداءً ولا انتهاءً؟ وجهان للشافعية، ولهم وجه غريب: إنه يجب المهر في حق الواهبة، وخاصية النبي — صلى الله عليه وآله — ليست في إسقاط المهر، بل في الانعقاد بلفظ الهبة.

الثالث: كان إذا رغب — صلى الله عليه وآله — في نكاح امرأة فإن كانت خلية فعلها الإجابة ويحرم على غيره خطبتها، وللشافعية وجه: إنه لا يحرم، وإن كانت

١١٧٠ و ١١٧١ - الأحزاب: ٥٠.

١١٦٨ - في المصدر: أولعنته.

١١٧٢ - في المصدر: أن يشترط في حق الواهبة.

١١٦٩ - في المصدر: القسم الثاني من التخفيفات.

ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها لقضية زيد^{١١٧٣}. ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه واعتقاده بتكليفه النزول عن أهله، ومن جانب النبي - صلى الله عليه وآله - ابتلاؤه ببلية البشرية ومنعه من خائنة الأعين ومن الإضرار الذي يخالف الإظهار كما قال - تعالى -: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»^{١١٧٤} ولا شيء أدعى إلى غرض البصر وحفظه لمجاريه الاتفاقية^{١١٧٥} من هذا التكليف وليس هذا من باب التخفيفات كما قاله الفقهاء، بل هو في حقه غاية التشديد^{١١٧٦} إذ لو كلف بذلك آحاد الناس لما فتحوا أعينهم في الشوارع خوفاً من ذلك، ولهذا قالت عائشة: لو كان - صلى الله عليه وآله - يخفى آية لأخفى هذه.

الرابع: انعقاد نكاحه بغير ولي وشهود، وهو عندنا ثابت في حقه - صلى الله عليه وآله - وحق أمته^{١١٧٧} إذ لا نشترط نحن ذلك؛ وللشافعية وجهان.

الخامس: انعقاد نكاحه في الإحرام، وللشافعية فيه وجهان: أحدهما الجواز لما روي أنه - صلى الله عليه وآله - نكح ميمونة محرماً، والثاني المنع كما لم يحل له الوطني في الإحرام، والمشهور عندهم أنه نكح ميمونة حلالاً.

السادس: هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته بحيث إذا باتت عند واحدة منهن ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك أم لا يجب؟ قال الشهيد الثاني - رحمه الله -: اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: لا يجب عليه ذلك لقوله - تعالى -: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِمَّنْ اتَّبَعْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»^{١١٧٨} ومعنى «ترجي» تؤخر وترك إيواءه إليك ومضاجعته بقرينة قسمه، وهو

١١٧٣- في المصدر: كقضية زيد.

١١٧٤- الأحزاب: ٣٧.

١١٧٥- في المصدر: وحفظه عن المجابة الاتفاقية.

١١٧٦- فيه تأمل واضح يعلم بمراجعة الآية وتفسيرها.

١١٧٧- في ثبوت جواز النكاح بغير ولي مطلقاً في حق أمته محل تأمل، بل منع.

١١٧٨- الأحزاب: ٥١. قال الطبرسي في معناها: أي تؤخر وتبعد من تشاء من أزواجك، وتضم إليك من تشاء منهن واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أن المراد: تقدم من تشاء من نسائك في الإيواء إليك وهو الدعاء للفراش، وتؤخر من تشاء في ذلك، وتدخل من تشاء منهن في القسم، ولا تدخل من تشاء؛ عن قتادة، قال: وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقسم بين أزواجه وأباح الله له ترك ذلك.

قوله: «وَتُوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» أي تضمه إليك وتضاجعه؛ ثم لا يتعين ذلك عليك، بل لك بعد الإرجاء، أن تبغي ممن عزلت ماشئت وتوويه إليك. وهذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه — صلى الله عليه وآله —، حتى روي أن بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه وآوى إليه جماعة منهن معينات وقال آخرون: بل تجب القسمة عليه كغيره لعموم الأدلة الدالة عليها ولأنه لم يزل يقسم بين نسائه حتى كان يطاف به وهو مريض عليهن ويقول: «هذا قسمني فيما أملك، وأنت أعلم بما لأملك» يعني قلبه — صلى الله عليه وآله — والمحقق — رحمه الله — استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة بأنه كما يحتمل أن يكون المشية في الإرجاء والإيواء لجميع نسائه يحتمل أن يكون متعلقاً بالواهبات أنفسهن خاصة، فلا يكون دليلاً على التخيير مطلقاً. وحينئذ فيكون اختيار قول ثالث وهو وجوب القسمة لمن تزوجهن بالعقد وعدمها لمن وهبت نفسها. وفي هذا عندي نظر لأن ضمير الجمع المؤث في قوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» واللفظ العام في قوله: «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ» لا يصح عوده للواهبات، لأنه لم يتقدم ذكر الهبة إلا لامرأة واحدة، وهي قوله: «وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا»^{١١٧٩} فوحد ضمير الهبة في مواضع من الآية، ثم عقبه بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» فلا يحسن عوده إلى الواهبات، إذ لم يسبق لمن ذكر على وجب الجمع. بل إلى جميع الأزواج المذكورات في هذه الآية وهي قوله — تعالى —: «يَا أَيُّهَا

ثانيها: أن المراد: تعزل من تشاء منهن بغير طلاق، وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد عقد.

ثالثها: أن المراد: تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء.

رابعها: أن المراد: تترك نكاح من تشاء من نساء أمتك وتنكح منهن من تشاء؛ عن الحسن، قال: وكان — صلى الله عليه وآله — إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها.

خامسها: [أن المراد]: تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهن أنفسهن لك فتزويها إليك، وتترك من تشاء منهن فلا تقبلها. «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» (الأحزاب: ٥١) أي إن أردت أن تزوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمتها إليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا إثم عليك في ابتغائها، أباح الله — سبحانه — له ترك القسم في النساء حتى يزخم من يشاء عن وقت نوبتها، ويوطأ من يشاء في غير وقت نوبتها، وله أن يعزل من يشاء، وله أن يرده المعزولة إن شاء. فضله الله بذلك على جميع الخلق.

النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْنَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَتَنَابَ عَمَلُكَ وَتَنَابَ عَمَلَاتِكَ وَتَنَابَ خَالِكَ وَتَنَابَ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَا جَزَنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ — الْآيَةِ ١١٨٠ الْآيَةِ، ثُمَّ عَقَبَهَا بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ — الْآيَةِ»، وهذا هو ظاهر في عود ضمير النسوة المخير فيهن إلى من سبق من أزواجه جمع. وأيضاً فإن النبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — لم يتزوج بالهبة إلا امرأة واحدة على ما ذكره المحدثون والمفسرون، وهو المناسب لسياق الآية، فكيف يجعل ضمير الجمع عائداً إلى الواهبات وليس له منهن إلا واحدة؟ ثم لو تنزلنا وسَلَّمْنَا جواز عوده إلى الواهبات لما جاز حله عليه بمجرد الاحتمال مع وجود اللفظ العام الشامل لجميعهن، وأيضاً فإن غاية الهبة أن تزويجه — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين، وذلك لا يخرج الواهبة عن أن تكون زوجة فيلحقها ما يلحق غيرها من أزواجه. لأنها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة. وحينئذٍ فتخصيص الحكم بالواهبات لواجه له أصلاً، وأما فعله — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — فجاز كونه بطريق التفضل والانصاف وجبر القلوب، كما قال الله — تعالى —: «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأُ عَنْهُمْ وَلَا يُغْرَنَ وَتَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ» ١١٨١.

انتهى كلامه — رحمه الله —.

ورجعنا إلى كلام التذكرة:

السابع: إنه كان يجوز للنبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — تزويج المرأة ممن شاء بغير إذن وليها وتزويجها من نفسه وتولى الطرفين من غير إذن وليتها، وهل ١١٨٢ كان يجب عليه نفقة زواجه؟ وجهان لهم بناء على الخلاف في المهر، وكانت المرأة تحل له بتزويج الله — تعالى —؛ قال — سبحانه — في قصة زيد: «قُلْنَا قُصِيْ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ زَوْجَتَاكُمَا» ١١٨٣. وقيل: إنه نكحها بمهر، وحلوا «زَوْجَتَاكُمَا» على إحلال الله — تعالى —



١١٨١ — الأحزاب: ٥١.

١١٧٩ و ١١٨٠ — الأحزاب: ٥٠.

١١٨٢ — في المصدر قبل ذلك: وسوّغ الشافعية أن ينكح المتهمة في وجه؛ وهل كان. اهـ.

١١٨٣ — الأحزاب: ٣٧.

— له نكاحها؛ وأعتق — صلى الله عليه وآله — صفية — رضي الله عنها — وتزوجها وجعل عتقها صداقها، وهو ثابت عندنا في حق أمته.. وجوز بعض الشافعية له الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وإنه كان يجوز له الجمع بين الأختين، وكذا في الجمع بين الأم وبنتها. وهو عندنا بعيد لأن خطاب الله — تعالى — يدخل فيه النبي — صلى الله عليه وآله —.

وأما الفضل^{١١٨٤} والكرامات فقسمان:

الأول: في النكاح، وهو أمور:

الأول: تحريم زوجاته على غيره^{١١٨٥}، قال الشهيد الثاني — قدس سره —: من جملة خواصه — صلى الله عليه وآله — تحريم أزواجه من بعده على غيره لقوله — تعالى —: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا»^{١١٨٦}. وهي متناولة بعمومها لمن مات عنها من أزواجه، سواء كانت مدخولاً بها أم لا، لصديق الزوجية عليها ولم يمت — صلى الله عليه وآله — عن زوجة في عصمته إلا مدخولاً بها. ونقل المحقق الإجماع على تحريم المدخول بها، والخلاف في غيرها ليس بجيد لعدم الخلاف أولاً وعدم الفرض الثاني ثانياً، وإننا الخلاف فيمن فارقها في حياته بفسخ أو طلاق كآتي وجد بكشحه بياضاً والمستعيذة، فإن فيه أوجهاً أصحها عندنا تحريمها مطلقاً لصديق نسبة زوجيتها إليه — صلى الله عليه وآله — بعد الفراق في الجملة، فيدخل في عموم الآية^{١١٨٧} والثاني أنها لا تحرم مطلقاً لأنه يصدق في حياته أن يقال: ليست زوجته الآن وإلغاضه — صلى الله عليه وآله — عنها وانقطاع اعتنائه بها. والثالث إن كانت مدخولاً بها حرمت وإلغاضها، لما روي أن الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمان عمر ففهم برجها فأخبر أن النبي — صلى الله عليه وآله — فارقها قبل أن يمسيها فخلأها، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

١١٨٤- في المصدر: وأما الفضائل والكرامات.

١١٨٥- في المصدر: تحريم زوجاته اللواتي مات عنهن على غيره.

١١٨٦- الأحزاب: ٥٣.

١١٨٧- إن لم نقل: إنها ظاهرة في اللواتي كنّ زوجاته حين موته — صلى الله عليه وآله —، نعم يدل على ذلك الحديث الآتي.

وروى الكليني في الحسن عن عمر بن أُذينة في حديث طويل أن النبي — صلى الله عليه وآله — فارق المستعينة وامرأة أخرى من كندة، قالت لما مات ولده إبراهيم: لو كان نبياً ما مات ابنه فتزوجنا^{١١٨٨} بعده باذن الأولين؛ وأن أباجعفر — عليه السلام — قال: ما نهى الله — عز وجل — عن شيء إلا وقد عصي فيه، لقد نكحوا أزواج رسول الله — صلى الله عليه وآله — من بعده، وذكر هاتين العامرتين والكندية. ثم قال أبوجعفر — صلى الله عليه وآله —: لو سألتكم عن رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أتخل لابنه؟

لقالوا: لا، فرسول الله أعظم حرمةً من آبائهم.

وفي رواية أخرى عن زرارة عنه — عليه السلام — نحوه، وقال في حديثه: وهم يستحلون أن يتزوجوا^{١١٨٩} أمهاتهم؟ وإن أزواج النبي — صلى الله عليه وآله — في الحرمة مثل أمهاتهم إن كانوا مؤمنين.^{١١٩٠}

إذا تقرر ذلك فنقول: تحريم أزواجه — صلى الله عليه وآله — لما ذكرناه من النهي المؤكد عنه في القرآن لا لتسميتهن أمهات المؤمنين في قوله — تعالى —: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^{١١٩١} ولا لتسميته — صلى الله عليه وآله — والدأ، لأن ذلك وقع على وجه المجاز لا الحقيقة، كناية عن تحريم نكاحهن، ووجوب احترامهن؛ ومن ثم لم يجز النظر إليهن ولا الخلوة بهن ولا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين، لأنهن لا يحرمن على المؤمنين. فقد زوج رسول الله — صلى الله عليه وآله — فاطمة — عليها السلام — بعلي — عليه السلام — وأختها «رقية» و «أم كلثوم» عثمان، وكذا لا يقال لآبائهن وأمهاتهن: أجداد المؤمنين وجداتهم، ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم. وللشافعية وجه ضعيف في إطلاق ذلك كله، وهو في غاية البعد. انتهى.

ثم قال — رحمه الله — في التذكرة:

١١٨٨- في الحديث: فتزوجنا، فجدم أحد الرجلين وجن الآخر.

١١٨٩- في الكافي: وهم لا يستحلون أن يتزوجوا أمهاتهم.

١١٩٠- فروع الكافي، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

١١٩١- الأحزاب: ٦.

الثاني: إِنَّ أزواجه أُمّهات المؤمنين، سواء فيه من ماتت تحت النبي ومن مات النبي — صَلَّى الله عليه وآله — وهي تحته، وليست الأمومة هنا حقيقة، ثم ذكر نحواً ممّا ذكره الشهيد الثاني — رحمه الله — في ذلك.

الثالث: تفضيل زوجاته على غيرهنّ بأن جعل ثوابهنّ وعقابهنّ على الضعف.

الرابع: لا يَحِلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسألنّ شيئاً إلّا من وراء حجاب لقوله — تعالى: — «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»^{١١٩٢}. وأمّا غيرهنّ فيجوز أن يسألنّ مشافهة.

الثاني: في غير النكاح، وهو أمور:

الأول: أنّه خاتم النبيّين — صَلَّى الله عليه وآله —.

الثاني: إِنَّ له خير الأمم^{١١٩٣}، لقوله — تعالى: — «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»^{١١٩٤} تكمّماً له — صَلَّى الله عليه وآله — وتشريفاً.

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبّدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء — عليهم السلام —.

السادس: حفظ كتابه عن التبديل والتغيير، وأقيم بعده حجّة على الناس، ومعجزات غيره من الأنبياء انقضت بانقراضهم.

السابع: نصر بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدو يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

التاسع: أُحِلَّت له الغنائم دون غيره من الأنبياء — عليهم السلام —.

العاشر: يشفع في أهل الكبائر، لقوله — صَلَّى الله عليه وآله —: «ذخرت

١١٩٢- الأحزاب: ٥٣.

١١٩٣- في المصدر: أمته خير الأمم.

١١٩٤- آل عمران: ١١٠.

شفاعتي لأهل الكباثر من أمتي».

الحادي عشر: بعث إلى الناس عاقمة.

الثاني عشر: سيد ولد آدم يوم القيامة.

الثالث عشر: أول من تنشق عنه الأرض.

الرابع عشر: أول شافع ومشفع.

الخامس عشر: أول من يقرع باب الجنة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: أئمة معصومة لا تجتمع على الضلالة.

أقول: قال المحقق في شرح القواعد: في عدّ هذا من الخصائص نظر لأنّ الحديث غير معلوم الثبوت، وأئمة — صلى الله عليه وآله — مع دخول المعصوم — عليه السلام — فيهم لا تجتمع على ضلالة لكن باعتبار المعصوم فقط ولا دخل لغيره في ذلك، وبدونه هم كسائر الأمم على أنّ الأمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه الأمة مع المعصوم، فلا اختصاص. ١١٩٥

ثم قال في التذكرة:

الثامن عشر: صفوف أئمة كصفوف الملائكة.

التاسع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

العشرون: كان يرى من ورائه كما يرى من قدامه، بمعنى التحفظ والحسّ،

وكذلك قوله — صلى الله عليه وآله —: «تنام عيناى ولا ينام قلبي».

الحادى والعشرون: كان تطوّعه بالصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً وإن لم يكن

عذر^{١١٩٦}، وفي حقّ غيره ذلك على النصف من هذا.

الثاني والعشرون: مخاطبة المصلّي بقوله «السلام عليك ورحمة الله

١١٩٥- يمكن أن يقال: إنّ أئمة لا يجتمع على الضلالة، لأنّ فيها فرقة في جميع الأعصار يتبعون الحقّ؛ ولو اتّبع غيرهم غير سواء السبيل. فعليه يثبت الاختصاص.

١١٩٦- في المصدر: وإن لم يكن له عذر.

وبركاته»^{١١٩٧}، ولا يخاطب سائر الناس.

الثالث والعشرون: يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبي.

الرابع والعشرون: يحرم على غيره نداءه^{١١٩٨} من وراء الحجرات للآية^{١١٩٩}.

الخامس والعشرون: نادى الله - تعالى - الأنبياء وحكى عنهم بأسمائهم،

فقال - تعالى -: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا»^{١٢٠٠} [و] «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ»^{١٢٠١} [و]

«يَا نُوحُ»^{١٢٠٢}. وميز نبينا - صلى الله عليه وآله - بالنداء بألقابه الشريفة فقال -

تعالى -: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»^{١٢٠٣} [و] «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ»^{١٢٠٤} [و] «يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ»^{١٢٠٥}

[و] «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»^{١٢٠٦}.

ولم يذكر اسمه في القرآن إلا في أربعة مواضع، شهد له فيها بالرسالة لافتقار

الشهادة إلى ذكر اسمه، فقال:

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^{١٢٠٧}.

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^{١٢٠٨}.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ

رَبِّهِمْ»^{١٢٠٩}.

١١٩٧ - في المصدر: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

١١٩٨ - في المصدر: مناداته.

١١٩٩ - والآية نفسها: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (الحجرات: ٤).

١٢٠٠ - يوسف: ٢٩.

١٢٠١ - الصافات: ١٠٤.

١٢٠٢ - هود: ٤٦.

١٢٠٣ - الأنفال: ٦٤، ٦٥ و ٧٠، والتوبة: ٧٣، وفي غيرها.

١٢٠٤ - المائدة: ١ و ٦٧.

١٢٠٥ - المقل: ١.

١٢٠٦ - المدثر: ١.

١٢٠٧ - الفتح: ٢٩.

١٢٠٨ - الأحزاب: ٤٠.

١٢٠٩ - محمد: ٢.

«بِرَسُولٍ بَأْتَنِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ».^{١٢١٠}

وكان يحرم أن ينادى باسمه فيقول: يا محمد! يا أحمد! ولكن يقول^{١٢١١}: يا نبي الله! يا رسول الله! يا خيرة الله!... إلى غير ذلك من صفاته الجليلة.

السادس والعشرون: كان يستشفى به.

السابع والعشرون: كان يتبرك ببوله ودمه.

الثامن والعشرون: من زنى بحضرته أو استهان به كفر.

التاسع والعشرون: يجب على المصلّي إذا دعاه بحبيبه^{١٢١٢} ولا تبطل صلاته؛ وللشافعية وجه: إنه لا يجب وتبطل به الصلاة.

الثلاثون: كان أولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه: لقوله— صلى الله عليه وآله—: «كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي». وقيل: معناه أنه لا ينتفع يومئذ بسائر الأنساب، وينتفع بالنسبة إليه— صلى الله عليه وآله—.

مسألة: قال— صلى الله عليه وآله—: «سمّوا باسمي ولا تكتوا بكنيتي». واختلفوا، فقال الشافعي: إنه ليس لأحد أن يكتي بأبي القاسم سواء كان اسمه محمداً أو لم يكن؛ ومنهم من حمله على كراهة الجمع بين الاسم والكنية وجوّروا الأفراد وهو الوجه لأنّ الناس لم يزالوا بكنيته— صلى الله عليه وآله— يكتون^{١٢١٣} في جميع الأعصار من غير إنكار. انتهى.^{١٢١٤}

ويؤيد ما اختاره— رحمه الله— مارواه الكليني والشيخ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله— عليه السلام— أن النبي—

١٢١٠- الصف: ٦. وفي الهامش: كأنه— رحمه الله— غفل عما في سورة آل عمران: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ»، ومعه خمسة مواضع، لكن لا يحلّ بمقصوده. منه عني عنه. أقول: راجع سورة آل عمران، الآية رقم ١٤٤.

١٢١١- أي المنادي.

١٢١٢- في المصدر: أن يحبيه.

١٢١٣- في المصدر: يكتون بكنيته.

١٢١٤- التذكرة، مقدمات النكاح.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — نَهَى عَنْ أَرْبَعِ كُنَى: عَنْ أَبِي عَيْسَى، وَعَنْ أَبِي الْحَكَمِ، وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ إِذَا كَانَ الْاسْمُ مُحْتَدًّا. ١٢١٥

أقول: هذا جملة ما ذكره أصحابنا وأكثر مخالفينا من خصائصه — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ — ولم نتعرض للكلام عليها وإن كان لبعضها مجال للقول فيه لقلة الجدوى، ولأننا أوردنا من الأخبار في هذا الباب وغيره ما يظهر به جلية الحال لمن أراد الاطلاع عليه. والله الموفق للسداد. ١٢١٦

٢١٥ — وَمِنْ عِلَالِ الْعَالِيَةِ السَّامِيَةِ

كان يدعو به كثيرا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضْبَحْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا ، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي ^(٢٩٦١) ، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي ، وَلَا مُلْتَبِسًا ^(٢٩٦٢) عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَقَيَّ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ !

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيْمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ

تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي !

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ أَنْ نُفْتِنَ عَنْ دِينِكَ ،
أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا^(٢٩٦٣) دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !

٢١٦ - (خطبة لعلي عليه السلام)

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ،
لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي
التَّوَاصُفِ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ،
لَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ
لَيْهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى
بِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ
فَضْلًا مِنْهُ ، وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

حق المولى وحق الرعية

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى
بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ^(٢٩٦٤) فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا

يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِيَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا اقْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ
الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، فَرِيضَةُ فَرْضِهَا
اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ ، وَعِزًّا
لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَضِلُّحُ الرَّعِيَّةِ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ ، وَلَا تَضِلُّحُ
الْوَلَاةِ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى
الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَهِجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ
مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ^(٢٩٦٥) السُّنَنُ ^(٢٩٦٦) ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ
الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ . وَبَيَّسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ . وَإِذَا
غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا ، أَوْ أَجْحَفَ ^(٢٩٦٧) الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ
الْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ ، وَكَثُرَ الْإِذْغَالُ ^(٢٩٦٨) فِي الدِّينِ ،
وَتَرَكْتَ مَحَاجَّ السُّنَنِ ^(٢٩٦٩) ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى ، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ ،
وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمٍ ^(٢٩٧٠) حَقٌّ عُطِّلَ ، وَلَا
لِعَظِيمٍ بَاطِلٌ فُعِلَ ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ
تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ ، وَحُسْنِ
التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ أَشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْضُهُ ، وَطَالَ فِي
الْعَمَلِ اجْتِنَاهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ .
وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ ،

وَالْتَعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ أَمْرُؤُ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ^(٢٩٧١) عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ . وَلَا أَمْرُؤُ - وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ ، وَاقْتَحَمَتْهُ^(٢٩٧٢) أَلْعْيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

فاجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثر فيه الثناء عليه ، ويذكر سمعه بطلاعته له ؛ فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعَظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا . وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ^(٢٩٧٣) حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْأَطْرَاءِ ، وَأَسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ؛ وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ . وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ^(٢٩٧٤) ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ^(٢٩٧٥) فِي حُقُوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا ،

وَفَرَايَضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَحَقِّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ^(٢٩٧٦) ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ^(٢٩٧٧) ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَّ اسْتِنْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي ، وَلَا التِّمَاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُغْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ أَلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقٍ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهَ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي^(٢٩٧٨) ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

تبيين: قوله— عليه السلام—: «أوسع الأشياء في التواصف» أي كل أحد يصف الحق والعدل ويقول: لو وليت لعدلت، ولكن إذا تيسر له لم يعمل بقوله ولم ينصف الناس من نفسه. و «معالم الشيء» مظاهره و ما يستدل به عليه. و «الأذلال» المجاري والطرق. و «اختلاف الكلمة» اختلاف الآراء والأهواء.

وقال الجزري: أصل «الدغل» الشجر الملتف الذي يكون^{١٢١٧} أهل الفساد فيه، و «أدغلت في هذا الأمر» إذا أدخلت فيه ما يخالفه.^{١٢١٨}

و «الحاج» جمع «محجة» وهي جادة الطريق. و «اقتحمته عيني» احتقرته و «الإطراء» المبالغة في المدح. قوله «من البقية» في أكثر النسخ بالباء الموحدة، أي

١٢١٧- الصحيح كما في المصدر: يكن.

١٢١٨- النهاية، ج ٢، ص ٢٥.

لا تثنوا عليّ لأجل ما ترون منّي في طاعة الله، فإنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ من أدائها، وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله عليّ لكم من النصيحة والهداية والإرشاد؛ وقيل: المعنى: لاعترافي بين يدي الله و بحضرة منكم أنّ عليّ حقّواً في رئاستي عليكم لم أقم بها بعد، وأرجو من الله القيام بها؛ وفي بعض النسخ المصحّحة القديمة بالتاء المثناة الفوقانية، أي خوف الله في حقوق لم أفرغ من أدائها بعد. قوله— عليه السلام— «ولا تتحقّقوا منّي» أي لا تمتنعوا من إظهار ما تريدون إظهاره لديّ خوفاً من سطوتي كما هو شأن الملوك. و «البادرة» الحذرة وما يبدد عند الغضب. و «المصانعة» المداواة والرشوة.^{١٢١٩}

١٢٢٠: عليّ بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن محمد بن خالد، وأحمد بن محمد^{١٢٢١} عن عليّ بن الحسن التيميّ، جميعاً عن إسماعيل بن مهران، قال: حدّثني عبد الله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر— عليه السلام— قال: خطب أمير المؤمنين— عليه السلام— الناس بصقّين، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي— صلى الله عليه وآله— ثم قال:

أمّا بعد، فقد جعل الله— تعالى— لي عليكم حقّاً بولاية أمركم^{١٢٢٢} ومنزليّ التي أنزليّ الله— عزّ ذكره— بها منكم ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف^{١٢٢٣}، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه

١٢١٩- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين— عليه السلام—، ص ١٥٢.

١٢٢٠- الروضة من الكافي، ص ٣٥٢-٣٦٠. وقد صحّح هذا الكتاب «على أكبر الفقاري» وقابله مع الأصل وعلّق عليه تعليقات.

١٢٢١- «أحمد بن محمد» عطف على «عليّ بن الحسن»، وهو العاصميّ. والتيميّ هو ابن فضال... قل من تظنّ لذلك. (آت). وفي بعض النسخ: «أحمد بن محمد بن أحمد» وفي بعضها: «عليّ بن الحسين المؤدّب».

١٢٢٢- الذي له عليهم من الحقّ هو وجوب طاعته وإحاض نصيحته، والذي لهم عليه من الحقّ هو وجوب معدّلته فيهم. (في)
١٢٢٣- «التواصف» أن يصف بعضهم لبعض. و«التناصف» أن ينصف بعضهم بعضاً. وإنّما كان الحقّ أجل الأشياء في التواصف لأنّه يوصف بالحسن والوجوب وكلّ جليل وإنّما كان أوسعها في التناصف لأنّ الناس لو تناصفوا في الحقوق لما ضاق عليهم أمر من الأمور. وفي النهج: «والحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيّقها في التناصف» وهو أوضح ومعناه أنّ الناس كلّهم يصفون الحقّ ولكن لا ينصف بعضهم بعضاً (في). وفي بعض النسخ: «التراصف» موضع التواصف.

ولا يجري عليه إلّا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه، لكان ذلك الله - عزّ وجلّ - خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه^{١٢٢٤}، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم^{١٢٢٥} عليه بحسن الثواب تفضّلاً منه وتطوّلاً بكرمه وتوسّعاً بما هو من المزيد له أهلاً.

ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تنكافى^{١٢٢٦} في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض^{١٢٢٧}. فأعظم ممّا افترض الله - تبارك وتعالى - من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله - عزّ وجلّ - لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألقيهم وعزّاً لدينهم^{١٢٢٨} وقواماً لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعيّة إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعيّة، فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أدلاها السنن^{١٢٢٩}، فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويشتت مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعيّة واليهام وعلا الوالي الرعيّة، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت معالم

١٢٢٤ - أي أنواعه المتغيرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «صروف قضائه».

١٢٢٥ - إنّي ستمّي جزاؤه - تعالى - على الطاعة كفارة لأنّه يكفر ما يزعمونه من أنّ طاعتهم له - تعالى - حقّ لهم عليه يستوجبون به الثواب، مع أنّه ليس كذلك لأنّ الحقّ له عليهم حيث أقدرهم على الطاعة وألهمهم إيتاها ولهذا سناه التفضّل والتطوّل والتوسّع بالانعام الذي هو للمزيد منه أهل لأنّه الكريم الذي لا تنفذ خزائنه بالاعطاء والجلود تعالى بمجده وتقّدّس. وفي نهج البلاغة: «وجعل جزاءهم عليه» وعلى هذا فلا يحتاج إلى التكليف. (في)

١٢٢٦ - أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي، وهو الطاعة من الرعيّة، مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة. (آت)

١٢٢٧ - كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. (آت)

١٢٢٨ - فإنّها سبب اجتماعهم به ويقهرون أعداءهم ويعزّ دينهم. وقوله «قواماً» أي به يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. (آت)

١٢٢٩ - في القاموس: «ذلّ الطريق» بالكسر، محبّته. وأمور الله جارية أدلاها وعلى أدلاها أي مجاريها، جمع «ذلّ» بالكسر.

السنن ١٢٣٠، فعمل بالهوى. وعظمت الآثار وكثرت علل النفوس ١٢٣١ ولا يستوحش لجسم حدّ عطل، ولا لعظيم باطل أثّل! فهناك تذلة الأبرار وتغزّ الأشرار وتخرب البلاد ١٢٣٢ وتعظم تبعات الله - عزّ وجلّ - عند العباد.

فهلّم أيّها الناس إلى التعاون على طاعة الله - عزّ وجلّ - والقيام بعبده والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّ على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله - عزّ وجلّ - على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحقّ فيهم؛ ثمّ ليس أمره - وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته - بمستنغن عن أن يعان على ما حله الله - عزّ وجلّ - من حقّه؛ ولا لامرئ مع ذلك خست به الأمور واقتحمته العيون ١٢٣٣ بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه. وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكلّ في الحاجة إلى الله - عزّ وجلّ - شرع سواء. ١٢٣٤

١٢٣٠ - «الادغال» بكسر الهمزة، وهو أن يدخل في الشيء ما ليس منه وهو الابداع والتلبس، أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. (آت)

١٢٣١ - قال البحراني: «علل النفوس» أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعدوات ونحوها، وقيل: عللها وجوه ارتدائها للمنكرات فتأتي في كلّ منكر بوجه ورأي فاسد.

١٢٣٢ - «التأثيل» التأصيل و«مجد مؤثّل» أي مجموع ذواصل. وفي النهج: «فعل» مكان أثّل. و«التبعة» ما يتبع أعمال العباد من العقاب وسوء العاقبة.

١٢٣٣ - «وللامرئ» يعني مع عدم الاستغناء عن الاستعانة. وقوله «خست به الأمور» يقال: «خست والكلب خساً» طردته وخساً الكلب بنفسه؛ يتعدّى ولا يتعدّى. وقد تعدّى بالياء، أي طردته الأمور، أو يكون الباء للسمية، أي بدت بسببه الأمور. (آت) وفي بعض النسخ: «حست» بالمهملةين، أي اختبرته. و«اقتحمه» احتقره. وفي النهج: «ولا امرؤ وإن صغرت النفوس واقتحمته العيون». وقوله «بدون ما أن يعين» أي بأقلّ من أن يستعان به ويعان. والحاصل أنّ الشريف والوضيع جميعاً محتاجون في أداء الحقوق إلى إغانة بعضهم بعضاً واستعانة بعضهم ببعض، وكلّ من كانت النعمة عليه أعظم فاحتياجه في ذلك أكثر لأنّ الحقوق عليه أوفر لازدياد الحقوق بحسب ازدياد النعم. (في)

١٢٣٤ - «سواء» بيان لقوله «شرع» وتأكيده، وإثبات ذكره - عليه السلام - ذلك لأنّ يتوهم أنّهم يستغنون بإغانة بعضهم بعضاً عن ربهم - تعالى - بل هو الموقّ والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله - تعالى - وإثبات كلّهم بذلك ليعتبر طاعتهم ويشبههم على ذلك واقتضت حكته البالغة أن يجزى الأشياء بأسبابها وهو المسبّب لها والقادر على إضائها بلا سبب. (آت)

فأجابه رجل من عسكره لا يدري من هو (و يقال: إنه لم يرفي عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده).

فقام وأحسن الثناء على الله— عز وجل— بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم والإقرار^{١٢٣٥} بكلّ ما ذكر من تصرف الحالات به وبهم.

ثمّ قال: أنت أميرنا ونحن رعيتك؛ بك أخرجنا الله— عز وجل— من الدّلّ و باعزازك أطلق عباده من الغلّ.^{١٢٣٦} فاختر علينا وامض اختيارك واتمر فأمض استثمارك^{١٢٣٧} فإنك القاتل المصدّق والحاكم الموقّ والملك المخوّل^{١٢٣٨} لانستحلّ في شيء من معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك^{١٢٣٩} خطرك و يحلّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجابه أمير المؤمنين— عليه السلام— فقال:

إنّ من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه؛ فإنّه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا زاد حقّ الله عليه عظماً. وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس^{١٢٤٠} أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء^{١٢٤١} واستماع الثناء؛ ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال

١٢٣٥- «أبلاهم» أنعمهم. «من واجب حقّه» يعني من حقّ أمير المؤمنين— عليه السلام—. (ق)

١٢٣٦- أشار به إلى قوله— تعالى:— «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (الأعراف: ١٥٧) أي يخفّف عنهم ما كانوا به من التكالييف الشاقّة. (ق)

١٢٣٧- «الاستثمار» المشاورة.

١٢٣٨- أي الملك الذي أعطاك الله للإمرة علينا وجعلنا خدملك وتبعك. (آت)

١٢٣٩- أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليليّة؛ ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إبطائه— عليه السلام—. و«الخطر» القدر والمنزلة. (آت)

١٢٤٠- «السخف» رقة العيش ورقة العقل، و«السخافة» رقة كلّ شيء، أي أضعف أحوال الولاة عند الرعيّة أن يكونوا مثمّنين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. (آت)

١٢٤١- «جال» من «الجلولان». و«الإطراء» مجاوزة الحدّ في الثناء.

ذلك لتركته انحطاطاً لله - سبحانه - ١٢٤٢ عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء. وربّما استحلّ الناس ١٢٤٣ الشاء بعد البلاء، فلا تتنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية ١٢٤٤ في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بدّ من إمضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة ولا تتحفظوا متي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة ١٢٤٥ ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنّوا بي استئثلاً في حقّ قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فإنّه من استئثّل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بها أثقل عليه. فلا تكفّوا عني مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق ما أن أخطي ولا آمن ذلك من فعلي ١٢٤٦ إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به متي، فإنّنا أنا وأنتم عبيد مملوكون

١٢٤٢ - أي تواضعاً له - تعالى - . وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له أغنانا الله وإياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاطم وحسن الشاء». و«التناهي» قبول النهي، والضمير في «له» راجع إلى الله - تعالى - . وفي النهج كما في النسخ المشهورة. (آت)

١٢٤٣ - يقال: «استحلاه» أي وجده حلوّاً قال ابن ميثم - رحمه الله -: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثني عليه، فكأنّه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيته أجاهد في الله وأحسّ الناس على ذلك ومن عادة الناس أن يستهلّ الشاء عند أن يلبس بلاءً حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثم أجاب أنّ هذا العذر في نفسه بقوله «ولا تتنوا عليّ بجميل ثناء» أي لا تتنوا عليّ لأجل ما ترونه متي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بدّ من المضيّ فيها؛ وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله عليّ من النصيحة في الدين والارشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفية سلوكه.

١٢٤٤ - أي لاعترافي بين يدي الله وبحضر منكم، أنّ عليّ حقّاً في إيالتكم ورئاستي عليكم لم أقم بها بعد، وأرجو من الله القيام بها. وفي بعض النسخ: «من التقيّة» يعنى من أن يتقوى في مطالبة حقوق لكم لم أفرغ من أدائها. وعلى هذا يكون المراد بمستحلّ الشاء الذين يشتمهم الناس اتقاء شرهم وخوفاً من بأسهم. (في)

١٢٤٥ - «أهل البادرة» الملوك والسلطين. و«البادرة» الحدة والكلام الذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تتنوا عليّ كما يشئ على أهل الحدة من الملوك خوفاً من سطوتهم، أولاً تحتشوا متي كما يحتشم من السلطين والأمراء كترك المسارة والحديث إجلاً وخوفاً منهم وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. (آت). و«المصانعة» الرشوة والمداورة.

١٢٤٦ - هذا من قبيل هضم النفس، ليس بنبي العصمة مع أنّ الاستثناء يكفيها مؤونة ذلك. (في) وقال المجلسي - رحمه الله -: هذا من الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّ نفسه من المقصرين في مقام العبودية، والإقرار بأنّ عصمته من نعمه - تعالى - عليه.

لرب لارب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا ممّا كنّا فيه^{١٢٤٧} إلى مصلحتنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال:

أنت أهل ماقلت والله والله فوق ماقلت، فبلاءه عندنا ما لا يكفر^{١٢٤٨} وقد حملك الله - تبارك وتعالى - رعايتنا وولّاك سياسة أمورنا، فأصبحت علمنا الذي نهدي به وإمامنا الذي نفتدي به، وأمرك كلّ رشد وقولك كلّ أدب، قد قرّت بك في الحياة أعيننا وامتألت من سرور بك قلوبنا وتحيرت من صفة ما فيك من بارع الفضل^{١٢٤٩} عقولنا. ولستنا نقول لك: «أيّها الإمام الصالح!» تزيّة لك ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولم يكن^{١٢٥٠} في أنفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك، فنتخوّف أن تكون أحدثت بنعمة الله - تبارك وتعالى - تحيّراً أو دخلك كبر؛ ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرّباً إلى الله - عزّ وجلّ - بتوقيرك وتوسّعاً بتفضيلك وشكراً بإعظام أمرك. فانظر لنفسك ولنا وأثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوّع فيما أمرتنا ننقاد من الأمور مع ذلك فيما يتفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال:

وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وُليت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً؛ فإنّ الله - عزّ وجلّ - لا يخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

١٢٤٧ - أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكالات التي يترها الله تعالى لنا ببعثة الرسول - صلى الله عليه وآله - . قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى نفسه - عليه السلام - خاصة لأنّه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم في أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع لداخله فيها نفسه توسّعاً. (آت)
١٢٤٨ - أي نعمته عندنا وافرّة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها أو لا يجوز كفرانها وترك شكرها. (آت)
١٢٤٩ - «برع في الشيء» فاق أقرانه فيه.

١٢٥٠ - قال المجلسي - رحمه الله -: «لم يكن» على بناء المجهول، من «كننت الشيء» سترته. أو بفتح الياء وكسر القاف، من «وكننت الطائر بيضه يكتنه» إذا حضنه. وفي بعض النسخ: «لم يكن» وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

فأجابه الرجل (و يقال: لم ير الرجل بعد كلامه هذا لأمر المؤمنين— عليه السلام—).

فأجابه وقد عال الذي ١٢٥١ في صدره، فقال والبكاء يقطع منطقة وغصص الشجا تكسر صوته إعظماً لخطر مرزئته ووحشة من كون فجيعته. ١٢٥٢
فحمد الله وأثنى عليه، ثم شكاً إليه هول ما أشقى عليه ١٢٥٣ من الخطر العظيم والذل الطويل في فساد زمانه و انقلاب جده ١٢٥٤ و انقطاع ما كان من دولته ثم نصب المسألة إلى الله— عز وجل— بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجع وحسن الشاء فقال:

يارباني العباد وياسكن البلاد ١٢٥٥! أين يقع قولنا من فضلك؟ وأين يبلغ وصفنا من فعلك؟ وأتى تبلغ حقيقة حسن ثنائك أو تحصى جميل بلائك؟ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذاً وللعصاة الكفار إخواناً؟ ١٢٥٦ فبمن؟ إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله— عز وجل— من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرج عنا غمرات الكربات؟ ١٢٥٧ وبمن؟ إلّا بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا ١٢٥٨ وفرت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك وقت لنا على جميع عهدك؛ فكنت شاهد من غاب متاً

١٢٥١— «عال» بالمهمله، اشتد وتفاقم وغلبه وثقل عليه وأهّمه. (ق)

١٢٥٢— «الغصة» بالضم، ما اعترض في الحلق وكذا الشجا. و«المرزئة» المصيبة، وكذا الفجعة. والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين— عليه السلام—.

١٢٥٣— أي أشرف عليه، والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله— تعالى—.

١٢٥٤— «الجدة» البحث والتفجع والتضرع.

١٢٥٥— «السكن» بالتحريك، كل ما يسكن إليه. وفي بعض النسخ: «ياساكن البلاد».

١٢٥٦— أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشره إخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. ويحتمل أن يكون المراد المناقذين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. (آت)

١٢٥٧— «الفضاعة» الشناعة. و«فضاعة تلك الخطرات» شناعتها وشذتها والغمرات الشدائد والمزدهمات.

١٢٥٨— قال الجوهري: «نمود بالله من الجور بعد الكور» أي من نقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ: «بعد الجور» بالمعجمة.

وخلف أهل البيت لنا وكنت عزّ ضعفائنا وثمان فقرائنا^{١٢٥٩} وعماد عظمائنا. يجمعنا في الأمور عدلك ويتسع لنا في الحقّ تأنيك^{١٢٦٠}. فكنت لنا أنساً إذا رأيناك وسكناً إذا ذكرناك. فأني الخيرات لم تفعل؟ وأني الصالحات لم تعمل؟ ولولا أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه، يبلغ تحويله^{١٢٦١} جهدنا وتقوي لدافعتنا طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا وبمن نفديه بالنفوس من أبنائنا، لقدّمنا أنفسنا وأبنائنا قبلك ولاخّطرنّاها^{١٢٦٢}؛ وقلّ خطرنا دونك ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك وفي مدافعة من ناواك^{١٢٦٣}؛ ولكته سلطان لا يحاول وعزّ لا يزال^{١٢٦٤} وربّ لا يغالب. فإنّ يمن علينا بعافيتك ويترحم علينا ببقائك ويتحنّ علينا بتفريح^{١٢٦٥} هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا نحدث الله عزّ وجلّ - بذلك شكرياً نعتّمه وذكرأ نديمه ونقسم أنصاف أموالنا صدقات. وأنصاف رقيقنا^{١٢٦٦} عتقاء ونحدث له تواضعاً في أنفسنا ونخشع في جميع أمورنا. وإنّ يُمض بك إلى الجنان ويجري عليك حتم سبيله، فغير متهم فيك قضاءه ولا مدفوع عنك بلاءه ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأنّ اختياره لك ماعنده على ما كنت فيه ولكنا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً^{١٢٦٧} وللدن والدنيا أكيلاً^{١٢٦٨} فلانرى لك خلفاً نشكو

١٢٥٩ - في النهاية: «التمال» بالكسر، الملجأ والغيث، وقيل: هو المظعم في الشدة.

١٢٦٠ - أي صار مداراتك وتآنيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما تستحقّه سبباً لوسعة الحقّ علينا وعدم تضييق الأمور بنا. (آت)

١٢٦١ - في بعض النسخ: «تحريكه» أي تغييره وصرفه.

١٢٦٢ - أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك، أو صيرناها خطراً ورهناً وعوضاً لك. قال الجزريّ فيه: الأهل مشمر للجنة، فإنّ الجنة لا خطر لها، أي لا عوض لها ولا مثل. و«الخطر» بالتحريك، في الأصل الرهن وما يخاطر عليه ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلّا في الشيء الذي له قدر ومزية. (آت)

١٢٦٣ - «حاولك» أي قصدك. و«ناواك» أي عاداك. وقوله «ولكته» أي الربّ - تعالى -.

١٢٦٤ - أي ذو عزّ وغلبة. و«زاوله» أي حاوله وطالبه.

١٢٦٥ - في بعض النسخ: «بتفريح».

١٢٦٦ - «الرقيق» المملوك.

١٢٦٧ - في أكثر النسخ: «لعزّ هذا السلطان» فقوله «لعزّ» متعلّق بالبكاء و«أن يعود» بدل اشتغال له، أي نبكي لتبدّل عزّ هذا السلطان ذلّاً. (آت) وفي بعض النسخ: «لعن الله هذا السلطان» أي هذه السلطنة التي لا تكون صاحبها.

١٢٦٨ - «الأكيل» يكون بمعنى المأكول وبمعنى الأكل، والمراد هنا الثاني.

إليه ولا نظيراً نؤمّله ولا نقيمه. ١٢٤٩

تبيين: أقول: أورد السيّد في النهج بعض هذا السؤال والجواب و أسقط أكثرهما؛ وسنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله— عليه السّلام— «(بولاية أمركم)» أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولياً لأمركم ولأنّه أنزلني منكم منزلة عظيمة هي منزلة الإمامة والسلطنة و وجوب الطاعة. قوله— عليه السّلام— «(والحقّ أجل الأشياء في التواصف)» أي وصفه جميل و ذكره حسن؛ يقال: «تواصفوا الشيء» أي وصفه بعضهم لبعض. و في بعض النسخ: «(التراصف)» بالراء المهملة، و «(التراصف)» تنضيد الحجارة بعضها ببعض، أي أحسن الأشياء في إحكام الأمور و إتقانها. «و أوسعها في التناصف» أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه و يحتمله ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق. و في نهج البلاغة: «(فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف و أضيّقها في التناصف)» أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ و بيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولة على ألسنتهم و إذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحقّ و صعوبة الإنصاف. قوله— عليه السّلام— «(صروف قضائه)» أي أنواعه المتغيرة المتوالية. و في بعض النسخ: «(ضروب قضائه)» بمعناه، والحاصل أنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره و لم يجعل له على نفسه لكان هو— سبحانه— أولى بذلك، و على الأولوية بوجهين: الأول القدرة، فإنّ غيره— تعالى— لو فعل ذلك لم يطرعه أحد والله— تعالى— قادر على جبرهم وقهرهم عليه؛ والثاني أنّه لو لم يجبرهم على أعمالهم و كلّفهم بها لكان عادلاً لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبده أبد الدهر، لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها؛ فالمراد من أول الكلام أنّه— سبحانه— جعل لكلّ أحد على غيره حقّاً حتى على نفسه. أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق و أمّا ما أجرى على نفسه فللوفاء بالوعد مع عدم لزوم الوعد عليه، فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد و إن اختلفت الجهة والاعتبار.

قوله — عليه السّلام — «و جعل كفّارتهم عليه حسن الثواب» لعلّ المراد بالكفّارة الجزء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه وستره. وفي أكثر النسخ: «بحسن الثواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها مايقع منهم لتدارك سيئاتهم كالتوبة وسائر الكفّارات، أي أوجب قبول كفّارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضاً؛ ولا يبعد أن يكون تصحيف «كفاءتهم» بالهمز. وفي النهج: «و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله.

قوله — عليه السّلام — «ثمّ جعل من حقوقه» هذا كالمقدمة لما يريد أن يبيّنه من كون حقّه عليهم واجباً من قبل الله — تعالى — وهو حقّ من حقوقه ليكون ادّعى لهم على أدائه. ويبيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض، هي من حقّ الله — تعالى — من حيث أنّ حقّه على عباده هو الطاعة وأداء تلك الحقوق طاعات الله، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس. قوله — عليه السّلام — «فجعلها تنكافاً في وجوهها» أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة. قوله — عليه السّلام — «ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض» كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. قوله — عليه السّلام — «فريضة فرضها الله» بالنصب على الحاليّة أو بإضمار فعل أو بالرفع ليكون خبر مبتدأ محذوف. قوله — عليه السّلام — «نظاماً لألفتهم» فإنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزّ دينهم. قوله — عليه السّلام — «وقواماً» أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. قوله — عليه السّلام — «عزّ الحقّ» أي غلب. قوله — عليه السّلام — «و اعتدلت معالم العدل» أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل. قوله — عليه السّلام — «على أدلالها» قال الفيروزآبادي: «ذلّ الطريق» بالكسر، محبّتها و «أمر الله جارية على أدلالها» أي مجارها، جمع «ذلّ» بالكسر. قوله — عليه السّلام — «و كثّر الإدغال» بكسر الهمزة، و «الإدغال» أن

يدخل في الشيء ما ليس منه وهو الإبداع والتلبس؛ أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. قوله— عليه السلام— «علل النفوس» أي أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعداوة ونحوها؛ وقيل: وجوه ارتكابات للمنكرات فتأتي من كلّ منكر بوجه وعلّة ورأي فاسد. قوله— عليه السلام— «أثّل» يقال: «مال مؤثّل» و«مجد مؤثّل» أي مجموع ذو أصل، و«أثّل الشيء» أصله وزكاه؛ ذكره الجزريّ. وفي النهج: «فُعل». قوله— عليه السلام— «تبعات الله» قال في العين: «التبعة» اسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله— عليه السلام— «فهلّم أيّها الناس» قال الجوهري: «هلّم يا رجل» بفتح الميم، بمعنى تعال؛ قال الخليل: أصله «لّم» من قوهم «لّم الله شعثه» أي جمعه، كأنه أراد: لّم نفسك إلينا، أي أقرب؛ و«هاء» للتنبيه وإنّما حذفت ألّفها لكثرة الاستعمال وجعلاً اسماً واحداً، يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز. قوله— عليه السلام— «حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله» أي جزاء ما أعطى الله أهل الحقّ من الدين المبين وسائر ما هداهم الله— تعالى— إليه بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف، أي حقيقة جزاء ما أعطى من الحقّ، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بازائها ومكافاة لها؛ وقيل: المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته— تعالى— إلى دين الحقّ. وفي النهج: «حقيقة ما الله أهله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب: «حقيقة ما الحقّ من الله أهله». قوله— عليه السلام— «النصيحة له» أي لله أو للامام أو نصيحة بعضهم لبعض لله— تعالى— بأن لا يكون الظرف صلة. وفي النهج: «النصيحة ببلغ» بدون الصلة، وهو يؤيد الأخير. قال الجزريّ: «النصيحة» في اللغة الخلوص، يقال: «نصحت ونصحت له». ومعنى نصيحة الله صحّة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله، هو التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة رسول الله— صلى الله عليه وآله— التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة [عليهم السلام] أن يطيعهم في الحقّ، ونصيحة عامة

المسلمين، إرشادهم إلى مصالحهم. قوله— عليه السلام— «ولا لامرئي مع ذلك» كأنه راجع إلى ما حل الله على الوالي أو إلى الوالي الذي أشير إليه سابقاً، أي لا يجوز أولاً بـ لا امرئي، أو لا استغناء لامرئي مع الوالي أو مع كون واليه مكلفاً بالجهاد وغيره من أمور الدين وإن كان ذلك المرء ضعيفاً محقرأ بدون أن يعين على إقامة الدين و يعينه الناس أو الوالي عليه. وفي النهج: «ولا أمرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه» وهو الظاهر. قوله— عليه السلام— «خسئت به الأمور» يقال: «خسأت الكلب خساً» طردته و«خساً الكلب بنفسه»، يتعدى ولا يتعدى؛ ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمال غير متعده بنفسه قد عدي بالباء، أي طردته الأمور؛ أو يكون الباء للسببية، أي بعدت بسببه الأمور. وفي بعض النسخ: «حبست به الأمور». وعلى التقادير المراد أنه يكون بحيث لا يتمشى أمر من أموره ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور. «واقتحمته العيون» أي احتقرته. وكلمة «ما» في قوله— عليه السلام— «ما أن يعين» زائدة. قوله— عليه السلام— «و أهل الفضيلة في الحال» المراد بهم الأئمة والولاة والأمراء والعلماء وكذا أهل النعم العظام فإنهم لكونهم مكلفين بعظام الأمور كالجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى إعانة الخلق أحوج. ويحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء فإنهم محتاجون فيما حل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان ولا أقل إلى من يؤمرون به، وبأهل النعم أصحاب الأموال لأن ما حل عليهم من الحقوق أكثر كأداء الأخماس والصدقات، وهم محتاجون إلى الفقير القابل لها وإلى الشهود وإلى غيرهم؛ والأول أظهر. قوله— عليه السلام— «وكل في الحاجة إلى الله— عز وجل— شرع سواء» بيان لقوله «شرع» وتأكيده. وإثبات ذكر— عليه السلام— ذلك لئلا يتوهم أنهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربهم— جل وعز—، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله— عز وجل—. وإثبات كلفهم بذلك ليختبر طاعتهم ويشبههم على ذلك، واقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها وهو المسبب لها والقادر على إمضاها بلا سبب.

قوله ١٢٧٠ «فأجابه رجل» الظاهر أنه كان الخضر— عليه السلام— وقد جاء في مواطن كثيرة وكلمه— عليه السلام— لإتمام الحجة على الحاضرين؛ وقد أتى بعد وفاته— عليه السلام— وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطبه— عليه السلام— بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن الناس.

قوله «والإقرار» الظاهر أنه معطوف على الثناء، أي أقر إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرجل ولم يذكره— عليه السلام— اختصاراً أو تقيّةً من تغيير حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه وظلوميته وتغيير أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه وعدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته؛ ويمكن أن يكون الواو بمعنى «مع»، و يحتمل عطفه على واجب حقّه.

قوله ١٢٧١ «من الغل» أي أغلال الشرك والمعاصي. وفي بعض النسخ القديمة: «أطلق عتاً رهائن الغل» أي ما يوجب إغلال القيمة. قوله «فاختر» أي قبل ما أمرك الله به فامضه علينا. قوله «والمملك المحلّ» أي الملك الذي أعطاك الله الإمرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك. قوله «لا تستحلّ في شيء من معصيتك» لعلّه عذّب «في» لتضمن معنى الدخول، أو المعنى: لا تستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك. وفي بعض النسخ القديمة: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك» وهو أظهر. قوله «في ذلك» أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية، ويحتمل أن يكون إشارة إلى مادّة عليه الكلام من إطاعته— عليه السلام—. و«الخطر» القدر والمنزلة. قوله «و يجلّ عنه» يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس، أي فضلك أجلّ في أنفسنا من ١٢٧٢ يقاس بفضل أحد، ويمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية، كما في قوله— تعالى—: «وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ» ١٢٧٣ أن ١٢٧٤ يجلّ و

١٢٧٠- أي قول الراوي. (المصحح)

١٢٧١- أي قول الخضر— عليه السلام—. (المصحح)

١٢٧٢- هكذا في النسخة والصحيح: من أن يقاس. (المصحح)

١٢٧٣- هود: ٥٣.

١٢٧٤- هكذا في النسخة والصحيح: أي. (المصحح)

يعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك .

قوله — عليه السلام — «من عظم جلال الله» إما على التفعيل بنصب «جلال الله» أو بالتخفيف برفعه، يعني: من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله — تعالى — لما ظهر له من جلال الله؛ وإنّ أحقّ من كان كذلك ائمة الحقّ — عليهم السلام — لعظم نعم الله وكمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله — تعالى — عليهم أعظم منه على غيرهم؛ فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الفخر والإطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره — تعالى — فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله — عليه السلام — «وإنّ من أسخف»، «السخف» رقة العيش و رقة العقل و «السخافة» رقة كلّ شيء، أي أضعف حالات الولاة عند الرعية أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. قوله — عليه السلام — «أنّي أحبّ الإطراء» أي مجاوزة الحدّ في المدح والمبالغة فيه. قوله — عليه السلام — «انخطأ الله سبحانه» أي تواضعاً له — تعالى —. وفي بعض النسخ القديمة: «و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له. أغنانا الله وإياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاضم و حسن الثناء. و «التناهي» قبول النهي؛ والضمير في «له» راجع إلى الله — تعالى —. وفي النهج كما في النسخ المشهورة.

قوله — عليه السلام — «و ربّما استحلّ الناس» يقال: «استحلاه» أي وجده حلواً. قال ابن ميثم — رحمه الله —: هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثني عليه، فكأنّه يقول: أنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في الله وأحثّ الناس على ذلك. ومن عادة الناس أن يستحلّ ١٢٧٥ الثناء عند أن يبلو ١٢٧٦ بلاء حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثمّ أجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله «فلا تثنوا» عليّ بجميل ثناء» أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو

إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بد من المضيّ فيها؛ وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله إليّ^{١٢٧٧} من النصيحة في الدين والإرشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفية سلوكه. وفي خط الرضي - رحمه الله - : «من التقيّة» بالتاء، والمعنى: فإنّ الذي أفعله من طاعة الله إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله وإليكم من تقيّة الخلق فيما يجب عليّ من الحقوق إذا كان - عليه السّلام - إنّما يعبد الله الله غير ملتفت في شيء من عبادته وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبة إليه، أو المراد بها التقيّة التي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيّام خلافته. وكأنّه قال: لم أفعّل شيئاً إلّا وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى عليّ لأجل إتيان الواجب بشيء جميل وأقابل هذا التعظيم. وهذا من باب التواضع منه و تعليم كيفيته وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال ابن أبي الحديد: معنى قوله - عليه السّلام - «الإخراجي نفسي إلى الله وإليكم» أي لاعترافي بين يدي الله وبحضر منكم أنّ عليّ حقوقاً في إيالكم ورئاستي، لم أقم بها بعد، وأرجو من الله القيام بها. انتهى. فكأنّه جعل قوله «الإخراجي» تعليلاً لترك الثناء لامثنى عليه، ولا يخفى بعده. ثمّ اعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بالبقية الإبقاء والترحم، كما قال - تعالى - : «أُولُوا بَقِيَّةٍ بِنَهْؤُنَّ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْوَرْثِ»^{١٢٧٨} أي إخراجي نفسي من أن أبقى وأترحم مداهنه في حقوق لم أفرغ من أدائها.

قال الفيروزآبادي: «و أبقيت ما بيننا» لم أبالغ في إفسادها، والاسم «البقية»، و «أولوا بقية ينهون عن الفساد» أي إبقاء أو فهم. قوله - عليه السّلام - «ولا تتحفّظوا عني بما يتحفّظ به عند أهل البادرة»، «البادرة» الحدة والكلام الذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك

١٢٧٧ - هكذا في النسخة والصواب وهو الأصح. عليّ. (المصحح)

١٢٧٨ - هود: ١١٦.

خوفاً من سطوتهم، أو لانتحشموا متي كما يحتشم من السلاطين والأمراء كترك المساء والحديث إجلالاً وخوفاً منهم وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. قوله— عليه السلام— «بالمصانعة» أي الرشوة أو المدارة. قوله— عليه السلام— «كان العمل بها أثقل عليه» وشأن الولاة العمل بالعدل والحق، أو أنتم تعلمون أنه لا يثقل على العمل بها، قوله— عليه السلام— «بفوق أن أخطي» هذا من الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق وعذ نفسه من المقصرين في مقام العبودية والإقرار بأن عصمته من نعمه— تعالى— عليه وليس اعترافاً بعدم العصمة كما توهم، بل ليست العصمة إلاً ذلك، فإنها هي أن يعصم الله العبد من ارتكاب المعاصي. وقد أشار إليه بقوله— عليه السلام— «أن يكفي الله» وهذا مثل قول يوسف— عليه السلام—: وَمَا أَجْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشَّرِّ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي»^{١٢٧٩}.

قوله— عليه السلام— «ما هو أملك به متي» أي العصمة من الخطأ، فإنه— تعالى— أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه. قوله— عليه السلام— «مما كنا فيه» أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكالات التي يسترها الله— تعالى— لنا ببعثة الرسول— صلى الله عليه وآله—. قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاص نفسه— عليه السلام— لأنه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً. ويجوز أن يكون معناها: لولا ألطاف الله— تعالى— ببعثة محمد— صلى الله عليه وآله— لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله^{١٢٨٠} «فبلاءه عندنا ما لا يكفر» أي نعمته عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها، أي لا يجوز كفرانها وترك شكرها. قوله «سياسة أمورنا»، «سست الرعية سياسة» أمرتها ونهيتها. و «العلم» بالتحريك، ما نصب في الطريق ليهتدي

١٢٧٩- يوسف: ٥٣.

١٢٨٠- أي قول الرجل وهو الخضر— عليه السلام— (المصتح)

به السائرون. قوله «من بارع الفضل» قال الفيروزآبادي: «برع — ويثَلَّث — براءة» فاق أصحابه في العلم وغيره، أوتِمَّ في كلِّ جمال وفضيلة، فهو بارع وهي بارعة. قوله «ولن يكن» على المجهول، من «كننت الشيء» سترته؛ أو بفتح الياء وكسر الكاف، من «وكن الطائر بيضه يكنه» إذا حضنه. وفي بعض النسخ: «لم يكن»؛ وفي النسخة القديمة: «لن يكون». قوله «و توسعاً» أي في الفضل والسواد قوله «مع ذلك» أي مع طاعتنا لك، أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما نبتغنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

قوله — عليه السلام — «إلا مناصحة الصدور» أي خلوصها عن غشِّ النفاق بأن يطوى فيه ما يظهر خلافه، أو نصح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لا بمحض اللسان.

قوله ١٢٨١ «و قد عال الذي في صدره» يقال: «عالني الشيء» أي غلبني و«عال أمرهم» اشتدَّ. قوله «و غصص الشجا»، «الغُصَّة» بالضم، ما اعترض في الحلق، وكذا الشجا و«الشجو» الهم والحزن. قوله «لخطر مرزئته»، «الخطر» بالتحريك القدر والمنزلة والإشراف على الملاك. و«المرزئته» المصيبة، وكذا الفجيعة وكونها أي وقوعها وحصولها. والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين — عليه السلام — والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته — عليه السلام — فلذا كان يندب ويتفجّع؛ و إرجاعها إلى القائل بعيد.

قوله «أشنى» أي أشرف عليه. والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله — تعالى —. قوله «و انقلاب جده»، «الجد» البخت والتفجّع والتوجّع في المصيبة، أي سأل الله دفع هذا البلاء الذي قد ظنَّ وقوعه عنه — عليه السلام — مع التفجّع والتضرّع.

قوله — عليه السلام — «يا ربّاني العباد» قال الجزري: الربّاني «منسوب إلى الربّ بزيادة الف والنون؛ وقيل: هو من الربّ بمعنى التربية لأنّهم كانوا يربّون

المُتعلِّمين بصغار العلوم وقيل: كبارها. و «الربانيّ» العالم الراسخ في العلم والدين والذي يطلب بعلمه وجه الله؛ وقيل: العالم العامل المُعلِّم. قوله— عليه السّلام— «و يا سكن البلاد»، «السّكن» بالتحريك، كلّ ما يسكن إليه. قوله— عليه السّلام— «وبك جرت نعم الله علينا» أي مجاهدك ومساعدك الجَمِيّة لترويج الدين وتشيد الإسلام في زمن الرسول— صلى الله عليه وآله— وبعده. قوله— عليه السّلام— «وللعصاة الكفّار إخواناً» أي كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفّار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. و يحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. وقيل: المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه الطعام، فإنّه لغة فيه كما ذكره الجزريّ، ولا يخفى بعده. وفي النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة التكلّم، و حينئذٍ فالمراد بالفقرة الأولى أنّه كان ينزل بنازل كلّ ذليل، أي كُنّا نذلّ بكلّ ذلّة و هوان، و هو أظهر وألصق بقوله «فمن؟». قوله— عليه السّلام— «من فضاعة تلك الخطرات» أي شناعتها وشدّتها. قوله «بعد الحور» قال الجوهريّ: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ بالجيم.

قوله— عليه السّلام— «و شمال فقراءنا» قال الجزريّ: «الّشمال» بالكسر، الملجأ والقياس، وقيل: هو المطعم في الشدّة.

قوله— عليه السّلام— «بجمعنا في الأمور عدلك» أي هو سبب اجتماعنا و عدم تفرّقنا في جميع الأمور أو من بين سائر الأمور، و هو سبب لاتنظام جميع أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور. قوله «و يتّسع لنا في الحقّ تأنيك» أي صار مداراتك و تأنيك و عدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقّه، سبباً لوسعة الحقّ علينا و عدم تضيق الأمور بنا.

قوله— عليه السّلام— «يبلغ تحريكه» أي تغييره و صرفه. وفي النسخة القديمة: «تحويله». قوله «و لأخطرناها» أي جعلناها في معرض المخاطرة والمهلك، أو صيرناها خطراً و رهناً و عوضاً لك. قال الجزريّ فيه: «فإنّ الجتّة لا خطر لها» أي

لا عوض لها ولا مثل، و «الْخَطَرُ» بالتحريك، في الأصل الرهن وما يخاطر عليه و مثل الشيء وعدله؛ ولا يقال إلّا في الشيء الذي له قدر ومزية. ومنه الحديث: «إِلَّا رَجُلٌ يَخَاطِرُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ» أي يُلقِيها في الهلكة بالجهاد. ومنه حديث النعمان: «إِنَّ هَؤُلَاءَ - يعني المجوس - قد أخطروا لكم رثّةً ومَتَاعاً وأخطرتهم بهم الاسلام» المعنى أَنهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهناً من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم. قوله - عليه السلام - «حاولك» أي قصدك. قوله «من ناواك» أي عاداك. قوله «ولكته» أي الربّ - تعالى - . قوله «وعزّ» أي ذو عزّ وغلبة. و «زاوله» أي حاوله وطالبه. وهذا إشارة إلى أَنَّ تلك الأمور بقضاء الله وتقديره والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله - عليه السلام - «نَعْظَمُهُ» الضمير^{١٢٨٢} في قوله «و نَعْظَمُهُ وَ نَدِيهِ» راجعان إلى الشكر والذكر.

قوله [- عليه السلام -] «بلاءه» يحتمل النعمة أيضاً. قوله [- عليه السلام -] «ما عنده» هو خبر «أَنَّ»، و يحتمل أن يكون الخبر محذوفاً، أي خير لك. والمعنى أَنّه لا تختلف قلوبنا، بل تتفق على أَنَّ الله اختار لك بامضائك النعيم والراحة الدائمة على ما كنت فيه من المشقة والجهد والعناء. قوله [- عليه السلام -] «من غير إثم» أي لا نأثم على البكاء عليك، فإنّه من أفضل الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم. قوله [- عليه السلام -] «لعزّ» متعلّق بالبكاء و «أن يعود» بدل اشتمال له، أي نبكي لتبدل عزّ هذا السلطان ذلّاً. قوله [- عليه السلام -] «أكيلاً»، «الأكيل» يكون بمعنى المأكول وبمعنى الأكل، والمراد هنا الثاني، أي نبكي لتبدل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور، فيكون أكلاً للدين والدنيا. و في بعض النسخ: «لعن الله هذا السلطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته - عليه السلام -، بل جنسها الباطل الشامل أيضاً، أي لعن الله السلطنة التي لا تكون صاحبها. و يحتمل أن

يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة وهو الإبعاد، أي أبعد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً؛ ولا يخفى بعده. قوله [— عليه السلام —] «ولا ترى لك خلفاً» أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت — عليهم السلام —. ١٢٨٣

٢١٧ — ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدُوا﴾

في التظلم والتشكي من قريش

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْدِيكَ^(٢٩٧٩) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَوْا إِنَائِي^(٢٩٨٠) ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمِّعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا ، أَوْ مِتْ مُتَأَسِّفًا . فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ^(٢٩٨١) ، وَلَا ذَابٌ^(٢٩٨٢) وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَضَنْنْتُ^(٢٩٨٣) بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَبْتُ عَلَى الْقَدَى^(٢٩٨٤) ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا^(٢٩٨٥) ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشَّفَارِ^(٢٩٨٦)

قال الشريف رضي الله عنه : وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة ، إلا أنني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين .

٢١٨ - وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ . وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ ، وَوَثَّبُوا عَلَى شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةً عَصَوْا عَلَى أَسْيَافِهِمْ^(٢٩٨٧) ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ .

٢١٩ - وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَضْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلَتْ تَحْتَ بَطُونِ الْكُؤَاكِبِ ! أَدْرَكْتُ وَتَرَيْ^(٢٩٨٨) مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَفْلَتَنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتَلَعُوا^(٢٩٨٩) أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا^(٢٩٩٠) دُونَهُ .

٢٢٠ - وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ^(٢٩٩١) ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ^(٢٩٩٢) ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ^(٢٩٩٣) ،
وَلَطَفَ غَلِيظُهُ^(٢٩٩٤) ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ ،
وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ ، وَتَدَاغَعَتُهُ^(٢٩٩٥) الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ ، وَدَارِ
الْإِقَامَةِ ، وَثَبَّتَ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، بِمَا
اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ ، وَأَرْضَى رَبُّهُ .

٢٢١ - ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

قاله بعد تلاوته : « الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ^(٢٩٩٦) * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ »

يَا لَهُ مَرَامًا^(٢٩٩٧) مَا أَبْعَدُهُ ! وَزَوْرًا^(٢٩٩٨) مَا أَغْفَلُهُ^(٢٩٩٩) ! وَخَطَرًا مَا
أَفْطَعُهُ ! لَقَدْ اسْتَخْلَوْا^(٣٠٠٠) مِنْهُمْ أَيَّ مَدْكِرٍ^(٣٠٠١) ، وَتَنَاوَشَوْهُمْ^(٣٠٠٢)
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ! أَمْ بِعِدِيدِ الْهَلَكَى
يَتَكَاثَرُونَ ! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ^(٣٠٠٣) ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتْ . وَلَآئِنْ
يَكُونُوا عِبْرًا ، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ؛ وَلَآئِنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ
جَنَابَ ذِلَّةٍ ، أَحَقُّ^(٣٠٠٤) مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ ! لَقَدْ نَظَرُوا
إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعُشْوَةِ^(٣٠٠٥) ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ . وَلَوْ
اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ^(٣٠٠٦) . وَالرُّبُوعِ^(٣٠٠٧)
الْخَالِيَةِ ، لَقَالَتْ : ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا^(٣٠٠٨) ، وَذَهَبْتُمْ فِي

أَعْقَابِهِمْ جَهْلًا ، تَطَوُّونَ فِي هَامِهِمْ^(٣٠٠٩) . وَتَسْتَنْبِتُونَ^(٣٠١٠) فِي
أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ^(٣٠١١) فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ؛ وَإِنَّمَا
الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَالِكٍ^(٣٠١٢) وَنَوَائِحٍ^(٣٠١٣) عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ^(٣٠١٤) ، وَفِرَاطُ^(٣٠١٥) مَنَاهِلِكُمْ^(٣٠١٦) . الَّذِينَ
كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ^(٣٠١٧) الْعِزِّ ، وَحَلَبَاتُ^(٣٠١٨) الْفَخْرِ ، مُلُوكًا وَسُوقًا^(٣٠١٩) .
سَكُّوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ^(٣٠٢٠) سَيِّلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ .
فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ^(٣٠٢١)
قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ^(٣٠٢٢) . وَضِمَارًا^(٣٠٢٣) لَا يُوجَدُونَ ؛ لَا
يُفِزُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَخْزِنُهُمْ تَنْكَرُ الْأَحْوَالِ . وَلَا يَحْفِلُونَ^(٣٠٢٤)
بِالرَّوَاغِفِ^(٣٠٢٥) ، وَلَا يَأْذَنُونَ^(٣٠٢٦) لِلْقَوَاصِفِ^(٣٠٢٧) . غَيِّبًا لَا يَنْتَظِرُونَ .
وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتُّوا . وَآلَفًا^(٣٠٢٨)
فَافْتَرَقُوا ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ، وَلَا بُعْدِ مَحَلَّتِهِمْ . عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ .
وَصَمَّتْ^(٣٠٢٩) دِيَارُهُمْ . وَلَكِنَّهُمْ سَقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا .
وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا . فَكَأَنَّهُمْ فِي أَرْجَالِ الصَّفَةِ^(٣٠٣٠)
صَرَغَى^(٣٠٣١) سَبَاتٍ^(٣٠٣٢) . جِيرَانُ لَا يَتَأَنُّونَ . وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ .
بَلِيَّتْ^(٣٠٣٣) بَيْنَهُمْ عَرَا^(٣٠٣٤) التَّعَارُفِ . وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِحَاءِ .
فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءُ . لَا يَتَعَارَفُونَ

لِللَّيْلِ صَبَاحًا ، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً .

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ^(٣٠٣٥) ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا ، شَاهَدُوا مِنْ
أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَعَ بِمَا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا ،
فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ^(٣٠٣٦) مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ^(٣٠٣٧) ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ
وَالرَّجَاءِ . فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا^(٣٠٣٨) بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا
عَاينُوا .

وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ ، وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ
أَبْصَارُ الْعَبْرِ^(٣٠٣٩) ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ
جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَّحَتْ^(٣٠٤٠) أَلْوُجُوهُ النَّوَاضِرِ^(٣٠٤١) ، وَخَوَتْ^(٣٠٤٢)
الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ^(٣٠٤٣) أَلْبِلَى ، وَتَكَاءَدْنَا^(٣٠٤٤) ضَيْقُ
الْمُضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا أَلْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ^(٣٠٤٥) عَلَيْنَا الرُّبُوعُ^(٣٠٤٦)
الصُّمُوتُ^(٣٠٤٧) ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا ،
وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ أَلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ؛ وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا
مِنْ ضَيْقٍ مُتَسَعًا ! فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْإِطَاءِ
لَكَ ، وَقَدْ أَرْتَسَخْتَ^(٣٠٤٨) أَسْمَاعُهُمْ بِالْهُوَامِ^(٣٠٤٩) فَاسْتَكَّتْ^(٣٠٥٠) ،
وَاسْتَحَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ^(٣٠٥١) ، وَتَقَطَّعَتْ أَلْسِنَتُهُ فِي

أَفَوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَّاقَتِهَا^(٣٠٥٢) ، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ
يَقَظَتِهَا ، وَعَاثَ^(٣٠٥٣) فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى^(٣٠٥٤) سَمَجَهَا^(٣٠٥٥) ،
وَسَهَّلَ طُرُقَ آلَاةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجَزَعُ ،
لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبِ^(٣٠٥٦) ، وَأَقْدَاءَ عِيُونِ^(٣٠٥٧) ، لَهُمْ فِي كُلِّ فِطَاعَةٍ
صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ ، وَعَمْرَةٌ^(٣٠٥٨) لَا تَنْجَلِي . فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ
عَزِيرِ جَسَدٍ ، وَأَنْبَقِ^(٣٠٥٩) لَوْنٍ ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيٍّ^(٣٠٦٠) تَرَفٍ ،
وَرَبِيبٍ^(٣٠٦١) شَرَفٍ ! يَتَعَلَّلُ^(٣٠٦٢) بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ ، وَيَفْزَعُ إِلَى
السَّلْوَةِ^(٣٠٦٣) إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنَا^(٣٠٦٤) بِغَضَارَةٍ^(٣٠٦٥) عَيْشِهِ ،
وَشَحَاحَةٍ^(٣٠٦٦) بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ
إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ^(٣٠٦٧) ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ^(٣٠٦٨) وَنَقَضَتْ
الْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ^(٣٠٦٩) مِنْ كُتُبٍ^(٣٠٧٠) ، فَخَالَطَهُ^(٣٠٧١)
بَثٌّ^(٣٠٧٢) لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيٌّ^(٣٠٧٣) هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ
فَتَرَاتٌ^(٣٠٧٤) عِلَلٍ ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ
الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِ^(٣٠٧٥) ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ
يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيْجَ بُرُودَةٍ ، وَلَا
أَعْتَدَلَ بِمُمَازَجٍ^(٣٠٧٦) لَيْتَكَ الطَّبَائِعُ إِلَّا أَمَدٌ مِنْهَا كُلِّ ذَاتٍ دَائٍ ؛
حَتَّى أَفْتَرَ مُعَلِّلُهُ^(٣٠٧٧) ، وَذَهَلَ مُرْضُهُ ، وَتَعَابَا^(٣٠٧٨) أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ،

وَحَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيًّا خَبِرَ يَكْتُمُونَهُ :
فَقَائِلٌ يَقُولُ : هُوَ لِمَا بِهِ ^(٣٠٧٩) ، وَمَنْ ^(٣٠٨٠) لَهُمْ إِيَابٌ ^(٣٠٨١) عَافِيَتِهِ ،
وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى ^(٣٠٨٢) الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ . فَبَيْنَا
هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ الْأَجِبَةَ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ
عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ^(٣٠٨٣) ، وَبَيَّسَتْ رُطُوبَةُ
لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعِيٌّ ^(٣٠٨٤) عَنْ رَدِّهِ ، وَدَعَاءِ
مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ
كَانَ يَرْحَمُهُ ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ ^(٣٠٨٥) هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَفْرَقَ
بِصِفَةٍ ، أَوْ تُعْتَدَلَ عَلَى عُقُولٍ ^(٣٠٨٦) أَهْلِ الدُّنْيَا .

٢٢٢ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾

قَالَ عِنْد تِلَاوَتِهِ : « يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ ^(٣٠٨٧) جِلَاءً ^(٣٠٨٨) لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ
بِهِ بَعْدَ الْوُقُورَةِ ^(٣٠٨٩) ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُشُورَةِ ^(٣٠٩٠) ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ
الْمُعَانَدَةِ ، وَمَا بَرَحَ اللَّهُ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي
أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ ^(٣٠٩١) ، عِبَادُ نَاجَاهُمْ ^(٣٠٩٢) فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَمَهُمْ فِي

ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَضَبُّوْهُا^(٣٠٩٣) ، بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ
وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ^(٣٠٩٤)
فِي الْفَلَوَاتِ^(٣٠٩٥) . مَنْ أَخَذَ الْقُضْدَ^(٣٠٩٦) حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ
بِالنَّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ
الْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ .
إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
نَنْهُ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتِفُونَ^(٣٠٩٧) بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ
لَّهِ ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ^(٣٠٩٨) وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ^(٣٠٩٩) ،
يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
مُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا أَطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ
، طَوَّلِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا^(٣١٠٠) ، فَكَشَفُوا
طَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ
الَّا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ^(٣١٠١) الْمَحْمُودَةِ ،
مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ^(٣١٠٢) أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا
لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا ،
أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَقَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ^(٣١٠٣) ظُهُورَهُمْ ،
فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا^(٣١٠٤) نَشِيجًا ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا^(٣١٠٥) ،

يَعْبُجُونَ^(٣١٠٦) إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَّقَامٍ نَدْمُ وَأَعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ
هَدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ ،
فِي مَقْعَدٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَرَضِيَ سَعِيَّهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ ،
يَتَنَسَّمُونَ^(٣١٠٧) بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ . رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأَسَارَىٰ
ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ^(٣١٠٨) قُلُوبَهُمْ ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عِيُونَهُمْ .
لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ
الْمَنَادُحُ^(٣١٠٩) ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبٌ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنْ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

— ۲۲۳ —

قاله عند تلاوته : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * » .

أَذْحَضُ^(٣١١٠) مَسْئُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍ مَعْدِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ^(٣١١١) جَهَالَةَ بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا
أَتَيْتَكَ بِهِ لَكَ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ^(٣١١٢) ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ

يَقْظَةُ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الصَّاحِي (٣١١٣)
 مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِآلَمٍ يُمَضُّ جَسَدُهُ (٣١١٤)
 فَتُبْكِي رَحْمَةً لَهُ ! فَمَا صَبْرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ،
 وَعَزَاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ ! وَكَيْفَ لَا
 يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِعْمَةٍ (٣١١٥) ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ
 سَطَوَاتِهِ ! فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى (٣١١٦)
 الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِقِظَةٍ ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا . وَتَمَثَّلْ (٣١١٧)
 فِي حَالِ تَوَلُّيكَ (٣١١٨) عَنْهُ إِقْبَالُهُ عَلَيْكَ ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدُكَ (٣١١٩)
 بِفَضْلِهِ ، وَأَنْتَ مُتَوَلٌّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ !
 تَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ! وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ
 نُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ ، وَلَمْ يُهْتِكْ عَنْكَ
 سِتْرُهُ ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ (٣١٢٠) فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ ،
 وَ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَضْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ
 طَعَنَتْهُ ! وَآيَمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّينَ فِي الْقُوَّةِ ،
 مُتَوَازِينَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذِمِيمِ
 الْأَخْلَاقِ ، وَمَسَاوِيءِ الْأَعْمَالِ . وَحَقًّا أَقُولُ ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ ، وَلَكِنْ
 بِهَا أَغْتَرَزْتَ ، وَلَقَدْ كَاشَفْتَكَ الْعِظَاتِ (٣١٢١) ، وَآذَنْتَكَ (٣١٢٢) عَلَى سَوَاءٍ .

وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ أَلْبَلَاءِ بِجَسْمِكَ ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ ، أَصْدَقُ
وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ ، أَوْ تَعْرَكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهِمٌ^(٣١٢٣) ،
وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَكِنْ تَعَرَّفَتْهَا^(٣١٢٤) فِي الدِّبَارِ الْخَاوِيَةِ ،
وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ ،
بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّجِيعِ^(٣١٢٥) بِكَ ! وَلَنِعَمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ
بِهَا دَارًا ، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا^(٣١٢٦) مَحَلًّا ! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا
هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَعْتَ الرَّاجِفَةَ^(٣١٢٧) ، وَحَقَّتْ^(٣١٢٨) بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ
بِكُلِّ مَنْسِكَ^(٣١٢٩) أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ
طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ^(٣١٣٠) فِي عَذْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ ،
وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ ،
وَعَلَائِقُ عَذْرِ مُنْقَطِعَةٌ !

فَتَحَرَ^(٣١٣١) مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُدْرُكَ ، وَتَثَبَّتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ
مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ ، وَتَيْسَّرْ^(٣١٣٢) لِسَفَرِكَ ؛ وَشِمِّمْ^(٣١٣٣) بَرَقَ
النَّجَاةِ ؛ وَأَرْحَلْ^(٣١٣٤) مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

٢٢٤ - ﴿٢٢٤﴾

يتبرأ من الظلم

وَاللّٰهُ لَآنَ أَبَيْتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ ^(٣١٣٥) مُسَهَّدًا ^(٣١٣٦) ، أَوْ أُجِرَ
فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا لِّشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ، وَكَيْفَ
أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولَهَا ^(٣١٣٧) ، وَيَطُولُ فِي
الشَّرَى ^(٣١٣٨) حُلُولَهَا ؟!

وَاللّٰهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ ^(٣١٣٩) حَتَّى اسْتَمَاحَنِي ^(٣١٤٠) مِنْ
بُرْكَمٍ ^(٣١٤١) صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتُ ^(٣١٤٢) الشُّعُورِ ، غُبْرَ ^(٣١٤٣)
الْأَلْوَانِ ، مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلَمِ ^(٣١٤٤) ،
وَعَاوَدَنِي مُوَكَّدًا ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ،
فَظَنُّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتْبِعُ قِيَادَهُ ^(٣١٤٥) مُفَارِقًا طَرِيقَتِي ، فَأَخْمَيْتُ
لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي
دَنْفٍ ^(٣١٤٦) مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا ^(٣١٤٧) ، فَقُلْتُ لَهُ :
تَكَلَّنَكَ الثَّوَاكِلُ ^(٣١٤٨) ، يَا عَقِيلُ ! أَتَيْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا
لِلْعَبِيهِ ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعُضْبِهِ ! أَتَيْتُ مِنَ الْأَذَى وَلَا

أَيْنَ مِنْ لَطَى^(٣١٤٩) ؟ ! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ^(٣١٥٠) فِي
وَعَائِهَا ، وَكَمَعُجُونَةٍ شَنِئْتُهَا^(٣١٥١) ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَبِيحٍ حَبَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ،
فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ^(٣١٥٢) ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ ! فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ : هَبْلَتِكَ
الْهَبُولُ^(٣١٥٣) ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمْخِطُ^(٣١٥٤) أَنْتَ أَمْ
ذُو جَنَّةٍ^(٣١٥٥) ، أَمْ تَهْجُرُ^(٣١٥٦) ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا
تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَى أَنْ أَغْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ^(٣١٥٧) شَعِيرَةٍ
مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا^(٣١٥٨) .
مَا لِعَيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى ! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتٍ^(٣١٥٩)
الْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ . وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

٢٢٥ - وَمِنْ كَلَامِ الْعَلَمَاءِ

يلتجىء إلى الله أن يغنيه

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي^(٣١٦٠) بِالْيَسَارِ^(٣١٦١) ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي^(٣١٦٢)
بِالْإِقْتَارِ^(٣١٦٣) ، فَاسْتَرْزُقْ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ ،
وَأُبْتَلِ بِحَمْدٍ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتِنَ بِذِمٍّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءَ
ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ؛ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

٢٢٦ - (خطبة الجمعة) ١٤٢٤هـ

في التنفير من الدنيا

دَارُ بِالْبَلَاءِ مَخْضُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نُزَالُهَا^(٣١٦١) .

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ^(٣١٦٥) ، أَلْعِيشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ^(٣١٦٦) ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا^(٣١٦٧)

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا^(٣١٦٨) ؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَا حُهُمْ رَاكِدَةً^(٣١٦٩) ، وَأَجْسَادُهُمْ بِالْيَبَةِ ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً^(٣١٧٠) . فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ ، وَالنَّمَارِقِ^(٣١٧١) الْمُمَهَّدَةِ^(٣١٧٢) ، الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةِ ، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ^(٣١٧٣) الْمُلْحَدَةِ^(٣١٧٤) ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاوُهَا^(٣١٧٥) ، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوُهَا ؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ

مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ ، وَدُنُو الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ ^(٣١٧٦) أَلْبَلِ ^(٣١٧٧) ، وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ ^(٣١٧٨) وَالشَّرَى ^(٣١٧٩) !
وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَأَرْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ^(٣١٨٠) ،
وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ ^(٣١٨١) بِكُمْ الْأُمُورُ ،
وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ ^(٣١٨٢) : « هُنَالِكَ تَبْلُو ^(٣١٨٣) كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ،
وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

٢٢٧ — وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ ^(٣١٨٤) الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ
لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي
ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ،
وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ^(٣١٨٥) . إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ آتَسَهُمْ ذِكْرَكَ ،
وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَوْوا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْمًا بِأَنَّ
أَزِمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .
اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ ^(٣١٨٦) عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي ^(٣١٨٧) ،
فَدَلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ^(٣١٨٨) ، فَلَيْسَ ذَلِكَ

بُنْكَرٍ^(٣١٨٧) مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا يَبْدَحِ^(٣١٩٠) مِنْ كِفَايَاتِكَ .
 اللَّهُمَّ أَخِمْ لِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

٢٢٨ — وَمِنْ كَلَامِ الْأَوَّلِ

يريد به بعض أصحابه

لِلَّهِ بَلَاءُ فُلَانٍ^(٣١٩١) ، فَلَقَدْ قَوْمَ^(٣١٩٢) الْأَوْدَ ، وَدَاوَى^(٣١٩٣) الْعَمَدَ ،
 وَأَقَامَ السُّنَّةَ ، وَخَلَّفَ^(٣١٩٤) الْفِتْنَةَ ! ذَهَبَ نَقِي الثُّوبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ .
 أَصَابَ خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا . أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ .
 رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ^(٣١٩٥) ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ . وَلَا
 يَسْتَفِينُ الْمُهْتَدِي .

٢٢٩ — وَمِنْ كَلَامِ الْأَوَّلِ

في وصف يبعته بالخلافة

قال الشريف : وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْنُمُ يَدَي فَكَفَفْتُمَهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمُ
 عَلَيَّ^(٣١٩٦) تَدَاكَ الْأَيْلِ الْهَيْمِ^(٣١٩٧) عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرْدِهَا ، حَتَّى أَنْقَطَعَتْ
 النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرَّدَاءُ ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ

بَيَّعْتَهُمْ إِيَّايَ أَنْ أَبْتَهِجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ ^(٣١٩٨) إِلَيْهَا الْكَبِيرُ ،
وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ ^(٣١٩٩) إِلَيْهَا الْكَعَابُ ^(٣٢٠٠) .

٢٣٠ ﴿وَالْحَبَّابَةُ﴾

في مقاصد أخرى

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِثْقٌ مِنْ كُلِّ
مَلَكَةٍ ^(٣٢٠١) ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ^(٣٢٠٢) . بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو
الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ .

فضل العمل

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَالْحَالُ
هَادِئٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَبَادِرُوا ^(٣٢٠٣) بِالْأَعْمَالِ عُمَرًا نَاكِسًا ^(٣٢٠٤) ،
أَوْ مَرَضًا حَابِسًا ^(٣٢٠٥) ، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا ^(٣٢٠٦) . فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَانِكُمْ ،
وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدٌ طِبَائِكُمْ ^(٣٢٠٧) . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ،
وَقِرْنٌ ^(٣٢٠٨) غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ ^(٣٢٠٩) غَيْرُ مَطْلُوبٍ . قَدْ أَغْلَقْتَكُمْ
حَبَائِلُهُ ^(٣٢١٠) ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ ^(٣٢١١) غَوَائِلُهُ ^(٣٢١٢) ، وَأَقْصَدَتْكُمْ ^(٣٢١٣)
مَعَابِلُهُ ^(٣٢١٤) وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطَوْتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَنَوْتُهُ ^(٣٢١٥) ،

وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ^(٣٢١٦) فَيُوشِكُ^(٣٢١٧) أَنْ تَغْشَاكُمْ^(٣٢١٨) دَوَاجِي^(٣٢١٩)
 ظُلُمِهِ^(٣٢٢٠) وَاحْتِدَامُ^(٣٢٢١) عَلَيْهِ ، وَحَنَادِسُ^(٣٢٢٢) غَمَرَاتِهِ^(٣٢٢٣) ، وَغَوَاشِي
 سَكَرَاتِهِ ، وَالْيَمُّ إِرْهَاقِهِ^(٣٢٢٤) ، وَدُجُو^(٣٢٢٥) أَطْبَاقِهِ^(٣٢٢٦) ، وَجُشُوبَةُ^(٣٢٢٧)
 مَذَاقِهِ . فَكَانَ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَاسْكُتْ نَجِيكُمْ^(٣٢٢٨) ، وَفَرَّقْ نَدِيَكُمْ^(٣٢٢٩) ،
 وَعَفَى آثَارَكُمْ^(٣٢٣٠) ، وَعَظَلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وَرَثَكُمْ ، يَقْتَسِمُونَ
 ثَرَانَكُمْ^(٣٢٣١) ، بَيْنَ حَمِيمٍ^(٣٢٣٢) خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَخْزُونٍ لَمْ
 يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ .

فضل الجِد

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ، وَالتَّاهِبِ وَالْاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي
 مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تُغَرَّنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ
 الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا^(٣٢٣٣) .
 وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا^(٣٢٣٤) ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا^(٣٢٣٥) . وَأَصْبَحَتْ
 مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثًا^(٣٢٣٦) ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا . لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ . وَلَا
 يَخْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ^(٣٢٣٧) ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ . فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا
 فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ . مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ^(٣٢٣٨) . لَا
 يَدُومُ رَخَاوُهَا ، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاوُهَا ، وَلَا يَرْكُدُ^(٣٢٣٩) بِلَاوُهَا .

ومنها في صفة الزهاد : كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا ، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا^(٣٢٤٠) فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ . تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ^(٣٢٤١) ، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظُمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

٣٣١ - ﴿عَلَّمَ الْغُلَامَ الْقُرْآنَ﴾

خطبها. بندي قار . وهو متوجه إلى البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب « الجمل » :

فَصَدَعَ^(٣٢٤٢) بِمَا أَمَرَ بِهِ . وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ^(٣٢٤٣) . وَرَتَقَ بِهِ الْفَتَقَ^(٣٢٤٤) ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ . بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ^(٣٢٤٥) فِي الصُّدُورِ ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ^(٣٢٤٦) فِي الْقُلُوبِ .

٣٣٢ - ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْقُرْآنَ﴾

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعته ، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ، فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا أَلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ^(٣٢٤٧) ، وَجَلَبُ أَسْيَافِهِمْ^(٣٢٤٨) ، فَإِنْ شَرِكتَهُمْ^(٣٢٤٩) فِي حَرْبِهِمْ ، كَانَ لَكَ

مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ^(٣٢٠٠) أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

٢٣٣ - وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ

بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصره ، وهو في فضل أهل البيت ، ووصف فساد الزمان
أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ^(٣٢٠١) مِنَ الْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا أَمْتَنَعَ ،
وَلَا يُنْهِلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ^(٣٢٠٢)
عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ^(٣٢٠٣) غُصُونُهُ .

فساد الزمان

وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ ،
وَاللِّسَانُ عَنِ الصَّدَقِ كَلِيلٌ^(٣٢٠٤) . وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ
عَلَى الْعُضَيَّانِ . مُضْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ . فَتَاهُمْ عَارِمٌ^(٣٢٠٥) . وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ،
وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِنُهُمْ مُمَازِقٌ^(٣٢٠٦) . لَا يُعَظَّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ .
وَلَا يَبْعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ .

٢٣٤ - وَمِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ

روى فاعلب الياهمي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال

كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ^(٣٢٥٧) ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً^(٣٢٥٨)
 مِنْ سَبَخٍ^(٣٢٥٩) أَرْضٍ وَعَذِبِهَا ، وَحَزَنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا ، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ
 قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ، فَتَأْمُ الرُّوَاءُ^(٣٢٦٠)
 نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ^(٣٢٦١) قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ
 الْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ الْفَقْرِ^(٣٢٦٢) بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ^(٣٢٦٣)
 مُنْكَرُ الْجَلِيلَةِ^(٣٢٦٤) ، وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ
 حَدِيدُ الْجَنَانِ .

٣٣٥ - وَمِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ
 غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ . خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًّا
 عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ
 بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا^(٣٢٦٥) عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ^(٣٢٦٦) ،
 وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا^(٣٢٦٧) ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا^(٣٢٦٨) ، وَقَلَّا لَكَ^(٣٢٦٩) !
 وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدُّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! أَذْكُرْنَا

عِنْدَ رَبِّكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

٢٣٦ — ﴿وَجَعَلْنَا مِنْكُمْ آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وآله - ثم لحاقه به :

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَأَطَأُ ذِكْرَهُ ، حَتَّى أَنتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ .^(٣٢٧٠)

قال السيد الشريف رضي الله عنه في كلام طويل : قوله عليه السلام : « فَأَطَأُ ذِكْرَهُ » ، من الكلام الذي رمى به إلى غايي الإيجاز والفصاحة ، أراد أني كنت أعطى خبره - صلى الله عليه وآله - من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع ، فكفى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

٢٣٧ — ﴿وَجَعَلْنَا مِنْكُمْ آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾

في المسارعة إلى العمل

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ^(٣٢٧١) ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ^(٣٢٧٢) ،
وَالْتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ^(٣٢٧٣) ، وَالْمُذِيرُ يُدْعَى^(٣٢٧٤) ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى ، قَبْلَ
أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ^(٣٢٧٥) ، وَيَنْقُطَعَ الْمَهْلُ ، وَيَنْقُضِيَ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ
بَابُ التَّوْبَةِ ، وَتَضَعَدَ الْمَلَائِكَةُ^(٣٢٧٦)

فَأَخَذَ أَمْرُو مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَاِنٍ لِبَاقٍ ،

وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . أَمَرُوا خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ^(٣٢٧٧)
إِلَى عَمَلِهِ . أَمَرُوا أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا^(٣٢٧٨) ، فَأَمْسَكَهَا
بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

٢٣٨ — وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاءً^(٣٢٧٩) طَعَامٌ^(٣٢٨٠) ، وَعَبِيدُ أَقْزَامٍ^(٣٢٨١) ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ،
وَتَلَقَّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ^(٣٢٨٢) ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُودَّبَ ، وَيُعَلَّمَ
وَيُدَرَّبَ ، وَيُؤْتَى عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ ، وَلِأَنَّكُمْ
اخْتَرْتُمْ لِنَفْسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ . وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ ، فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ^(٣٢٨٣) ،
وَشَيِّمُوا^(٣٢٨٤) سُبُوفَكُمْ » . فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهٍ ،
وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التَّهْمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ ، وَخُوطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ .
أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلَى صِفَاتِكُمْ تُرْمَى ؟

٢٣٩ - وَطَبَّاهُ الْإِسْلَامِ

يذكر فيها آل محمد - صلى الله عليه وآله -

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ،
وَزَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ
الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، وَوَلَايُجُ^(٣٢٨٥)
الْإِعْتِصَامِ . بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ^(٣٢٨٦) ، وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلِ^(٣٢٨٧)
عَنْ مُقَامِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبَتِهِ^(٣٢٨٨) . عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةٍ
وَرِعَايَةٍ^(٣٢٨٩) ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ،
وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ .

٢٤٠ - وَطَبَّاهُ الْإِسْلَامِ

قاله لعبد الله بن العباس ؛ وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى
اله بينبع ، ليقبل هتف^(٣٢٩٠) الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ،
نال عليه السلام :

يَا بَنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا
بِالْغَرْبِ^(٣٢٩١) : أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ
أَقْدَمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى

خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا .

٢٤١ - ﴿مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَمْ يَرْحَمْ﴾

يُحَثُّ بِهِ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ^(٣٢٩٢) شُكْرُهُ وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ^(٣٢٩٣) فِي مِضْمَارٍ^(٣٢٩٤) مَحْدُودٍ ، لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ^(٣٢٩٥) ، فَشُدُّوا عَقْدَ الْمَآزِرِ^(٣٢٩٦) ، وَأَطَوْوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ^(٣٢٩٧) ، وَلَا تَجْتَمِعْ عَزِيمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ^(٣٢٩٨) . مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ ، وَأَمَحَى الظُّلَمَ^(٣٢٩٩) لِتَذَاكِيرِ الْهَمَمِ !

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى ، وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة
حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب

(١٧٠٩) أُنْيَاء : جمع ثَوِيٍّ - كَفَنِيٍّ :

وهو الضيف .

(١٧١٠) الدائب : المداوم في العمل .

(١٧١١) الكادح : الساعي لنفسه بجهد

ومشقة . والمراد : من يقصر سعيه

على جمع حطام الدنيا .

(١٧١٢) أمكنت الفريسة : أي سهلت

وتيسرت .

(١٧١٣) الحُثالة - بالضم - الرديء من كل

شيء . والمراد قَرَمَ الناس وصغراء
النفوس .

(١٧١٤) الرَبَلَّة : بالتحريك ، موضع على

قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي

ذَرَّ الغفاري رضي الله عنه ،

والذي أخرجه اليه عثمان بن عفان .

(١٧١٥) قُرِضت منها : قطعت منها جزءاً

واختصصت به نفسك .

(١٧١٦) أظناركم : أعطفكم .

(١٧١٧) السَرار - كَسَحَاب - وتكسر

أيضاً ، في الأصل : آخر ليلة من

الشهر . والمراد الظلّمة .

(١٧١٨) التَّهْمَة - بفتح النون وسكون الهاء -

إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص .

(١٧١٩) الحائف - من الحيف - أي الجور

والظلم .

- (١٧٢٠) الدُّوَل : جمع دَوْلَة بالضم : هي المال ، لأنه يَتَدَاوَلُ أي ينقل من يد ليد . والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفْضِلُ قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .
- (١٧٢١) المَقْاطِع : الحدود التي عينها الله لها .
- (١٧٢٢) الإِبْلَاء : الإحسان والانععام . والابتلاء : الامتحان .
- (١٧٢٣) بَعِيْثُهُ : مصطفاؤه ومبعوثه .
- (١٧٢٤) « المَوْتُ أَسْمَعُ دَاعِيِهِ » : أي إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كلَّ حيٍّ ، فلا حي إلا وهو يعلم أنه يموت .
- (١٧٢٥) « أَعْجَلَ حَادِيَهُ » : أي إن الحادي قد أَعْجَلَ المَدْبِرِينَ عن تدبيرهم ، وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم .
- (١٧٢٦) بَرَزَ الرَّجُلُ عَلَى أَقْرَانِهِ : أي فاقهم . والمَهْلُ : التقدم في الخير ، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .
- (١٧٢٧) اهْتَبَلَ الصَّيْدَ : طلبه . والضمير في « هَبَلَهَا » للتقوى لا للدنيا . أي : اغنموا خيرَ التقوى .
- (١٧٢٨) الوَقْفَرُ - بتسكين الفاء وفتحها - العَجَلَةُ ، وجمعه أَوْفَاز ، أي كونوا منها على استعجال .
- (١٧٢٩) الظُّهُور : يراد بها هنا ظهور المطايا
- (١٧٣٠) الزَّيَال : الفراق .
- (١٧٣١) مَقَالِيدُهَا : جمع مِقْلَاد ، وهو المفتاح .
- (١٧٣٢) قَدَحَتِ : اشعلت .
- (١٧٣٣) الغِلْ : الحقد ، والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس .
- (١٧٣٤) « نَبَتَ المرعى عَلَى دِمَتِكُمْ » : تأكيد وتوضيح لمعنى الحقد . والدِّمَنُ - بكسر ففتح - جمع دِمْنَةٍ بالكسر ، وهي الحقد القديم . وَنَبَتُ المرعى عليه استتارُهُ بظواهر النفاق . وأصل الدِّمَنُ : السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها . وَسُمِّيَتْ بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها .
- (١٧٣٥) استَهَامَ : أصله من هَامَ على وجهه ، إذا خرج لا يدري أين يذهب .
- (١٧٣٦) الْحَوْزَةُ : ما يَحْوِزُهُ المالك ويتولى حفظه . وإِعْزَازُ حَوْزَةِ الدين : حمايتها من تغلب أعدائه .
- (١٧٣٧) كَافَّةً : عاصمة يلجؤون إليها ، من « كَفَفَ » إذا صانه وسره .
- (١٧٣٨) احْفَظْ : أمر من الحفز ، وهو الدفع والسَّوْقُ الشديد .
- (١٧٣٩) أَهْلُ الْبَلَاءِ : أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجراءة في الإقدام . والبَلَاءُ : هو الإجادة في العمل وإحسانه .
- (١٧٤٠) الرَّدَاءُ - بالكسر - الملجأ .
- (١٧٤١) المَثَابَةُ : المرجع .

(١٧٥٦) العُودُ : بضم العين ، جمع عائفة :

وهي النتاج من الظباء والإبل ،

أو كل أنثى . والمطافيل : جمع

مُطْفِل - بضم الميم وكسر الفاء -

ذات الطفل من الإنس والوحش .

(١٧٥٧) التَّالِبُ : الإفساد .

(١٧٥٨) اسْتَقْبَتُهُمَا : من ثاب (بالثاء)

إذا رجع ، أي استرجعتهما .

وطلبت اليهما الرجوع للبيعة .

(١٧٥٩) أمام الوِاقاع : - ككتاب - قيل

المواقعة بالحرب .

(١٧٦٠) غَمَطَتِ النعمة : جَحَدَهَا .

(١٧٦١) النواجد : أقصى الأضراس أو

الأنياب . وَبُدُوْا النواجد : كتابة

عن شدة الاحتدام .

(١٧٦٢) الأخلاف : جمع خِلَف بالكسر -

وهو للناقة حلمة الضرع .

(١٧٦٣) أَفَالِيدُ : جمع أَفْلَاز ، جمع فلذة :

وهي القطعة من الذهب والفضة .

(١٧٦٤) فحص : بحث .

(١٧٦٥) كُوفَان : الكوفة .

(١٧٦٦) الصُروس : الناقة السيئة الخُلُق

نعضّ حاليها .

(١٧٦٧) « فَعَفَرَتْ فَاغْيَرَتْهُ » : افتتح

فمه ، وأكّد الفعل بذكر الفاعل

من لفظه .

(١٧٦٨) لِيَشْرَدَنكُمْ : ليفرقنكم

(١٧٦٩) عوازب أحلامها : غايات عقولها .

(١٧٧٠) يُسَنِّ : يسهّل .

(١٧٤٢) الأَبتر : هو من لا عَقَبَ له .

(١٧٤٣) التَّوَي : هاهنا بمعنى الدار .

(١٧٤٤) الفَلَسَّة : الأمر يقع عن غير رويّة

ولا تدبّر .

(١٧٤٥) الخِزامة - بالكسر - حلقة من

شعر تحيل في وترّة أنف البعير

ليشدّ فيها الزمام ويسهل قياده .

(١٧٤٦) التَّصَف : بكسر النون - الإنصاف .

(١٧٤٧) الطَّلِيّة : بفتح الطاء وكسر اللام -

ما يطالب به من الثأر .

(١٧٤٨) المراد بالحمّا هنا مطلق القرب

والنسب ، وهو كناية عن الزبير ،

فانه من قرابة النبي ابن عمته ،

والحمّة - بضم فتح - أصلها الحية

أو إبرة اللاسعة من الهوام .

(١٧٤٩) أَغْدَقَتِ المرأة قناعها : أرسلته

على وجهها ، وأغدف الليل :

أرخصى سدوله . يعني : أن شبهة

الطلب بدم عثمان شبهة سائرة للحق .

(١٧٥٠) زاح . يَزِيحُ زَيْحًا وَزَيْحَانًا :

بَعْدَ وَذَهَب ، كانزاح . والنصاب

الأصل . أي : قد انقلع الباطل

عن مَغْرِسِه .

(١٧٥١) الشَّغَب : - بالفتح - تبيح الشرّ

(١٧٥٢) أَفْرَطَ الخوض : ملأه حتى فاض

والمراد حوض النية .

(١٧٥٣) مَاتِحُهُ : أي نازع مائه لأسقيهم .

(١٧٥٤) عَبَّ : شرب بلا تنقّس .

(١٧٥٥) الحَسَنِي : بفتح الحاء وتكسر -

سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .

- (١٧٧١) تُنْقَضَى : تُسَلَّ .
- (١٧٧٢) المصنوع اليهم : الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام
- (١٧٧٣) يُحْيِل : يتغير عن وجه الحق .
- (١٧٧٤) الغارم : مَنْ عليه الديون .
- (١٧٧٥) صَبَرَ نفسه - بالتخفيف - حَبَسَهَا .
- (١٧٧٦) تُظَلِّكُمْ : تعلو فوقكم .
- (١٧٧٧) الرُّلْفَةُ : القُرْبَةُ .
- (١٧٧٨) السِّنُون - جمع سَنَةٍ - بمعنى الجذب والقحط
- (١٧٧٩) المضايق الوَعْرَةُ - بالتسكين ولا يجوز التحريك - الصعبة .
- (١٧٨٠) أَجَاءَتْهُ اليه : أَجْلَأَتْهُ .
- (١٧٨١) المَقَاحِطُ : جمع مَقْحَطَةٍ ، وهي السنة المُنْحَلَةُ .
- (١٧٨٢) تَلَاَحَمَتْ : اتصلت .
- (١٧٨٣) الواجِم : الذي قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .
- (١٧٨٤) الحَبِيَا : الحِصْبُ والمطر .
- (١٧٨٥) القَبِيعَان : جمع قَاع ، الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .
- (١٧٨٦) البُطْنَان : جمع بطن ، بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق .
- (١٧٨٧) تستورق الأشجار : تخرج ورقها .
- (١٧٨٨) كَشَفَ الخَلْقَ : علم حالهم في جميع أطوارهم .
- (١٧٨٩) بَوَاء : مصدر باء فلان بفلان : أي قُتِلَ به ، والعقاب : القصاص .
- (١٧٩٠) الآجِن : الماء المتغير اللون والطعم واستعاره الامام للذات الدنيا ، تشبيهاً بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه وطعمه .
- (١٧٩١) بَسِيَء به - كفرح - أَلِفَهُ واستأنس به .
- (١٧٩٢) خِلَافَتُهُ : ملكاته الراسخة في نفسه .
- (١٧٩٣) لَا يَحْفَل - كيضرب - لا يبالي .
- (١٧٩٤) «ازْدَحَمُوا عَلَى الحُطَام» : استعار لفظ الحُطَام لمُقْتَنِيَاتِ الدنيا ، لسرعة فنائها وفسادها .
- (١٧٩٥) تَنْتَضِل فيه : تَرَامى اليه .
- (١٧٩٦) يَخْلُق : يَبْلَى .
- (١٧٩٧) المَهْبِيعُ - كالمقعد - الطريق الواضح
- (١٧٩٨) عَوَازِم الأمور : ما تقادَمَ منها ، وكانت عليه ناشئة الدين . من قولهم : « نَاقَةٌ عَوَزَمٌ - كجعفر - » أي عموز فيها بقية من شباب .
- (١٧٩٩) القِيَمَ بالأمر : القائم به ، يريد الخليفة .
- (١٨٠٠) النظام : السِّلْكُ ينظم فيه الخرز .
- (١٨٠١) بِحَذَافِيرِهِ : أي بأصله ، والحذافير جمع حِذْفَار ، وهو أعلى الشيء وناحيته .
- (١٨٠٢) شَخَصَتْ : خرجت .
- (١٨٠٣) «تَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ» : ظهر لهم من غير أن يرى بالبصر .
- (١٨٠٤) المَثَلَات - بفتح فضم - العقوبات .
- (١٨٠٥) أَنْفَقَ مِنْهُ : أَرُوجَ مِنْهُ .
- (١٨٠٦) الزُّبُر - بالفتح - الكتابة .

- (١٨٠٧) مثَلُوا : نكَلُوا وشَتَعُوا ، والاسم منه المَثَلَةُ بضم الميم .
- (١٨٠٨) الفِرْيَةُ : بكسر الفاء - الكذب .
- (١٨٠٩) الموعود : هنا الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة .
- (١٨١٠) القارعة : الداهية المهلكة .
- (١٨١١) الباري : المُعافي من المرض .
- (١٨١٢) السَّقم : المرض والعلّة .
- (١٨١٣) لا يَمُتَان : لا يَمُدَّان .
- (١٨١٤) السبب : الحبل .
- (١٨١٥) الضَّبّ : بالفتح ويكسر : الحقد . والعرب تضرب المثل بالضَّبِّ في العقوق .
- (١٨١٦) المُحْتَسِبُونَ : الذين يجَاهرون حِسْبَةَ اللَّهِ .
- (١٨١٧) اللَّدَم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة .
- (١٨١٨) مَسَاقِ النَّفْس : هو ما تَسُوقُها إليه أطوار الحياة حتى تُوافيه .
- (١٨١٩) أَطْرَدَ : أمر بالإخراج والطرْد .
- (١٨٢٠) « خَلَامٌ دَم » : برثم من الدَّم .
- (١٨٢١) تَشَرَّدُوا - كَتَنَصَرُوا - أَي تَنَفَّرُوا وتميلوا عن الحق .
- (١٨٢٢) « إِنْ تَثَبَّتِ الوَطْأَةُ » : يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه .
- (١٨٢٣) المَزَلَّة : محلّ الزَّلَل .
- (١٨٢٤) دَحَضَتِ القَدَمُ : زَلَّت وزَلَقَتْ .
- (١٨٢٥) الأَفْيَاء : جمع أَفْيء - وهو الظلّ ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأماكن .
- (١٨٢٦) مُتَلَفِّقُهَا : بفتح الفاء ، مجتمَعُها أي ما اجتمع من الغيوم في الجو ، والتلفيق : الجمع .
- (١٨٢٧) عَقَبًا : اندرَسَ وذهب .
- (١٨٢٨) مَخَطَّهَا : أثر ما خَطَّتْ في الأرض .
- (١٨٢٩) « جَنَّةٌ خَلَاء » : خالية من الروح .
- (١٨٣٠) الحُفُوتُ : السكون .
- (١٨٣١) أطرافه : يداه ورأسه ورجلاه
- (١٨٣٢) مُرْصِد : اسم فاعل من « أرصد » مُنْتَظِر .
- (١٨٣٣) تَبَاشِيرُهُ : أوائله .
- (١٨٣٤) إِيَّان : بكسر فتشديد - وقت .
- (١٨٣٥) الدُّنُو : القرب .
- (١٨٣٦) الرَّبِق : بكسر فسكون - جبل فيه عدة عُرَا ، كل عروة رَبَقَةٌ - بفتح الراء - تُشدُّ فيه البُهْم .
- (١٨٣٧) « يَصُدَّعُ شَعْبًا » : يفرق جمعاً .
- (١٨٣٨) « يَشْعَبُ صَدْعًا » : يجمع متفرقاً .
- (١٨٣٩) القَائِف : الذي يعرف الآثار فينبعها .
- (١٨٤٠) يَشْحَذُ : من شحذَ السكين إذا حَدَدَها .
- (١٨٤١) القَبِين : الحداد ، والنَّصْل : حديدة السيف والسكين ونحوها .
- (١٨٤٢) يُغْبَقُون - مَبْنِي للمجهول - يُسْفَنُونَ بالمساء . والصَّبُوح : ما يُشْرَبُ وقت الصباح .
- (١٨٤٣) الغَيَرُ - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوابه .

- (١٨٤٤) « اَخْلَوْتُكَ الْأَجَلَ » : من قولهم
« اخلوئى السحاب » إذا استوى
وصار خليقاً أن يطر . والمراد أن
الأجل يشرف على الانقضاء .
- (١٨٤٥) أَشَالَتْ النَّاقَةَ ذَنْبَهَا : رفعته ،
أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا
حروهم على غيرهم ، أي يسعروها
عليهم .
- (١٨٤٦) « حملوا بصائرهم على أسيافهم » :
من اللفظ أنواع التمثيل ، يريد
أشبهوا عقيدتهم داعين إليها غيرهم
(١٨٤٧) الولائج - جمع وليجة - : وهي
البيطانة وخاصة الرجل من أهله
وعشيرته ، ويراد بها دخالل المكر
والخدعة .
- (١٨٤٨) الغمرة : الشدة .
- (١٨٤٩) مارُوا : تحركوا واضطربوا .
- (١٨٥٠) الدححر - بفتح الدال - الطرد .
والمُدَحِّحِر والمزاجير بها يُدَحَّر
ويُزَجَّر
- (١٨٥١) مخائل الشيطان : مكائده .
- (١٨٥٢) « على فترة » : خلو من الشرائع
الإلهية لا يعرفون منها شيئاً .
- (١٨٥٣) البوائق : جمع بائقة : وهي الداهية .
- (١٨٥٤) القَتَام - كسحاب - : الغبار .
والعِشْوَة - بالكسر وبضم - وبفتح -
ركوب الأمر على غير بيان .
- (١٨٥٥) شبابها : بكسر الشين - أي بداياتها في
عنوان وشدة ك شباب الغلام وفتوته .
- (١٨٥٦) السَّلام - بكسر السين - الحجارة
الصم ، واحدها سَلَمَة - بكسر
السين أيضاً - وآثارها في الأبدان
الرضّ والحطّم .
- (١٨٥٧) أراح اللحمُ فهو مُرِيحٌ : أنشَنَ .
- (١٨٥٨) يترايلون : يتفارقون .
- (١٨٥٩) الرَّجُوف : شديدة الرجفان
والاضطراب .
- (١٨٦٠) القاصمة : الكاسرة . والرَّحُوف :
الشديدة الزحف .
- (١٨٦١) « نجومها » : ظهورها . وهي من نجم
ينجم إذا ظهر .
- (١٨٦٢) يتكادمون : بعضٌ بعضهم بعضاً .
- (١٨٦٣) العانة : الجماعة من حُمُر الوحش .
- (١٨٦٤) تَغِيض - بالغين المعجمة - تنقص
وتغور .
- (١٨٦٥) قَدَقَ : تَفَتَّتْ .
- (١٨٦٦) المِسْحَل - كنبر - المِسْرَد أو
الْمِنْحَت . والمِسْحَل أيضاً :
حَلَقَة تكون في طريف شكمية
اللباس مُدْخِلة في مثلها .
- (١٨٦٧) الرِّضْ : التهشم .
- (١٨٦٨) الكَلْكَل : الصدر .
- (١٨٦٩) الوُحْدَان : جمع واحد ، أي
المفردون .
- (١٨٧٠) عَيْطُ الدِّمَاء : الطري الخالص منها .
- (١٨٧١) « تَلِيمٌ مُتَارَ الدِّين » : تكسره .
وأصله من « ثلم الإناء أو السيف
ونحوه » : كسر حرفه . ومنار

(١٨٨٨) مَرَّابِع : جمع مِرْبَاع - بكسر الميم - : المكان يَنْبَت نَبْتُهُ فِي أَوَّلِ الرَّيِّحِ .

(١٨٨٩) « أَحْمَى حِمَاه » : من « أَحْمَى الْمَكَانَ » : جَعَلَهُ حِمًى لَا يُقَرَّبُ ، أَيْ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَمَنْعَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ .

(١٨٩٠) الْمُتَقَاوِي : جمع مِغْوَاة . وَهِيَ الشَّبْهَةُ يَذْهَبُ مَعَهَا الْإِنْسَانُ إِلَى مَا يَخَالِفُ الْحَقَّ .

(١٨٩١) مَهْدَ - كَتَعَ - بَسَطَ .

(١٨٩٢) يَعْرَهُ : يَعْيِيهِ وَيُلَطِّعُهُ .

(١٨٩٣) يَسْتَنْجِح : يَطْلُبُ نَجَاحَ حَاجَتِهِ

(١٨٩٤) مُسْتَكِينُونَ : خَاضِعُونَ .

(١٨٩٥) فَاضِرُ الْقَلْبِ : اسْتَعَارَهُ مِنْ نَاضِرِ الْعَيْنِ : وَهُوَ النَّقْطَةُ السُّودَاءُ مِنْهَا . وَالْمُرَادُ بِبَصِيرَةِ الْقَلْبِ .

(١٨٩٦) الْغَوُورُ : مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ .

(١٨٩٧) النَّجْدُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .

(١٨٩٨) أَرَزَّ يَارِزُ : بِكَسْرِ الرَّاءِ فِي الْمُضَارَعِ أَيْ انْقِبُضَ وَثَبَتْ . وَأَرَزَّتِ الْحَيَّةُ : لَازَتْ بِجَحْرِهَا وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ .

(١٨٩٩) الشِّعَارُ : مَا يَلْبَسُهُ الْبَدَنُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالْمُرَادُ بِطَائِفَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ .

(١٩٠٠) الْكَرَاهِمُ : جَمْعُ كَرِيمَةٍ ، وَالْمُرَادُ آيَاتُ فِي مَدْحِهِمْ كَرِيمَاتُ .

(١٩٠١) انْخَسَرَتْ : انْقَطَعَتْ .

(١٩٠٢) الْعَشَا - مَقْصُورًا - : سُوءُ الْبَصَرِ وَضَعْفُهُ .

الدين : أعلامه ، وهم علمائوه ، وَثَلَمَهَا : قَتَلَ الْعُلَمَاءَ وَهَدَمَ قَوَاعِدَ الدِّينِ .

(١٨٧٢) الْأَكْيَاسُ : جَمْعُ كَيْسٍ ، الْحَاقِظُ الْعَاقِلُ .

(١٨٧٣) الْأَرْجَاسُ - جَمْعُ رَجَسٍ - : وَهُوَ الْقَنْدَرُ وَالنَّجَسُ ، وَالْمُرَادُ الْأَشْرَارُ .

(١٨٧٤) مَطْلُولٌ : مَنْ « طَلَلَتْ دَمَتُهُ » هَدَرَتْهُ .

(١٨٧٥) « يَخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ » : أَيْ يَخْدَعُونَ النَّاسَ بِحِلْفِ الْإِيمَانِ .

(١٨٧٦) الْأَنْصَابُ : كُلُّ مَا يُنْصَبُ لِيُقْنَصَ .

(١٨٧٧) اللَّعَقُ : جَمْعُ لُعْفَةٍ - بِصَمِّ اللَّامِ : وَهِيَ مَا تَأْخُذُهُ فِي الْمَلْعَقَةِ .

(١٨٧٨) « إِنَّا نَكْمُ بِعَيْنِهِ » : أَيْ إِنَّهُ يَرَاكُمُ .

(١٨٧٩) لَا تَسْلُمُهُ الْمَشَاعِرُ : أَيْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْحَوَاسُ .

(١٨٨٠) النَّصَبُ - مَحَرَكَةٌ - التَّعَبُ .

(١٨٨١) الْأَدَاةُ : الْأَلَّةُ .

(١٨٨٢) تَفْرِيقُ الْأَلَّةِ : تَفْرِيقُ الْأَجْفَانِ وَفَتْحُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ .

(١٨٨٣) الْبَائِنُ : الْمُنْفَصِلُ عَنْ خَلْقِهِ .

(١٨٨٤) « مَنْ وَصَّقَهُ » : أَيْ مِنْ كَيْتِهِ بِكَيْفِيَّاتِ الْمُحَدِّثِينَ .

(١٨٨٥) لَاحَ : بَدَأَ .

(١٨٨٦) الْغَيْرُ - بِكَسْرِ فَتْحٍ - صُرُوفُ الْحَوَادِثِ وَتَقْلِبَاتِهَا .

(١٨٨٧) جِمَاعُ الشَّيْءِ : مَجْتَمَعُهُ .

- (١٩٠٣) سُبُحات النور : درجاته وأطواره
 (١٩٠٤) الائتلاف : اللعان . والبَلَج
 - بالتحريك - الضوء ووضوحه .
 (١٩٠٥) أَسْدَفَ اللَّيْلُ : أظلم .
 (١٩٠٦) الدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وَغَسَقُ
 الدُّجْنَةِ : شدتها .
 (١٩٠٧) أَوْضاح : جمع وَضَحَ بالتحريك -
 وهو هنا بياض الصبح .
 (١٩٠٨) الضِّيَاب - ككتاب - جمع ضَبَّ :
 الحيوان المعروف . والوِجَار
 - ككتاب - الجَحْر .
 (١٩٠٩) مَأْيِها : جمع مَأَى - وهو طرف
 العين مما يلي الأنف .
 (١٩١٠) تَبَلَّغَتْ : اكتفت أو اقتاتت .
 (١٩١١) شظايا - جمع شظيَّة - كعطيَّة - :
 وهي الفلقة من الشيء ، أي كأنها
 مؤلفة من شقق الآذان .
 (١٩١٢) القَصَبَةُ : عمود الريشة أو أسفلها
 المتصل بالجنح . وقد يكون مجرداً
 عن الزَّغَب في بعض الحيوانات
 مما ليس بطائر ، كبعض أنواع
 القنفذ والفيران .
 (١٩١٣) أعلاماً : رسوماً ظاهرة .
 (١٩١٤) « خلا من غيره » : تقدّمه من
 سواه فحاذاه .
 (١٩١٥) المِرْجَل : القِدَر .
 (١٩١٦) القَبَس - بالفتح - الحداد .
 (١٩١٧) المَقْصَر - كمقعد - : المجلس ،
 أي لا مستقر لهم دون القيامة .
- (١٩١٨) مُرْقِلين : مسرعين .
 (١٩١٩) شَخَصُوا : ذهبوا .
 (١٩٢٠) الأجداث : القبور .
 (١٩٢١) مصائر الغايات : جمع مصير ،
 ما يصير اليه الانسان من شقاء
 وسعادة .
 (١٩٢٢) نَقَعَ العَطَشُ : أزاله .
 (١٩٢٣) يُسْتَعْتَبُ : يُطْلَبُ منه العُتْبَى
 حتى يرضى .
 (١٩٢٤) أَخْلَقَهُ : ألبسه ثوباً خَلَقاً : أي
 بالياً . وكثرة الرد : كثرة ترديده
 على الألسنة بالقراءة .
 (١٩٢٥) وُلُوجُ السَّمْعِ : دخول الآذان
 والمسامع .
 (١٩٢٦) حَيَزَتْ : حازها الله غني فلم أنلها .
 (١٩٢٧) تتشابه أمور الدهر : أي مصائبه ،
 كأنّ كلاً منها يطلب التزول قبل
 الآخر ، فالسابق منها مهلك .
 والمتأخر لاحق له في مثل أثره .
 (١٩٢٨) الأعلام هي الرايات ، كنى بها
 عن الجيوش ، وتظاهر : تعاونها .
 (١٩٢٩) الساعة : القيامة . وحدّوها :
 سَوَّفَها وحشّها لأهل الدنيا على
 المسير للوصول إليها .
 (١٩٣٠) زاجر الإبل : سائقها .
 (١٩٣١) الشَّوْل - بالفتح - جمع شائلة ،
 وهي من الإبل ما مضى عليها من
 حملها أو وضعها سبعة أشهر .
 (١٩٣٢) لا يُحْرَزُ : لا يحفظ .

- (١٩٣٣) **الْحَمَّة** - بضم فتح - في الأصل
لبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع
بها ، والمراد هنا سطوة الخطايا على
النفس .
- (١٩٣٤) **أيام الفناء** : يريد أيام الدنيا .
- (١٩٣٥) **المُراد « بالظن »** الأمور به هاهنا
السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة ،
وهذا ما حشنا الله عليه .
- (١٩٣٦) **تَبِعْتُهُ** : ما يتعلق به من حق الغير فيه .
- (١٩٣٧) **الرَّصَد** : الرقيب . ويريد به هنا
رقيب الذمة وواعظ السر .
- (١٩٣٨) **الرَّثَاج** - ككتاب - الباب العظيم
إذا كان مُحْكَمَ الْفَلَقِ .
- (١٩٣٩) **« منزل وحدثه »** : هو القبر .
- (١٩٤٠) **المُراد « بالصيحة »** هنا الصيحة
الثانية ، لقوله تعالى : « إن كانت
إلا صيحةً واحدة » .
- (١٩٤١) **زاحت** : بعدت وانكشفت .
- (١٩٤٢) **الْمَجْجَعَة** : المرة من المجوع ،
وهو النوم ليلاً . والمراد نوم
الغفلة في ظلمات الجهالة .
- (١٩٤٣) **المُجْرَم** : المُحْكَم ، من أبرم
الحبل إذا أَحْكَمَ قَتْلَهُ . والمراد
الأحكام الإلهية التي أبرمت على
ألسنة الأنبياء .
- (١٩٤٤) **بيت مَدَر ولا وَبَر** : كناية عن
أهل الحاضرة والبادية .
- (١٩٤٥) **تَرَحُّة** : حزن .
- (١٩٤٦) **أَصْفَيْتُهُ الشَّيْءَ** : آثرته به
واختصصته .
- (١٩٤٧) **الصَّبِير - كَكَتَف** - عَصَاة شجر مرّ .
- (١٩٤٨) **المَقِير** - على وزن كَتَف - السم .
- (١٩٤٩) **الدُّثَار** - ككتاب - من اللباس :
أعلاه فوق الملابس . والسيف
يكون أشبه بالدُّثَار إذا عَمَّتْ
لباحة الدم بأحكام الهوى .
- (١٩٥٠) **الزَّوَامِل** : جمع زاملة ، وهي ما
يحمل عليها الطعام من الإبل ونحوها .
- (١٩٥١) **فَخِمَ - كفرح -** : أخرج النخامة
من صدره فألقاها . والنخامة
- بالضم - ما يدفعه الصدر أو
الدماغ من المواد المُخاطِيَّة .
- (١٩٥٢) **الجديدان** : الليل والنهار .
- (١٩٥٣) **رَبَّق - جمع رَبْقَة** - وهي الحبل
يُرَبَّق به .
- (١٩٥٤) **حَلَقَ : جمع حَلَقَة** .
- (١٩٥٥) **السَّتَة** - بكسر السين - أوائل النوم .
- (١٩٥٦) **ذَرَّاتٌ : خَلَقَتْ** .
- (١٩٥٧) **المَوْر - بالفتح - الموج** .
- (١٩٥٨) **حَسِيرًا : مُتَعَبًا** .
- (١٩٥٩) **الْمَبْهُور** : المغلوب ومنقطع نَفْسَه
من الاعياء .
- (١٩٦٠) **الواله - من الوَلَه - وهو ذهاب
الشعور** .
- (١٩٦١) **الْمَدْخُول** : المغشوش غير
الخالص ، أو هو المعيب الناقص
لا يَرْتَب عليه عمل .
- (١٩٦٢) **الخوف المحقق** : هو الثابت الذي
يبعث على البعد عن المَخَوْف
والهرب منه .

(١٩٦٣) الخوف المعلوم : هو ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب ، وإنما هو عارض في الخيال يزيله أدنى الشواغل . فهو كالأوهام لا قرار لها ، و « معلول » : من عكته يُعكّله إذا شربه مرة بعد أخرى . (١٩٦٤) الضيمار - ككتاب - ما لا يُرجى من الوعود والديون . (١٩٦٥) الأسنوة : القدوة . (١٩٦٦) الأكثاف : الجوانب . وزَوَى : قبض . (١٩٦٧) شفيف : رقيق ، يُسْتَشَفَّ ما وراءه . (١٩٦٨) الصِّفاق : على وزن - كتاب - الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن . (١٩٦٩) تشدّب اللحم : تفرقه . (١٩٧٠) السفائف - جمع سَفِيْفَة - وصف من « سَفَّ الخوص » إذا نسجه ، أي منسوجات الخوص . (١٩٧١) ظلاله - جمع ظل - بمعنى الكِنْ والمأوى . ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كِنَ له . (١٩٧٢) تأسَّ : أي اقتَدَ . (١٩٧٣) القَضْم : الأكل بأطراف الأسنان ، كأنه لم يتناول إلا على أطراف أسنانه ، ولم يملأ منها فمه . (١٩٧٤) أهضمُّ : من الهضم : وهو خمص البطن ، أي خلوها وانطباقتها من الجوع .

(١٩٧٥) الكشّح : ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخلفي . (١٩٧٦) أخمصهم : أخلامهم . (١٩٧٧) المحاذة : المخالفة في عناد . (١٩٧٨) خَصَفَ النعل : خرزها . (١٩٧٩) الحمار العاري : ما ليس عليه بَرَدَعَة ولا إكاف . (١٩٨٠) أَرْدَفَ خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه . (١٩٨١) الرِّياش : الثياب الفاخر . (١٩٨٢) أشخصها : أبعداها . (١٩٨٣) خاصته : اسم فاعل في معنى المصدر ، أي مع خصوصيته وتفضله عندربه . (١٩٨٤) زُوِيَتْ عنه - بالبناء للمجهول - : قُضِيَتْ وأُبْعِدَتْ ، ومثله بعد قليل : زَوَى الدنيا عنه : قبضها . (١٩٨٥) عَظِيمٌ زُلْفَتِهِ : منزلته العليا من القرب إلى الله . (١٩٨٦) العلكم - بالتحريك - : العلامة ، أي أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده . (١٩٨٧) خميصاً : أي خالي البطن ، كناية عن عدم التمتع بالدنيا . (١٩٨٨) العقيب - بفتح فكسر - : مؤخر القدم . ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه ، نَقَفُوهُ خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه .

- (١٩٨٩) المِدْرَعَة - بالكسر - : ثوب من صوف .
- (١٩٩٠) اغْرُبْ عني : اذهبْ وابعده .
- (١٩٩١) السَّرَى : بضم فتح . السير ليلاً وهذا المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » معناه : إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حميدوا سُراهم وندموا على نوم أنفسهم .
- (١٩٩٢) المنهاج البادي : أي الظاهر .
- (١٩٩٣) متهدلة : متدلّية ؛ دانية للاقتطاف .
- (١٩٩٤) طيبة : المدينة المنورة .
- (١٩٩٥) مُتَلَفِيَة : من تلفاهه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافى أمور الناس قبل هلاكهم .
- (١٩٩٦) المفصولة : التي فصلها الله أي قضى بها على عباده .
- (١٩٩٧) الكبوة : السقطة .
- (١٩٩٨) المآب : المرجع .
- (١٩٩٩) الإنابة : الرجوع .
- (٢٠٠٠) أُسْبَغَ : أي أحاط بجميع وجوه الرغبة .
- (٢٠٠١) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص .
- (٢٠٠٢) الكادح : المُبَالِغ في سعيه .
- (٢٠٠٣) تزايلت : تفرقت . والأوْصال : مجتمع العظام . وتفرقتها كناية عن تبديد القوم وفنائهم .
- (٢٠٠٤) المحاورَة : المخاطبة والمناجاة .
- (٢٠٠٥) الجَدَد - بالتحريك - : المستوي المسلك .
- (٢٠٠٦) القصد : القويم .
- (٢٠٠٧) الوَضِيْن : بطن يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرّج ، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرجل فكثير تلمل الحمل وقلّ ثباته في سيره .
- (٢٠٠٨) الإرسال : الإطلاق والإهمال .
- (٢٠٠٩) السَدَد - محركاً - : الاستقامة .
- (٢٠١٠) الذِّمَامَة : الحماية والكفاية .
- والصَّبْر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج .
- (٢٠١١) النَوَط - بالفتح - : التعلق والاتصاف .
- (٢٠١٢) الأَثَرَة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه .
- (٢٠١٣) النَهْب - بالفتح - : الغنيمة .
- (٢٠١٤) صَبَحَ - صيغة المجهول من صاح - : أي صاحوا للغارة .
- (٢٠١٥) حَجَرَاتِه - جمع حَجَرَة : بفتح الحاء - : الناحية .
- (٢٠١٦) هَلُمَّ : اذكر .
- (٢٠١٧) الحَطْب : عظيم الأمر وعجيبه .
- (٢٠١٨) الأَوْد : الاعوجاج .
- (٢٠١٩) القَوَار والفَوَارَة من ينبوع : الثقب الذي يفور الماء منه بشدة .
- (٢٠٢٠) حَدَّجُوا : خَلَطُوا .
- (٢٠٢١) الشَّرْب بالكسر : النصيب من الماء . والوَيْي : ما يوجب شربه من الوَباء .

- (٢٠٢٥) **نهايات الأقطار** : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدم ذكرها .
- (٢٠٣٦) **التأثّل** : التأصّل .
- (٢٠٣٧) **أقام حدّه** : أي ما به امتاز عن سائر الموجودات .
- (٢٠٣٨) **السّويّ** : مستوى الحلقة لا نقص فيه .
- (٢٠٣٩) **المنشأ** : المبتدع . **والمرعي** : المحفوظ المعنيّ بأمره .
- (٢٠٤٠) **السّلالة من الشيء** : ما انسلّ منه .
- (٢٠٤١) **القرار المكين** : محل الجنين من الرحم .
- (٢٠٤٢) **تَمُور** : تَتَحَرَّك .
- (٢٠٤٣) **لا تحير** : من قولهم : ما أحر جواباً ، أي لم يستطع ردّاً .
- (٢٠٤٤) **استسفرّوني** : جعلوني سفيراً .
- (٢٠٤٥) **الوشيجة** : اشتباك القرابة .
- (٢٠٤٦) **ربطه فاربط** : أي شدّه وجسه .
- (٢٠٤٧) **المرج** : الخلط .
- (٢٠٤٨) **السّيقة** - **ككيسة** - ما استاقه العدو من الدواب .
- (٢٠٤٩) **نَعَقَت من نَعَقَ بغمه** - **كنع** - : صاح .
- (٢٠٥٠) **فراً** : خلق .
- (٢٠٥١) **الأخاديد** - جمع أخذود - : الشقّ في الأرض .
- (٢٠٥٢) **الخرووق** - جمع خرّق - : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح .
- والفجاج** - جمع فج - : الطريق الواسع .

- (٢٠٢٢) **محض الحق** : خالصه .
- (٢٠٢٣) **ساطح المهاد** : جاعله سطحاً سهلاً وباسطه للعمل فيه . **والمهاد الأرض** .
- (٢٠٢٤) **الوهاد** - جمع وَهْدَة - ما انخفض من الأرض . **ومُسيلها** فاعل من أسال ، أي يُجري السيل فيها .
- (٢٠٢٥) **النّجاد** - جمع نَجْد - : ما ارتفع من الأرض .
- (٢٠٢٦) **الإبانة** : ها هنا التمييز والفصل ، والضمير في له يرجع اليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أي مشابقتها .
- (٢٠٢٧) **شخص لحظة** : امتداد بصر بلا حركة من جفن .
- (٢٠٢٨) **ازدلاف الرّبوة** : تقريبها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .
- (٢٠٢٩) **الداجي** : المظلم .
- (٢٠٣٠) **الغسق** : الليل . **وساح** : أي ساكن لا حركة فيه .
- (٢٠٣١) **عبر عن نسخ نور القمر له** ، بالتفويؤ تشبيهاً له بنسخ الظلّ لضياء الشمس وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .
- (٢٠٣٢) **الأفول** : المغيب . **والكرور** : الرجوع بالشروق .
- (٢٠٣٣) **نَحَلَه القول** - كمنعه - نسبة اليه .
- (٢٠٣٤) **صفات الاقدار** : جمع قَدَر - بسكون الدال - : وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر .

- (٢٠٥٣) **الأعلام** : جمع عَلمَ بالتحريك ، وهو الجبل .
- (٢٠٥٤) **مرفوفة** : من رفرف الطائر : بسط جناحيه .
- (٢٠٥٥) **المَخَارِق** - جمع مَخْرَقَ - : الفلاة .
- (٢٠٥٦) **الحِفاق** - ككتاب - : جمع حَقَّ بالضم - : مجتمع المَقْصِلَيْن .
- (٢٠٥٧) **احتجاب المفاصل** : استتارها باللحم والجلد .
- (٢٠٥٨) **العَبَالَة** : الضخامة وامتلأ الجسد يسمو : يرتفع .
- (٢٠٦٠) **خَفُوفًا** : سرعة وخفة .
- (٢٠٦١) **دفيف الطائر** : مروره فَوَيْق الأرض .
- (٢٠٦٢) **نَسَقَهَا** : رتبها .
- (٢٠٦٣) **الأصايغ** : جمع أصْبَاغ - بفتح الهززة - : جمع صَبِغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به .
- (٢٠٦٤) **القالب** : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون .
- (٢٠٦٥) **طَوَّقَ** : أي ان جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه ، كأنه طَوَّقَ صَبِغَ لِحْيَتَيْهِ .
- (٢٠٦٦) **التنفيذ** : النظم والترتيب .
- (٢٠٦٧) **أشْرَجَ قَصَبَهُ** : أي داخلَ بين أحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر .
- (٢٠٦٨) **دَرَجَ إليه** : مشى إليه .
- (٢٠٦٩) **سما به** : أي ارتفع به ، أي رفعه .
- (٢٠٧٠) **مطلا على رأسه** : مشرفاً عليه كأنه يظَلُّهُ .
- (٢٠٧١) **القيلع** - بكسر فسكون - : شرع السفينة .
- (٢٠٧٢) **الدَّارِيّ** : جالب العطر من دَارَيْن .
- (٢٠٧٣) **عَتَجَهُ** : جذبه فرفعه . من عَتَجَت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه . التَوَيَّ : البحار .
- يختال** : يعجب .
- (٢٠٧٤) **يميس** : يتبختر بِزَيَّاقَانِ ذنبه . وأصل الزَيَّاقَانِ التبخر أيضاً ، ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالاً .
- (٢٠٧٥) **يُقْضِي** : أي يذهب إلى أنثاه ويسفد كما تذهب الديكة - جمع ديك .
- (٢٠٧٦) **يَوَّرَ** : يَسْفِدُ . ومَلَاقِحُهُ : أدوات اللَّيْقَاحِ وأعضاؤه . وهي آلات التناسل .
- (٢٠٧٧) **أَرَّ الفُحُولِ** : أي أَرَأَ مثلَ أَرَّ الفحول .
- (٢٠٧٨) **المغتلمة** : ذات الغلمة والشهوة والشبق .
- (٢٠٧٩) **الضراب** : لقاح الفحل لأنثاه .
- (٢٠٨٠) **على مُعَايَنَةٍ** : أي اذهب وعاین صدق ما أقول .
- (٢٠٨١) **تَسْفَحُهَا** : أي ترسلها أوعية الدمع .
- (٢٠٨٢) **ضَفَّةُ الجفن** - بفتح الضاد وتكسر ، استعاره من صفِّي النهر بمعنى جانبيه .

- (٢٠٨٣) **تَطْعَمُ** فلك - كعلم - أي تذوقه كأنها **تقرشفه** .
- (٢٠٨٤) **لِقَاحِ الفحل** : ماء التناسل يلقح به الأنثى
- (٢٠٨٥) **المنبجس** : النابع من العين .
- (٢٠٨٦) **مُطَاعِمَةُ الغراب** : تلقيحه لأنثاه . وقالوا : ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره .
- (٢٠٨٧) **القَصَب** - جمع قَصَبَة - هي عمود الریش .
- (٢٠٨٧) **المِدْرَوي** جمع مِدْرَى - بكسر الميم - قال ابن الأثير المِدْرَى والمِدْرَاة : مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له .
- (٢٠٨٩) **الدَّارَات** : هالات القمر .
- (٢٠٩٠) **العَقِيَان** : الذهب الخالص أو ما ما ينمو منه في معدنه .
- (٢٠٩١) **فِلْدَة** - كغلب - جمع فِلْدَة بمعنى القِطعة .
- (٢٠٩٢) **جَتَى** : أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون ، ومنه قوله تعالى (وجنى الجنتين دان) .
- (٢٠٩٣) **المَوْثِي** : المنقوش المنم على صيغة اسم الفاعل .
- (٢٠٩٤) **العَصَب** - بالفتح - : ضرب من البرود منقوش .
- (٢٠٩٥) **جعل اللّجَيْن** - وهو الفضة - منطقة لها . والمكَلَّل : الزين بالجواهر . فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .
- (٢٠٩٦) **المَرَح** - ككتف - : المِعْجَب والمختال الزاهي بحسنه .
- (٢٠٩٧) **السَّرْبَال** : اللباس مطلقاً أو هو الدَرِّع خاصة .
- (٢٠٩٨) **الوِشاح** : نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف .
- (٢٠٩٩) **زقا يزقو** : صاح .
- (٢١٠٠) **مُعْغُولاً** : من أعْوَل ، رفع صوته بالبكاء .
- (٢١٠١) **حُمُش** - جمع أحمش - أي دقيق .
- (٢١٠٢) **الدبك الحِلَاسِي** - بكسر الحاء - : هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية .
- (٢١٠٣) **وقد تَجَمَّت** : أي نبتت .
- (٢١٠٤) **ظُنُوب ساقه** : حرف عظمه الأسفل .
- (٢١٠٥) **صَيْصِيَة** : شوكة تكون في رجل الدبك .
- (٢١٠٦) **القُسْرُعة** - بضم القاف والزاي - : بينهما سكون - الحَصَّة من الشعر تُتْرَك على رأس الصبي .

- (٢١٠٧) مُوشَاة : منقوشة .
- (٢١٠٨) مَغْرِزُهَا : الموضع الذي غُرِزَ فيه العنقُ منتهياً إلى مكان البطن .
- (٢١٠٩) الوَاسِمَة : هي نبات يخضب به .
- (٢١١٠) الصَّغَال : الجلاء .
- (٢١١١) المِعْجَر - كنبر - : ثوب تعنجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها ، وهو معنى التلغع هاهنا . والأسْحَم : الأسود .
- (٢١١٢) الأَفْحُوَان : البابونج .
- (٢١١٣) البَقْقُ - محركا - : شديد البياض .
- (٢١١٤) يَأْتَلِقُ : يلمع .
- (٢١١٥) قَسَطَ : نصيب .
- (٢١١٦) علاه : أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلانه .
- (٢١١٧) البصيص : اللعان .
- (٢١١٨) الرونق : الحسن .
- (٢١١٩) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر . فهي جمع الجمع . والمبثوثة المثورة .
- (٢١٢٠) لم تُرَبِّهَا ، فعل من الترية .
- (٢١٢١) القَبِطُ : الحر .
- (٢١٢٢) يَنْحَسِرُ : هو من حَسَرَهُ ، أي كشفه ، أي وقد ينكشف من ريشه فيسقط .
- (٢١٢٣) قَتَرَى : أي شيئاً بعد شيء وبينهما فترة .
- (٢١٢٤) يَنْحَتَ : يسقط وينقشر .
- (٢١٢٥) عَسْجَدِيَّة : ذهبية .
- (٢١٢٦) عمائق : جمع عميقة .
- (٢١٢٧) بهر العقول : قهرها فردّها .
- (٢١٢٨) جَلَاه - كَحَلَاهُ - كشفه .
- (٢١٢٩) أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا : أودعَ أَرْجُلَهَا فيها .
- (٢١٣٠) الذَّرَّة : واحدة الذَّر : صغار النمل .
- (٢١٣١) الهمجة - محركة - : واحدة الهمج ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم .
- (٢١٣٢) وآى : وعد .
- (٢١٣٣) الحمام : الموت .
- (٢١٣٤) عَزَفَتَ نَفْسَكَ : كرهت وزهدت .
- (٢١٣٥) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .
- (٢١٣٦) الكُثْبَان - جمع كَثِيب - وهو التلّ .
- (٢١٣٧) الأفنان - جمع فَنَن - بالتحريك : وهو الفصن .
- (٢١٣٨) غُلْفُ بضمتين - جمع غلاف - والأكام - جمع كيم بكسر الكاف وهو وعاء الطلع وغطاء النّوّار .
- (٢١٣٩) تُنْقَطِفُ : تنحطف .
- (٢١٤٠) المَصْفَقَة : المصفاة .
- (٢١٤١) المُونَقَة : المعجبة .
- (٢١٤٢) العِدْق : للنخلة كالمنقود للعنب : مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون .
- (٢١٤٣) لِيَتَأَسَّ : لِيَقْتَدِر .
- (٢١٤٤) القَيْض : القشرة العليا لليابسة على البيضة .

- (٢١٤٥) **الْأَدَا حِي** - جمع أدحى - كلُّجَيّ وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه .
- (٢١٤٦) **الْقَرْع** - محرّكاً - : القطع المتفرقة من السحاب واحده قَرْعَةٌ بالتحريك .
- (٢١٤٧) **الرُّكَام** : السحاب المتراكم . والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين . وسيل الحنتين هو الذي سماه الله سَبَلُ الْعَرَمِ الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمرَ جَنَانَهُمْ وحوّل نعيمهم شقاء . والقَارَةُ - كالقَرَارَةِ - ما اطمأن من الأرض .
- (٢١٤٨) **الْأَكَمَّة** - محرّكة - : غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه . والسَّنَنُ يريد به الجَرَي . والطَوْدُ الجبل العظيم والمقصود الجمع . والرّصّ يراد به الارتصاص أي الانضمام والتلاصق ، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال . والحِدَاب - جمع حَدَبٍ بالتحريك - : ما غلظ من الأرض في ارتفاع .
- (٢١٤٩) **يُذْعَدُّهُمْ** - بالذال المعجمة مرتين -: يفرقهم . وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء .
- (٢١٥٠) **لِيُضَعِّقَنَّ لَكُمْ تِيَهُ** : لتزادَنَّ لكم الحيرةُ أضعاف ما هي لكم الآن .
- (٢١٥١) **الْفَادِحُ** - من فدحه الدينُ - : إذا أثقله .
- (٢١٥٢) **صَدَفَ** : أعرَضَ . والسَمْتُ : الجهة . وتَقْصِدُوا : تستقيموا .
- (٢١٥٣) **مدخول** : مَعْيِب .
- (٢١٥٤) **مَعَاقِدَ الْحَقُوقِ** : مواضعها من الذمم .
- (٢١٥٥) **بادرة** : عاجله ؛ أي عاجلوا أمرَ العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا .
- (٢١٥٦) **المُجْلِبُونَ** : من أَجْلَبَ عليه : أعانه .
- (٢١٥٧) **على حَدِّ شَوْكَتِهِمْ** : شدتهم ، أي لم تنكسر سَوْزَتُهُمْ .
- (٢١٥٨) **خِلَالِكُمْ** : فيما بينكم .
- (٢١٥٩) **يسومونكم** : يكلّفونكم .
- (٢١٦٠) **مَادَّة** : أي عَوْنًا ومَدَدًا .
- (٢١٦١) **مُسْمَحَةٌ** : اسم مفعول من أَسْمَحَ أي مَيْسَرَةٌ .
- (٢١٦٢) **ضَعْفَعَهُ** : هدمه حتى الأرض .
- (٢١٦٣) **الْمُنَّة** - بالضم - : القُدرة .
- (٢١٦٤) **الْوَهْن** : الضعف .
- (٢١٦٥) **الْكَيّ** : كناية عن القتل .
- (٢١٦٦) **إِلا هَالِك** : أي إلا من كان في طَبْعِهِ عوج جَبِيلِيّ ، فحتم الشقاء الأبدي .
- (٢١٦٧) **المُبْتَدَعَات** : ما أُحْدِثَ ولم يكن على عهد الرسول .
- (٢١٦٨) **المُشَبَّهَات** : البِدَعُ الملبسة ثوب الدين المشبهة به وليست منه هي المهلكة إلا أن يحفظ الله منها بالتوبة .
- (٢١٦٩) **مُلَوَّمَةٌ** - من لَوَّمَهُ - مبالغة في لومه ؛ أي غير ملوم عليها بالنفاق .

- (٢١٨٨) هَبَّ : من هيب التيس أي صباحه
أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة
حمل عليها الغضب .
- (٢١٨٩) حَبِيس : فليل بمعنى مفعول يستوي
فيه المذكر والمؤنث ، وأم المؤمنين
كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز
لأحد أن يمسه بعده كأنها في حياته .
- (٢١٩٠) خَزَان : جمع خازن .
- (٢١٩١) القتل صبراً : أن تحبس الشخص
ثم ترميه حتى يموت .
- (٢١٩٢) معتمدين : قاصدين .
- (٢١٩٣) المنابذة : تهيج الفساد .
- (٢١٩٤) استعْتَبَ : طلب منه الرضى بالحق .
- (٢١٩٥) أهل القبيلة : من يعتقد بالله
وصدق ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم ويصلي معنا إلى قبله
واحدة .
- (٢١٩٦) الغَيْر (بكسر ففتح) اسم للتغيير
أو التغير .
- (٢١٩٧) الخنثين - بالخاء المعجمة - : ضرب
من البكاء يردد به الصوت في
الأنف .
- (٢١٩٨) زَوِي : أي قبض .
- (٢١٩٩) مُتَجَرِّدًا : كأنه سيف تجرد من
غمده .
- (٢٢٠٠) يَلْتَبِيس : أي يشبهه .
- (٢٢٠١) يوازر : ينصر ويعين .
- (٢٢٠٢) المنابذة : المراماة والمراد المعارضة
والمدافعة .

- (٢١٧٠) يَأْرِز : يرجع .
- (٢١٧١) تَعَالَوْا : اتفقوا وتعاونوا .
- (٢١٧٢) السَّخْطَةُ - بالفتح - الكراهة
والبغض .
- (٢١٧٣) فَيَالَةَ الرَّأْي - بالفتح - : ضَعْفُهُ .
- (٢١٧٤) أَفَاءَهَا عَلَيْهِ : أرجعها إليه .
- (٢١٧٥) النَّعْش : مصدر نعشه ، إذا رفعه .
- (٢١٧٦) السقف المرفوع : السماء .
- (٢١٧٧) المكفوف اسم مفعول ، من كَفَّه
إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض .
- (٢١٧٨) مَغِيضًا : من غاض الماء إذا
نقص ، كأن هذا الجو منع الضياء
والظلام وهو مغيضها كما يغيض
الماء في البئر .
- (٢١٧٩) السَّبْط - بالكسر - : القبيلة .
- (٢١٨٠) اعتماداً : أي معتمداً ، أو ملجأ
يعتصم به .
- (٢١٨١) الذِّمَار - ككتاب - : ما يلزم
الرجل حفظه من أهله وعشيرته .
- (٢١٨٢) الغائر : من غار على امرأته أو
قريبته أن يمسه أجنبي .
- (٢١٨٣) الحقائق : هنا وصف لا اسم ،
يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع
بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم .
- (٢١٨٤) الحفاظ : الوفاء ورعاية الهمم .
- (٢١٨٥) لا تَوَارِي : لا تَحْجُب .
- (٢١٨٦) ضَرَبَ الْوَجْه : كتابة عن الرد والمنع .
- (٢١٨٧) قرعته بالحجة : من قرعه بالعصا
ضربه بها .

- (٢٢٠٣) **سَهَنَهُ** عن الأمر : كَفَّهَ وزجره
عن إتيانه .
- (٢٢٠٤) **المُعْتَلِرِينَ فِيهِ** : المعتلرين عنه فيما
نقم منه .
- (٢٢٠٥) **يَرْكُدُ جَانِبًا** : يسكن في جانب
عن القاتلين والناصرين .
- (٢٢٠٦) **التَّعَمَّ** - محركة - : الأبل أو هي
الغنم .
- (٢٢٠٧) **أُرَاحَ بِهَا** : ذهب بها . وأصل
الراحة الانطلاق في الريح فاستعمله
في مطلق الانطلاق .
- (٢٢٠٨) **السَّائِمُ** : الراعي .
- (٢٢٠٩) **الْوَيْيَ** : الردي يجلب الوباء .
- (٢٢١٠) **الْوَيَّ** : الوبيل يفسد الصحة ،
أصله من الدوا بالقصر أي المرض .
- (٢٢١١) **الْمُدَّةَى** - جمع مُدَّةٍ - : السكين ،
أي معلوفة للذبح .
- (٢٢١٢) **تَحَسَّبَ يَوْمَهَا دَهْرَهَا** : أي لا تنظر
إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً
لما بعد يومها ، ومتى شبت ظنت
أنه لا شأن لها بعد هذا الشيع .
- (٢٢١٣) **مَوْبِلُجُهُ** : من ولج يلج إذا دخل .
- (٢٢١٤) **مُقَضِيهِ** : أصله من أفضى إليه :
خلا به .
- (٢٢١٥) **أَعْدَرَ إِلَيْكُمْ بِالْحِلْيَةِ** : أي بالأعذار
الحلية . والعذر هنا مجاز عن سبب
العقاب في المؤاخذه عند مخالفة
الأوامر الالهية .
- (٢٢١٦) **نَزَعَ عَنْهُ** : انتهى وأقلع .
- (٢٢١٧) **أَبْعَدَ مَنَزَعًا** : أي نزوعاً بمعنى الانتهاء
والكف عن المعاصي .
- (٢٢١٨) **ظَنُونٌ - كَصَبُورٍ** - الضعيف والقليل
الحيلة .
- (٢٢١٩) **زَارِيًا عَلَيْهَا** : أي عائياً .
- (٢٢٢٠) **التَّقْوِيضُ** : نزع أعمدة الخيمة
وأطناها ، والمراد أنهم ذهبوا
بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما
يطوي المسافر منازل سفره أي
مراحله ومسافاته .
- (٢٢٢١) **فَاقَّةٌ** : أي فقر وحاجة إلى هاد
سواه .
- (٢٢٢٢) **الْأَوَاءُ** : الشدة .
- (٢٢٢٣) **شَفَاعَةُ الْقُرْآنِ** : نطق آياته بانطباقها
على عمل العامل .
- (٢٢٢٤) **مَتَحَلَّ بِهِ** : مثلث الحاء : كاده
بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية
عن مباينة أحكامه لما أباه العبد من
أعماله .
- (٢٢٢٥) **اسْتَغْشَوْا أَهْوَاءَكُمْ** ، أي : ظنوا
فيها الغش وارجعوا إلى القرآن .
- (٢٢٢٦) **الْعَلَمُ** : محركاً يريد به القرآن .
- (٢٢٢٧) **خَرَجَ إِلَى فُلَانٍ مِنْ حَقِّهِ** : أداه ،
فكانه كان حياً في مؤاخذته
فانطلق .
- (٢٢٢٨) **الْوُظَائِفُ** : ما قدّر الله لنا من
الأعمال المخصصة بالأوقات
والأحوال كالصوم والصلاة
والزكاة .

- (٢٢٢٩) حَتَّيجٌ: من حج - إذا أقنع بحجته
(٢٢٣٠) تَوَرَّدَ: هو تفعل كتنزل - أي
ورد شيئاً بعد شيء .
(٢٢٣١) عِدَّةُ الله - بكسر ففتح - وعده .
(٢٢٣٢) تَهْزِيعُ الشيء: تكسيره . والصادق
إذا كذب فقد انكسر صدقه .
والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه .
(٢٢٣٣) نصريف الأخلاق: من صرفته
إذا قلبته . نهي عن النفاق والتلون
في الاخلاق .
(٢٢٣٤) ليخزن - كينصر - أي ليحفظ لسانه .
(٢٢٣٥) الجَمُوح: من جمع الفرس إذا
غلب فارسه فيوشك أن يطرح به
في مهلكة فبرديه .
(٢٢٣٦) لسان المؤمن من وراء قلبه :
لسان المؤمن تابع لاعتقاده، لا يقول
إلا ما يعتقد .
(٢٢٣٧) ضَرَسَتْهُ الحرب: جربته . أي
جربتموها .
(٢٢٣٨) الاتيان من الإمام: كناية عن الظهور
كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة
لا يخدع ولا يفر .
(٢٢٣٩) جواد قاصد: أي مستقيم أو قريب
من الله والسعادة .
(٢٢٤٠) الهنات: - بفتح الهاء - جمع هنة
محركة: الشيء اليسير والعمل الحقير .
والمراد به صفائر الذنوب .
(٢٢٤١) المَدَى: جمع مَدِيَّة، وهي السكتين .
(٢٢٤٢) السباط: جمع سَوَط .
- (٢٢٤٣) الفُرْقَة - بضم الفاء - التفرق والشقاق .
(٢٢٤٤) يُجَعِّجِعًا: من جمع العبير إذا
برك، ولزم الجعجعا أي الأرض .
أي أن يقيما عند القرآن . والتبع
- محركا - التابع، للواحد والجمع .
وتأها: أي ضلّا .
(٢٢٤٥) لا يَعْزُبُ: لا يخفى .
(٢٢٤٦) سَوَافِي الرِّيح: جمع سافية . من
«سَفَتَ الرِّيحُ التُّرابَ والوَرَقَ»
أي حَمَلَتْهُ .
(٢٢٤٧) الصَّفا: مقصُوراً - جمع صفاة -:
الحجر الأملس الضخم . وديب
النمل أي جركته عليه في غاية الخفاء
لا يسمع لها حس .
(٢٢٤٨) الذَّرَّ: صغار النمل . ومَقِيلُها:
حلل استراحتها ومبَيَّتُها .
(٢٢٤٩) طَرَفُ الحَدَقَةِ: تحريك جَفَنَيْهَا
والحدقة هنا العين .
(٢٢٥٠) عَدَلَ بالله: جعل له مثلاً وَعَدِلاً .
(٢٢٥١) تَكْوِينُهُ: خَلَقَهُ للناس جميعاً .
(٢٢٥٢) دَخَلَتْهُ - بالكسر والضم -: باطنه .
(٢٢٥٣) المجتبي: المصطفى . والعيمَة
- بكسر العين -: المختار من المال .
(٢٢٥٤) اعْتَامَ: أخذ المال . فالعُتَام:
المختار لبيان حقائق توحيده وتزويده .
(٢٢٥٥) العقائل: الكرائم .
(٢٢٥٦) الكرامات: ما أكرم الله به نبيه
من معجزات ومنازل في النفوس
عاليات .

- (٢٢٥٧) أَشْرَاطُ الْهُدَى : علاماته ودلائله .
- (٢٢٥٨) غَرِيبُ الشَّيْءِ - كَعَفْرَتِ - أَشَدُّهُ سَوَاداً . فغريب العمى أشد الضلال ظلمة .
- (٢٢٥٩) الْمُخْلِد : الراكن المائل .
- (٢٢٦٠) نَفْسٌ - كَفَرَح - : ضَنْ ، أي لا تضمن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفائسه ، ولا تحرص عليه بل تهلكه .
- (٢٢٦١) الْغَض : الناصر .
- (٢٢٦٢) اجْتَرَحَ الذَّنْبَ : اكتسبه وارتكبه .
- (٢٢٦٣) الْفَتْرَةُ : كناية عن جهالة الغرور .
- (٢٢٦٤) الرُّوِيَّة : التفكير .
- (٢٢٦٥) الْهِمَّة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب همّاً .
- (٢٢٦٦) الْجَارِحَةُ : العضو البدني .
- (٢٢٦٧) الْجَفَاء : الغِلْظ والخشونة .
- (٢٢٦٨) تَعَنُو : تذلل .
- (٢٢٦٩) وَجَبَ الْقَلْبَ يَجِبُ وَجِيْباً وَوَجَبَاناً : خفق واضطرب .
- (٢٢٧٠) أَهْمَلْتُمْ : أخترتم ، ويروى « أَهْمَلْتُمْ » بمعنى خُلِيتُمْ وتُرِكْتُمْ .
- (٢٢٧١) خُرُتُمْ : ضعفت وجبنتم .
- (٢٢٧٢) الْمَشَاقَّة : المقاطعة والمصارمة .
- (٢٢٧٣) نَكَصْتُمْ : رجعتم القهقري وأحجتم .
- (٢٢٧٤) المعروف في التفرّيع : لا أبا لكم ، ولا أبا لك . وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجعله ، فتلطف بالإمام بتوجيه الدعاء أو الدّمّ لغيرهم .
- (٢٢٧٥) قَالَ : أي كارهه .
- (٢٢٧٦) غَيْرٌ كَثِيرٌ بِكُمْ : أي : إني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان . وإن كنتم حولي كثيرين .
- (٢٢٧٧) مِنْ شَحَذَ السَّكِينِ : كنع . أي حددها .
- (٢٢٧٨) الْحُفَاة - جمع جاف - : أي غليظ .
- (٢٢٧٩) الطَّعَام - بالفتح - : أرذال الناس .
- (٢٢٨٠) الْمُعَوْنَةُ : يراد بها هنا ما يعطى للجند لإصلاح السلاح ، وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض ، والأرزاق المعينة لكل منهم .
- (٢٢٨١) التَّرِيكَةُ - كسفينه - بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تركها في مجثمها ، والمراد : أنتم خلف الإسلام وعوَصُ السلف .
- (٢٢٨٢) دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ : أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهماً .
- (٢٢٨٣) فَانْحَتِكُمْ : مجرد فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكمتكم . والحِجَاج : الحاجة أي قاضيتكم عند الحاجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الحصام .
- (٢٢٨٤) سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَّجْتُمْ : سَوَّغْتُ لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تجحونه وتطرحونه . فسوّغ الشيء : جعله سائغاً مقبولاً ، ومع الشيء من فيه : رمى به .
- (٢٢٨٥) أَقْرَبُ بِهِمْ : ما أقربهم من الجهل .

- (٢٢٨٦) ابن النابغة : عمرو بن العاص .
 (٢٢٨٧) قَطَنُوا : أقاموا .
 (٢٢٨٨) ظَعَنُوا : رحلوا .
 (٢٢٨٩) أشرعت : سُدَّتْ وصُوبَتْ نحوهم .
 (٢٢٩٠) الهامات : الرؤوس .
 (٢٢٩١) استغلتهم : دعاهم للتفَلَّل : وهو الانهزام عن الجماعة .
 (٢٢٩٢) حَسَبُهُمْ بخروجهم : كافهم من الشرّ خروجهم ، والباء زائدة .
 (٢٢٩٣) الارتكاس : الانقلاب والانتكاس .
 (٢٢٩٤) صدّهم : إغراضهم .
 (٢٢٩٥) الجِمَاح : الجحوح وهو أن يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم وغلوهم وإفراطهم .
 (٢٢٩٦) التيه : الضلال .
 (٢٢٩٧) المِدْرَعة : ثوب يعرف عند بعض العامة بالدرعية ، قميص ضيق الأكمام . قال في القاموس : ولا يكون إلا من صوف .
 (٢٢٩٨) الثَّقِينَة - بكسر بعد فتح - : ما يمس الأرض من البعير بعد البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض . وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود .
 (٢٢٩٩) النوامي : جمع نام ؛ بمعنى زائد .
 (٢٣٠٠) الطَّوَل - بفتح الطاء وسكون الواو - الفضل .
 (٢٣٠١) حَتَّعَ : ذل وخضع .
 (٢٣٠٢) يتناوروه : يتداوله ويتبادل عليه .
- (٢٣٠٣) موطّدت : مُشَّتَات في مداراتها على ثقل أجرامها .
 (٢٣٠٤) التلكتو : التوقّف والتباطؤ .
 (٢٣٠٥) ادْهَمَامُ الظلمة : كثافتها وشدتها .
 (٢٣٠٦) السُجُف - بضمّين - جمع سِجَاف ككتاب : السر .
 (٢٣٠٧) الجلايب - جمع جِلَّاب - : ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحقة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر .
 (٢٣٠٨) الحَنَادِس : جمع حَنْدَس - بكسر الحاء - : الليل المظلم .
 (٢٣٠٩) شاع : تفرق .
 (٢٣١٠) الفسَق : الظلمة ، والداجي : الشديد الظلام .
 (٢٣١١) الساجي : الساكن .
 (٢٣١٢) المُتَطَاطَات : المنخفضات .
 (٢٣١٣) اليفاع : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسُفْع - جمع سَفْعَاء - السوداء تضرب إلى الحمرة ، والمراد منها الجبال ؛ عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد .
 (٢٣١٤) ما يَتَجَلَّجَلُ به الرعد : صوته ، والجَلَجَلَة : صوت الرعد .
 (٢٣١٥) تلاشت : اضمحلت ، وأصله من لَشِيَء بمعنى خَسَّ بعد رفعة . وما يَضْمَحَلُّ عنه البرق هو الأشياء التي تَرى عند لمعانه .
 (٢٣١٦) العواصف : الرياح الشديدة ؛ وإضافتها للأنواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادة . والأنواء - جمع

(٢٣٣١) **جُنَّةُ الْحِكْمَةِ** : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع .
وأصل الجُنَّةُ الوقاية . ومنه الدَّرْعُ والمجنّ . وما يُتَّقَى به .
(٢٣٣٢) **عَسِيبُ الذَّنَبِ** : أصله .
(٢٣٣٣) **الجِرَان** - ككتاب - : مقدّمُ عُنُقِ البعير من المذبح إلى المتحرّج .
والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه . وإصاقي جِرَانِهِ بالأرض كناية عن الضعف .
(٢٣٣٤) **اسْتَوْسَقَتِ الْإِبِلُ** : اجتمعت وانضمّت بعضها إلى بعض .
(٢٣٣٥) **الرَّيْقُ** - بكسر النون وفتحها وسكونها - : الكدّ .
(٢٣٣٦) **عمار بن ياسر** : من السابقين الأولين .
(٢٣٣٧) **أبو الهيثم مالك بن التيهان** : بتشديد الياء وكسرها : من أكابر الصحابة .
(٢٣٣٨) **ذو الشهادتين** : خزينة بن ثابت الأنصاري . قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة .
(٢٣٣٩) **أُبرّة برووسهم** : أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى الفجرة البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .
(٢٣٤٠) **أَوِهٍ** : - بفتح الهجزة وكسر الواو وتشديد ها وكسر الهاء - : كلمة توحج .
(٢٣٤١) **الْمَنْصَبَةُ** - كقصبة - : التعب .
(٢٣٤٢) **هَجَمَ عَلَيْهِ** - كصر - : دخل غفلة .
(٢٣٤٣) **المُعْتَبَرُ** مصدر ميمي : الاعتبار والانتاظ .

نَوء - : أحد منازل القمر . بعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلةً ويظهر عليه أخرى .
(٢٣١٧) **السماء هنا** : المطر .
(٢٣١٨) **الوهم هنا** : الفكرة والتوهم .
(٢٣١٩) **« لَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ »** : لإحاطة علمه وقدرته .
(٢٣٢٠) **النائل** : العطاء .
(٢٣٢١) **الآين** : المكان .
(٢٣٢٢) **الأزواج** : هنا القُرَناء والأمثال . أي لا يقال : ذو قرناء . ولا هو قرين لشيء . ويراد من هذا نفى الاثنينية والتعدد عنه جلّ شأنه .
(٢٣٢٣) **« لَا يُخْلَقُ بِعَلاجٍ »** : أي أنه لا يشبه المخلوقات في احتياج وجودها إلى معالجة ومزاولة . لأنه بذاته واجب الوجود سبحانه .
(٢٣٢٤) **اللّهَوَات** - جمع لهاة - : اللحم المشرقة على الحلق في أقصى الفم .
(٢٣٢٥) **المتكلف** : هو شديد التعرض لما لا يعنيه .
(٢٣٢٦) **الحُجَرَات** : جمع حُجرة - بضم الحاء - : الغرفة .
(٢٣٢٧) **المُرْجَحِن** - كالمشعر - : المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالاً .
(٢٣٢٨) **متولّته** : أي حائرة أو متخوفة .
(٢٣٢٩) **الرياش** : اللباس الفاخر .
(٢٣٣٠) **الطُعْمَةُ** - بالضم - : المأكلة . أي ما يؤكل . والمراد الرزق المقسوم .

- (٢٣٥٩) قَبَحَكَ الله : كسرك . كما يقال : قبحت الجوزة : كسرتها .
- (٢٣٦٠) أَثْرَمُ : ساقط الثنية من الأسنان .
- (٢٣٦١) الضليل : النحيف المهزول . كناية عن الضعف .
- (٢٣٦٢) نَعَرَ : أي صاح .
- (٢٣٦٣) نَجَمَت : ظهرت وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف ولا شجاعة ولا قدم ، بل على عفة .
- (٢٣٦٤) واحد لا بعدد : أي لا يتكون من أجزاء .
- (٢٣٦٥) الأمد : الغاية .
- (٢٣٦٦) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها .
- (٢٣٦٧) المرآئي - جمع مِرْآة بالفتح - وهي المنظر . أي تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار .
- (٢٣٦٨) الفلّج : الظفر . وظهره : علو كلمة الدين .
- (٢٣٦٩) صاعداً : جاهراً .
- (٢٣٧٠) الأمراس : جمع مَرَسَ بالتحريك وهو جمع مَرَسَة - بالتحريك - : وهو الحبل .
- (٢٣٧١) البشر : جمع بَشَرَة . وهي ظاهر الجلد الإنساني .
- (٢٣٧٢) الصَدَر - محرّكاً - الرجوع بعد الورد .

- (٢٣٤٤) التصرف : هنا التبدل .
- (٢٣٤٥) المصاح جمع مَصْحَة - بكسر الصاد وفتحها - بمعنى الصحة والعافية .
- (٢٣٤٦) استَحَمَد : أي طلب من خلقه أن يحمده .
- (٢٣٤٧) ارتهنَ عليهم أنفسهم : حبس نفوسهم وجعلها رهناً على الوفاء بميثاقهم .
- (٢٣٤٨) يقال : « فلان يعين فلان » إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء .
- (٢٣٤٩) يَرْهَقُهُمُ بالأجل : أي يَغْشَاهُم بالمنية .
- (٢٣٥٠) يريد بالرجعة هنا ما يسأله الانسان المذنب من العودة إلى الدنيا ليعمل صالحاً كما قال الله : « رب أرجعني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت » .
- (٢٣٥١) مالك : هو الموكل بالتحجيم .
- (٢٣٥٢) البَقْن - بالتحريك - : الشيخ المسن .
- (٢٣٥٣) لَهَزَهُ : أي خالطه . والفتير : الشيب .
- (٢٣٥٤) نَشِبَتْ - كفرحت - : عُلِقَتْ . والجوامع - جمع جامعة - الغُل لأنها تجمع الدين إلى العنق .
- (٢٣٥٥) غَلِقَ الرهنُ - كفرح - : استحقته صاحب الحق . وذلك إذا لم يكن فكاهه في الوقت المشروط .
- (٢٣٥٦) يَبْلُوكُم : يختبركم .
- (٢٣٥٧) الحسيس : الصوت الخفي .
- (٢٣٥٨) لَغِب : كسمع ومنع وكرم - لَغِباً وَلُغُوباً : أعْيى أشد الإعياء . والنصب : التعب أيضاً .

(٢٣٨٩) « كل معروف بنفسه مصنوع » :
 أي كل معروف الذات بالكُنه مصنوع . لأن معرفة الكُنه إنما تكون بمعرفة أجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب . والمركب مفتقر في الوجود لغيره . فهو مصنوع .
 (٢٣٩٠) تَرْفِدُهُ : أي تعينه .
 (٢٣٩١) الْمَشْعَر - كمقعد - : محل الشعور أي الاحساس ، فهو الحاسة . وتشعيرها : إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد . وهو ما يسمى بالاحساس . فالمشعر . من حيث هو مشعر ، منفعل دائماً . ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً ، والمنفعل لا يكون فاعلاً .
 (٢٣٩٢) الصَّرَد - محرّكاً - : البرد ، أصلها فارسية .
 (٢٣٩٣) مُتَدَانِيَاتُهَا : متقارباتها كالجنتين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المراج .
 (٢٣٩٤) كل مخلوق يقال فيه « قد وجد » ووجد منذ كذا . وهذا مانع للقدم والأزلية . وكل مخلوق يقال فيه « لولا » خالقه ما وجد . فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره .
 (٢٣٩٥) لَتَقَاوَتَتْ ذَاتُهُ : أي اختلفت باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته ، فإن الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم .

(٢٣٧٣) يَوْفِقُهَا : بكسر الواو . أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبيعتها .
 (٢٣٧٤) الصِّقَا : الحجر الأملس لا شقوق فيه . والجامس : الجامد .
 (٢٣٧٥) الشَّرَاسِيف : مَقَاطُ الأضلاع : وهي أطرافها التي تشرف على البطن .
 (٢٣٧٦) القِلَال - جمع قُلَّة بالضم - وهي رأس الجبل .
 (٢٣٧٧) لم يُلَجُّوا : لم يستندوا .
 (٢٣٧٨) أَوْعَاه : كَبَّعَاه - بمعنى حفظه .
 (٢٣٧٩) قَمَرَاوَيْنَ : أي مضيئين . كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .
 (٢٣٨٠) المِنْجَل - كنبر - آلة من حديد معروفة يُقَضَّبُ بها الزرع . قالوا : أراد بهما هنا ، رجُلَي الحرادة . لاعوجاجهما وخشونتهما .
 (٢٣٨١) ذَبَّتْهَا : دفعها .
 (٢٣٨٢) نَزَوَاتُهَا : وثباتها . نزا عليه : وَتَبَّ .
 (٢٣٨٣) « الندى » : هنا مقابل اليبس بالتحريك .
 (٢٣٨٤) اَهْطَل - بالفتح - : تتابع المطر والدمع .
 (٢٣٨٥) الدِّيَم - كاهيم - جمع دِيمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
 (٢٣٨٦) تعديد القِسَم : إحصاء ما قُدِّر منها لكل بقعة .
 (٢٣٨٧) جُدُوب الأرض : يَبَسُها لاحتجاب المطر عنها .
 (٢٣٨٨) صَمَدَةٌ : قَصْدَةٌ .

- (٢٣٩٦) سلطان الامتناع : هو سلطان العزة الأزلية .
- (٢٣٩٧) الأفول : من « أفلَ النجم » إذا غاب .
- (٢٣٩٨) المراد « بالمولود » المتولد عن غيره . سواء أكان بطريق التناسل المعروف أم بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر . ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين .
- (٢٣٩٩) لا يوصف بشيء من الأجزاء : أي لا يقال : ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا .
- (٢٤٠٠) ثقله : أي ترفعه .
- (٢٤٠١) نُهويه : أي تحطه وتسقطه .
- (٢٤٠٢) والـج : أي داخل .
- (٢٤٠٣) اللّهوات - بفتح الهاء - : جمع لهأة : اللحم في سقف أقصى الفم .
- (٢٤٠٤) لا يتحفظ : أي لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوده حَفْظُهُما وهو العليّ العظيم » .
- (٢٤٠٥) الأود : الاعوجاج .
- (٢٤٠٦) التَهَافُت : التساقط قطعةً قطعة .
- (٢٤٠٧) الانفراج : الانشقاق .
- (٢٤٠٨) الأوتاد : جمع وتيد . ويراد به هنا الحبل .
- (٢٤٠٩) الأسداد : جمع سدّ والمراد بها الجبال أيضاً .
- (٢٤١٠) خلة : أي شق .
- (٢٤١١) يهن - من الوهن - بمعنى الضعف .
- (٢٤١٢) مُرَاحها - بضم الميم - : اسم مفعول من أراح الإبلَ . رَدَّها إلى المراح - بالضم كالمناخ - أي المأوى .
- (٢٤١٣) السائم : الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه .
- (٢٤١٤) الأسناخ : الأصول . والمراد منها الأنواع . أي الأصناف الداخلة في أنواعها .
- (٢٤١٥) المتلبدة : أي الغيبة .
- (٢٤١٦) الأكياس : جمع كبس - بالنشديد - العاقل الحاذق .
- (٢٤١٧) الخاسىء : الدليل .
- (٢٤١٨) الحسير : الكال المعني .
- (٢٤١٩) لم يَتَكَأَدَهُ : لم يشق عليه .
- (٢٤٢٠) لم يَوُدَّهُ : لم يشقله .
- (٢٤٢١) بَرَّاهُ : مرادف لخلقه .
- (٢٤٢٢) التدد - بكسر النون - : المشل .
- (٢٤٢٣) المكاثرة : المغالبة بالكثرة . يقال : كاثره فكثره أي غلبه .
- (٢٤٢٤) المثاور : الموابب المهاجم .
- (٢٤٢٥) الإحراج : التضيق .
- (٢٤٢٦) القَتَب - محركاً - : الإكاف .
- (٢٤٢٧) الغارِب : ما بين العنق والستام .
- (٢٤٢٨) الأزمة - كأثمة - جمع زمام . والمراد بظهورها ظهور المَرُمومات بها .
- (٢٤٢٩) « لا تصيدعوا » : بتخفيف إحدى التائين : لا تنفروا .
- (٢٤٣٠) فَمَوْر النار : ارتفاع لهبها .
- (٢٤٣١) أميطوا عن سَنَنِها : أي تَنَحَّوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها .

- (٢٤٣٢) قصد السبيل : الطريق المستقيمة .
- (٢٤٣٣) البلاء : الإحسان . وأصله للخير والشر . ولكنه هنا بمعنى الخير .
- (٢٤٣٤) أعوزتم له : أي أظهرتم له عوراتكم وعيوبكم .
- (٢٤٣٥) أخذته : أي أن يأخذكم بالعقاب
- (٢٤٣٦) أغفله : سها عنه وتركه .
- (٢٤٣٧) أوطن المكان : اتخذته وطناً .
- (٢٤٣٨) أوحشه : هجره ، حتى لا أنيس منه به .
- (٢٤٣٩) عوّاري - جمع عارية - : والكلام كناية عن كونه زعماً بغير فهم .
- (٢٤٤٠) « على حدها الأول » : أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الإسلام ديناً .
- (٢٤٤١) استسر الأمر : كتمه .
- (٢٤٤٢) الإمّة - بكسر الهمزة - : الحالة .
- (٢٤٤٣) أحلام : عقول .
- (٢٤٤٤) شقّر يرجله : رفعها . ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها .
- من قولهم : بلدة شاعرة برجلها أي معرضة للغارة لا تمتنع عنها .
- (٢٤٤٥) تطأ في خطامها : أي تتعثر فيه . كناية عن إرسالها وطيشها وعده قائد لها .
- (٢٤٤٦) المعقل : كمسجد - : الملجأ .
- (٢٤٤٧) ذرّوة كل شيء : أعلاه .
- (٢٤٤٨) مبادرة الموت : سبقه بالأعمال الصالحة .
- (٢٤٤٩) الغمّرات : الشدائد .
- (٢٤٥٠) مهّد - كنع - : معناه هنا عمّل .
- (٢٤٥١) الأرماس : القبور - جمع رمس - : وأصله اسم للتراب .
- (٢٤٥٢) الإبلّاس : حزن في خذلان وبأس .
- (٢٤٥٣) المطلع : بضم فتشديد مع فتح : المتزلة التي منها يشرف الإنسان على أمور الآخرة ، وهي منزلة البرزخ . وأصل المطلع : موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار .
- (٢٤٥٤) اختلاف الأضلاع : دخول بعضها في موضع الآخر من شدة الضغط .
- (٢٤٥٥) استكاك الأسماع : صمها من التراب أو الأصوات الهائلة .
- (٢٤٥٦) الضريح : اللحد .
- (٢٤٥٧) الرّدْم : السد . والصفيح : الحجر العريض . والمراد ما يسدّ به القبر .
- (٢٤٥٨) ستّين : طريق معروف . والمراد : أن الدنيا تفعل بكم فعلها بمن سبقكم .
- (٢٤٥٩) القَرَن - محرّكاً - ما يقرن به البعيران .
- (٢٤٦٠) الأشرط : العلامات .
- (٢٤٦١) أزقت : قربت .
- (٢٤٦٢) الأفراط - : جمع فرط : يسكون الرءاء . وهو العتلم المستقيم يهتدى به أي بدلائلها .
- (٢٤٦٣) الكلاكيل : انصدور . كناية عن الانقلاق .
- (٢٤٦٤) انصرمت : تقطعت .
- (٢٤٦٥) الرّث : الباقي .

- (٢٤٨٢) الْحَبْن : يفتح الحاء - : الهلاك .
 (٢٤٨٣) الرَّيْن - يفتح الراء - : التغطية
 والحجاب . وهو هنا حجاب الضلال .
 (٢٤٨٤) مُسْتَوْدَعُ التَّقْوَى : هو الذي تكون
 التقوى ودبة عنده وهو الله .
 (٢٤٨٥) أَسْدَى : منح وأعطى وأرسل معروفة .
 (٢٤٨٦) الْإِهْطَاع : الإسراع . أَهْطَعَ
 البعيرُ : مدَّ عنقه وصوبَ رأسه .
 (٢٤٨٧) «الْبَطْوَاجِدُكُمْ» : أي الْحَوَا ،
 وَالْإِلْضَاطُ : الإلحاح في الأمر
 والجِدُّ بكسر الجيم : الاجتهاد .
 (٢٤٨٨) رَحَضَ - كنع - : غسل . والحِمَام
 - ككتاب - : الموت .
 (٢٤٨٩) تَصَوَّطُوا : تَحَقَّقُوا .
 (٢٤٩٠) النَّزَاه - جمع نازَه - : العفيف النفس .
 (٢٤٩١) الْوِلَاهُ - جمع وآلِه - : الحزين على
 شيء حتى يناله . أي المشتاق .
 (٢٤٩٢) شَامَ البرق : نظر إليه أين يطر .
 (٢٤٩٣) البارق : انسحاب .
 (٢٤٩٤) الْأَعْلَاق - جمع علق - : بكسر
 العين بمعنى النفيس .
 (٢٤٩٥) خَالِب : خادع
 (٢٤٩٦) المحروبة : المنهوبة .
 (٢٤٩٧) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال
 تميلهم إليها . ومن الدواب ما
 تمشي معترضة خابطة .
 (٢٤٩٨) الْعَنُون - يفتح فضم - : مبالغة من
 عن إذا ظهر . ومن الدواب
 المتقدمة في السير .

- (٢٤٦٦) الْغَث : المهزول .
 (٢٤٦٧) الْكَلْب - محرّكاً - : أكل بلا شع .
 (٢٤٦٨) اللَّجَب : الصباح أو الاضطراب
 (٢٤٦٩) التغيظ : انجبان .
 (٢٤٧٠) الزَفِير : صوت توقد النار .
 (٢٤٧١) ذَكَتِ النَّارُ : اشتد لحيها .
 (٢٤٧٢) «عَمَّ قَرَارُهَا» : أي لا يتهدي
 فيه لظلمته . ولأنه عميق جد .
 (٢٤٧٣) «التوحش» : عدم الاستئناس
 بشؤون الدنيا والركون إليها .
 (٢٤٧٤) لزوم الأرض : كناية عن السكون .
 ينصحهم به عند عدم توفر أسباب
 الغلبة ، وينهاهم عن التعجل
 بحمل السلاح .
 (٢٤٧٥) إِصْلَاتُ السيف : سَلَه .
 (٢٤٧٦) الفاشي : المنتشر الذائع .
 (٢٤٧٧) الجَدَّة - بالفتح - : العظمة .
 (٢٤٧٨) تَوَّام : جمع تَوَّاه - كجعفر -
 وهو المولود مع غيره في نطن .
 وهو عاز عن الكثير أو المتواصل .
 والآلاء : النعم .
 (٢٤٧٩) الْحُكْم : هنا بمعنى «الحكمة» .
 (٢٤٨٠) ضَرَبَ في الماء : سبح . وضرب
 في الأرض : سار بسرعة وأبعد .
 والغمرّة : الماء الكثير واشتدّة
 وما يغمر العقل من الجهل . والمراد
 هنا شدّة التمنّ وبلاياها .
 (٢٤٨١) الْأَزِيْمَة : جمع زَمَام - ما تنقاد
 به الدابة .

- (٢٤٩٩) الجاحمة : الصعبة على راكبها .
والحرثون : التي إذا طلب بها السير
وقفت .
- (٢٥٠٠) المائنة : الكاذبة . والحوثون :
مبالغة في الخائنة .
- (٢٥٠١) الكنؤود - من كَنَدَ - كنصر :
كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره
وهو به عالم .
- (٢٥٠٢) العنؤود : شديدة العناد . والصدؤود :
كثيرة الصد والهجر .
- (٢٥٠٣) الحيوؤد : مبالغة في الحيد : بمعنى
الميل . واليوؤد - من ماد - إذا
اضطرب .
- (٢٥٠٤) الحرّاب - بالتحريك - : سلب
المال ، والعطّب : اهلاك .
- (٢٥٠٥) « على ساق وسياق » : أي
قائمون على ساق استعداداً لما
ينتظرون من آجالهم . والسيّاق
مصدر ساق فلاناً إذا أصاب ساقه .
أي لا يلبثون أن يضرّوا على سؤقهم
فينكبّوا للموت على وجوههم .
- (٢٥٠٦) اللّحاق للماضين . والنّيراق عن
الباقيين .
- (٢٥٠٧) تخير المذاهب : حيرة الناس فيها .
- (٢٥٠٨) « المهّارب » جمع مهّرب .
مكان الهروب . والمراد بقوله
« أعجّزت مهاربها » أنها ليست
كما يرونها مهارب بل هي مهالك .
فقد أعجّزتهم عن الهروب .
- (٢٥٠٩) المتحوّل - جمع محالة - بمعنى
الحذق وجودة النظر ، أي لم
يُفدّهم ذلك خلاصاً .
- (٢٥١٠) معقور : مجروح .
- (٢٥١١) المتجزّور : المسلوخ أخذ عنه
جلده .
- (٢٥١٢) الشلّو - بالكسر - : هنا البدن كله .
- (٢٥١٣) المسفوح : السفوك .
- (٢٥١٤) المرتقي بخديته . واضع خديته
على مرفقيته ومرفقيه على ركبتيه
منصوبتين وهو جالس على أليتيه .
- (٢٥١٥) الزاري على رأيه : المُقْبِح له
اللائم لنفسه عليه .
- (٢٥١٦) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا
في خداعها .
- (٢٥١٧) « لات حين مناص » : أي ليس
الوقت وقت التملص والفرار .
- (٢٥١٨) البال : القلب والخطر . والمراد
ذهبت الدنيا على ما تهواه لا على
ما يريد أهلها .
- (٢٥١٩) مُنظّرين : مؤخّرين ، من أنظّره
إذا أخرّاه وأمهله .
- (٢٥٢٠) القاصعة : من قصع فلان فلاناً :
أي حقّره ، لأنه عليه السلام حقر
فيها حال المتكبرين .
- (٢٥٢١) العصبيّة : الاعتزاز بالعصبة وهي
قوم الرجل الذين يدافعون عنه ،
واستعمال قوتهم في الباطل والفساد
فهي هنا عصبية الجهل .

- (٢٥٣٩) الوَاجِعَات - جمع وَلَجَة - : بالتحريك كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه .
- (٢٥٤٠) أَوْطَأَه : أركبه .
- (٢٥٤١) إِنْخَانَ الجِرَاحَة : المبالغة فيها ، أي أركبوكم الجراحات البالغة ، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا .
- (٢٥٤٢) الخِزَام - جمع خِزَامَة ككتابة - : وهي حَلَقَة توضع في وتره أنف البعير فيشد فيها الزمام .
- (٢٥٤٣) أَوْزَى : أي أشدّ قدحاً للنار .
- (٢٥٤٤) مُنَاصِبِينَ : مجاهرين لهم بالعداوة .
- (٢٥٤٥) مُتَأَلِّبِينَ : مجتمعين .
- (٢٥٤٦) حَدَّكُمْ : غضبكم وحدتكم .
- (٢٥٤٧) جَدَّكُمْ - بفتح الجيم - : أي قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه .
- (٢٥٤٨) البَتَان : الأصابع .
- (٢٥٤٩) حَوَمَة الشيء : معظمه وأشدّ موضع فيه . وأكثر ما يستعمل في حومة القتال والبحر والرمل .
- (٢٥٥٠) التَّخَوَة : التكبر والتعظيم .
- (٢٥٥١) التَّرْعَة : المرة من التَّرْع بمعنى الافساد .
- (٢٥٥٢) النَقِثَة : النفخة .
- (٢٥٥٣) المَسْلَحَة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو السلاح .
- (٢٥٥٤) أَمْعَمْتُمْ : بالقمم
- (٢٥٥٥) المصارحة : النظار .

- (٢٥٢٢) الحِمَى : ما حَمَيْتَهُ عن وصول الغير اليه والتصرف فيه .
- (٢٥٢٣) اصطفاهما : اختارهما .
- (٢٥٢٤) الرِّوَاء - بضم فتح - : حُسْنُ النظر
- (٢٥٢٥) العَرَف - بالفتح - : الرائحة .
- (٢٥٢٦) أَحْبَطَ عَمَلَهُ : أضاع عمله .
- (٢٥٢٧) الحَوَادَة - بالفتح - : اللين والرخصة .
- (٢٥٢٨) يُعَدِّيكُم بدائه : أي يصيكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجر ب السليم ، والضمير لإدليس .
- (٢٥٢٩) يستغزكم : يستنهضكم لما يريد .
- (٢٥٣٠) أَجْلَبَ عَلَيْكُمْ بخيله : أي رُكِبَنَاهُ . ورَجَلِهِ : أي مُشَاتِهِ ، والمراد أعوان السوء .
- (٢٥٣١) فَوْقَ السَّهْمِ : جعل له فوقاً . والفوق موضع الوتر من السهم .
- (٢٥٣٢) أغرقَ النَّازِعُ : إذا استوفى مدّ قوسه .
- (٢٥٣٣) النزع في القوس : مدّها .
- (٢٥٣٤) الجاحمة من « جَمَحَ الفرسُ » . وأراد بها هنا الطائفة التي لم تطعه .
- (٢٥٣٥) الطَّمَاعِيَة : الطمع .
- (٢٥٣٦) « نَجَمَتِ مِنَ السَّرِّ إِلَى الْخَفِيِّ » : أي بعد أن كانت وسوسة في الصدور ، وهمساً في القول ، ظهرت إلى المتجاهرة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح .
- (٢٥٣٧) دَلَقَتِ الكَتِيبة في الحرب : تقدمت .
- (٢٥٣٨) أَقْحَمُوكُم : أدخلوكم بغتة

- (٢٥٥٦) المَلَفِيع - جمع مُلَفِّح كُكْرَم :
الفحول التي تُلَفِّح الإناث وتستولد الأولاد .
- (٢٥٥٧) الشَّنَان : البغض .
- (٢٥٥٨) أَعْنَقُوا : من أَعْنَقَت الثريا :
غابت . أي غابوا واختفوا .
- (٢٥٥٩) الحَنَادِس - جمع حِنْدِس بكسر
الحاء - : الظلام الشديد .
- (٢٥٦٠) المَهَاوِي - جمع مَهْوَاة - : أذوة
التي يردى فيها الصيد .
- (٢٥٦١) الذُّلُّ - جمع ذُكُول - من الذُّلِّ
- بالضم - ضد الصعوبة . والسيِّاق
هنا السُّوق .
- (٢٥٦٢) سُلُس - بضمين - جمع سَلَس -
كَكْتِف : وهو الشيء السهل .
- (٢٥٦٣) المِهْجِيَّة : الفعلة القبيحة المستهجنة .
- (٢٥٦٤) لَآء : النعم .
- (٢٥٦٥) اعْتَزَاء الجاهلية : تفاخرهم
بأنسابهم ، كل منهم يعتزى أي
ينتسب إلى أبيه وما فوقه من أجداده .
- (٢٥٦٦) الأَدْعِيَاء - جمع دَعِي - : وهو
من ينتسب إلى غير أبيه . والمراد
منهم الأخيَّاء المنتسبون إلى
الأشراف ، والأشرار المنتسبون إلى
الأخيار .
- (٢٥٦٧) « شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ » :
أي خلطوا صافي إخلاصكم بكَدَرِ
نفاقهم . وبسلامة أخلاقكم مرضاً
أخلاقهم .
- (٢٥٦٨) آسَاس بالمد - جمع آسَاس - دِعامَة
الشيء .
- (٢٥٦٩) الأَحْلَاس - جمع حِلَس بالكسر :
كساء رقيق يكون على ظهر البعير
ملازماً له . فقيل لكل ملازم لشيء :
هو حِلْسُهُ . والعقوق : العضيان .
- (٢٥٧٠) النَّبَل - بالفتح - : السهام .
- (٢٥٧١) المَثَلَات - بفتح فضم - : العقوبات .
- (٢٥٧٢) مَثَاوِي - جمع مَثْوَى - : بمعنى
المتزل . ومنازل الخُدود : مواضعها
من الأرض بعد الموت .
- (٢٥٧٣) مصارع الجُنُوب : مطارحها على
التراب .
- (٢٥٧٤) لَوَاقِح الكبر : محدثاته في النفوس .
- (٢٥٧٥) المَخْمَصَة : الجوع .
- (٢٥٧٦) المَجْهَدَة : المشقة .
- (٢٥٧٧) محض اللبن : تحريكه ليخرج زُبْدُهُ .
والمكاره تستخلص إيمان الصادقين
وتظهر مزايهم العقلية والنفسية .
- (٢٥٧٨) الذِّهْبَانُ - بكسر الذال - : جمع
ذهب .
- (٢٥٧٩) العَقَبَان : نوع من الذهب ينمو
في معدنه .
- (٢٥٨٠) سَقَطُ البَلَاء : أي الامتحان
الذي به يتميز الخبيث من الطيب .
- (٢٥٨١) خَصَاصَة : فقر وحاجة .
- (٢٥٨٢) التَّنَاقِق - جمع نَتِيقَة - : البقاع
المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة
لما انحط عنها من البلدان .

- (٢٥٨٣) المَدَر : قطع الطين اليابس . وأقل الأرض مَدَرًا لا يَبِت إلا قليلًا .
- (٢٥٨٤) دَمِثَة : لَيِّنَة يصعب السير فيها والاستنبات منها .
- (٢٥٨٥) وَشِلَة - كفرحة - : قليلة الماء .
- (٢٥٨٦) لا يَزْكُو : لا ينمو . والخُفّ عبارة عن الجمال . والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها . والظِّلْف عبارة عن البقر والغنم ، تعبير عن الحيوان بما رُكِبَت عليه قوائمه .
- (٢٥٨٧) ثَقَى عَطْفَه اليه : مال وتوجه اليه .
- (٢٥٨٨) مُنْتَجِعُ الأَسْفَار : محل الفائدة منها .
- (٢٥٨٩) مُلْتَقى : مصدر ميمي من ألقى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم .
- (٢٥٩٠) تَهْوِي : تسرع سيراً اليه . والمراد بالبحار هنا الأرواح .
- (٢٥٩١) المَقَاوِز - جمع مَقَاوِز - : الفلاة لا ماء بها .
- (٢٥٩٢) السَحِيقَة : البعيدة .
- (٢٥٩٣) المَهَاوِي - كالمهَوَات - : مُنْخَفَضَات الأراضي .
- (٢٥٩٤) الضَجَاج : الطرق الواسعة بين الجبال .
- (٢٥٩٥) مَتَاكِهَم : رؤوس أكتافهم .
- (٢٥٩٦) الرَمَل : ضرب من السير فوق المشي ودون الجري .
- (٢٥٩٧) الأَشْعَث : المنتشر . الشعر مع تلبّد فيه .
- (٢٥٩٨) الأَغْبَر : من علا بَدَنَه الغُبَارُ .
- (٢٥٩٩) السَّرَايِل : الثياب .
- (٢٦٠٠) إِعْغَاءُ الشعور : تركها بلا حلق ولا قص .
- (٢٦٠١) القَرَار : المطمئن من الأرض .
- (٢٦٠٢) جَمّ الأشجار : كثيرها .
- (٢٦٠٣) البُنَى - جمع بُنْيَة بضم الباء وكسر ها - : ما ابتنيت . وملتَفّ البُنَى : كثير العمران .
- (٢٦٠٤) البُرّة : الحِنْطَة ، والسمرء : أجودُها .
- (٢٦٠٥) الأَرِياف : الأراضي الخِصْبَة .
- (٢٦٠٦) العِرَاص - جمع عَرَصَة - : الساحة ليس بها بناء .
- (٢٦٠٧) المُغْدَقَة : من « أَغْدَقَ المطرُ » كثر مَآوُه .
- (٢٦٠٨) الإِسَاس - بكسر الهمزة جمع أُسّ مثلاًها ، أو أساس .
- (٢٦٠٩) مُعْتَلَج : مصدر ميمي من الاعتلاج : الالتطام . اعتلجت الأمواج : التطمت ، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس .
- (٢٦١٠) فَتَحَا - بضمّتين - : أي مفتوحة واسعة .
- (٢٦١١) تُسَاوِرُ القلوب : تُؤَاثِبُهَا وتُقَاتِلُهَا .
- (٢٦١٢) أَكْدَى الحافر : إذا عَجَزَ عن التأثير في الأرض .
- (٢٦١٣) أَشْوَتِ الضربة : أخطأت المَقْتَل .
- (٢٦١٤) الطِمْر - بالكسر - : الثوب الخَلَقُ أو الكساء البالي من غير الصوف .

- (٢٦١٥) الأطراف : الأيدي والأرجل .
- (٢٦١٦) عِناق الوجوه : كرامها . وهو جمع عَنَيْق . من « عَنَقَ » إذا رَقَّتْ بَشَرَتُهُ .
- (٢٦١٧) المتون : الظهور .
- (٢٦١٨) القمقم : القهر .
- (٢٦١٩) النَوَاجِم : من « نَجَّمَ » إذا طَلَعَ وظهر .
- (٢٦٢٠) القَدْع : الكفّ والمنع .
- (٢٦٢١) تَلَبَّطُ وتَلَوُّط : أي تَلَصَّق .
- (٢٦٢٢) المُتَرَفِّع : على صيغة اسم المفعول : المُوسَّع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات .
- (٢٦٢٣) « آثار مواقع النعم » : ما ينشأ عن النِّعَمِ من التعالي والتكبر .
- (٢٦٢٤) البِعَاسِيْب - جمع يَعْسوب - : وهو أمير النحل . ويستعمل مجازاً في رئيس القوم كما هنا .
- (٢٦٢٥) الأخلاق الرغبية : المرَضِيَّة المرغوبة .
- (٢٦٢٦) الأحلام : العقول .
- (٢٦٢٧) الجِوَار - بالكسر - المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم .
- (٢٦٢٨) الذمام : العهد .
- (٢٦٢٩) المثالات : العقوبات .
- (٢٦٣٠) تفاوُت : اختلاف وتباين .
- (٢٦٣١) مُدَّت : انبسطت .
- (٢٦٣٢) الفقرَة - بالكسر والفتح - كالفقارة بالفتح - : ما انتظم من عَظْم الصُّلْب من الكاهل إلى عَجَب الذَّنَب .
- (٢٦٣٣) أَوْهَنَ : أي أضعف .
- (٢٦٣٤) المُنَّة - بضم الميم - : القوة .
- (٢٦٣٥) التمهيص : الابتلاء والاختبار .
- (٢٦٣٦) المُرَار - بضم ففتح - : شجر شديد المرارة تنقلص منه شفاة الإبل إذا أكلته . والمراد هنا عَصَارَتُهُ .
- (٢٦٣٧) الأملاء - جمع مَلَأَ - : بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة المتعاونة .
- (٢٦٣٨) أرباباً : سادات .
- (٢٦٣٩) غَضَارَةُ النعمة : سَعَتُهَا . وقَصَص الأخبار حكايتها وروايتها .
- (٢٦٤٠) الاعتدال : هنا تناسب .
- (٢٦٤١) الاشتباه : هنا التشابه .
- (٢٦٤٢) يَحْتَازُونَهُمْ : يقبضونهم عن الأراضي الخَصِيَّة .
- (٢٦٤٣) المهتافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب .
- (٢٦٤٤) النكد - بالتحريك - : أي الشدة والعسر .
- (٢٦٤٥) الدبَر - بالتحريك - : القَرَحَة في ظهر الدابة .
- (٢٦٤٦) الوَبَر : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة .
- (٢٦٤٧) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فإووا إليه ويعتصموا بمنصرة دعوته .
- (٢٦٤٨) بلاء أزل : على الاضافة . والأزل - بالفتح - : الشدة .

- (٢٦٦٥) وَجَبَةُ القلب: اضطرابه وخفقانه .
 (٢٦٦٦) رَجَّة الصدر: اهتزازه وارتعاده .
 (٢٦٦٧) لَادِيلَنَ منهم: لأخفقتهم ، ثم
 أجعل الدولة لغيرهم .
 (٢٦٦٨) يَتَشَدَّر: يتفرق .
 (٢٦٦٩) الكَلَاكِلُ: الصدور ، عبر بها
 عن الأكابر .
 (٢٦٧٠) النَوَاجِمُ من القرون: الظاهرة
 الرفيعة ، يريد بها أشرف القبائل .
 (٢٦٧١) عَرَفُهُ - بالفتح - : رائحته الذكية .
 (٢٦٧٢) الحَظَلَّة: واحدة الحَظَل ،
 كالفرحة واحدة الفرح . والحَظَل
 الخطأ ينشأ عن عدم الروية .
 (٢٦٧٣) الفَصِيل: ولد الناقة .
 (٢٦٧٤) عَلَمًا: أي فضلاً ظاهراً .
 (٢٦٧٥) حِرَاء - بكسر الحاء - : جبل على
 القرب من مكة .
 (٢٦٧٦) تَقِيثُون: ترجعون .
 (٢٦٧٧) القَلْبَلِب - كأمر - : البئر . والمراد
 منه قَلْبَلِب بَدْر .
 (٢٦٧٨) القَصْف: الصوت الشديد .
 (٢٦٧٩) عُمَار - جمع عامر - : أي
 يَغْمُرُونه بالسهر للفكر والعبادة .
 (٢٦٨٠) يَغْلَتُون: يخونون .
 (٢٦٨١) « ملبسهمُ الاقتصاد » : يلبسون
 الثياب بين بين لا هي بالثمينة جداً
 ولا الرخيصة جداً .
 (٢٦٨٢) « غَضُوا أَبصارهم » : خفضوها
 وغمضوها .

- (٢٦٤٩) مَوْرُودَة : من « وأد بنته »
 - كوعد - : أي دفنها وهي حية .
 (٢٦٥٠) « شَنّ الغارة »: صبّها من كل وجه .
 (٢٦٥١) « التَفَتِ المِلَّة بهم » : يقال
 التَفَّ الحبل بالخطب إذا جمعه ،
 فملة محمد (ص) جمعهم بعد
 تفرقهم .
 (٢٦٥٢) العَوَائِد: ما يعود على الناس من
 الخيرات والنعم .
 (٢٦٥٣) فَكِيهَيْن: راضين ، طيبة نفوسهم
 (٢٦٥٤) تربعت : أقامت .
 (٢٦٥٥) القَنَاة: الرمح . وغمزها : جسّتها
 باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم
 والتعديل فيفعل بها ذلك .
 (٢٦٥٦) الصَقَاة: الحجر الصلد . وقرّعها :
 صَدّمها لتكسر .
 (٢٦٥٧) ثَلَمْتُم: خرقتم .
 (٢٦٥٨) المُوَالَاة: المحبة .
 (٢٦٥٩) التَكْث: نقض العهد .
 (٢٦٦٠) القَاسِطُون: الجاثرون عن الحق .
 (٢٦٦١) المَارَقَة: الذين مرقوا من الدين
 أي خرجوا منه .
 (٢٦٦٢) دَوّخَهُمُ: أضعفهم وأذلهم .
 (٢٦٦٣) الرَدْهَة - بالفتح - : النُقْرة في
 الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطان
 الرَدْهَة: ذو الشدّة ، من رؤساء
 الخوارج وُجد مقتولاً في ردهة .
 (٢٦٦٤) الصَّعْقَة: الغشّية تصيب الإنسان
 من المول .

- (٢٦٨٣) « نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ بِالْبَلَاءِ » :
 أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا
 بالأمل في الله ، كأنهم كانوا في
 رخاء لا يجزعون ولا يهتنون ، وإذا
 كانوا في رخاء كانوا من خوف
 الله وحذر النعمة : كأنهم في بلاء
 لا يبطرون ولا يتجبرون .
- (٢٦٨٤) أَرْبَحْتَ التَّجَارَةَ : أفادت ربحاً .
- (٢٦٨٥) التَّزِيلُ : التبيين والإيضاح .
- (٢٦٨٦) اسْتَارَ السَّاكِنَ : هيَّجَه . وقارىء
 القرآن يستثير به الفكر المأحى للجهل .
- (٢٦٨٧) زَفِيرُ النَّارِ : صوت توقدها .
- (٢٦٨٨) شَهِيقُ النَّارِ : الشديد من زفيرها
 كأنه تردد البكاء .
- (٢٦٨٩) « حَانُونٌ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ » : من
 « حَنِينَتِ الْعُودَ » : عَطَفْتَهُ ،
 يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم
 في الصلاة .
- (٢٦٩٠) مُفْتَرِشُونَ لَجَاهِهِمْ : باسطون لها
 على الأرض .
- (٢٦٩١) فَكَالَهُ الرِّقَابُ : خلاصها .
- (٢٦٩٢) الْقِدَاحُ - جمع قِدَحٍ بالكسر - :
 وهو السهم قبل أن يُرَاشَ .
 وبَرَاهُ : نَحْتَهُ ، أي رَفَقَ الخوفُ
 أجسامهم كما تَرَفَقَ السهامُ بالنحت .
- (٢٦٩٣) خَوَاطٍ فِي عَقْلِهِ : مَا زَجَّهُ خَلَلٌ
 فيه ، والأمر العظيم الذي خالط
 عقولهم هو الخوف الشديد من الله .
- (٢٦٩٤) مُشَفَّقُونَ : خائفون من التقصير .
- (٢٦٩٥) زُكِّيَ أَحَدُهُمْ : مدحه أحد الناس .
- (٢٦٩٦) قَصْدًا : أي اقتصاداً .
- (٢٦٩٧) التَّجَمُّلُ : التظاهر باليسر عند
 الفاقة أي الفقر .
- (٢٦٩٨) التَّحَرُّجُ : عَدَّ الشَّيْءَ حَرَجًا أَي
 لُثْمًا ، أي تباعداً عن طمع .
- (٢٦٩٩) اسْتَضْعَبَتْ : لم تطاوعه .
- (٢٧٠٠) مَنَزُورًا : قَلِيلًا .
- (٢٧٠١) حَرِيْرًا : حَصِينًا .
- (٢٧٠٢) الْفُحْشُ : القبيح من القول .
- (٢٧٠٣) فِي الثَّرَازِلِ : الشدائد المُرْعِيَّةُ .
- (٢٧٠٤) الْوَقُورُ : الذي لا يضطرب .
- (٢٧٠٥) « لَا يَنَازِرُ بِالْأَلْقَابِ » : لَا يَدْعُو
 باللقب الذي يكره ويشتم منه .
- (٢٧٠٦) صَعِيقٌ : غُشِيَ عَلَيْهِ .
- (٢٧٠٧) ذَادَ عَنْهُ : حَمَى عَنْهُ وَطَرَدَ .
- (٢٧٠٨) الْغَمْرَةُ : الشدة . وأصلها ما
 ازدحم وكثر من الماء .
- (٢٧٠٩) الْفَصَّةُ : الشجاء في الحلق .
- (٢٧١٠) تَلَوْنَ : تَقَلَّبَ لَهُ الْأَدْتُونُ أَي
 أي الأقربون فلم يشبوا معه .
- (٢٧١١) تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ : اجتمع
 عليه الأبعدون .
- (٢٧١٢) الْأَعْيَنَةُ : جمع عَيْنَان ، وهو
 حبل اللجام .
- (٢٧١٣) أَسْحَقَ : أَقْصَى .
- (٢٧١٤) الرَّاثُونَ : من زلَّ أَي أَخْطَأَ .
 وَالْمُرْتَلُونَ : من « أَرَلَهُ » إِذَا أَوْقَعَهُ
 فِي الْخَطَا .

- (٢٧١٥) يَفْتَنُونَ : يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً .
- (٢٧١٦) يَغْمِلُونَكُمْ : يَفْدَحُونَكُمْ
- (٢٧١٧) العِمَاد : ما يُقام عليه البناء .
- (٢٧١٨) المِرْصَاد : محل الارتقاب .
- (٢٧١٩) يَرْصُدُونَكُمْ : يَقبِلون لكم بكل طريق وَيُعِدُّون المكايد لكم .
- (٢٧٢٠) دَوِيَّة : مريضة من الدَوَى - بالقصر - وهو المرض .
- (٢٧٢١) الصِّفَاح - جمع صفحة - : والمراد منها صِفَاح وجوههم ، وتقاوئها : صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتية بنارها .
- (٢٧٢٢) « يَمْشُونَ الخِفَاءَ » : يمشون مشي التستر .
- (٢٧٢٣) يَدَبُّون : أي يمشون على هيئة دبيب الضراء : أي كما يسري المرض في الجسم .
- (٢٧٢٤) الداء العِيَاء - بالفتح - : الذي أعيا الأطباء ولا يمكن منه الشفاء .
- (٢٧٢٥) حَسَدَةٌ : جمع حاسد ، أي يحسدون على السَّعة .
- (٢٧٢٦) الصريع : المطروح على الأرض .
- (٢٧٢٧) الشَّجْوُ : الحزن ، أي يكون تصنعاً متى أرادوا .
- (٢٧٢٨) يَتَقَارِضُونَ : كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه ، كأن كلامهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه إليه .
- (٢٧٢٩) اَلطُّغَا : بالغوا في السؤال وألحوا .
- (٢٧٣٠) عَنَلُوا : لاموا .
- (٢٧٣١) يَتَفَقَّحُونَ : يروِّجون . وأصله الثلاثي « نَفَقَ - يَتَفَقَّحُ » من التفاق - بالفتح - : ضد الكساد .
- (٢٧٣٢) الأَعْلَاق - جمع علق - : الشيء النفيس . والمراد ما يزينونه من خدائهم .
- (٢٧٣٣) « يَقُولُونَ فَيَشْبَهُونَ » : أي ، يشبهون الحق بالباطل .
- (٢٧٣٤) يُضْلِعُونَ المضائق : يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون .
- (٢٧٣٥) اللَّمَّة - بضم ففتح - : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة .
- (٢٧٣٦) الحُمَّة بالتخفيف : الإبرة تلسع بها العقرب ونحوها .
- (٢٧٣٧) المُقَل - بضم ففتح - : جمع مُقْلَة ، وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .
- (٢٧٣٨) هَمَاهِمُ النفوس : همومها في طلب العلم .
- (٢٧٣٩) طَامِسَةٌ : من طَمَسَ بفتحات ، أي أغشى واندرس .
- (٢٧٤٠) صَدَعٌ : أي جهر ، وأصلها شق بناء الباطل بصدمة الحق .
- (٢٧٤١) القصد : الاعتدال في كل شيء .
- (٢٧٤٢) استفتحوه : أسألوه الفتح على أعدائكم .
- (٢٧٤٣) استتبعوه : أسألوه النجاح في أعمالكم .

- (٢٧٤٤) استمنحوه : التمسوا منه العطاء .
- (٢٧٤٥) ثَلَمَ السيف : كسر جانبه : مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء .
- (٢٧٤٦) الحياء - ككتاب - : العطية لا مكافأة . واستفده : جعله نافذ المال لا شيء عنده . واستقصاه : أتى على آخر ما عنده .
- (٢٧٤٧) لا يَلُويهِ : لا يُمِيلُهُ .
- (٢٧٤٨) تُولِهُهُ : تَذْهَلُهُ .
- (٢٧٤٩) يُجَنِّهُهُ : يَسْتَرُهُ .
- (٢٧٥٠) دانَّ : جازى وحاسبَ ولم يحاسبه أحد .
- (٢٧٥١) ذَرَأَ : خَلَقَ .
- (٢٧٥٢) الاحتيال : التفكير في العمل وطلب التمكن من إبرازه ولا يكون إلا من العجز .
- (٢٧٥٣) الكلال : الملل من التعب .
- (٢٧٥٤) الزِّمام : المِقْوَد .
- (٢٧٥٥) قَوَّام - بالفتح : أي عيش يحيا به الأبرار .
- (٢٧٥٦) الأَكْنَان - جمع كِنٍ بالكسر - : ما يستكن به .
- (٢٧٥٧) الدَّعَّة : خَفْضُ العيش وَسَعَتُهُ .
- (٢٧٥٨) المعازل : الحصون .
- (٢٧٥٩) الحِرْزُ : الحفظ .
- (٢٧٦٠) الصَّرُوم - جمع صِرْمَةٍ بالكسر - : وهي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين .
- (٢٧٦١) العشار - جمع عَشْرَاء بضم ففتح كَنَفَسَاء - وهي الناقة ، مضى لحملها عشرة أشهر . وتعطيل جماعات الإبل : إهمالها من الرعي . والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه .
- (٢٧٦٢) الثَّمَّ - جمع أَثَمَّ - : أي رفيع .
- (٢٧٦٣) الشامخ : المتسامي في الارتفاع .
- (٢٧٦٤) الصَّمَّ - جمع أَصَمَّ - : وهو الصُّلْب المَصْنَع ، أي الذي لا تجويف فيه .
- (٢٧٦٥) الراسخ : الثابت .
- (٢٧٦٦) الصِّلْد : الصُّلْب الأملس .
- (٢٧٦٧) السَّرَاب : ما يخيله ضوء الشمس كالماء خصوصاً في الأراضي السَّيْحَة وليس بماء .
- (٢٧٦٨) الرَّقْرَق - كجعفر - : المضطرب .
- (٢٧٦٩) معهدا : المحل الذي كان يعهد وجودها فيه .
- (٢٧٧٠) القاع : ما اطمأن من الأرض .
- (٢٧٧١) السَّمَلَق - كجعفر - : الصَّقْف المستوي ، أي تُنْسَف تلك الجبال ويصير مكانها قاعاً صافياً : أي مستوياً
- (٢٧٧٢) الشُّخُوص : الذهاب والانتقال إلى بعيد .
- (٢٧٧٣) بائن : مبتعد منفصل .
- (٢٧٧٤) تَمِيد : تضطرب اضطراب السفينة
- (٢٧٧٥) تَقصفها : تكسرها الرياح الشديدة .

(٢٧٩٢) مرمى المَنزَع : ما يدفع إليه الخوف ، وهو الملجأ : أي وإليه ملاجئ خوفكم .

(٢٧٩٣) الجأش : ما يضطرب في القلب عند الفزع ، أو التهيب ، أو توقع المكروه .

(٢٧٩٤) الشعار : ما يلي البدن من الثياب .

(٢٧٩٥) الدثار : ما فوق الشعار .

(٢٧٩٦) المنهل : ما تَرِدُهُ الشاربة من الماء للشرب .

(٢٧٩٧) الدرك - بالتحريك - : اللحاق .

(٢٧٩٨) الطليبة - بفتح الطاء وكسر اللام - : المطلوب .

(٢٧٩٩) الجئة - بالضم - : الوقاية .

(٢٨٠٠) الأوار - بالضم - : حرارة النار وهيئها .

(٢٨٠١) عزيت - بالزاي - : غابت وبعدت

(٢٨٠٢) الإنصاب - بكسر الهمزة - : مصدر بمعنى الإنعاب .

(٢٨٠٣) تحدب عليه : عطف .

(٢٨٠٤) نصب الماء نُضوباً : غار وذهب في الأرض . ونضوب النعمة :

قلتها أو زوالها . وَوَيْلَتِ السماء : أمطرت مطراً شديداً .

(٢٨٠٥) أرذت - بتشديد الدال - إرذاذاً :

مطرت مطراً ضعيفاً في سكون كأنه الغبار المتطاير .

(٢٨٠٦) « أصفاه خيرة خلقه » :

آثر به أفضل الخلق عنده ، وهو خاتم النبيين .

(٢٧٧٦) الوبيق - بكسر الباء - : الهالك ، أي منهم من هلك عند تكسر السفينة ، ومنهم من بقيت فيه الحياة فنجا .

(٢٧٧٧) تحفيزه : أي تدفعه .

(٢٧٧٨) اللدن - بالفتح - : اللين .

(٢٧٧٩) المنقلب - بفتح اللام - : مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه الحياة .

(٢٧٨٠) أرهقه الشيء : أعجله فلم يتمكن من فعله .

(٢٧٨١) القوت : ذهاب الفرصة بحلول الأجل .

(٢٧٨٢) المستحفظون - بفتح الفاء - اسم مفعول ، أي الذين أودعهم النبي (ص) أمانة سره وطالبهم بحفظها .

(٢٧٨٣) المواساة بالشيء : الإشارك فيه ، فقد أشرك النبي في نفسه .

(٢٧٨٤) تنكص : تراجع .

(٢٧٨٥) النجدة - بالفتح - : الشجاعة .

(٢٧٨٦) الأفنية - جمع فناء بكسر الفاء - : ما اتسع أمام الدار .

(٢٧٨٧) الهينمة : الصوت الخفي .

(٢٧٨٨) البصيرة : ضياء العقل .

(٢٧٨٩) المزلّة : مكان الزلزل الموجب للسقوط في الهلكة .

(٢٧٩٠) النينان - جمع نون - : وهو الحوت .

(٢٧٩١) النجيب : المختار المصطفى .

- (٢٨٠٧) مُحَادِيهِ - جمع مُحَادٍ - :
الشديد المخالفة .
- (٢٨٠٨) الركن : العز والمنعة .
- (٢٨٠٩) تَشَقَّى الحَوْضُ - كفرح - : امتلأ .
وأثاقه : ملاءه .
- (٢٨١٠) المَوَاتِع - جمع ماتع - : نازع الماء
من الحوض .
- (٢٨١١) العَفَاء - كسحاب - : الدُرُوس
والاضمحلال .
- (٢٨١٢) الجَدَّة : القطع .
- (٢٨١٣) الضَّنْك : الضيق .
- (٢٨١٤) الوُعُوثَة : رخاوة في السهل تغوص
بها الأقدام عند السير فيعسر
المشي فيه .
- (٢٨١٥) الوَضَح - محركة - : بياض الصبح .
- (٢٨١٦) العَصَل - بفتح الصاد - : الاعوجاج
يصعب تقويمه .
- (٢٨١٧) وَعَثَ الطريق : تعسر المشي فيه .
- (٢٨١٨) الفَجَّ : الطريق الواسع بين جبلين .
- (٢٨١٩) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص
في لين وخاض فيه .
- (٢٨٢٠) الأسناخ : الأصول . وغزرت :
كثرت .
- (٢٨٢١) شبت النار : ارتفعت من الإيقاد .
- (٢٨٢٢) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار
يهتدى إليها .
- (٢٨٢٣) السُّفَّار - بضم فسشد - : ذوو
السفر ، أي يهتدى إليه المسافرون
في طريق الحق .
- (٢٨٢٤) الأعلام : ما يوضع على أوليات
الطرق وأوساطها ليدل عليها .
- (٢٨٢٥) مُشْرِف المنار : مرتفعه .
- (٢٨٢٦) مُعَوِّذُ المَنَار : من أعوذَ - بالذال
كأعاذ - بمعنى أُلجأ . والمنار :
مصدر ميمي من ثار الغبار إذا هاج ؛
أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين
لأُلجأه إلى مشقة لقوته ومثاقته .
- (٢٨٢٧) الاطِّلاع : الاتيان : اطلع فلان
علينا : أي أتنا .
- (٢٨٢٨) خَشُونَةُ المِهَاد : كثارة عن شدة
آلام الدنيا .
- (٢٨٢٩) أَرِف - كفرح - : أي قرب ،
والمراد من القياد إقيادها للزوال .
- (٢٨٣٠) الأَشْرَاط - جمع شَرَط كسبب - :
أي علامات انقضاءها .
- (٢٨٣١) التَصَرَّم : التقطع .
- (٢٨٣٢) الانقِصام : الانقطاع . وإذا
انقصمت الخَلْفَة انقطعت الرابطة .
- (٢٨٣٣) انتشار الأسباب : تبددها حتى لا
تُضَبَّط .
- (٢٨٣٤) عَقَاء الاعلام : اندراسها .
- (٢٨٣٥) خَبَّتِ النار : انطفأت .
- (٢٨٣٦) المنهَاج : الطريق الواسع
- (٢٨٣٧) التَهْنِجُ هنا السلوك . ويُضِلُّ رِبَاعِي :
أي لا يكون من سلوكه إضلال .
- (٢٨٣٨) بُحْبُوحَةُ المكان : وسطه .
- (٢٨٣٩) الرِياض - جمع روضة - : وهي
مستنقع الماء في رمل أو عشب .

- (٢٨٤٠) الغُدْرَان - جمع غَدِير - : وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
- (٢٨٤١) الأَثَافِي - جمع أَثْفِيَّة - : الحجر يوضع عليه القدر ، أي عليه قام الاسلام .
- (٢٨٤٢) غِيْطَان الحق - جمع غاط أو غَوْط وهو المظمئن من الأرض .
- (٢٨٤٣) لَا يُنْزَفُه : لا يَفْنَى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون .
- (٢٨٤٤) لَا يُنْضِيْهَا - كَبُرَ مَها - : أي ينقصها . والماتحون - جمع ماتح - : نازع الماء من الحوض .
- (٢٨٤٥) أَلْهَاف : مواضع الشرب من النهر .
- (٢٨٤٦) لَا يَغِيْضُهَا : « من غاض الماء » نقصه .
- (٢٨٤٧) آكَام - جمع أَكَمَة - : وهو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجراً .
- (٢٨٤٨) يَجُوزُ عَنْهَا : يقطعها ويتجاوزها .
- (٢٨٤٩) الْمَحَاج - جمع مَحَجَة - : وهي الجادة من الطريق .
- (٢٨٥٠) الْفَلَنَج - بالفتح - : الظفر والفوز .
- (٢٨٥١) الْجُنَّة - بالضم - : ما به يتق الضرر .
- (٢٨٥٢) اسْتَدْلَمَ : أي لبس اللأمة وهي الدِرْع أو جميع أدوات الحرب ، أي ان من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه كان القرآن وقاية له .
- (٢٨٥٣) قَضَى : حكم وفصل .
- (٢٨٥٤) حَتَّ الْوَرَقَ عَنْ الشَّجَرَة : قشره .
- (٢٨٥٥) الرِّبْق - بكسر الراء - : جبل فيه عدة عرى كل منها رِبْقَة .
- (٢٨٥٦) الْحَمَّة - بالفتح - : كل عين ينبع منها الماء الحار ويستشفى بها من العلل .
- (٢٨٥٧) الدَّرَن : الوسخ .
- (٢٨٥٨) نَصَباً - بفتح فكسر - : أي تعباً .
- (٢٨٥٩) مَقْبُون الأجر : منقوصه .
- (٢٨٦٠) الْمَدْحُوَّة : المبسوطة .
- (٢٨٦١) مقترفون : أي مكتسبون .
- (٢٨٦٢) الْخُبْر - بضم الخاء - : العِلْم .
- (٢٨٦٣) الْعِيَان - بكسر العين - : المعاينة والمُشاهدة .
- (٢٨٦٤) لَا أُسْتَغْمَرُ - مبني للمجهول - : أي لَا أُسْتَضْعَفُ بالقوة الشديدة . والمغنى : لا يستضعفني شديد القوة . والغَمَر - محركة - : الرجل الضعيف .
- (٢٨٦٥) السُّخْط : الغضب . ضد الرضى .
- (٢٨٦٦) خَارَت : صَوَّتَتْ كخَوَار الثور .
- (٢٨٦٧) السَّكَّة الْمُحْمَاة : حديدية المَحْرَاث إذا أُحْمِيَتْ في النار فهي أسرع غَوْرًا في الأرض .
- (٢٨٦٨) الْخَوَارَة : السهلة اللينة .
- (٢٨٦٩) يريد « بالتأسي » : الاعتبار بالمثال المتقدم .
- (٢٨٧٠) الْفَادَح : المُثْقِل .
- (٢٨٧١) التَّعْزِي : التصبر .
- (٢٨٧٢) مَلْحُوْدَة القبر : الجهة المشقوقه منه .

- (٢٨٧٣) وَمُسْتَهْدٌ : أي ينقضي بالسهاد وهو السهر .
- (٢٨٧٤) هَضْمُهَا : ظلمها .
- (٢٨٧٥) إِحْقَاءُ السُّؤَالِ : الاستقصاء فيه .
- (٢٨٧٦) الْقَالِي : المبغض .
- (٢٨٧٧) السَّمُّ : من السَّامة : وهي الضجر .
- (٢٨٧٨) مَجَازٌ : أي ممر إلى الآخرة .
- (٢٨٧٩) الْعُرْجَةُ : بالضم - اسم من التعرّيج .
- بمعنى حبس المطية على المنزل .
- (٢٨٨٠) الْكَوْودُ : الصعبة المرتقى .
- (٢٨٨١) مَلَا حِظَّ النِّيَّةِ : منبعث نظرها .
- (٢٨٨٢) دَانِيَةٌ : قريبة .
- (٢٨٨٣) نَشِيتٌ : علقت بكم .
- (٢٨٨٤) اسْتَظْهَرُوا : استعينوا .
- (٢٨٨٥) نَقَمْتُمَا : أي غضبتما .
- (٢٨٨٦) أَرْجَأْتُمَا : أي أخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظرا إليه .
- (٢٨٨٧) الْإِرْبَةُ - بكسر الهمزة - : الغرض والطلبية
- (٢٨٨٨) الْأَسْوَةُ : ها هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال . وكان ذلك قد أغضب القوم على ما روي .
- (٢٨٨٩) الْعُتْبِيُّ : الرجوع عن الإساءة .
- (٢٨٩٠) الْأَرْعَاءُ : التزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ .
- (٢٨٩١) لَهَجَ بِهِ : أولع به
- (٢٨٩٢) اَمْلَكُوا عَنِّي : أي خذوه بالشدة وأمسكوا به . والهمزة وصلية .
- فالمادة من المثلث .
- (٢٨٩٣) يَهْدُنِي : يهدمني .
- (٢٨٩٤) نَفَسَ بِهِ - كَفَرَحَ - : أي ضن به .
- (٢٨٩٥) نَهَكْتُهُ الْحُمَى : أصعبته وأضنته .
- (٢٨٩٦) أَطْلَعَ الْحَقَّ مَطْلَعَهُ : أظهره حيث يجب أن يظهر .
- (٢٨٩٧) عُدِّي - تَصَغِيرَ عَدُوٍّ .
- (٢٨٩٨) يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ : أي يقيسوا أنفسهم .
- (٢٨٩٩) يَتَّبِعُ : يهيج به الألم فيهلكه .
- (٢٩٠٠) يَتَأْتَمُّ : يخاف الإثم .
- (٢٩٠١) يَتَحَرَّجُ : يخشى الوقوع في الحرج وهو الحُرْمُ .
- (٢٩٠٢) لَقِيفٌ : تناول وأخذ عنه .
- (٢٩٠٣) وَهَمٌ : غلط وأخطأ .
- (٢٩٠٤) لَمْ يَهَمْ : لم يخطيء ولم يظن خلاف الواقع .
- (٢٩٠٥) جَذَبَ عَنْهُ : أي تجنب .
- (٢٩٠٦) الْمُتَشَابِهُ مِنَ الْكَلَامِ : هو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم .
- وَمُحْكَمُ الْكَلَامِ : صريحه الذي لم يُنْسَخَ .
- (٢٩٠٧) زَخَرَ الْبَحْرَ - كَمَعَ - : زُخُوراً ، وَتَزَخَّرَ : طَمَى وامتلاً .
- (٢٩٠٨) الْمُتَقَاصِفُ : المتراحم كأن أمواجه في تراحمها يقصف بعضها بعضاً ، أي يكسر .
- (٢٩٠٩) الْيَبَسُ - بالتحريك - : اليابس
- (٢٩١٠) قَطَرٌ : خلق .
- (٢٩١١) الْأَطْبَاقُ : طبقات مختلفة في تركيبها

ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع
عن السهول ، حتى إذا ارتجت
الأرض بما أحدثت يد القدرة
الالهية في بطونها نهدت الجبال عن
السهول فانفصلت كل الانفصال .

(٢٩٢٦) أساخ قواعدها : أي جعلها غائصة .

(٢٩٢٧) مواضع الأنصاب - جمع نُصْب - :

وهو ما جعل علماً يشهد فيقصد .

(٢٩٢٨) قَلَّةُ الجبل : أعلاه . وأشهبها :

جعلها شاهقة : أي بعيدة الارتفاع .

(٢٩٢٩) أطال أنشازها : أي متونها المرتفعة

في جوانب الأرض .

(٢٩٣٠) أرزها - بالتشديد - ثبته .

(٢٩٣١) تَمِيد - أي تضطرب وتزلزل .

(٢٩٣٢) تَسِيخ - كَتَسُوخ - : أي تغوص

في الهواء فتخسف .

(٢٩٣٣) لا يجري : المراد هنا أنه لا يسيل

في الهواء .

(٢٩٣٤) تُكْرِكِرُهُ : تذهب به وتعود .

(٢٩٣٥) الذَوَارِف : جمع ذَارِفَة . من

ذرف الدمع إذا سال .

(٢٩٣٦) شَبَهَ - بالتحريك - : أي مشابهة .

(٢٩٣٧) رَهْقُهُ - كفرح - : غَشِيَهُ .

(٢٩٣٨) الرَقَق : سدّ الفتق .

(٢٩٣٩) المفاق : مواضع الفتق وهي ما

كان بين الناس من فساد وفي

مصلحهم من اختلال .

(٢٩٤٠) سَاوَرَ به المُغَالِب : أي واثب بالنبي

(ص) كل من يغالب الحق .

(٢٩١٢) كانت الأطباق رتقاً يتصل بعضها

ببعض . ففتقها سباً وهي السموات

وقف كل منها حيث مكنه الله على

حسب ما أودع فيه من السر

الحافظ له .

(٢٩١٣) استمسكت بأمره : أي بأمر الله

التكويني .

(٢٨١٤) قامت على حدّه : أي حد الأمر

الإلهي .

(٢٩١٥) المراد من الأخضر - الحامل للأرض

وهو البحر .

(٢٩١٦) المِثْعَنَجِر - بكسر الجيم - : معظم

ليحر وأكثر مواضعه ماء .

(٢٩١٧) القِمِّقَام - بفتح القاف وتضم - :

البحر أيضاً .

(٢٩١٨) جَبَلٌ - خلق - .

(٢٩١٩) الجلاميد : الصخور الصلبة .

(٢٩٢٠) النُشُوز - جمع نَشْرَ بسكون

الشين وفتحها وفتح النون - : ما

ارتفع من الأرض .

(٢٩٢١) المَتُون - جمع مَتْن - : ما صلب

منها وارتفع .

(٢٩٢٢) الأطواد : عطف على المتون وهي

عظام الناتئات .

(٢٩٢٣) مراسيها : ما «رست» أي رسخت فيه .

(٢٩٢٤) قوارتها : ما استقرت فيه .

(٢٩٢٥) قوله «أنهدّ جبالها» الخ . كأن

النشوز والمتون والأطواد كانت

في بداية أمرها على ضخامتها غير

- (٢٩٤١) الحُرُوفَةُ : غَلَطَ في الأرض .
- (٢٩٤٢) نَسَخَ الخَلْقَ : نَقَلَهُم بالتناسل عن أصولهم . فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فِرَقاً .
- (٢٩٤٣) العاهر : من يأتي غير حِلَّة كالفاجر .
- (٢٩٤٤) ضرب في الشيء : صار له نصيب منه .
- (٢٩٤٥) العِصَم - بكسر ففتح - : جمع عِصْمَة وهي ما يعتصم به . وعِصَم الطاعات : الإخلاص لله وحده .
- (٢٩٤٦) الكفاء - بالكسر - : الكافي أو الكفاية .
- (٢٩٤٧) المستحفظين : بصيغة اسم المفعول : الذين أودعوا العلم ليحفظوه .
- (٢٩٤٨) الولاية : الموالة والمُصَافَاة .
- (٢٩٤٩) الروية فعيلة - بمعنى فاعلة - : أي يروي شراها من ظمأ التباعد والنفرة .
- (٢٩٥٠) رِيَّة - بكسر الراء وتشديد الياء - الواحدة من الري : زوال العطش .
- (٢٩٥١) الريية : الشك في العقائد .
- (٢٩٥٢) عقد خلقهم : أي وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات . وأحكم صلتها بها حتى كأنها معقودان بها .
- (٢٩٥٣) « كتناضل البذر يُنتَقَى » : أي كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتناضل البذر . فان البذر يعنى بتقنيته ليخلص النبات من الزوان .
- ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد النقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض ، فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها .
- (٢٩٥٤) التهذيب هنا : النقية .
- (٢٩٥٥) التمحيص : الاختبار .
- (٢٩٥٦) الكرامة : هنا النصيحة أي اقبلوا نصيحة لا تبغى عليها أجراً إلا قبولها .
- (٢٩٥٧) القارعة : داعية الموت أو القيامة تأتي بغتة .
- (٢٩٥٨) المتحوّل - بفتح الواو مشددة - : ما يتحوّل إليه .
- (٢٩٥٩) معارف المتقلّ : المواضع التي يعرف الانتقال إليها .
- (٢٩٦٠) الحوبة - بفتح الحاء - : الإثم ، وإماطتها : تنحيتها .
- (٢٩٦١) الدابر : بقية الرجل من ولده ونسله . وأصل الدابر : الظهر ، وكفى بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل .
- (٢٩٦٢) الالتباس : الاختلاط .
- (٢٩٦٣) التنايع : ركوب الأمر على خلاف الناس . أراد به هنا الإسراع إلى الشر والتأجاجة .
- (٢٩٦٤) تتكافأ : تتساوى .
- (٢٩٦٥) أدلال الطريق : جمع ذلّ - بكسر الدال - : مجراه ووسطه . و « جرت أمور الله أدلالها » وعلى أدلالها « أي وجوهاها » .

على القذى : غضضت الطرف عنه .
 (٢٩٨٥) الشجا : ما اعترض في الخلق من
 عظم ونحوه . يريد به غصة الحزن .
 (٢٩٨٦) الشِفَار : جمع شَتْرَة : حد
 السيف ونحوه . ووَحَزَ الشِّفَار :
 طعنها الخفيف .
 (٢٩٨٧) العضّ على السيوف : كناية عن
 الصبر في الحرب وترك الاستسلام .
 (٢٩٨٨) الوتر : الثأر .
 (٢٩٨٩) أتلعوا : أي رفعوا أعناقهم ومدّوها
 لتناول أمر ، وهو مناوأة أمير
 المؤمنين على الخلافة .
 (٢٩٩٠) وقِصوا : أي كُسِرَت أعناقهم ،
 دون الوصول إليه .
 (٢٩٩١) إحياء العقل : بالعلم والفكر
 والنفوذ في الأسرار الإخية .
 (٢٩٩٢) إماتة النفس : بكفّتها عن شهواتها .
 (٢٩٩٣) الجليل : العظيم . ودق : أي صخر
 حتى خفي أو كاد . والمراد نحول
 بدنه الكثيف .
 (٢٩٩٤) لَطُفَ غليظه : تلطفت أخلاقه
 وصفت نفسه .
 (٢٩٩٥) تدافعت الأبواب : أي ما زال
 ينتقل من مقام إلى آخر من
 مقامات الكمال .
 (٢٩٩٦) ألهاه عن الشيء : صرفه عنه باللهو
 أي صرفكم عن الله اللهو والتكاثر
 بمكائره بعضكم لبعض وتعدد
 كل منكم مزايبا أسلافه .

(٢٩٦٦) السُنن : جمع سُنّة .
 (٢٩٦٧) أجحف بالرعيّة : ظلمهم .
 (٢٩٦٨) الإدغال في الأمر : إدخال ما
 يفسده فيه .
 (٢٩٦٩) مَحَاجّ السُنن : جمع مَحَجّة ،
 وهي جادة الطريق وأوسطها .
 (٢٩٧٠) لا يستوحش لعظيم : أي لا
 تأخذ النفوس وحشة أو استغراب ،
 لتعودها على تعطيل الحقوق .
 (٢٩٧١) « يَفُوقُ أَنْ يُعَان ... الخ » :
 أي : بأعلى من أن يحتاج إلى
 الإعانة ، أي : بغنى عن المساعدة .
 (٢٩٧٢) اقحمتّه : احتقرته ، وازدرته .
 (٢٩٧٣) أصل « السخف » رقة العقل وغيره .
 أي صغفه .
 (٢٩٧٤) البلاء : هنا لإجهاد النفس في
 إحسان العمل .
 (٢٩٧٥) التقيّة : الخوف ، والمراد لازمه ،
 وهو العقاب .
 (٢٩٧٦) البادرة : الغضب .
 (٢٩٧٧) المصانعة : المداواة .
 (٢٩٧٨) أمّلك به مني : أي أشد ملكاً مني .
 (٢٩٧٩) أستعديك : أستعينك لتنتقم لي .
 (٢٩٨٠) « إكفاء الإناء » : قلبه . مجاز
 عن تضييع الحق .
 (٢٩٨١) الرافد : المعين .
 (٢٩٨٢) الذابّ : المدافع .
 (٢٩٨٣) ضننت : أي بخلت .
 (٢٩٨٤) القذى : ما يقع في العين . وأغضيت

- (٢٩٩٧) المَرَام : الطلب بمعنى المطلوب .
- (٢٩٩٨) الزَّوْز - بالفتح - : الزائرون .
- (٢٩٩٩) ما أَغْفَلَهُ : أي ما أَشَدَّ غَفْلته !
- (٣٠٠٠) اسْتَخْلَوْهُمْ : وجدوهم خالين .
- (٣٠٠١) المُدَكَّر : مصدر ميمي من -
الادكار بمعنى الاعتبار .
- (٣٠٠٢) تَنَآوَشُوهم : تناولوهم .
- (٣٠٠٣) خَوَتْ : سقط بناؤها وخت من
أرواحها .
- (٣٠٠٤) أَحْبَبَ : أقرب للحبى أي للعقل .
- (٣٠٠٥) العَشْوَة : ضعف البصر .
- (٣٠٠٦) الخاوية : المنهدمة .
- (٣٠٠٧) الربوع : المساكن .
- (٣٠٠٨) الضَّلَال - كعُشَّاق - جمع ضال .
- (٣٠٠٩) هَام - جمع هامة - : أعلى الرأس .
- (٣٠١٠) تَسْتَنْبِتُونَ أي : تزرعون النبات
في أجسادهم .
- (٣٠١١) ترتعون : تأكلون وتتلذذون بما
لفظوه ، أي طرحوه وتركوه .
- (٣٠١٢) بَوَاكٍ - جمع باكية .
- (٣٠١٣) نَوَائِح - جمع نائحة .
- (٣٠١٤) سلف الغاية : السابق إليها . وغايتهم
حد ما يتنهون إليه : وهو الموت .
- (٣٠١٥) القُصْرَاط - جمع فارط - وهو
كالفَرَط بالتحريك - : متقدم
القوم إلى الماء ليهيئ لهم موضع
الشرب .
- (٣٠١٦) المتَّاهِل : مواضع ما تشرب
الشاربة من النهر مثلاً .
- (٣٠١٧) مَدَامَوم : جمع مقام .
- (٣٠١٨) الحَلَبَات - جمع حَلَبَة بالفتح - :
وهي الدفعة من الحليب في الرهان .
- (٣٠١٩) السُّوق - بضم ففتح - جمع سَوْقة
بالضم - : بمعنى الرعية .
- (٣٠٢٠) البرزخ : القبر .
- (٣٠٢١) الفَجَّوَات : جمع فَجْوَة ،
وهي الفُرْجَة ، والمراد منها هنا
شق القبر .
- (٣٠٢٢) يَنَمُون : من النماء ، وهو
الزيادة في الغذاء .
- (٣٠٢٣) الضِمَار : ككتاب : المال لا يرجى
رجوعه .
- (٣٠٢٤) لَا يَحْفَلُونَ - بكسر الفاء - لا
يبالون .
- (٣٠٢٥) الرَوَاجِف - جمع راجفة - :
الزلازلة توجب الاضطراب .
- (٣٠٢٦) يَأْذَنُونَ : يستمعون . والمصدر
منه الْأَذَن بالتحريك .
- (٣٠٢٧) القَوَاصِف : من « قصف الرعد »
اشتدت هَدَاهَدَتَه .
- (٣٠٢٨) آلافاً - جمع أليف - : أي موثلف
مع غيره .
- (٣٠٢٩) صَمَّ يَصْم - بالفتح فيهما - : خرس
عن الكلام . وخرس الديار : ألا
يصعد الصوت من سكانها .
- (٣٠٣٠) ارتجال الصفة : وصف الحال بلا
تأمل .
- (٣٠٣١) صرعى : جمع صريع : أي هالك .

- (٣٠٣٢) السُّبَات - بالضم - : أي النوم .
 (٣٠٣٣) بَلَيْتَ : رثت وفنيت .
 (٣٠٣٤) العُرَا - جمع عُرْوَة - : وهي مقْبِضُ الدلو والكوز مثلاً .
 (٣٠٣٥) الجلديدان : الليل والنهار .
 (٣٠٣٦) يريد بالغايتين هنا : الجنة والنار .
 (٣٠٣٧) المَبَاة : مكان التبوء والاستقرار ، والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة .
 (٣٠٣٨) عَيَّوْا : عجزوا .
 (٣٠٣٩) العَيَّرَ : جمع عَيَّرَة . وهي ما يعتبر به ، ويتخذ موعظة .
 (٣٠٤٠) كَلَّحَ : كنع - كَلَّوْحًا - : تكثر في عبوس .
 (٣٠٤١) النواضر : الحسنة البواسم .
 (٣٠٤٢) خَوَّتْ : تهدمت بنيتها .
 (٣٠٤٣) الأَهْدَام - جمع هَدْم بكسر الهاء - : الثوب البالي أو المرقع .
 (٣٠٤٤) تَكَاءَدَهُ الأمرُ : أي شقَّ عليه .
 (٣٠٤٥) تَهَكَّمت : المراد هنا تهدمت .
 (٣٠٤٦) الرُّبُوع : أماكن الإقامة .
 (٣٠٤٧) الصُّمُوت : جمع صامت ، والمراد بها القبور .
 (٣٠٤٨) ارتسخ : مبالغة في رسخ . ورسخ الغدير : نشأ ماؤه ، أي أخذ في النقصان ونضب .
 (٣٠٤٩) الهوام : الديدان .
 (٣٠٥٠) استككت الأذن : صمت .
 (٣٠٥١) خسفت عين فلان : فقت .
 (٣٠٥٢) ذلاقة الألسن : حديثها في النطق .
 (٣٠٥٣) عاث : أفسد .
 (٣٠٥٤) البيلي : التحلل والفناء .
 (٣٠٥٥) سَمَّجَ الصورة تسميجاً : قبحها .
 (٣٠٥٦) أشجان القلوب : همومها .
 (٣٠٥٧) أفذاء العيون : ما يسقط فيها فيولمها .
 (٣٠٥٨) الغمَّرة : الشدة .
 (٣٠٥٩) الأنيق : رائق الحسن .
 (٣٠٦٠) الغَدَيَّ : اسم بمعنى المفعول أي مغدًى بالنعيم .
 (٣٠٦١) الريب : بمعنى المريب ، ربه يربه أي رباه .
 (٣٠٦٢) يتعلل : يتشاغل .
 (٣٠٦٣) السلوة : انصراف النفس عن الألم بتخييل اللذة .
 (٣٠٦٤) ضناً : أي بخلاً .
 (٣٠٦٥) غَضَّارة العيش : طيبة .
 (٣٠٦٦) شحاحةٌ : بخلاً وضناً .
 (٣٠٦٧) عيش غَقُول : وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هيناً يوجبها .
 (٣٠٦٨) الحَسَلَك : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم . ورقه كورق الرجل أو أدق . وعند ورقه شوك ملرز صلب ذو ثلاث شُعَب ، وهو تمثيل لمس الآلام .
 (٣٠٦٩) الحُتُوف : المهلكات . وأصل الحُتُف : الموت .
 (٣٠٧٠) كَتَّبَ - بالتحريك - : أي قُرَّب .

(٣٠٧١) خالطه الحزن : مازج خواطره .

(٣٠٧٢) البَثْ : الحزن .

(٣٠٧٣) النَّجِي : المناجي .

(٣٠٧٤) الفترات : جمع فترة . وهي

المدة من الزمن . ويريد بفترات

العلل أوائل السقم والمرض وانحطاط

القوة .

(٣٠٧٥) القار - بتشديد الراء - على وزن

اسم الفاعل - : هنا البارد .

(٣٠٧٦) اعتدل بممازج : أي طلب تعديل

مزاجه بدواء يمازج فيه من الطبائع .

(٣٠٧٧) مُعْتَلِّل المريض : من يسليه عن

مرضه بترجية الشفاء .

(٣٠٨٨) تَعَايَا أَهْلُهُ : اشتركوا في العجز

عن وصف دائه .

(٣٠٧٩) هُوَ لِمَا بِهِ : أي هو مملوك لعلته

فهو هالك .

(٣٠٨٠) الْمُتَسَنِّي : مخيل الأمنية .

(٣٠٨١) الإياب : الرجوع .

(٣٠٨٢) أَسَى : جمع أسوة .

(٣٠٨٣) نوافذ الفطنة : ما كان من أفكار

نافذة أي مصيبة للحقيقة .

(٣٠٨٤) عَيَّى : عجز لضعف القوة المحركة

للسانه .

(٣٠٨٥) الفصمات : الشدائد . ويريد بها

هنا سكرات الموت .

(٣٠٨٦) تعتدل على عقولهم : أي تستقيم

عليها بالقبول والإدراك .

(٣٠٨٧) الذِكْر : استحضار الصفات الإلهية .

(٢٠٨٨) جِلَاء : - بالكسر - من جلا

السيف يجلوه إذا صقله وأزال منه

صدأه .

(٣٠٨٩) الوقرة : ثقل في السمع .

(٣٠٩٠) العشوة : ضعف البصر .

(٣٠٩١) الفترة بين العملين : زمان بينهما

يخلو منهما . والمراد : أزمة الخلو

من الأنبياء مطلقاً .

(٣٠٩٢) فاجاهم : أي خاطبهم بالإلهام .

(٣٠٩٣) استصبح : أضاء مصباحه .

(٣٠٩٤) الأدلة : الذين يدلون المسافرين على

الطريق .

(٣٠٩٥) الفلوات : المفازات والقفار

(٣٠٩٦) أخذ القصد : ركب الاعتدال في

سلوكه .

(٣٠٩٧) هَتَفَ بِهِ - كضرب - : صاح

ودعا . وهتفت الحمامة : صات .

(٣٠٩٨) القسُط : العدل .

(٣٠٩٩) يَأْتَمِرُونَ بِهِ : يمثلون الأمر .

(٣١٠٠) العِدَات - جمع عِدَة بكسر

فتفتح مخفف - : الوعود .

(٣١٠١) مَقَاوِم - جمع مَقَام - : مقاماتهم

في خطاب الوعظ .

(٣١٠٢) الدواوين - جمع ديوان - : وهو

مجمع الصحف . والدفتر : ما

يكتب فيه أسماء الجيش وأهل

الأعطيات .

(٣١٠٣) الأوزار جمع وِزْر : الحمل

ويراد بها هنا الذنوب .

- (٣١١٩) يتغمدك : أي يغمرك ويترك .
 (٣١٢٠) طَرَفَ عَيْنَهُ - كضرب - : أطبق جَفَنِيَّهَا . والمراد من المَطَرَف اللحظة يتحرك فيها الجفن .
 (٣١٢١) كَاشَفَتَكَ الْعِظَاتِ : بالنصب على نزع الخافض : أظهرت لك العظات أي المواعظ .
 (٣١٢٢) آذَنَتَكَ : أعلمتك على عدل .
 (٣١٢٣) « رب ناصح لما عندك مُتَّهِم » : رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبرة فتتتهمه وهو مخلص .
 (٣١٢٤) تعرَّفَها : طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها .
 (٣١٢٥) الشحيح بك : البخيل بك على الشقاء والمهلكة .
 (٣١٢٦) وِطْنَهُ - بالتشديد - : اتخذها وطناً .
 (٣١٢٧) الراجفة : النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتتسف الأرض نسفاً .
 (٣١٢٨) حَقَّتِ الْقِيَامَةُ : وقعت وثبتت بعبائهم .
 (٣١٢٩) المُنْتَسِك - بفتح الميم والسين - : العبادة أو مكائها .
 (٣١٣٠) لم يُجْزَ - من الخزاء - : مبني للمجهول ونائب فاعله « خَرَّقُ بَصْرُ » و « هَمَسُ » قدم ، أي لا تجازي لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلا بحق ، وذلك بعدل الله .
 (٣١٣١) تَحَرَّ - من التحري - أي اطلب ما هو أخرى وألين .

- (٣١٠٤) نَشَجَ الباكي : يَنْشِج - كضرب يضرب - نشيجاً : غصّ بالبكاء في حلقة .
 (٣١٠٥) النَحِيب : أشد البكاء . وتجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون .
 (٣١٠٦) عَجَّ : يَعْج - كضرب ومل - : صاح ورفع صوته . فهم يصيحون في مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .
 (٣١٠٧) تَنَمَّ النسيم : تَشَمَّهُ . والروح - بالفتح - : النسيم ، أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له .
 (٣١٠٨) الأسى : الحزن .
 (٣١٠٩) المتناح - جمع متندوحة - : وهي كالندوحة - بالضم والفتح - والمتندح : - بفتح الدال - المتسع من الأرض .
 (٣١١٠) دَحَقَّتِ الْحِجَةُ : - كمنع - : بَطَلَتْ .
 (٣١١١) أبرح جهالة بنفسه أي أعجبته نفسه بجهالتها .
 (٣١١٢) بَلَّ مَرُضُهُ : يَبِّل - كقل يقل - : بلولاً : حسنت حاله بعد هزال .
 (٣١١٣) ضحا ضَحَوّاً : برز في الشمس .
 (٣١١٤) يُمِضُ جَسَدَهُ : يبالغ في نهكه .
 (٣١١٥) بَيَّات نِقْمَةٍ : أي أن تبيت بنقمة من الله وورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمحاصبه .
 (٣١١٦) الكَرَى : - بالفتح والقصر - : النوم .
 (٣١١٧) تَمَثَّل : تصور .
 (٣١١٨) تَوَكَّل : إعراضك .

- (٣١٣٢) تيسر : تأهب .
- (٣١٣٣) شام البرق : لمح .
- (٣١٣٤) رَحَلَ المطية : وضع عليها رحلها لسفر .
- (٣١٣٥) كأنه يريد من « الحَسَك » الشوك .
- والسعدان : نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي .
- (٣١٣٦) المُسَهَّد - من سهده - : إذا أسهره والمصفد : المقيّد .
- (٣١٣٧) قَفُوها : رجوعها .
- (٣١٣٨) الثرى : التراب .
- (٣١٣٩) أُمْلِقَ : افتقر أشد الفقر .
- (٣١٤٠) استماخني : استعطاني .
- (٣١٤١) البُرّ : القمح .
- (٣١٤٢) شَعَثَ - جمع أشعث - : وهو من الشعر المتليد بالوسخ .
- (٣١٤٣) الغُبُور - بضم الغين - : جمع أغبر متغير اللون شاحبه .
- (٣١٤٤) العِظْلِم - كزبرج - : سواد يصغ به قيل هو النيلج أي انيلة .
- (٣١٤٥) القياد : ما يُقَادُ به كالزمام .
- (٣١٤٦) الدتف - بالتحريك - : المرض .
- (٣١٤٧) الميسم - بكسر الميم وفتح السين - : المكواة .
- (٣١٤٨) ثَكِلَ - كفرح - : أصاب ثكلاً بالضم . وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثواكل : النساء .
- (٣١٤٩) لَطَى : اسم جهم .
- (٣١٥٠) الملقوفة : نوع من الخلاء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ .
- (٣١٥١) شَنِئْتُها أي : كرهتها
- (٣١٥٢) الصلة : العطية .
- (٣١٥٣) هَيْلَتَكَ - بكسر الباء - : ثكلتك ، والهَبُول - بفتح الهاء - : المرأة لا يعيش لها ولد .
- (٣١٥٤) أُمُخْتَبِطٌ في رأسك : أمختل نظام إدراكك ؟
- (٣١٥٥) ذُو جِنَّةٍ : من أصابه مس من الشيطان .
- (٣١٥٦) تَجَرَّ : أي تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع .
- (٣١٥٧) جُلِبَ الشعيرة - بضم الجيم - : قشرتها . وأصل الجُلِب غطاء الرحل فتجوز في إطلاقه على غطاء الحبة .
- (٣١٥٨) قَضِمَتِ الدابةُ الشعيرَ - من باب عليم - : كسرت بأطراف أسنانها .
- (٣١٥٩) سُبَاتِ العقل : نومه . والزَلَل : السقوط في الخطأ .
- (٣١٦٠) صيانة الوجه : حفظه من التعرض للسؤال .
- (٣١٦١) اليسار : الغنى .
- (٣١٦٢) بذل الجاه : إسقاط المنزلة من القلوب .
- (٣١٦٣) الإقتار : الفقر .
- (٣١٦٤) النُزَال - بالضم وتشديد الزاي - جمع نازل .
- (٣١٦٥) متصرفه : متقلة متحولة .
- (٣١٦٦) مُسْتَهْدَفَةٌ - بكسر الدال - : منتصبة مهبة للرمي .

- (٣١٦٧) الحِمَام - بالكسر - : فُلُوت .
 (٣١٦٨) بعد الآثار : طول بقائها بعد ذَوِيهَا .
 (٣١٦٩) رَاكِدَة : سَاكِتَة . وَرَكَود الرِّيح :
 كَنَازَة عَن انْقِطَاع العَمَل وَبَطْلَان
 الحِرْكََة .
 (٣١٧٠) آثَارُهُم عَافِيَة : أَي مَنْدَرَسَة .
 (٣١٧١) النَّمَارِق - جَمْعُ نَمْرُقَة - : تَطْلُق
 عَلَى الوَسَادَة الصَّغِيرَة وَعَلَى الطَّنْفَسَة
 أَي البَسَاط وَلَعَلَّه المُرَاد هُنَا .
 (٣١٧٢) المَهْدَة : المَفْرُوشَة .
 (٣١٧٣) لَطَأَ بِالأَرْض - كَنَعَ وَفَرَج - : لَصَقَ .
 (٣١٧٤) المُتَحَدَّة - مَن الأُحد القَبْرِ - : جَعَلَ
 لَهُ لُحْدًا أَي شَقًّا فِي وَسْطِهِ أَوْ جَانِبِهِ .
 (٣١٧٥) فَنَاء الدَّار - بالكسر - : سَاحَتِهَا
 وَمَا اتَّسَعَ أَمَامَهَا .
 (٣١٧٦) الكَلْكَل : هُو صَدْر البَعِير .
 (٣١٧٧) البِيل - بِكسر الباء - : أَي الفَنَاء .
 (٣١٧٨) الجُنَادِل : الحِجَارَة .
 (٣١٧٩) الثَّرَى : التَّرَاب
 (٣١٨٠) « ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمُضْجَع » :
 أَي لَقَرَب آجَالِكُمْ كَأَنَّكُمْ قَدْ
 صَرْتُمْ إِلَى مَصِيرِهِمْ وَحُبِسْتُمْ فِي ذَلِكَ
 الْمُضْجَع كَمَا يُخْبَس الرِّهْن فِي يَدِ المَرْتَهِن .
 (٣١٨١) تَنَاهَى بِهِ الأَمْر : وَصَلَ إِلَى غَايَتِهِ .
 وَالمُرَاد انْتِهَاء مَدَّة البَرَزَخ .
 (٣١٨٢) بُعْثِرَت القُبُور : قُلِبَ ثَرَاهَا وَأُخْرِجَ
 مَوْتَاهَا .
 (٣١٨٣) تَبَلَّوْهُ : تَخَبَّرَهُ فَتَقَفَ عَلَى خَيْرِهِ
 وَشَرِّهِ .
 (٣١٨٤) أَنَسَ : أَشَدَّ أُنْسًا .
 (٣١٨٥) المَلْهُوف : المَضْطَرُ يَسْتَعِثُّ وَيَتَحَسَّرُ .
 (٣١٨٦) فَهِيَه - كَفَرَج - : عَيَّ فَمَهُ يَسْتَطِيع
 البَيَان
 (٣١٨٧) الطَّلِبَة - بِكسر الطاء - : المَطْلُوب .
 (٣١٨٨) المَرَّاشِد : مَوَاضِع الرُّشْد .
 (٣١٨٩) النُّكُور - بِالضَّم - : المُنْكَر .
 (٣١٩٠) البِدْع - بالكسر - : الأَمْر يَكُون
 أَوَّلًا . أَي الغَرِيب غَيْر المَعْهُود .
 (٣١٩١) لَهِ بَلَاء فُلَان : أَي لَهِ مَا فَعَلَ مِنْ
 الخَيْر .
 (٣١٩٢) قَوْمَ الأَوْدَة - عَدَلِ الاعْوَجَاج .
 (٣١٩٣) العَمَد - بِالتَّحْرِيك - : العِلَّة .
 (٣١٩٤) خَلَفَ الفَتْنَة : تَرَكَهَا خَلْفًا ، لَا هُو
 أَدْرَكَهَا وَلَا هِيَ أَدْرَكَتْهُ .
 (٣١٩٥) مَتَشَعِّبَة : مَتَبَايِنَة مُخْتَلِفَة .
 (٣١٩٦) التَّدَاك - : الأَزْدَحَام كَأَنَّ كُلَّ
 وَاحِدٍ يَدُكِ الْآخَرِ أَي يَدِقُهُ .
 (٣١٩٧) الهِيم : أَي العِطَاش جَمْع هَيْمَاء
 كَعَيْنَاء وَعَيْن .
 (٣١٩٨) هَدَجَ : مَثَى مِثْلَة الضَّعِيف فِي
 ارْتِعَاش .
 (٣١٩٩) حَسَرَتْ : كَشَفَتْ عَن وَجْهِهَا .
 (٣٢٠٠) الكَتَاب - كَسَحَاب - : الحَارِيَة
 حِينَ يَبْدُو ثَدْيُهَا لِلنَّهْود وَهِيَ الكَاعِيَة .
 (٣٢٠١) المَلَكَة - بِالتَّحْرِيك - : كُل ذَنْب
 مُوَبَق يَمْلِك الشَّيْطَان فَاعِلَهُ وَيَسْتَحْوِذُ
 عَلَيْهِ .
 (٣٢٠٢) اهِلَّكَ - بِالتَّحْرِيك - : اهِلَّاكَ .

- (٣٢٠٣) بادروا : أي اسبقوا .
 (٣٢٠٤) عمراً ناكساً : أي يقلبكم من الحياة إلى الموت .
 (٣٢٠٥) الحابس : المانع من العمل .
 (٣٢٠٦) الخالس : الخاضف .
 (٣٢٠٧) طياتكم : جمع ضيئة - بالكسر - : منزل السفر . والمراد ان السفر يباعد رحيل القوم .
 (٣٢٠٨) القرن - بالكسر - : الكفو في الشجاعة .
 (٣٢٠٩) الوائر : الحاني .
 (٣٢١٠) أعلقكم الحبال : أوقعتكم فيها فاقنصتكم . وهي جمع حبال : المصيدة من الحبال .
 (٣٢١١) تكفتكم : أحاطتكم .
 (٣٢١٢) غوائله : دواهيه ومصائبه .
 (٣٢١٣) قصده : رماه بسهم فأصاب مقتله .
 (٣٢١٤) المعاقيل - جمع مِعْبَلَة كَمِكنَسَة بكسر الميم - : وهي النصل الطويل العريض .
 (٣٢١٥) العدو - بالفتح - : العدو وان .
 (٣٢١٦) النبوة - بالفتح - : أن يخطيء في الضربة فلا يصيب .
 (٣٢١٧) يوشك : يقرب .
 (٣٢١٨) تغشاكم : تحيط بكم .
 (٣٢١٩) الدواجي - جمع داجية - : أي مظلمة .
 (٣٢٢٠) الظلل - جمع الظلة - أي السحابة .
 (٣٢٢١) الاحتمام : الاشتداد .
 (٣٢٢٢) الحنادس : جمع حنْدَس بكسر الحاء والذال - : الظلمة الشديدة .
 (٣٢٢٣) الغمرات : الشدائد .
 (٣٢٢٤) إرهاقه - بالراء - أي : إبعاله ، من أرهقه إذ أعجله .
 (٣٢٢٥) الدُجُو : الإظلام .
 (٣٢٢٦) أطباقه : جمع طبَّق ، ويراد به تكاثف الظلمات طبقات فوق طبق .
 (٣٢٢٧) الحشوبة : غلظ الطعام وخشونته .
 (٣٢٢٨) النجى : القوم يتناجون .
 (٣٢٢٩) الندي : الجماعة يجتمعون للمشاورة .
 (٣٢٣٠) عَفَى الآثار : محاه .
 (٣٢٣١) التراث : الميراث .
 (٣٢٣٢) الحميم : الصديق .
 (٣٢٣٣) الدرة - بالكسر - : اللين .
 (٣٢٣٤) الغيرة - بالكسر - : الغفلة .
 (٣٢٣٥) أخلقوا جدتها : جعلوا جديدها قديماً خلَقاً .
 (٣٢٣٦) الأجداث : القبور .
 (٣٢٣٧) يحفلون : يبالون .
 (٣٢٣٨) مُلبِسة نَزُوع : ما ألبست إلا نزع لباسها عن ألبسته .
 (٣٢٣٩) يَرَكُدُ : يسكن .
 (٣٢٤٠) بَادَرَ المحنة : سبقه فلم يصبه .
 (٣٢٤١) تَقَلَّبَ أبدانهم : أي تقلب ، أي أن أبدانهم وهي في الدنيا تقلب بين أظهر أهل الآخرة ، وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً .

- (٣٢٤٢) صَدَعَ : جهر ، وأصل الصدع الشق .
- (٣٢٤٣) لَمْ الصَّدَعُ : لَحَمَ المنشق فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الانهدام .
- (٣٢٤٤) الفُتْقُ : نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض ، والرتق : خياطتها ليعود ثوباً .
- (٣٢٤٥) الواغِرة : الداخلة .
- (٣٢٤٦) القادحة في القلوب : كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة .
- (٣٢٤٧) الفيء : الأصح فيه كما قال الشافعي وغيره أنه مختص بما أخذ من مال الكفار بغير قتال .
- (٣٢٤٨) الحَلْبُ : المال المجلوب . وجلب أسيافهم : ما جلبته أسيافهم وساقته إليهم .
- (٣٢٤٩) شَرَكه - كلمه - : شاركه .
- (٣٢٥٠) الجَنَاقَة - بفتح الجيم - : ما يُجَنَّى من الشجر : أي يقطف .
- (٣٢٥١) بَضْعَة : قطعة .
- (٣٢٥٢) تَشَبَّت العروق : عُلِقَتْ وثبتت . والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية .
- (٣٢٥٣) تَهْدَلَتْ : أي تدلت علينا فأظلمنا .
- (٣٢٥٤) كَلَّ لسانه : نَبَا عن الغرض .
- (٣٢٥٥) عارم : شرس . سبىء الخلق .
- (٣٢٥٦) مُمَازِق : يمزج وده بالفتش .
- (٣٢٥٧) طِينهم : جمع طينة ، يريد عناصر تركيبهم .
- (٣٢٥٨) الفَلِيقَة - بكسر الفاء - : القطعة من الشيء .
- (٣٢٥٩) سَبَخ الأرض : مالحها .
- (٣٢٦٠) الرُوء - بالضم والمد - : حسن المنظر .
- (٣٢٦١) مادَ القامة : طولها .
- (٣٢٦٢) القَصْعَر - يريد به قعر البدن - : أي أنه قصير الجسم لكنه داهي الفؤاد
- (٣٢٦٣) الضريبة : الطبيعة .
- (٣٢٦٤) الجلبية : ما يتصنعه الإنسان على خلاف طبعه .
- (٣٢٦٥) لَأَنفِذْنَا : أي لأَفْنِئْنَا .
- (٣٢٦٦) الشوون : منابع الدمع من الرأس .
- (٣٢٦٧) « لكان الداء مماطلاً » : مماطلاً بالشفاء .
- (٣٢٦٨) الكَمَد : الحزن ، ومحالفته : ملازمته .
- (٣٢٦٩) قَلَا : فعل ماض متصل بألف التثنية ، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك .
- (٣٢٧٠) العَرَج - بالتحريك - : موضع بين مكة والمدينة .
- (٣٢٧١) نَقَس البقاء - بالتحريك - : أي سَعَة البقاء .
- (٣٢٧٢) صحف الأعمال منشورة : أي لكتابة الصالحات والسيئات .
- (٣٢٧٣) بسط التوبة : قبولها .
- (٣٢٧٤) المُدْبِر : أي المعرض عن الطاعة يدعى إليها .

- (٣٢٧٥) **خمود العمل** : انقطاعه بحلول الموت .
- (٣٢٧٦) **صعود الملائكة** لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة
- (٣٢٧٧) **منظور** : أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيحفو عن تقصيره ويُثبِّه على عمله .
- (٣٢٧٨) **زَمَها** : قادها بقيادها .
- (٣٢٧٩) **الجُفَاة** - بضم الجيم - : جمع جَاف أي غليظ فظ .
- (٣٢٨٠) **الطِّغَام** - كسحاب - : أوغاد الناس والعبيد - كناية عن رديئي الأخلاق .
- (٣٢٨١) **الأقزام** : - جمع قَزَمَ بالتحريك - أرذال الناس جُمِعوا من كل أوب أي ناحية .
- (٣٢٨٢) **الشَّوَب** : الخلط ، كناية عن كونهم أخطأوا ليسوا من صراحة النسب في شيء .
- (٣٢٨٣) **قطعوا أوتاركم** : أي قطعوا أوتار القسي .
- (٣٢٨٤) **شِيمُوا سيوفكم** : أغمدوها ولا تقاتلوا . وقواصي الإسلام : أطرافه . ورمي الصِّفَاة - بفتح الصاد - كناية عن طمع العدو فيما باليد . وأصل الصفاة الحجر الصلد .
- (٣٢٨٥) **ولانج** : جمع وَلِيجَة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس .
- (٣٢٨٦) **نصاب الحق** : أصله ، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل يفصل عن مقبضه ويعود إليه .
- (٣٢٨٧) **انزاح** : زال .
- (٣٢٨٨) **انقطاع لسان الباطل عن مَنبَتِه** : - بكسر الباء : أي عن أصله ، مجاز عن بطلان حجته وانخذه عند هجوم جيش الحق عليه .
- (٣٢٨٩) **عقل الوعاية** : حفظ في فهم والرعاية : ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين .
- (٣٢٩٠) **الهُتَف** : مصدر هتف يهتف إذا نادى .
- (٣٢٩١) **نَضَحَ الجملُ الماءَ** : حملة من بثر أو نهر ليسقي به الزرع فهو ناضح . الغَرَب - بفتح فسكون - : الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .
- (٣٢٩٢) **مُسْتَأْدِيكم** : طالب منكم أداء شكره .
- (٣٢٩٣) **مُمَهِّلكم** : معطيكم مهلة .
- (٣٢٩٤) **أصل المضمار المكان تضمّر فيه الخيل أي تحضر للسباق** . وهو هنا كناية عن مدة العمر .
- (٣٢٩٥) **لتنازعوا سَبَقَه** : أي تنافسوا في سَبَقِه . والسَبَق - بالتحريك - الخطر بوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة .

- (٣٢٩٦) العُقْدَة : جمع عُقْدَة . والمآزر .
 جمع مِثْرَر . وشدَّ عُقْدَ المآزر :
 كناية عن الجلد والتشمير .
- (٣٢٩٧) اطووا فُضُول الخواصر : أي ما
 فضل من مآزركم يلتف على
 أقدامكم فاطووه حتى تَخِفُوا في
 العمل ولا يعوقكم شيء عن
 الإسراع في عملكم .
- (٣٢٩٨) لا تجتمع عزيمة ووليمة : أي لا
 يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى
 اللذائذ .
- (٣٢٩٩) الظُلَم : جمع ظُلْمَة ، متى
 دخلت تحت تذكّار الهمة التي
 كانت في النهار .

رموز الكتاب

ب	: لقرب الاسناد .	ع	: لملل الشرائع .	لد	: للبلد الامين .
بشا	: لشارة المصطفى .	عا	: لدعائم الاسلام .	لى	: لامالى الصدوق .
تم	: لفلاح السائل .	عد	: للعتائد .	م	: لتفسير الامام المسكرى (ع).
ثو	: لثواب الاعمال .	عدة	: للعدة .	ما	: لامالى الطوسى .
ج	: للاحتجاج .	عم	: لاعلام الورى .	محص	: للتمحيص .
جا	: لمحال المفيد .	عين	: للميون والمحاسن .	مد	: للمدة .
جش	: لفهرست النجاشى .	غر	: للفرروالدرر .	مص	: لمصباح الشريعة .
جع	: لجامع الاخبار .	غط	: لنبية الشيخ .	مصبا	: للمصباحين .
جم	: لحمال الاسبوع .	غو	: لنوالى اللثالى .	مع	: لمعانى الاخبار .
جنة	: للجنة .	ف	: لتحف المقول .	مكا	: لمكارم الاخلاق .
حة	: لفرحة الفرى .	فتح	: لفتح الابواب .	مل	: لكامل الزيارة .
ختص	: لكتاب الاختصاص .	فر	: لتفسير فرات بن ابراهيم .	منها	: للمنهاج .
خص	: لمنتخب البمائر .	فس	: لتفسير على بن ابراهيم .	مهج	: لمهج الدعوات .
د	: للمدد .	فض	: لكتاب الروضة .	ن	: لميون اخبار الرضا (ع).
سر	: للسرائر .	ق	: للكتاب المتبق الفروى .	نيه	: لتنبية خاطر .
سن	: للمحاسن .	قب	: لمناقب ابن شهر آشوب .	نجم	: لكتاب النجوم .
شا	: للارشاد .	قبس	: لقبس المصباح .	نص	: للكفاية .
شف	: لكشف اليقين .	قضا	: لقضاء الحقوق .	نهب	: لنهج البلاغة .
شى	: لتفسير المياشى .	قل	: لاقبال الاعمال .	نى	: لنبية النعمانى .
ص	: لقصص الانبياء .	قية	: للدروع .	هد	: للهداية .
صا	: للاستبصار .	ك	: لاكمال الدين .	يب	: للتهذيب .
صبا	: لمصباح الزرائر .	كا	: للكافى .	يج	: للخرائج .
صح	: لمصحفة الرضا (ع).	كش	: لرجال الكشى .	يد	: للتوحيد .
ضا	: لفقه الرضا (ع).	كشف	: لكشف الغمة .	ير	: لبمائر الدرجات .
ضوء	: لنوء الثهاب .	كف	: لمصباح الكفى .	يف	: للطرائف .
ضه	: لروضة الواغلين .	كنز	: لكنز جامع النوائد و تاويل الايات الظاهرة مأ .	يل	: للفضائل .
ط	: للمراط المستقيم .	ل	: للخصال .	ين	: لكتابى الحسين بن سعيد او لكتابه والنوادر .
طا	: لامان الاخطار .			يه	: لمن لا يحضره الفقيه .
طب	: لطب الاثمة .				

الفهرس التفصلي لمواد الكتاب
على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد

فهرس العناوين (٧)

خطب أمير المؤمنين عليه السلام (٩ - ٤٨٩)

- ١١- ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن
١٢ بيان الخطبة
- ١٣- ومن كلام له عليه السلام لأبي ذرّ رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة.
بيان الخطبة مشتملاً على كلام طويل من ابن أبي الحديد في شرح كيفية نفي أبي ذرّ وإخراجه إلى الربذة. وفيه يوضح لقائه مع عقيل والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وعمار رحمه الله. وأيضاً يبيّن فيه تفصيل مذاكرة عليّ عليه السلام مع عثمان واعتراضه عليه. وبعد بيان هذه المطالب يرجع إلى البواعث التي أدت إلى نفيه إلى الشام أولاً ونفيه ثانياً من المدينة إلى الربذة. وتأتي في خلال هذا المطلب مباحثاته مع معاوية و عثمان.
٢٥-١٣
٢٤-٢١ كلام الواقديّ في هذا المطلب
٢٥-٢٤ قول ابن عبد البرّ في المسألة أيضاً
- ١٣١- ومن كلام له عليه السلام: وفيه يبيّن سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحقّ
٢٦-٢٥ بيان الكلام
٢٨-٢٦ البيان الآخر في الكلام
٢٨
- ١٣٢- ومن خطبة له عليه السلام: يعظ فيها ويزهد في الدنيا
٣٠-٢٩

- ١٣٣- ومن خطبة له عليه السلام: يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعط
الناس
٣٠-٣٢
- بيان الخطبة
٣١
- ١٣٤- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو
الروم
٣٢-٣٣
- ١٣٥- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال
المغيرة بن الأحنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال علي عليه السلام للمغيرة الكلام.
٣٣
٣٣-٣٤ إيضاح الكلام
- ١٣٦- ومن كلام له عليه السلام في أمر البيعة
٣٤
٣٤-٣٥ إيضاح الكلام
- ١٣٧- ومن كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له
تبيين الكلام مشتملاً على قول ابن ميثم والجوهري فيه
٣٦-٣٧
- ١٣٨- ومن خطبة له عليه السلام؛ يومي فيها إلى ذكر الملاحم
٣٧-٣٨
٣٨ إيضاح الخطبة للعلامة المجلسي قدس سره
- كلام ابن أبي الحديد في شرح الخطبة
٣٨-٣٩
٣٩ كلام ابن ميثم في شرح مصطلحات الخطبة
- بيان الخطبة
٤٠
٤٠ إيضاح الخطبة مشتملاً على قول ابن أبي الحديد فيها
- قول العلامة المجلسي في الخطبة مع بيان خطبة علي عليه السلام
٤٠-٤١
٤١ قول ابن أبي الحديد وقاضي القضاة في بيان فقرات الخطبة
- بيان الأشعار المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام
٤١
٤٢
- ١٣٩- ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى
٤٢
٤٢ بيان الكلام

- ١٤٠- ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس ٤٢-٤٣
- ١٤١- ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل ٤٣-٤٤
- ١٤٢- ومن كلام له عليه السلام: المعروف في غير أهله ٤٤
- ١٤٣- ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء: وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر ٤٤-٤٦
- توضيح الخطبة ٤٦-٤٨
- ١٤٤- ومن خطبة له عليه السلام ٤٨
- بيان جزء من الخطبة ٤٨
- بيان جزء آخر من الخطبة ٥٠
- كلام ابن الأثير في الخطبة ٥٠
- ١٤٥- ومن خطبة له عليه السلام ٥١
- ١٤٦- ومن كلام له عليه السلام ٥١-٥٢
- بيان الكلام ٥٢-٥٣
- ١٤٧- ومن خطبة له عليه السلام ٥٣-٥٦
- بيان جزء من الخطبة ٥٤
- بيان الأجزاء الأخرى من الخطبة ٥٦-٥٧
- ١٤٨- ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٥٧-٥٨
- إيضاح الكلام ٥٨-٥٩
- ١٤٩- ومن كلام له عليه السلام قبل موته ٥٩-٦٠

١٥٠- من خطبة له عليه السلام ؛ يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل

الضلال

٦٢-٦٠

٦١

بيان في شرح جزء من الخطبة

٦٣-٦٢

بيان آخر في شرح مصطلحات الخطبة وألفاظها

٦٤-٦٣

بيان كتابين منه عليه السلام إلى معاوية، لعنة الله عليه، وعقيل

٦٧-٦٤

١٥١- ومن خطبة له عليه السلام؛ يحذر من الفتن

٦٥

بيان في شرح جزء من الخطبة

٧٠-٦٧

توضيح في شرح معاني ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها

٦٧

قول ابن الأثير في شرح بعض ألفاظ الخطبة

٦٩-٦٨

قول ابن ميثم في الخطبة

٧٠

أيضاً قول ابن الأثير فيها

٧١

١٥٢- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جلّ جلاله، وصفات أئمة الدين

٧٢-٧١

بيان خطبتين منه عليه السلام في هذا الارتباط

٧٢-٧١

بحث مفصل حول مباحث الاولية والآخرة والتقدم والتأخر

٧٣

بيان الخطبة وبحث مفصل حول معنى الأزلية والقدم

٧٥-٧٤

توضيح جزء آخر من الخطبة

٧٧-٧٥

البيان الآخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة

٧٧

نظر العلامة المجلسي في شرح وتبيين مراد الخطبة

٧٩-٧٧

١٥٣- ومن خطبة له عليه السلام

٨١-٧٩

١٥٤- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام

٨٠

كلام ابن أبي الحديد في شرح جزء من الخطبة

٨١

بيان الخطبة

٨٢

أيضاً كلام ابن أبي الحديد في شرح بعض فقرات الخطبة

البيان الآخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي

٨٢

الحديد والموهري فيه

- ٨٣ شرح بعض ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
الوجوه المختلفة المحتملة في دفع توهم التنافي بين «واعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً» والخبر المروي
٨٤-٨٣
- ٨٦-٨٤ ١٥٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها بديع خلقه الخفاش
٩٠-٨٦ بيان الخطبة مفصلاً؛ تشرح فيه معاني الألفاظ والمصطلحات المستعملة فيها
٩٠ قول الهميري في معنى الخفاش
٩٠ كلام البطليوسي في معنى الخفاش
٩٠ قول بعض المفسرين في معنى الخفاش
٩١ كلام في خلق عيسى عليه السلام الطير
- ٩٢-٩١ ١٥٦- ومن كلام له عليه السلام؛ خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم
٩٤-٩٢ تبين الكلام بشرح الألفاظ والمصطلحات فيها
٩٥-٩٤ بقية الكلام (حال أهل القبور في القيامة)
بيان الحديث النبوي والآية القرآنية في حقيقة وجود المعاد الروحاني والجسماني
٩٥ بحث مفصل حول إثبات المعاد الجسماني والأقوال المختلفة فيه
٩٥ قول الرازي في كتاب نهاية العقول في المعاد الجسماني
٩٥ المعاد الجسماني ثابت بالاتفاق وللعلماء فيه قولان
٩٦ قول العلامة رحمه الله في كتاب شرح الياقوت حول المعاد الجسماني
٩٦ قول العلامة الدواني في شرحه على العقائد العضدية في هذا المطلب
٩٧ إشكال في ثبوت استحالة إعادة المزوم
٩٧ جواب الاشكال المذكور
٩٨ بحث في أنّ المعاد الجسماني يجب الاعتقاده ويكفر منكره
٩٨ قول القائلين بالمعاد الروحاني والجسماني معاً
٩٩ فذلك في تفرق الجسم واتصاله
٩٩ بحث في أنّ القول بالحرش الجسماني بين لا إشكال فيه

- ١٠٠ قول شارح المقاصد في المسألة
- ١٠٠ قول الإمام الرازي أيضاً فيها
- ١٠٠ كلام الإمام الغزالي ومبالغته في تحقيق المعاد الروحاني
- ١٠١ قول العلامة المجلسي رحمه الله في نهاية الكلام
- ١٠٢-١٠١ بقية متن الكلام (الفتنة)
- ١٠٣-١٠٢ بيان هذا الجزء من الخطبة
- ١٠٥-١٠٣ قول ابن ميثم وابن أبي الحديد في توضيح هذا الجزء ونقل مباحثه
- عليه عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله في المسائل المختلفة
- ١٠٥ البيان الآخر في توضيح الجزء المذكور
- ١٠٧-١٠٥ ١٥٧- ومن خطبة له عليه السلام؛ بحث الناس على التقوى
- ١٠٧ بيان الخطبة
- ١٠٨- ومن خطبة له عليه السلام؛ ينبت فيها على فضل الرسول الأعظم وفضل القرآن
- ثم حال دولة بني أمية.
- ١٠٧ بيان الخطبة
- ١٠٨ البيان الثاني في شرح جزء من الخطبة ونظر العلامة المجلسي فيه
- ١٠٩
- ١٠٩- ومن خطبة له عليه السلام؛ يبين فيها حسن معاملته لرعيته
- ١١٠-١٠٩ بيان الخطبة
- ١١٢-١١٠ ١٦٠- ومن خطبة له عليه السلام
- ١١٢ بيان جزء من الخطبة [رسول الله]
- ١١٢ بقية متن الخطبة [موسى]
- ١١٣ بيان الجزء المذكور
- ١١٣ بقية متن الخطبة [داوود- عيسى]
- ١١٤-١١٣ بيان الجزء المذكور
- ١١٦-١١٤ بقية متن الخطبة [الرسول الأعظم]
- ١١٦ بيان الجزء المذكور [الجزء الآخر من الخطبة]

- ١١٦ البيان الآخر في شرح الجزء الأخير
كلام ابن أبي الحديد في شرح الخطبة وروايته الأخبار المتعددة في هذا الباب
- ١١٧-١١٦
- ١٦١- ومن خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى
- ١١٨
- ١١٩-١١٨ بيان الجزء الأول [: الرسول وأهله وأتباع دينه] من الخطبة
- ١١٩ بقیة متن الخطبة [النصح بالتقوى]
- ١٦٢- ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال...
- ١٢١-١٢٠ توضيح الكلام مشتملاً على المطالب التالية:
- ١٢١ توضيح روايتي الصدوق والسيد رضي الله عنهما.
- ١٢١ قول الفيروزآبادي وابن الأثير في توضيحهما وشرح الألفاظ والمصطلحات في الكلام
- ١٢٤-١٢١
- ١٦٣- ومن خطبة له عليه السلام
- ١٢٥-١٢٤ توضيح الخطبة مشتملاً على شرح الألفاظ والمصطلحات ونظر العلامة
- ١٢٧-١٢٥ المجاسي فيها
- ١٢٧ بقیة متن الخطبة
- ١٢٨-١٢٧ توضيح هذا الجزء من الخطبة وشرح الألفاظ والمصطلحات فيها
- ١٦٤- ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا مانقموه على عثمان و سألوه مخاطبته لهم واستعابته لهم، فدخل عليه فقال...
- ١٣٠-١٢٨ توضيح الكلام
- ١٣٠
- ١٦٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها عجيب خلقه الطاووس
- ١٣٤-١٣٠ توضيح الخطبة مشتملاً على المطالب التالية:
- ١٣٤ توضيح حول كلمة «طاووس» وأصلها
- ١٣٦-١٣٤ بيان مفصل في شرح اللغات والمصطلحات المستعملة في الخطبة

- ١٣٦ قول ابن الأثير في شرح كلمات الخطبة
- ١٣٧-١٣٨ قول بعض الشارحين في كيفية اللقاح في الطاووس
- ١٣٨-١٤٣ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة
- ١٤٣-١٤٤ بقية متن الخطبة [منها في صفة الجنة]
- ١٤٤ تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب [من السيد الشريف الرضي رحمه الله]
- ١٤٤ بيان الجزء الأخير من الخطبة
- ١٤٥-١٤٦ ومن خطبة له عليه السلام
- ١٤٦-١٤٧ توضيح الخطبة مشتملاً على قول الكيدري و ابن ميثم فيها
- ١٤٨ ١٦٧- ومن خطبة له عليه السلام في أوائل خلافته
- ١٤٩ بيان الخطبة
- ١٤٩ البيان الآخر في شرح الخطبة
- ١٦٨- ومن كلام له عليه السلام بعد ما يبيع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة:
- ١٥٠ لوعاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال...
- ١٥٠-١٥١ توضيح الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيه
- ١٥٢ ١٦٩- ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة
- ١٥٢-١٥٣ بيان الخطبة
- ١٧٠- ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة. كَلِمَ به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لَمَّا قَرَبَ عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لنزول الشبهة من نفوسهم، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثُمَّ قال له: بايع، فقال: إني رسول قوم، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم. فقال عليه السلام...
- ١٥٣-١٥٤ بيان الكلام
- ١٥٤
- ١٥٤-١٥٥ ١٧١- ومن كلام له عليه السلام لَمَّا عَزَمَ على لقاء القوم بصفين

- ١٥٦-١٥٥ بيان الكلام
- ١٥٧-١٥٦ البيان الآخر في شرح الكلام
- ١٥٨-١٥٧ ١٧٢- ومن خطبة له عليه السلام
- ١٥٩-١٥٨ بيان الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٥٩ بقية متن الخطبة [منها في ذكر أصحاب الجمل]
- ١٥٩ بيان الجزء المذكور مشتملاً على كلام الفيروزآبادي وابن ميثم ونظر
- ١٦١-١٥٩ العلامة المجلسي رحمه الله فيها وعدة إشكالات وأجوبتها
- ١٧٣- ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله، صلى الله عليه وآله، ومن هو جدير
- ١٦٣-١٦١ بأن يكون للخلافة وفي هوان الدنيا
- ١٦٣ توضيح الخطبة
- قول ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام «لئن كانت الإمامة...» و
- استدلاله على أنّ قوله عليه السلام تصريح بصحة مذهب أصحابه [أهل
- السنّة] وبطلان قول الإماميّة. ويشكل عليه العلامة المجلسي رحمه الله من
- وجهين.
- ١٦٤-١٦٣ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي
- ١٦٥-١٦٤ الحديد وابن ميثم فيها
- ١٧٤- ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيدالله. وقد قاله حين بلغه
- ١٦٦ خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله
- ١٦٧-١٦٦ بيان الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد والجوهري والفيروزآبادي
- ١٦٨-١٦٧ ١٧٥- ومن خطبة له عليه السلام في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله
- ١٦٩-١٦٨ بيان الخطبة
- ١٧٠-١٦٩ البيان الآخر في شرح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٧٦- ومن خطبة له عليه السلام؛ وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن
- ١٧٥-١٧١ البدعة

- ١٧٦-١٧٥ بيان الخطبة
- ١٧٦ الجزء الآخر من الخطبة [لزوم الطاعة]
- ١٧٦ بيان الجزء الأخير
- ١٧٧-١٧٦ ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكيم
- ١٧٧ توضيح الكلام مشتملاً على كلام ابن الأثير والفيروزآبادي فيه
- ١٧٨- ومن خطبة له عليه السلام في الشهادة والتقوى. وقيل: إنّه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته
- ١٧٧ بيان الجزء الأول من الخطبة
- ١٧٨ بقية متن الخطبة [الجزء الأخير]
- ١٧٩-١٧٨ توضيح الجزء الأخير
- ١٧٩ بيان الجزء المذكور
- ١٨٠-١٧٩ ومن كلام له عليه السلام؛ وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد مالا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال...
- ١٨٠
- ١٨٢-١٨١ ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ العاصين من أصحابه
- ١٨٣-١٨٢ توضيح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد وابن ميثم فيها
- ١٨٣ بيان الأمور التي أدّت إلى تعجبه عليه السلام في قوله «لله أنتم!»
- ١٨٤-١٨٣ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة
- ١٨١- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد أرسل رجلاً من أصحابه، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة، قد هوى بالحقاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: «أُمِئْتُوْا فَطَقَطْنُوْا أَمْ جَبْنُوْا فَطَقَطْنُوْا؟» فقال الرجل: بل طَقَطْنُوْا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام...
- ١٨١ بيان الكلام
- ١٨٥
- ١٨٢- ومن خطبة له عليه السلام؛ روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة

- المخزومي، وعليه مذرعة من صوف وحمائل سيفه ليفّ وفي رجليه نعلان من ليف، و
 كأنّ جبينه ثفنة بعير. فقال عليه السلام... ١٨٥-١٨٧
- بيان الخطبة: تشرح فيه معاني اللغات والمصطلحات في الخطبة ١٨٧-١٨٨
- توضيح آخر في بيان وشرح اللغات والمصطلحات في الخطبة ١٨٩-١٩٠
- بقية متن الخطبة [عود إلى الحمد] ١٩٠
- بيان الجزء المذكور منها مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها ١٩٠-١٩١
- البيان الآخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة ١٩٢
- بقية متن الخطبة [الوصية بالتقوى] ١٩٢-١٩٣
- بيان الجزء المذكور منها مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها ١٩٣-١٩٤
- بقية متن الخطبة ١٩٤-١٩٥
- بيان الجزء المذكور [الجزء الآخر من الخطبة] مشتملاً على نظرات ابن الأثير ١٩٥-١٩٨
- وابن أبي الحديد والجهوري فيها ١٩٨-١٩٥
- ١٨٣- ومن خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى ١٩٨-٢٠١
- بيان الخطبة ٢٠١
- بقية متن الخطبة ٢٠١-٢٠٢
- ١٨٤- ومن كلام له عليه السلام؛ قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بجميث يسمعه: «لاحكم إلا الله»، وكان من الخوارج ٢٠٢-٢٠٣
- بيان الكلام ٢٠٣
- ١٨٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يحمده الله فيها ويثني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان ٢٠٣-٢٠٤
- بيان مختصر في شرح بضعة كلمات الخطبة ٢٠٤
- بقية متن الخطبة ٢٠٤-٢٠٧
- بيان مختصر في شرح بعض اللغات والمصطلحات المستعملة في الخطبة ٢٠٧-٢٠٨
- بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها في جزء [خلقة الجراة] منها ٢٠٨-٢١٤
- بيان مفصل آخر في شرح جزء من الخطبة [الجزء الأول: حمد الله تعالى] ٢١٤-٢٢٢

- بحث حول الجملات «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» و «مستشهد
بحدوث الأشياء على أزليّته» ٢١٤
- نقل حديث مفصل من عليّ عليه السلام ٢١٤
- بحث مفصل حول موضوع «الحدوث والقدم» ٢١٥-٢١٤
- متن خطبة عليّ عليه السلام في مسجد الكوفة ٢١٧-٢١٥
- بيان مفصل في شرح الألفاظ والمصطلحات المستعملة في الخطبة المذكورة
من عليّ عليه السلام ٢١٧-٢٢٢
- ١٨٦- ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول
العلم مالا يتجمعه خطبة ٢٢٧-٢٢٢
- بيان الخطبة ٢٢٧
- بحث مفصل حول موضوع كروية الأرض تحت عنوان [• فائدة •] ٢٢٩-٢٢٧
- بحث في ذكر طبقات الأرض ٢٢٩-٢٣١
- قول الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات في بيان المراد من العالم ٢٣١
- نظر العلامة المجلسي رحمه الله في توضيح قول الشيخ المفيد ٢٣١
- أيضاً قول الشيخ المفيد رحمه الله في بيان المراد من الفلك ٢٣١
- نظر العلامة فيه أيضاً ٢٣١
- سؤالات من السيّد المرتضى رحمه الله وجواب السيّد عليها ٢٣٢
- قول العلامة حول الموضوعات السابقة ٢٣٢
- توضيح مفصل حول ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها ٢٣٢-٢٣٦
- بحث دقيق وأقوال مستدلّة تحت عنوان [• تتميم •] حول موضوع فناء جميع
الموجودات عند انقضاء العالم. ٢٣٦
- اختلف القائلون بصحة الفناء وحقية حشر الأجساد في أنّ ذلك بالابحار
بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرق الأجزاء ٢٣٧
- بيان وجوه احتجاج القائلون بالابحار بعد الفناء [خسة وجوه] ٢٣٩-٢٣٧
- بيان وجوه احتجاج القائلون بالجمع بعد تفرق الأجزاء ٢٣٩-٢٤٠
- بيان النصوص الدالّة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع بعد
التفريق ٢٤٠-٢٤١
- جواب الاشكالات السابقة وبيان الوجه الصحيح ٢٤١-٢٤٢

- ١٨٧- ومن خطبة له عليه السلام؛ وهي في ذكر الملاحم
٢٤٣-٢٤٢
توضيح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد
٢٤٣-٢٤٤
- ١٨٨- ومن خطبة له عليه السلام في الوصية بأمر
٢٤٦-٢٤٥
- ١٨٩- ومن كلام له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة
٢٤٦-٢٤٧
بيان الكلام
٢٤٧
قول ابن عبد البر في الاستيعاب في شرح الكلام
٢٤٧
قول ابن ميثم في الكلام
٢٤٨
قول الجوهرى وابن الأثير في توضيح الكلام
٢٤٨
قول ابن ميثم في شرح عبارة «تطأ في خطامها»
٢٤٨
البيان الآخر في شرح الكلام
٢٤٨
كلام ابن أبي الحديد في بيان مراده عليه السلام من الإيمان
٢٤٨
كلام ابن أبي الحديد في بيان أنواع الإيمان
٢٤٩
شرح عبارة «والهجرة قائمة...» وبيان أنواع الهجرة
٢٥٠-٢٥١
قول ابن أبي الحديد في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الهجرة
٢٥١
توضيح قوله عليه السلام «ما كان لله في أهل الأرض حاجة»
٢٥١-٢٥٢
توضيحات أخرى حول الهجرة
٢٥٢
كلام الراوندي رحمه الله في الهجرة
٢٥٢-٢٥٣
كلام ابن ميثم فيها أيضاً
٢٥٣
نظر العلامة المجلسي في شرح الكلام وتوضيحاته فيه
• ٢٥٣-٢٥٥
- ١٩٠- ومن خطبة له عليه السلام؛ بحمد الله وبشي على نبيه ويعظ بالتقوى
٢٥٥-٢٥٦
بيان مختصر في شرح الخطبة
٢٥٦
بقية متن الخطبة [العظة بالتقوى]
٢٥٦
بيان الجزء المذكور
٢٥٦-٢٥٧
بحث مفصل حول موضوع عذاب البرزخ وثوابه تحت عنوان [• تذييل •]
٢٥٧
قول نصير الملة والدين رحمه الله في التجريد
٢٥٧
قول العلامة الحلي في شرحه
٢٥٧

- ٢٥٧ قول الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل السروية
- ٢٥٨ قول الشيخ المفيد رحمه الله في معنى قول الله تعالى: «ولا تحسبن...»
- ٢٥٩ قول المعتزلة في هذا المطلب وجوابه
- سئل الشيخ المفيد رحمه الله في المسائل العكبرية عن قول الله تعالى:
- ٢٥٩ «ولا تحسبن...» وجوابه
- ٢٦٠ قول شارح المقاصد في حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر...
- ٢٦١ بحث في عذاب القبر واختلاف الناس فيه
- قول الإمام الغزالي في الإحياء بأن لنا ثلاث مقامات في التصديق بأمثال
- الاعتقادات السابقة وبيان المقامات الثلاث
- ٢٦٢-٢٦١ إشكال وجواب
- ٢٦٢ إنكار الجبائي وابنه والبلخي تسمية الملكين منكراً ونكيراً
- ٢٦٣-٢٦٢ توضيحات أخرى وذكر أحاديث مختلفة في هذا الباب
- ٢٦٤-٢٦٣ قول الفخر الرازي في نهاية العقول حول اعتقاد المسلمين بحدوث الأرواح
- وردها إلى الأبدان لافي هذا العالم، و...
- ٢٦٤ قول صاحب المحجة البيضاء في مذهب آل العباء في اختلاف أهل السنة
- في أن الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا؟ وكذا في
- الأطفال؟...
- ٢٦٥-٢٦٤ قول الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد حول اعتقادنا في المسألة في القبر
- ٢٦٥ نظر العلامة المجلسي رحمه الله مشيراً إلى قول الشيخ المفيد رحمه الله
- ٢٦٦ فصل في أن الملكان ينزلان على حي ولا يسألان إلا من يفهم المسألة و
- يعرف معناها
- ٢٦٧-٢٦٦ فصل في أن الله تعالى وكل ملائكة المسألة وملائكة العذاب والنعم
- بالخلق تعبد لهم بذلك
- ٢٦٨-٢٦٧ بحث في طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا
- ٢٦٨ نظر العلامة المجلسي رحمه الله حول الموضوعات السابقة
- ٢٦٩ بقية متن الخطبة
- ٢٧٠-٢٦٩ بيان الجزء المذكور
- ٢٧٠ بقية متن الخطبة

١٩١- ومن خطبة له عليه السلام؛ بحمد الله ويثني على نبيه ويوصي بالزهد

والتقوى

٢٧١

بيان الخطبة

٢٧١

بقية متن الخطبة

٢٧٣-٢٧٢

١٩٢- ومن خطبة له عليه السلام [تسمى القاصعة]: وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية ونبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

بيان الخطبة

٢٧٥-٢٧٣

٢٧٦-٢٧٥

بقية متن الخطبة

٢٨٥-٢٧٦

بيان الخطبة: في هذا البيان يشرح بعض الألفاظ وتذكر قصة موسى عليه السلام وكل ما وقع له قبال فرعون... ويشتمل على المطالب التالية: خروج هارون ومجيء موسى عليه السلام وملاقاتها على شط

النيل

٢٨٥

٢٨٦

سير موسى عليه السلام بأهله نحو مصر

٢٨٧

ذهابها إلى فرعون وإعلام أنها رسولا رب العالمين

٢٨٩-٢٨٨

مباحثة موسى عليه السلام مع فرعون حول اعتقادهما

٢٨٩

تهديد فرعون لموسى عليه السلام

جاء موسى عليه السلام ببينة قبال فرعون وهي تبديل عصاه

بشعاب

٢٨٩

٢٩٠

معجزات أخرى من موسى عليه السلام وخوف فرعون منه

قصه تعقيب طلب فرعون لموسى وهارون عليها السلام ونكايتهما

٢٩١

بالعصا وإيمان العجوز بها

بيان آخر في شرح الخطبة وبيان قصة موسى - عليه السلام. وهو يشمل

على المطالب التالية:

٢٩١

جمع فرعون السحرة ومقابلتهم مع موسى عليه السلام برواية ابن

عباس

٢٩٣-٢٩٢

٢٩٥-٢٩٤

كيفية وقوع معجزات موسى عليه السلام وحيرة السحرة

٢٩٦

قطع فرعون أيدي السحرة وأرجلهم من خلاف بعد اليأس عنهم

- البيان الثالث في شرح الخطبة: ٢٩٦
- بيان القصة برواية الثعلبي ٢٩٦
- عزم فرعون على بناء صرح يقوى به سلطانه ٢٩٦
- أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة... ٢٩٧
- قصة القبط مع قوم بني اسرائيل ٢٩٧
- بيان مفصل في كيفية غرق فرعون وجنوده وعبر بني اسرائيل من البحر ٢٩٨-٣٠١
- إشكال من السيد المرتضى رحمه الله في أن أمر موسى السخرة ٣٠١
- بإلقاء الحبال والعصى لا يحسن؛ وجواب الاشكال ٣٠١
- نظر العلامة المجلسي وجوابه في هذا الارتباط ٣٠١
- إشكال من السيد وجوابه أيضاً ٣٠٢-٣٠١
- نظر العلامة المجلسي في جواب الاشكال المذكور ٣٠٢
- الوجوه المختلفة في قوله تعالى: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» ٣٠٣-٣٠٢
- بقية متن الخطبة ٣٠٣-٣١٠
- توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة ٣١٠
- ١- كيفية ولادة الرسول صلى الله عليه وآله وميسته وسلوكه وآدابه. و ٣١٠-٣١٨
- أيضاً شرح بعض مواضع الخطبة ومصطلحاتها ٣١٨-٣١٠
- ٢- كيفية عبادة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة ٣١٩-٣٣١
- قول العلامة قدس الله روحه في شرحه على مختصر ابن الحاجب وذكر الاشكالات والأجوبة المختلفة في هذا الباب ٣٢٠
- قول السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الذريعة في هذا المطلب ٣٢١
- قول أن النبي صلى الله عليه وآله ما كان متعبداً بشريعة نبي تقدم ٣٢٢
- قول أن تعبد الله صلى الله عليه وآله بشرع من تقدمه لا بد فيه من معرفة أمرين ٣٢٣
- قول المحقق أبو القاسم الحلي في أصوله بأن شريعة من قبلنا هل هي حجة في شرعنا؟ ٣٢٤
- دلائل المنكرين للحجة وهو الحق ٣٢٤-٣٢٥
- دليل الآخرون في حجتها ٣٢٥

- ٣٢٦-٣٢٥ ردّ على دلائلهم
- ٣٢٦ قول العلامة المجلسي رحمه الله في هذا المطلب وهو القول بالصائب
- ٣٣٠-٣٢٧ دلائل العلامة على اثبات قوله
- ٣٣١-٣٣٠ بيان الوجوه التي يمكن تصوّرها إن كان يعمل بشريعة غيره
- ٣٣٢-٣٣١ بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة
- ٣٣٤-٣٣٢ قول الطبري في الخطبة و كلام ابن أبي الحديد فيها
- ٣٣٤ أيضاً بيان آخر في شرح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيه
- ٣٣٥ بيان قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة
- بيان كامل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها مشتملاً على أقوال
- اللغويين فيها
- ٣٤٢-٣٣٥ نظر العلامة المجلسي في الخطبة
- ٣٤٣
- ١٩٣- ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف فيها المتقين
- ٣٤٧-٣٤٣ بيان طويل في شرح الألفاظ والمصطلحات التي وردت في الخطبة. يشتمل على بيان تفصيلي لكلّ من الصفات التي ذكر عليه السلام للمتقين. أيضاً يأتي العلامة المجلسي رحمه الله ببيان تفصيلي من ابن ميثم رحمه الله توضّح فيه هذه الصفات وتعدّ فيه فضائل أخرى كثيرة للمتقين يبلغ عددها الثانية والعشرين. أيضاً توضّح قوله عليه السلام في علامات المتقين. يشتمل هذه القسمة من البيان على ذكر الثانية والخمسين من العلامات وتبيين كلّ واحد منها على التفصيل.
- ٣٧١-٣٤٧
- ١٩٤- ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف فيها المنافقين
- ٣٧٢ بيان الخطبة
- ٣٧٢
- ١٩٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يحمداً الله ويثني على نبيّه ويعظ
- ٣٧٥-٣٧٣ بيان الخطبة
- ٣٧٥
- ١٩٦- ومن خطبة له عليه السلام
- ٣٧٦ بيان الخطبة
- ٣٧٦
- ١٩٧- ومن كلام له عليه السلام؛ يثني فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيّه
- ٣٧٧-٣٧٦

٣٧٨-٣٧٧

بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد والجوهري فيه

٣٧٨

توضيح وبيان آخر في الكلام

١٩٨- ومن خطبة له عليه السلام؛ ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم بحث

٣٨١-٣٧٩

على التقوى وبين فضل الاسلام والقرآن

٣٨٤-٣٨١

بيان الخطبة: يشرح فيه ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها بالتفصيل

٣٨٤

بقية متن الخطبة [الرسول الأعظم]

٣٨٥

بيان هذا الجزء

٣٨٦-٣٨٥

بقية متن الخطبة [القرآن الكريم]

٣٨٧-٣٨٦

١٩٩- ومن كلام له عليه السلام؛ كان يوصي به أصحابه

٣٨٧

توضيح الكلام

٣٨٨-٣٨٧

بقية متن الكلام

٣٨٩

٢٠٠- ومن كلام له عليه السلام في معاوية

٣٨٩

بيان الكلام

٣٩٠-٣٨٩

٢٠١- ومن كلام له عليه السلام؛ يعظ بسلوك الطريق الواضح

٣٩٠

بيان الكلام

٢٠٢- ومن كلام له عليه السلام: روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة

٣٩١

عليها السلام، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره

٣٩٢

٢٠٣- ومن كلام له عليه السلام في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة

٣٩٣-٣٩٢

٢٠٤- ومن كلام له عليه السلام؛ كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

٢٠٥- ومن كلام له عليه السلام؛ كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد

٣٩٤-٣٩٣

عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بها

- ٣٩٥-٣٩٤ توضيح الكلام مشتملاً على قول ابن الأثير وابن ميثم فيه
- ٢٠٦- ومن كلام له عليه السلام، وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حرهم بصفين
٣٩٥ بيان الكلام
٣٩٥
- ٢٠٧- ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب
٣٩٦ بيان الكلام
٣٩٦
- ٢٠٨- ومن كلام له عليه السلام، قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة
٣٩٧ بيان الكلام
٣٩٧
- ٢٠٩- ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه - يهوده، فلما رأى سعة داره قال...
٣٩٨ بيان الكلام
٣٩٨
- ٢١٠- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمافي أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام...
٤٠١-٣٩٩ نفس الكلام برواية الصدوق رحمه الله في خصاله
٤٠٤-٤٠١ ذكر سلسلة الرواة ورواية نفس الحديث في كتب أخرى نحو تحف العقول وغيبة النعماني والاحتجاج
٤٠٤ توضيح الكلام
٤٠٦-٤٠٤
- ٢١١- ومن خطبة له عليه السلام في عجيب صنعة الكون
٤٠٨-٤٠٧ بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها مشتملاً على أقوال الكيدري وابن أبي الحديد والجوهري
٤١٢-٤٠٨
- ٢١٢- ومن خطبة له عليه السلام: كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه
٤١٢

٤١٢

بيان الخطبة

٤١٣

٢١٣- ومن خطبة له عليه السلام في تمجيد الله وتعظيمه

٤١٣

بيان الخطبة

٢١٤- ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف جوهر الرسول، ويصف العلماء ويعظ

٤١٥-٤١٤

بالتقوى

بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها وتوضيح مراده

٤٢٠-٤١٥

عليه السلام منها مشتملاً على أقوال ابن أبي الحديد وابن ميثم والأصمعي

٤٢٠

أيضاً بيان آخر

تذنيب مطول في ذكر خصائص الرسول صلى الله عليه وآله. وقد جمع
العلامة رحمه الله هذه الخصائص في كتاب التذكرة. والبحث المذكور يدور
حول هذا الموضوع ويوضح تلك الخصائص مفصلاً. ويذكر بعض هذه

٤٤٢-٤٢٠

الخصائص فيما يلي:

٤٢٠

ذكر الواجبات عليه دون غيره

٤٢١

قول الشافعي فيه

٤٢١

وجوب قيام الليل على النبي صلى الله عليه وآله

٤٢١

قول الشهيد الثاني في هذا الموضوع

٤٢٢

وجوب قضاء دين من مات معسراً عليه

٤٢٢

مشاورة أولي النهي

٤٢٢

إنكار المنكر إزاراً وإظهاره

٤٢٢

كان عليه تخيير نسائه بين مفارقتة ومصاحبته

٤٢٥-٤٢٣

بحث في نساء النبي صلى الله عليه وآله وكيفية اختيارهن

٤٢٥

كلام الشهيد الثاني والشيخ علي رحمهما الله في هذا المطلب

٤٢٨-٤٢٥

ذكر المحرمات عليه في غير النكاح

١. الزكاة المفروضة

٢. الصدقة المنذوبة

٣. أكل الثوم والبصل والكراث. والأقرب عدم التحريم

٤. أكل الشيء متكنأً. والأقرب الكراهة

٥. حرمة الحظ والشعر عليه
٦. إذا لبس لأمة الحرب يحرم عليه نزعها حتى يلقى العدو و
يقاتل
٧. إذا ابتدأ بتطوع حرم عليه تركه
٨. مذ العنين
٩. يحرم عليه خائنة الأعين
١٠. هل كان يحرم عليه أن يصلي على من عليه دين أم لا؟ فيه
اختلاف
١١. نفس الخصوصية السابقة مع وجود الضامن
١٢. لم يكن له أن يئن ليستكثر

٤٢٧-٤٢٨

ذكر المحرمات عليه خاصة في النكاح

١. إمساك من نكره نكاحه
قول الشافعية في هذا المطلب
٢. نكاح الكفار

بحث مفصل في التخفيفات وهي قسمان: ما يتعلق بغير النكاح وما
يتعلق بالنكاح. ويذكر فيما يلي بعض التخفيفات في غير النكاح:

٤٢٩-٤٣٢

١. الوصال في الصوم و كلام الشهيد الثاني والعلامة المجلسي فيه
٢. اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة
٣. خمس النفي والغنيمة
٤. أبيع له دخول مكة بغير إحرام خلافاً لأئمة
٥. أبيع له ولأئمة كرامة له الفئام وكانت حراماً على من
قبله من الأنبياء
٦. أبيع له أن يحمي نفسه الأرض لرعي ماشيته
٧. أبيع له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك وإن اضطر إليها
٨. كان لا ينتقض وضوءه بالنوم
٩. كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً. وأنكره بعض الشافعية
١٠. كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط
١١. كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه

ذكر التخفيفات التي يتعلّق بالنكاح:

٤٣٦ — ٤٣٧

١. الزيادة على أربعة نسوة
٢. العقد بلفظ الهبة
٣. كان إذا رغب صلى الله عليه وآله في نكاح امرأة فإن كانت خلية فعليها الاجابة ومحرم على غيره خطبتها
٤. انعقاد نكاحه بغير وليّ وشهود
٥. انعقاد نكاحه في الاحرام. وللشافعية قول فيه
٦. بحث في أنه هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته؟
- كلام الشهيد الثاني رحمه الله في هذا الموضوع مفصلاً ومستدلّاً على الآيات القرآنية والأحاديث
٧. إنه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وآله تزويج المرأة ممّن شاء بغير إذن وليّها وتزويجها من نفسه وتولّى الطرفين من غير إذن وليّها

ذكر الفضائل والكرامات في النكاح

٤٣٨ — ٤٣٩

١. تحريم زوجاته على غيره و كلام الشهيد الثاني قدّس سرّه في توضيحه ورواية الكليني ونقل قصّة فيه
٢. إنّ أزواجه أمّهات المؤمنين مطلقاً
٣. تفضيل زوجاته على غيرهنّ
٤. لا يحلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسألهنّ شيئاً إلّا من وراء حجاب

ذكر الفضائل والكرامات في غير النكاح

٤٤٠ — ٤٤١

١. ختم النبيّن
٢. إنّ له خير الأمم
٣. نسخ جميع الشرائع بشريعته
٤. جعل شريعته مؤبّدة
٥. جعل كتابه معجزاً بخلاف سائر الأنبياء
٦. حفظ كتابه عن التبديل والتغيير
٧. نصره بالرعب على مسيرة شهر

٨. جعلت له الأرض مسجداً و ترابها طهوراً.
٩. أحلت له الغنائم دون غيره من الأنبياء.
١٠. يشفع في أهل الكباثر.
١١. بعث إلى الناس عامة.
١٢. سيد ولد آدم يوم القيامة.
١٣. أول من تنشق عنه الأرض
١٤. أول شافع مشفع
١٥. أول من يقرع باب الجنة.
١٦. أكثر الأنبياء تبعاً.
١٧. أمته معصومة لا تجتمع على الضلالة. ونظر العلامة المجلسي فيه
١٨. صفوف أمته كصفوف الملائكة.
١٩. تنام عينه ولا ينام قلبه.
٢٠. كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه.
٢١. كان تطوّعه بالصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً وإن لم يكن عذر
٢٢. مخاطبة المصلّي بقوله «السلام عليك ورحمة الله وبركاته».
٢٣. يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبيّ.
٢٤. يحرم على غيره ندائه من وراء الحجرات.
٢٥. نادى الله تعالى الأنبياء و حكى عنهم بأسمائهم ولم يذكر اسمه في القرآن إلا في أربعة مواضع.
٢٦. كان يستشفى به.
٢٧. كان يتبرّك ببوله ودمه.
٢٨. من زنى بحضرتة أو استهان به كفر.
٢٩. يجب على المصلّي إذا دعاه يجيبه ولا تبطل صلاته
٣٠. كان أولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه

أ

مسألة في هذا الموضوع

نظر العلامة المجلسي حول البحث المذكور بتمامه

- ٢١٥- ومن دعاء له عليه السلام، كان يدعو به كثيراً ٤٤٢-٤٤٣
- ٢١٦- ومن خطبة له عليه السلام؛ خطبها بصفين ٤٤٣-٤٤٦
تبين الخطبة ٤٤٦-٤٤٧
ذكر نفس الخطبة برواية الكافي مع الهوامش المفيدة الكثيرة ٤٤٧-٤٤٩
ذكر مباحثه علي عليه السلام مع رجل من عسكره لا يدري من هو. في
هذه المباحثه يذكر علي عليه السلام ثلاث خطبات طويلة في فضله
عليه السلام وفضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. ٤٥٠-٤٥٥
بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبات ومصطلحاتها وبيان مراده
عليه السلام منها، مشتملاً على نظرات اللغويين وشرح النهج المعروفين و
أيضاً نظرات العلامة المجلسي رحمه الله فيها ٤٥٥-٤٦٦
- ٢١٧- ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش ٤٦٦
- ٢١٨- ومن كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام ٤٦٧
- ٢١٩- ومن كلام له عليه السلام لما مر بطلحة بن عبدالله وعبد الرحمن بن عتاب بن
أسيد وهما قتيلان يوم الجمل ٤٦٧
- ٢٢٠- ومن كلام له عليه السلام في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه ٤٦٧-٤٦٨
- ٢٢١- ومن كلام له عليه السلام؛ قال بعد تلاوته: «أهاكم التكاثر...» ٤٦٨-٤٧٢
- ٢٢٢- ومن كلام له عليه السلام، قال بعد تلاوته: «يُسَبِّحُ له فيها بالغدو...» ٤٧٢-٤٧٤
- ٢٢٣- ومن كلام له عليه السلام، قال عند تلاوته: «يا أيُّها الانسان
ماغرك...» ٤٧٤-٤٧٦
- ٢٢٤- ومن كلام له عليه السلام؛ يتبرأ من الظلم ٤٧٦-٤٧٨

- ٢٢٥- ومن دعاء له عليه السلام؛ يلتجئ إلى الله أن يغنيه
٤٧٨
- ٢٢٦- ومن خطبة له عليه السلام في التنفير من الدنيا
٤٧٩- ٤٨٠
- ٢٢٧- ومن دعاء له عليه السلام؛ يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد
٤٨٠- ٤٨١
- ٢٢٨- ومن كلام له عليه السلام؛ يريد به بعض أصحابه
٤٨١
- ٢٢٩- ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة
٤٨١- ٤٨٢
- ٢٣٠- ومن خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى
٤٨٢- ٤٨٤
- ٢٣١- ومن خطبة له عليه السلام، خطبها بذئ قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها
الواقدي في كتاب «الجميل».
٤٨٤
- ٢٣٢- ومن كلام له عليه السلام؛ كلم به عبدالله بن زمعة وهو من شيعة وذلك أنه
قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال عليه السلام...
٤٨٤- ٤٨٥
- ٢٣٣- ومن كلام له عليه السلام بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر، وهو
في فضل أهل البيت، ووصف فساد الزمان
٤٨٥
- ٢٣٤- ومن كلام له عليه السلام، روى ذعلب اليمامي عن أحمد بن قتيبة، عن
عبدالله بن يزيد، عن مالك بن دحية، قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر
عنده اختلاف الناس فقال: ...
٤٨٥- ٤٨٦
- ٢٣٥- ومن كلام له عليه السلام، قاله وهوبلي غسل رسول الله صلى الله عليه و
آله و تجهيزه
٤٨٦- ٤٨٧
- ٢٣٦- ومن كلام له عليه السلام، اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي
صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به
٤٨٧

٢٣٧- ومن خطبة له عليه السلام في المسارعة إلى العمل ٤٨٧-٤٨٨

٢٣٨- ومن كلام له عليه السلام في شأن الحكيم وذم أهل الشام ٤٨٨

٢٣٩- ومن خطبة له عليه السلام: يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله ٤٨٩

٢٤٠- ومن كلام له عليه السلام: قال لعبد الله بن العباس؛ وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينهم، ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام... ٤٨٩-٤٩٠

٢٤١- ومن كلام له عليه السلام؛ يبحث به أصحابه على الجهاد ٤٩٠



فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب
رموز الكتاب ٤٩١-٥٤٥

٥٤٧
الفهرس التفصيلي لمواد الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد ٥٤٩-٥٧٦